الموسوعة الشاملة للتصوف

دراسة في المنهج الصوفي ..مدارسه وأبرز رجاله

عدنان أحمد ياسين الفلاحي الحسني

الجـزء الأول

الطبعة الثانية

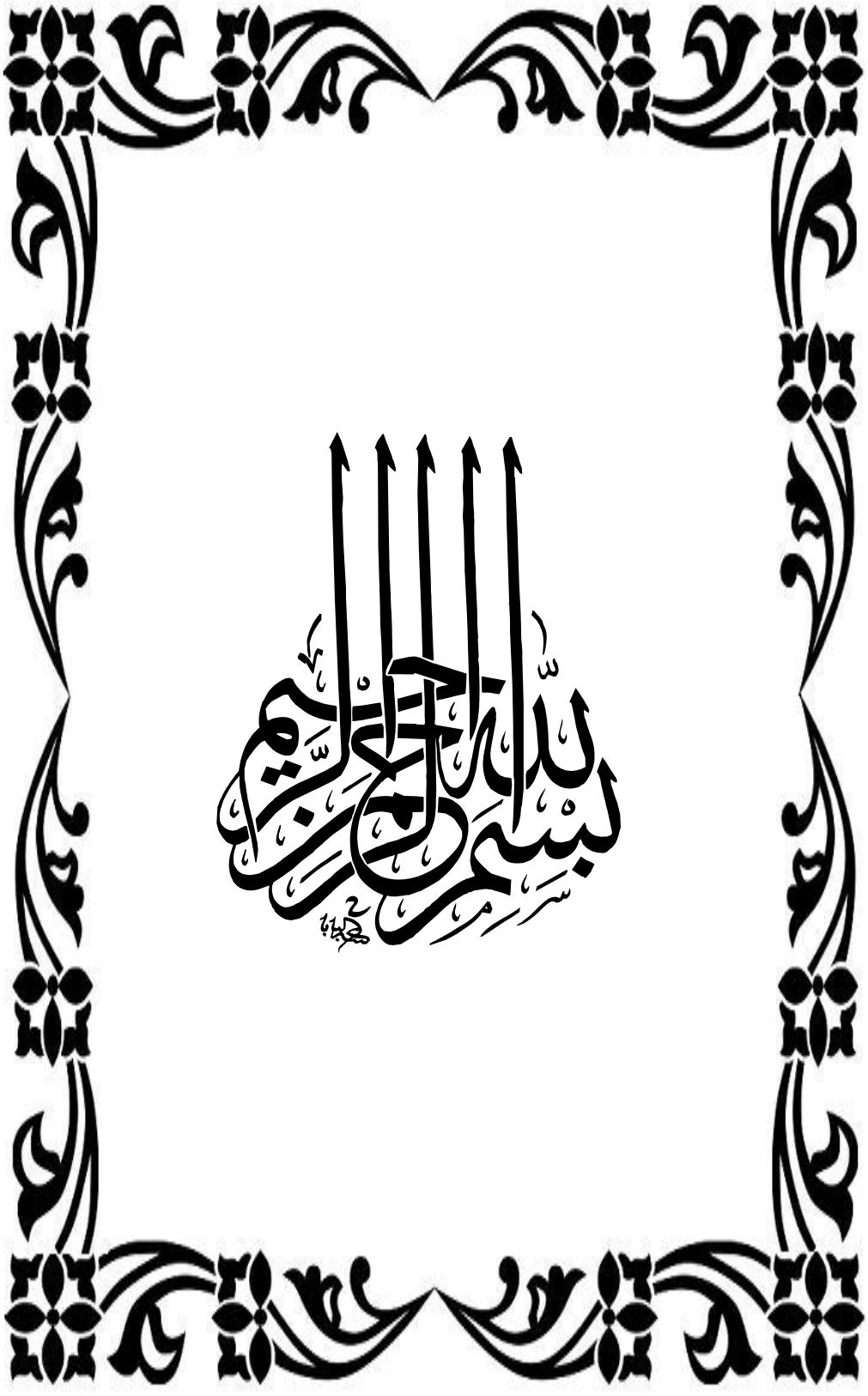
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (الحديد ٢٠)

الإهداء

الى كل من أحب وهام محتضناً عشقه

الى كل من رأى الله أو آثاره في كل ما حوله ، فما انقطع عنه سبحانه لحظة أو بَعُدَ

الى من بكى وهو يقرأ لَن تَرَانِي [1]

والى من أحبَّ سيدي رسول الله ﷺ حتى ذابت روحه شوقاً لرؤيته

الى من باع نفسه وأهله وما يملك بلحظة لقاء مع الحبيب يلثم فيها يده ويشم عطره

الى من أحس بلوعة لا يطفئها سوى رؤية من أحب

والى من كان همّه أن يدخل دائرة الرضوان مع :

الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ [2]

الى من حِلمُهُ ان تغشاه سحابة اللطف فيتشرف بوصف يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ [3]

اليهم ...

أو من أحبهم ...

أو سار على خطاهم ...

أهدي كتابي

---

[1] الأعراف / ١٤٣

[2] النساء / ٦٩

[3] المائدة / ٥٤

المقدمــة

التصوف ... ذلك العالم من النقاء ، من الشفافية ، ومن القرب من الله ، والقُرْب من القلوب .

عالم من الصفاء ومن التصفية ، من الزكاة ومن التزكّي ، عالم من النور والسكينة ، عالم يقول عنه أمير الشحاذين إبراهيم بن أدهم :

(لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من السرور والنعيم إذاً لجالدونا عليه بالسيوف)[1]

عالَمٌ ترك الشبلي كل الثراء والجاه والسلطة ، ليدخله ، ليَنعَمَ بما فيه بعد أن عانى من الكبد ، فدخل جنة التصوف ليستريح :

(قَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ) [2]

قومٌ اقتربوا من الله فما عاد يحلوا لهم ان يَبعُدوا ، ومن يذق حلاوة القرب ، فلا يطيب له إلا القرب ، ومن يأنس بالله فلا يطيب له إلا ان يأنس به سبحانه وتعالى .

ذاقوا لذّة الأنس وحلاوة القرب وشربوا من كأس محبته ما جعل للمكابدة وللعناء لذة إستعذبوها ، وأدمنوا الصبر والاحتساب عند الله ،

صبروا بانتظار لحظات وصلٍ أو ساعة لقاء .

لم يتصبروا على البلاء ، لأنهم أحبّوا الله ، فلم يشعروا بسواه ، وتوجّهوا اليه سبحانه ، فلم يحسّوا بألمٍ ، أو تؤذِهِم بلوى ، فالقلب منشغل عن البلوى والألم بمحبة الله والسعي لرضاه ، وكذا قلوب العاشقين ، تَسْمُوا عما سوى عشقها .

وأنا إذ أقترب من هذه القمم والقامات الشامخة ، وأحوم حول رياضهم

---

[1] حلية الأولياء ٧/ ٣٧٠

[2] البلد / ٤

ومشاربهم ، فأنا لا أدّعي بأني منهم ، ولا وصلتُ الى الذي وصلوا ، ولا ذقتُ ما شَرَبوا ، إنما أنا مدفوع بهمّة الباحث ، والمتحري للحقيقة ، مستعيناً بصدق السعي خلف آثارهم ، متكئاً على محبتي لهم ، فلطالما سِمعتُ أبي في صغري يتغنّى بشوقه لهم ، مُرداً أقوالهم ، وكانت أمي تنشد لي وأنا في مَهدي أشعارهم ومديحهم ، فكَبَرتُ ، وأطياف عشقهم تتنقل بمنزلي ، وعبق عطرهم يفوح من كل ما حولي .

فحاولت جهدي أن أُسلِّط الضوء على هذا المنهج المنوَّر ومِن أصدق المصادر وأكثرها علمية ، وأنا على يقين بأنَّ هذا المنهج له من المعارضين مثلما له من المناصرين ، فهذا منهج خاص يعتمد الذوق الخاص ، فليس الجميع يتلذذ بقيام الليل ، وليس الكل يحسُّ بحلاوة صيام التطوّع في الأيام الحارّة ، بل القليل من الناس الذين يتركون أبواباً من الحلال ، خوف الشبهة ، والأقلُّ هم الذين انشغلوا بإصلاح عيوبهم فلم يتحرّوا عيوب الآخرين .

لذلك لا تجد في شيوخ التصوّف من يدعوا الناس لمنهج التصوف ، لعلمهم بأنه منهجٌ لمن نوَّر الله قلبه وأعانه على المضي بدرب الجهاد والمجاهدة ...فمن صَدَقَ مع الله هداه السبيل اليه ، ومن صَبَرَ أعانه على الوصول فيه

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ [1]

بل كان جُلّ ما فعله الشيوخ أن جعلوا من أنفسهم مثالاً حيّاً للسلوك الصحيح الصادق على درب التصوّف ، كما نوّروا الطريق لمن سلك منهجهم ، فأبانوا للسالكين مخاطر الطريق ومنزلقاته ، وحذّروا من إبليس ومكره .

وقسّمت الموسوعة التي بلغت (٢٦٠٠) صفحة الى كُتُبٍ خمسة تبحث في معنى التصوف وتعريفه ، وكما أورده شيوخ التصوف وأئمته .

---

[1] العنكبوت / ٦٩

وحاولت أن أُسلِّط الضوء على مصطلحات القوم ورموزهم ، فللقوم مصطلحات جَرَت بينهم ليشرحوا فيها وجداً ، أو يتحدّثوا عن تجربة ، أو يشرحوا أمراً ، فالتصوّف أعزُّ عندهم من أن تُبذلُ أسراره لمن لا يعرف قدرها ، فضنّوا به على من لم يهده الله اليه .

وكان هذا في الجزء الأول والذي حوى (٥١١) صفحة .

ثم انتقلت في الجزء الثاني ومن خلال (٥٩٠) صفحة لشرح العلاقة بين التصوف والشريعة او علم الظاهر وعلم الباطن ، فالتصوف أساسه وإطاره الشريعة والعلاقة بينهما كالعلاقة بين الإسلام والإحسان ، والتصوف يحتوي الشريعة ويقوم عليها ، فكلّ صوفي مسلم ، لكن ليس كل مسلمٌ صوفيٌّ .

وكان لنا وقفة مع شعر المتصوفين .

وشِعر القوم يتحدث عن الزهد والحكمة والحب .. الحب الإلهي ، فالشعر يتسع للرمزية التي ينشدها المتصوفون ، ويتحمل معانٍ لا يُصرَّحُ بها موزَّعة بين أبياته .

ثم ان الشعر وشفافيته يناسب شرح مواجيد المتصوفين ولَوعاتهم وشكواهم .

وكما ان الحب قطب التصوف ومركزه ، فكان لابد ان نقف عنده لنبين أشكاله وحالاته .

ثم دخلنا مدارس التصوف (وإن اكتفينا ببعضها) واستعرضنا بعضاً من طرق التصوف ، فالتصوف وإن كان بمحتوى واحد هو تزكية النفس وتصفيتها لوصولها الى الصفاء الموصل الى التحقق بـ (أشهد ان لا اله الا الله) ، إلّا ان هذا الوصول له طُرُقٌ وسُبُلٌ متعددة ، فالله سبحانه وتعالى واسع والطُرُقُ اليه بعدد أنفاس الخلائق ... فكانت طُرُق التصوف متعددة إلا انها تخرج من عينٍ واحدة وتصُبُّ في بحر واحد .

ثم زرنا في الأجزاء الثلاثة الباقية أئمة التصوف وشيوخه واطّلعنا على فصول من حياتهم وفكرهم وآثارهم.

وطفنا في الجزء الأخير ببعضٍ من مراقد الصالحين في بغداد دار السلام نتبرّك ونتعطّر بأريج الجنان .

ثم اختتمنا بأن أوردنا صلواتهم على سيدنا وامامنا رسول الله ﷺ ، و بعض أورادهم ، ﷺ .

وهذا جهد بشري لا يتسم بالكمال مهما حاولنا ان نوصله الى الكمال ، فما كان به من خير فهو بتوفيق الله وكرمه ، وما كان به مما يحتاج الى تصويب فراجع الى ضعفي وتقصيري .

اسأل الله تعالى أن يقبله قبولاً حسناً انه هو الرحمن الرحيم .

وأن يرزقنا الإخلاص فيه وفي سواه .

انه هو الموفق للخيرات والهادي اليها .

وأصلي على نبيه الأكمل وآله في المبتدى والمختتم ، وأحمد الله تبارك وتعالى رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ، الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في المُلك ولم يكن له وليٌّ من الذل ، كما يحب ربنا ويرضى وينبغي له ، حَمداً يَفضُل سائر المحامد كفضل ربنا على جميع خلقه .

عدنان احمد ياسين الفلاحي الحسني

بغداد

ذو الحجة ١٤٤١ هجرية

وقفة
في محراب التصوف

تُرى كيف يكون الحديث عن الحب ؟

وكيف يكون الحديث عن الوجد ؟

والشوق ... كيف تراه يوصف ؟

انها احاسيس تُستشعر وتجري في القلوب مجرى الدماء فتنعكس سُهداً وغُربة وتركاً للملاذ ... فالقلب لا يطلب الا الحبيب .

((يُحِبُّهُم ويُحِبُّونه))

الزهد فيما سوى الله ليس سلوكاً يخطّه العقل وترسمه النفوس .

انه حب لله ، فينسى المحبُّ ما سواه .

يتوجه الى الله فلا يرى غيره .

انه احساس الصحابي أنس بن النظر في أُحُد حين كان يشمُّ ريح الجنة فيما كان يشم الآخرون سوى ذلك [1]

انه توجّه جعفر نحو الحبيب في مؤتة فيُطعن بضع وتسعون طعنة فلا يهتز جسده ولا ينفتل ولا يستدير ،

كأنَّ ليس للطعن ألم [2]

انه شعور بالحب فاق شعوره بالألم .

هو دمع بلال حين طلب منه الحسن والحسين ان يؤذن بعد وفاة رسول الله

---

[1] (يتقدم فيلقاه سعد بن معاذ فيسأله : اين يا ابا عمر ؟ فقال انس : واها لريح الجنة يا سعد ، اني اجده دون أُحُد ... فمضى فقاتل القوم حتى قُتِل) انظر مسلم ٣ / ١٥١٢ برقم ١٩٠٣ و سنن البيهقي ٩ / ٤٣ برقم ١٧٦٩٦

[2] يقول ابن عمر (التمسنا جعفر ابن ابي طالب فوجدناه في القتلى ووجدنا ما في جسده بضعاً وتسعين طعنة ورمية) البخاري ٤ / ١٥٥٤ برقم ٤٠١٣ و (بلغ عدد جراحه تسعين بين طعنة برمح او ضربة بسيف او رمية بسهم وليس من بينها جرح في ظهره بل كلها في صدره) ضوع الطيب ص ٣٤٣

ﷺ فغصَّ بحُبِّهِ وغصَّ بشوقه حين وصل الى أشهد ان مُحَمَّداً رسول الله ، فراحت كلماته ترسم اشكال حنينٍ وشوق .

انها كلمات المصطفى ﷺ (أرِحنا بها يا بلال)

فالنفس لا تسكن ولا تَسعَد الا بلحظة اللقاء في الصلاة ، او في التفّكر ، او في شوق عارم لحظة البحث عن فرصة للقاء او لحظات قُرب .

انه شوق موسى الكليم عليه السلام ((رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ)) [1]

انه حنينه حين كان الرد لن ترا ...

كيف يوصف كل هذا ؟

وكله بعض ما يجيش في الأنفس ويتقاذف في القلوب فيكون الزهد والورع والصدق والاخلاص والمحبة ... ويكون التصافي والصفاء ، ويكون التصوف .

كيف نصِفُ شوقاً يملأ القلوب فتتجافى الجنوب عن المضاجع .

حاول الكثيرون الحديث عن التصوف

حاولوا ... ولوج هذا البحر من الحب والاخلاص والصدق والورع ، بحرٌ من دموع وآهاتِ عُشّاق ولوعة محبين ، فتحدثوا عن الالتزام وعن التشدد على النفس ، عن الزهد وقوانينه وأُسُسِ الإتباع لهذا السلوك او ذاك ...

كتبوا عن الإيثار وقوانينه ، وكأنَّ التصوف سلوك اصطفائي ودرب يختاره المريد او السالك بعد بحث عقلي و تقصّي معرفي .

وأنا اذ احترم كل ما قيل في التصوف وسلوك رجاله .

أرى فيه سلوكاً قلبياً يؤسسه الحب ، الحب الصادق .

الحب الذي يملأ القلب ويستغرق الروح فيفيض على الأجسام سلوكاً والتزاماً بالشريعة .

وهذا الحب ينقل صاحبه من حال الى حال ومن مقام الى مقام .

---

[1] سورة الاعراف ١٤٣

الصوفي يطبّق الشريعة محبةً بالتشريع والمشرّع .

يطبق الأوامر وينتهي عما يُنهى عنه بلا تكلّف لأن الحب صفّى قلبه من الأدران فتوجه لتطبيق ما أمر الله به ان يُطَبّق وابتعد قلبه قبل عقله عما نهى الله ان يؤتى او يُفعَل .

أما رأيت الى موسى عليه السلام كيف استعصى عليه ان يسكت او يصبر وهو يرى العبد الصالح يخرق الشريعة فيثقب سفينةٍ او يقتلَ صبيٍّ .

لو كان الأمر بالعقل فما كان مِثلُ موسى من يخرق اتفاقاً او ينكث بوعد .

لكنه القلب الذي صَرَخَ قف كيف تخرق سفينة وذاك منافي للشريعة ثم كيف تقتل والله أمَرَ ان لا يُسْفَكَ دم .

الأمر متعلق بالقلب .. بحب الشريعة .. أخَذَ عليه السلام الشريعةَ أخْذَ مُحْبٍ فتلبّست قَلبَهُ وعاشها وجدانه فلم يتكلف في التطبيق ، ولم يصبر على الخرق .

كان السلوك هو النتيجة . والأساس هو الحب .

أحبوا الله وكان حدود حبهم الأدب .

خافوا الله وكان حدود خوفهم الرجاء والأمل .

حب وخوف .

حب للجمال ، وخوف يستلزمه الجلال .

وتلك الثنائية التي رسمت طريقهم ،

طريق الجهاد والمجاهدة ، جهاد يفضي الى الهداية للدرب والسبيل الموصل

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا [1]

ثم ... بعد ذلك ...

اليقين الموصل للتزكي

وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ [1]

---

[1] سورة العنكبوت ٦٩

ورحلة المصطفى ﷺ في الاسراء والمعراج التي تقود لليقين

فالمعراج دلالة على حب الله عز وجل لنبيه فإن كان أهل الأرض كذّبوك وآذوك وأدمَوا قلبك وجَرَحوك ، فان الله يعوّضك فيرفعك ويُدنيك ويقرّبك ويعوّضك قرُباً ما أتيح لسواك دليل حب وتكريم .

وان كانت ثُلَّة من البشر ما قبلتك نبياً ، فها هم جمع الأنبياء يقبلوك إماماً، وان كانت مدينة أو عشيرة تحاربك، فانظر صِغْرَها وصغر الأرض جميعاً أمام ملكوت الملك الجبار تبارك و تعالى .

وتلك سُنّة الله فيمن يحب من عباده ... اليقين .

التزكي ... واليقين ... والارتقاء . .. والمشاهدة

وذلك ما يدعوهُ ... التصوف .

---

[1] سورة الأنعام ٧٥

تعريف التصوف

للتصوف كغيره من المفاهيم الحياتية معنيين .

معنى لغوي احتوته كتب اللغة ومعاجمها ، ومعنى اصطلاحي له مدلول من حياة المتصوفين وحالهم .

فمن حيث اللغة تعددت الآراء في اصل كلمة التصوف ، وارجعها الباحثون الى أكثر من أصل .

فالبعض أرجعها الى صوفة ، وهو رجل عاش في الجاهلية يُكنّى بأبي حي بن مضر ، واسمه الغوث بن مُرَّ ابن أدّ بن طانجة ، ، عُرِفَ بانقطاعه الى الله تعالى وخدمة الكعبة والحجيج [1]

ووجه الشبه بين التصوف وبين صوفة هو التشابه في الانشغال بالله عما سواه .

وهناك من يُرجِع اصل التصوف الى (الصوف) وهو ما اعتاد المتصوفون لبسه ، للتذلل وكسر النفس والابتعاد عن نعيم الدنيا وترفها ولما فيه من التنسُّك والزهد .

والصوف خشن ملمسه وقليلة كلفته وفيه دلالة على ذلّهم لأنفسهم وكسرهم لشهوتها ، ولتعويد أنفسهم على الرضا بالقليل .

وهذا اللباس الخشن كان يرتديه هؤلاء القوم صيفاً وشتاء .

يقول ابو نصر الطوسي : (ان لبسة الصوف كانت دأب الأنبياء عليهم السلام وشعار الأولياء والأصفياء) [2]

ان الصوف كان لباس رسول الله ﷺ ولباس اخوانه من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من قبله .

فمن حديث عروة بن المغيرة عن أبيه رضي الله عنهما انه قال كنت مع رسول الله ﷺ ذات ليلة فقال : أمعك ماء ؟ قلت نعم .

---

[1] مراحل الفكر الاسلامي ص ٦٩

[2] اللمع في تاريخ التصوف ص ٢٤

فنزل ﷺ عن راحلته فمشى حتى توارى عني في سواد الليل ثم جاء فأفرغت عليه من الأدواة فغسل وجهه ويديه وعليه جبة من صوف فلم يستطع ان يخرج ذراعيه منها حتى اخرجهما من اسفل الجبة فغسل ذراعيه ثم مسح برأسه ثم اهويت لأنزع خفَيه فقال دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين فمسح عليهما [١]

وعن سلمان الفارسي رحمه الله تعالى ان رسول الله ﷺ توضأ فقلب جبة من صوف كانت عليه فمسح بها وجهه [٢]

وعن عبادة بن الصامت رحمه الله تعالى انه قال :

خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم وعليه جبة رومية من صوف ضيقة الكمَّينِ فصلى بنا فيها ليس عليه شيء غيرها [٣]

ومن حديث ابن عباس رحمه الله تعالى ان رسول الله ﷺ أتى على وادي الأزرق فقال كأني أنظر الى موسى منهبطاً وله جؤار الى ربه بالتلبية .

ومرَّ على ثنية فقال ما هذه فقيل كذا وكذا قال كأني أنظر الى موسى يرمي الجمرة على ناقة حمراء خطامها من ليف وعليه جبة صوف [٤]

ومن حديث رواه ابن مسعود رحمه الله تعالى ان رسول الله ﷺ قال :

كان على موسى يوم كلّم ربه كساء صوف وجبة صوف وكمه صوف وسراويل صوف وكانت نعلاه من جلد حمار ميت [٥]

وعن مقسم ان ابن عباس رحمهم الله تعالى جميعاً قال :

---

[١] صحيح البخاري ٥ / ٢١٨٥ برقم ٥٤٦٣

[٢] سنن بن ماجة ١ / ١٥٨ برقم ٤٦٨

[٣] سنن بن ماجة ٢ / ١١٨٠ برقم ٣٥٦٣

[٤] ابن حبان ١٤ / ١٠٣ برقم ٦٢١٩

[٥] سنن الترمذي ٤ / ٢٢٤ برقم ١٧٣٤

لقد سلك فج الروحاء سبعون نبياً حاجاً عليهم ثياب الصوف [١]

وقال ابو موسى الأشعري رحمه الله تعالى لولده :

يا بني لو شهدتنا ونحن مع رسول الله ﷺ اذا اصابتنا السماء لحسبت ريحنا ريح الضأن من لباسنا الصوف [٢]

((وقد رجّح علماء اللغة هذه النسبة لصحتها حيث يقال تصوّف الرجل اذا لبس الصوف [٣]، كما يقال تقمَّص اذا لبس القميص .

واستحسنها ايضا كثير من العلماء واهل التصوف أمثال ابي حامد الغزالي ، وأبي نصر السرّاج [٤] وأبي نعيم الأصفهاني [٥] وأبي حفص السهروردي وابن تيمية– رحمهم الله تعالى – والغالبية العظمى من الباحثين المحدثين منهم ابراهيم بسيوني وعبد الحليم محمود وزكي مبارك)) [٦]

يقول الطوسي رحمه الله تعالى : ((نُسبوا الى ظاهر اللباس ولم يُنسبوا الى نوع من العلوم والأحوال التي هم بها مترسّمون لأن لبس الصوف كان دأب الأنبياء عليهم السلام والصديقين وشعار المساكين المتنسكين)) [٧]

وحين سُئِلَ رحمه الله تعالى عن التصوف قال : هم العلماء بالله وبأحكام الله ،

---

[١] سنن البيهقي الكبرى ٥ / ١٧٧ برقم ٩٦١٨

[٢] سنن البيهقي الكبرى ٢ / ٤١٩ برقم ٣٩٨٧

[٣] لسان العرب لابن منظور ٩ / ١٩٩ مادة صوف و تاج العروس من جواهر القاموس ٦ / ١٧٠ مادة صوف

[٤] هو الامام الشيخ الصوفي الزاهد ابو نصر عبد الله بن علي السراج ، الملقب بطاووس الفقراء ، توفي رحمه الله تعالى سنة ٣٧٨ هجرية ، له مصنفات اشهرها اللمع في التصوف

[٥] الاصفهاني : هو ابو نعيم احمد بن عبد الله بن احمد بن اسحق الأصفهاني ، عالم جليل وصوفي مشهور ، من اشهر مؤلفاته (حلية الاولياء)توفي رحمه الله تعالى ٤٣٠ هجرية

[٦] علم التصوف و أثره في العبادات ص ٢٩

[٧] اللمع في تاريخ التصوف ص ٢٤

والعالمون بما علّمهم الله تعالى ، المتحققون بما استعملهم الله عز وجل الواجدون بما تحققوا الفانون بما وجدوا لأن كل واجد قد فني بما وجد .

ويورد الكلاباذي ((انهم سموا صوفية للبسهم الصوف لأن الصوف لباس الأنبياء وزي الأولياء)) [١]

وهذا ما يقوله السهروردي وما يرجحه في أصل التسمية فيقول :

((فالقول بأنهم سموا صوفية للبسهم الصوف أليق وأقرب الى التواضع وأقرب ان يقال لما آثروا الذبول والخمول والتواضع والانكسار والتخفي والتواري ، كانوا كالخرقة الملقاة ، والصوفة المرمية التي لا يُرغب فيها ولا يُلتفت اليها ... فيقال صوفي .

ولم يزل لبس الصوف اختيار الصالحين والزهاد والمتقشفين والعبّاد)) [٢]

وهذا الرأي يدعمه ابن خلدون في مقدمته حيث يرى ((الأظهر ان ما قيل بالاشتقاق انه من الصوف وهم في الغالب مختصون بلبسه لما كان من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب الى لبس الصوف)) [٣]

ورغم ان هذا المعنى هو الشائع والأكثر قبولاً عند الصوفية الا انه وردت تفسيرات اخرى لمعنى التصوف او الأصل في اشتقاقها ، وهذا ما قال به الكلاباذي من انهم سموا بالصوفية لقرب اوصافهم من جماعة من المسلمين كانوا في زمن رسول الله ﷺ في مكان بالمسجد يسمى الصُفّة [٤]

ان التقارب المقصود (اهل الصفّة) لتشابههم معهم في صفة الفقر والانشغال بالعبادة عن الدنيا .

---

[١] التعرف لمذهب اهل التصوف ص ٢٦

[٢] عوارف المعارف للسهروردي (كتاب على هامش احياء علوم الدين للغزالي) ١/ ٢٩٥

[٣] مقدمة ابن خلدون ص ٤٦٧

[٤] التعرف لمذهب اهل التصوف ص ٢٩

واهل الصفَّة من فقراء المهاجرين بُنيت لهم صفّة في مؤخرة مسجد رسول الله ﷺ ولم يكن لهم بيوت يأوون اليها ، وكانوا منقطعين للعبادة .

كانوا نحواً من أربعِمِئة رجل ليس لهم مساكن ولا بيوت ، اجتمعوا على حب الله كما اجتمع المتصوفون في زواياهم ، لم تكن لهم بيوت يلجؤون اليها ولا زرع او تجارة ينشغلون بها ، كان انشغالهم الدائم هو حب الله وتزكية انفسهم .

فيهم قال الله عز وجل :

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾[1]

وهذا الاشتقاق لا يصح لغةً ولا يستقيم مع مقاييس اللغة فالنسبة الى الصفَّة هي صُفّي وليس صوفي .

وهناك من قال بنسبة الصوفي الى الصفّ وهم اهل الصف الأول في المساجد ، وتلك النسبة لا تصح بمقاييس اللغة لأن الصف ينسب لها الصَفيّ .

اما الامام القشيري رحمه الله تعالى فيرى غير ذلك .

فالتصوف عند القشيري اسم جامد غير مشتق وان هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة فيقال رجل صوفي ، وللجماعة صوفية ومن يتوصل الى ذلك يقال له متصوف وللجماعة المتصوفة ، اذ ان هذه الطائفة اشهر من ان يحتاج في تعيينهم الى قياس لفظ واستحقاق اشتقاق ، فالأظهر فيه انه كالقلب [2] .

وهناك من يرى ان الصوفي مشتق من الصفاء والمصافاة ، ومن هؤلاء الشيخ ابو الفتح البُستي الذي يقول :

تخالف الناس في الصوفي واختلفوا جهلاً وظنّوه مشتـقاً من الصـوفِ

ولست أمنحُ هذا الاسم إلا فتى صفا فصُوفيَ حتى سُمّيَ الصوفي

وهذا ما يذهب اليه أيضاً الشيخ عبد القادر الجيلاني حيث يرى انه في

---

[1] سورة الكهف ٢٨

[2] الرسالة القشيرية ص ٢١٧

الأصل صوفي على وزن فوعل ، مأخوذة من المصافاة يعني عبداً صافاه الحق سبحانه وتعالى ، وان هناك معاني أو صفات إذا تحققت في العبد بلغ مرحلة الاصطفاء كما يرى الشيخ الجيلاني، فالصوفي عنده (مِن صفاء النفس أو العبد الذي أصبح صافيًا من آفات النفس خاليًا من مذموماتها سالكًا لحميد مذاهبه ملازمًا للحقائق غير ساكن إلى أحد من الخلائق) [1]

وأرى ان القول الأخير أقرب الى الإحاطة بما تعنيه كلمة (الصوفي) فالألف واللام هنا ليستا للتعريف بقدر كونهما اسم موصول بمعنى الّذي كما في قولنا (جاء المكرم أخاه) أي جاء الّذي أكرم أخاه ، فالصوفيُّ هو الذي صُوفي ، صافى الله فصافاه الله . والصفاء: هو كونك تصافي الله فيصافيك الله .

هذا من حيث اللغة .

اما المعنى الاصطلاحي فقد كثُرت الأقوال فيه وتعددت محاولات التعبير عنه بكلمات والفاظ محددة .

فالتصوف كظاهرة سلوكية اطارها الشريعة تسعى لتطهير النفس وتزكيتها حتى تستغرق محبة الله كل قلوبهم ، فتفنى قلوبهم بتلك المحبة ، فلا يَروا حولهم سوى الله .

ان الوصول الى الطريق الموصل الى الله يستلزم بحثاً وتأملاً وانشغالاً وصراعاً مع النفس المملوءة بحب الشهوات والخلود الى الراحة ومخالفة هواها ، وصراعاً مع الشيطان والدنيا بزخرفها وملاذّها ، وانشغالاً بإصلاح القلب والروح والجسد والتزكّي والتّطهر بما يلائم شرف الارتقاء واللقاء .

وهذا الصراع والبحث والتأمل والانشغال وكل انواع المجاهدات ستقود لمرحلة الاهتداء لاحقاً للطريق .

---

[1] الغنية ص ٥٥١

(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) [1]

وقد اختلف المتصوفون في هذه الحالات التي تؤدي لمعرفة الطريق والسبيل وان كانت تُجمع على انها اساليب وضرورات لتزكية النفس وتهيئتها لرحلة الجهاد ثم للسوك والارتقاء .

لكن يبقى ما يحسّه الصوفي من حال او مقام انما هو حسٌّ ذوقي وشعور وجداني لا تتسع له الكلمات بما فيه من حياةٍ وسِعَةٍ .

لذلك صار التعبير عنه صعباً .

ويزيد من صعوبة تحديد المعنى ان الناس يميلون الى المقايسة والتشبيه لفهم ما لم يألفوه او يعرفوه فالقُدرة على التخيُّلِ او التصوّر تستلزم شبيهاً او مألوفاً لتصور المعنى او الاقتراب من فهمه .

ولأن التصوف حالات خاصة يعيشها خواصٌّ ، صار التعبير عن الحال صعباً لا يؤتاه إلا الذي عاش الحال او مرَّ به او ذاقه ، كصعوبة ان تصف الألوان لأعمى او شكل الغروب له ، لذلك اضطروا للتكلم بالإشارات والرموز والتي تتسع معانيها او تضيق او تختلف بينهم حسب الحال والمقام او الإجمال في الشرح او التفصيل .

ثم ان سلوك اهل التصوف ومحبتهم واحوالهم أحوال فردية ومتفاوتة ، فمن أراد التكلم منهم تكلَّم عن حال تختلف عن حال غيره او مقامه .

عموماً فقد صارت تعاريف التصوف كثيرة ، ولذلك ما يبرره ويجعل حصرها بتعريف جامع صعباً .

لذلك قال الجنيد رحمه الله تعالى :

علمُ التصوفِ علمٌ ليس يعرفه إلا أخـو فِـطنـــة بالحق معـــروف

وليس يعرفه من ليس يشهده وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف[1]

---

[1] سورة العنكبوت ٦٩

ان الاختلاف في تعريف التصوف ، راجع إلى منازل الرجال في معارج السلوك ، فكل واحد منهم ترجم أساسه و مقامه ، وهو لا يتعارض أبداً مع مقام سواه ؛ فإن الحقيقة واحدة ، وهى كالطريق الطويل ، كلُ سالك وقف في مسافة منه فوصفها ووصف ما يرى من معالم الطريق حوله ، ولم يقل إنه ليس في الطريق معالم غير التي يراها وصوراً سوى التي يشاهدها .

فالطريق طويل ومراحله كثيرة ولكل مرحلة أبعادها وصورها والحقول أو الجبال أو الصحارى التي تحيط بجزء الطريق الذي وقف عنده .

لذلك صار طبيعياً ان تختلف المشاهدات ويختلف الوصف .

ثم ان الله سبحانه وتعالى واسع ، والطريق اليه واسعة ومسالكها كثيرة ، لكنها كلها مسالك كريمة تقود الى رب واسع كريم .

ومهما اختلفت التعريفات ، فإنها تلتقى في كونها جزء من السلوك الى الله وجزء من هذا الطريق .

۞ ان أقدم تعريف لمصطلح التصوف طالعناه أورده الشيخ معروف الكرخي وهو : الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق ، فمن لم يتحقق بالفقر لم يتحقق بالتصوف [٢]

۞ اما رويم [٣] رحمه الله تعالى فيقول :هو استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريده [٤]

۞ وسُئل مُحَمَّد بن علي القصاب وهو من اساتذة الجنيد عن التصوف فقال:

---

[١] تاج العارفين الجنيد البغدادي ص ١٧٣

[٢] عوارف المعارف ص ٣٧

[٣] رويم : هو ابو مُحَمَّد رويم بن احمد بن يزيد البغدادي ، إمام فقيه مقرئ عابد زاهد صوفيّ شهير من كبار مشايخ بغداد توفي رحمه الله تعالى سنة ٣٧٨ هجرية .. ينظر صفة الصفوة

[٤] اللمع في التصوف ص ٢٥

أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم

۞ ويقول الجنيد [١]: التصوف ترك الاختيار [٢]

۞ وعندما سُئل الجنيد ﷺ عن التصوف قال : أثرة الله في خَلْقِه يُخفيها اذا أحبّ ويظهرها اذا أحبّ .

۞ وقال أيضاً ﷺ : (التصوف تصفية القلب عن موافقة البرية ، ومفارقة الأخلاق الطبيعية ، وإخماد الصفات البشرية ومجانبة الدواعي النفسانية ، ومنازلة الصفات الروحانية ، والتعلق بالعلوم الحقيقية ، واستعمال ما هو أولى على الأبدية ، والنصح لجميع الأمة ، والوفاء لله على الحقيقة ، واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في الشريعة) [٣]

۞ وقال رحمه الله تعالى : ان تكون مع الله بلا علاقة .

أي : أن يميتك الله عنك وحييك به وتكون مع الله بلا علاقة .

وقد عرّف ابو مُحَمَّد الجريري التصوف بأنه : (الدخول في كل خُلق سَنِيّ والخروج من كل خُلقٍ دَنِيّ) [٤]

وهذا الفهم للتصوف ينطوي على سلوك يقود لمراتب القرب والوصول ، كما ينطوي على اعادة بناء الانسان من حيث ارتباطه بمولاه في كل تصرف وفكرة ، وفي كلِّ عملٍ ونيّة ، وفي كل حالٍ ، وفي كل مكانٍ ، وهذا هو التقوى وفي ارقى

---

[١] ابو القاسم الجنيد بن مُحَمَّد ، سيد الطائفة الصوفية وامامهم ، اصله من نهاوند ومولده ومنشؤه في بغداد كان فقيها على مذهب ابي ثور ، وكان يفتي بحضرته وهو ابن عشرين سنة ، صحب خاله السري السقطي والحارث المحاسبي ، توفي سنة ٢٦٧ هجرية .. ينظر الرسالة القشيرية ص ٣١

[٢] مكاشفة القلوب ص ٣٧

[٣] التعرف لمذهب اهل التصوف ص ٢٠

[٤] الصوفية دراسة نظرية نقدية ص ١٣

مستوياتها الحسية والمعنوية .

انها التعامل مع الله بحُسنِ العبادة ، والتعامل مع العباد بحُسن الخُلُق .

۞ اما بشر بن الحارث رحمه الله تعالى فيرى ان الصوفي من صفا قلبه لله [١]

۞ وسمنون رحمه الله تعالى يقول في معنى التصوف :

ان لا تملك شيئاً ولا يملكك شيء [٢]

۞ ويرى رويم بن احمد :

ان التصوف استرسال العبد مع الله على ما يريده [٣]

۞ اما عمر بن عثمان رحمه الله تعالى فيفهم ان التصوف ان يكون العبد في كل وقت بما هو أولى في الوقت .

وهكذا تتنوع زوايا النظر لشيوخ التصوف فكل من أئمة الزهد والسلوك يتحدَّث عن حالٍ يعيشه في سلوكه ، او دواءٍ لداءٍ يراه مستشري فيمن حوله .

۞ والشيخ عمر بن عبد الرحيم الفناد يرى التصوف انه :نشر مقام واتصال بدوام [٤]

۞ اما ذو النون المصري فيقول في التصوف انه : الصوفي هو الذي لا يُعْيه طلب ولا يزعجه سلب ، والصوفية قوم آثروا الله تعالى على كل شيء فآثرهم الله على كل شيء .

۞ ويقول سهل التستري رحمه الله تعالى : الصوفي من صفا من الكدر وامتلأ من الفكر وانقطع الى الله دون البشر واستوى عنده المال والمدر .

۞ وبندار الشيرازي رحمه الله تعالى يقول : الصوفية متفقون في الوحدانية (في

---

[١] التعرف لمذهب اهل التصوف ص ٢٨

[٢] اللمع في تاريخ التصوف الاسلامي ص ٢٦

[٣] الصوفية دراسة نظرية نقدية ص ١٣

[٤] الصوفية دراسة نظرية نقدية ص ١٤

الجملة) قولاً ، متفرقون في الوصول اليها معاينة ومنازلة ، وكل واحد يستحق اسم ما ظهر عليه من حاله الذي هو به موصوف بحد اتفاقهم في الوحدانية قولاً فمن بين مجتهد وزاهد وعابد وخائف وفتي وفقير ومريد ومراد وصابر وراض ومتوكل ومحب ومشتاق وواله وهائم وواجد وفان وباق واحوال يكثر تعدادها .

وقد تجتمع الأحوال كلها في واحد فيسمى بما يسمى به الجميع [١]

۞ ولعل السهروردي مما يؤخذ من قوله في الصوفي في عوارفه :

الصوفي هو الذي يكون دائم التصفية دائم الافتقار الى مولاه نافذ البصيرة قائم بربه على قلبه وقائم بقلبه على نفسه ، قال الله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ [٢]

وهذه القوامة لله على النفس هو التحقق بالتصوف .

۞ وقد عرّفه ابو الحسن البوسنجي [٣] بقوله : التصوف عندي فقر القلب وخلو اليدين وقلة المبالاة بالأشكال ، فأما فقر القلب ففي قوله تعالى :

لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ [٤]

وخلو اليدين لقول الله تبارك وتعالى :

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً﴾ [٥]

وقلة المبالاة لقوله عز وجل :

---

[١] الصوفية دراسة نظرية نقدية ص ١٤

[٢] سورة المائدة ٨

[٣] البوسنجي : هو ابو الحسن علي بن احمد بن الحسين البوسنجي احد فتيان خراسان ، سكن نيسابور ولقي ابا عثمان وابن عطاء والحريري والدمشقي ، وله مؤلفات منها : البيان الشافي في المعارف والتوحيد ، و الفتوة والتجريد توفي رحمه الله تعالى سنة ٣٤٨ هجرية (حلة الأولياء ١٠ / ٣٧٩)

[٤] سورة الحشر ٨

[٥] سورة البقرة ٢٧٤

﴿ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ﴾[1]

۞ وقد عرّف ابن القيم رحمه الله تعالى التصوف : بأنه زاوية من زوايا السلوك الحقيقي ، وتزكية النفس لتستعد لسيرها الى صحبة الرفيق الأعلى ومعية من تحبه فإن المرء مع من أحب [2]

۞ وعرفه الامام ابو حنيفة النعمان بن ثابت رحمه الله تعالى :

الصبر تحت مجاري الأقدار والأجر من الملك ، وقطع الفيافي والقفار خوفاً من صولة النار [3]

۞ وعرفه ابي بكر الكتاني : التصوف خُلُق ، فمن زاد عليك في الخُلُق زاد عليك في التصوف [4]

۞ وعرفه زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى : التصوف هو علم تعرف به احوال تزكية النفوس وتصفية الأخلاق ، وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية [5]

۞ وعرفه النصر اباذي [6] رحمه الله تعالى : أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنّة ، وترك الأهواء والبدع ، وتعظيم حرمات المشايخ ، ورؤية اعذار الخلق ، والمداومة على الأوراد ، وترك ارتكاب الرخص والتأويلات [7]

---

[1] سورة المائدة ٥٤

[2] مدارج السالكين ٢ / ٣١٧

[3] طبقات الصوفية ص ٤٥٤

[4] الرسالة القشيرية ٢١٨

[5] الرسالة القشيرية ١٢

[6] النصر اباذي : هو ابو القاسم ابراهيم بن مُحَمَّد المعروف بالنصر اباذي نسبة الى نصر اباذ ، نيسابوري الأصل والمولد والمنشأ ، كان اوحد المشايخ في وقته علما وحالا ، كتب الحديث ورواه وكان ثقة ، توفي سنة ٣٦٧ هجرية طبقات الصوفية للسلمي ٤٨٨

[7] مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ١ / ٧٣

۞ وقد عرّفه الشيخ عبد الكريم مُحَمَّد المدرس [1] رحمه الله تعالى : تصرف الانسان المسلم في نفسه بتنبيهها عن الغفلات وزجرها عن السيئات وتوجيهها الى الحسنات بالاتباع الكامل بحسب الامكان لخاتم الانبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم الذي كان خُلُقُه القران [2]

وحين يتحدث الامام الغزالي رحمه الله تعالى عن تحوله الى الطريقة الصوفية بعد ان كان مُقبِلاً على الدنيا منغمساً في علوم غير نافعة في الآخرة وأقبل على قراءة علوم اهل التصوف ليجد :

((ان طريقتهم تتم بعلم وعمل ، وكان حاصل عملهم قطع عقبات النفس والتنزّه عن اخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة ، حتى يتوصل بها الى تخلية القلب من غير الله تعالى وتحليته بذكره))

ثم يصف الصوفية فيقول :

((اني علمت يقيناً ان الصوفية هم السابقون لطريق الله تعالى خاصة ، وان سيرتهم أحسن السِّيَر وطريقهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق ، فان جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة ، وليس نور النبوة على وجه الأرض نور يُستضاء به)) [3]

وفي نفس المعنى يقول الامام ابو حامد الغزالي رحمه الله تعالى :

---

[1] عبد الكريم المدرس والمعروف بعبد الكريم بياره نسبة الى مدينة بياره في شمال العراق مفتي العراق ورئيس علماءه في سبعينات القرن الماضي وحتى عام ٢٠٠٣، كان منقطعاً للإفتاء والتدريس في المدرسة القادرية الكيلانية في بغداد ، له العديد من المؤلفات منها تفسيره للقران الكريم باسم (مواهب الرحمن في تفسير القران) اضافة للعديد من المؤلفات في علوم اللغة والتفسير .

[2] ما هو التصوف ص ٥

[3] المنقذ من الضلال ص ٥٩ – ٦٠

((فإن عادة كل واحد منهم ان يُخبِرَ عن حال نفسه فقط)) [1]

ويضيف رحمه الله تعالى : ((فإن عادة كل واحد منهم وهؤلاء اقوالهم تُعرِبُ عن أحوالهم فلذلك تختلف أجوبتهم ولا تتفق ، لأنهم لا يتكلمون الا عن حالتهم الراهنة الغالبة عليهم)) [2]

(ويُراد من ذلك ان الصوفية عندما يتكلمون وعندما يُسألون لا يقولون الا ما يُعبر عن حالهم الذي هم فيه ، او المقام الذي وصلوا اليه ، فمن كان في مقام الشوق او الأنس او غيره عرّف التصوف وكأنه الشوق او الأنس ، ومن كان في مقام الزهد او مقام الصبر عَرَّفَ التصوف وكأنه الزهد او الصبر)[3]

حالهم الجامع هو الصفاء لله صفاء الأسرار ونقاء الآثار .

وهذا ابو الحسن القناد يقول في التصوف :

ان معنى الصوفي مأخوذ من الصفاء وهو القيام لله عز وجل في كل وقت بشرط الوفاء .

وهناك الكثير من التعريفات غير التي اوردناها قد تصل لقرابة الألفين من التعريفات .

رغم ان الكثيرين من رجال التصوف أحاطوا تجربتهم بالصمت ولم يتحدثوا ولم يتكلموا عن مسيرتهم الى الله باعتبارها شأن ذاتي وأمر بين ربهم وبينهم لا شأن للآخرين به وظلوا في انشغال بإصلاح انفسهم وبصراعهم مع هوى النفس والشيطان والدنيا .

وتبقى كثرة التعريفات تمثل كُثرة الرؤى وكثرة المسالك وسعة التجربة وسعة الطريق الى الله وتعدد الأحوال واختلاف الأذواق .

---

[1] احياء علوم الدين ٤ / ٤٢

[2] احياء علوم الدين ٤ / ٨٥

[3] الدلالة في لغة الصوفية ص ١٨ عن الفيروز آبادي ومنهجه في التصوف ص ١٠٣

فالتصوف يحتمل كل تلك التعاريف ، التصوف كل ذلك وأكثر .

وتبقى الأحاسيس والمشاعر الوجدانية اكبر من أن تتسع لها الكلمات فالكلمات سجون والحروف أسوار لا تتسع للمشاعر الحيّة التي تعبر عن معاناة فأي كلمات تصف الحزن بكل آلامه ؟

واي الحروف تصف الفرح الغامر الذي تنزل له الدموع ؟

كيف نصف للآخرين وجعنا او فرحتنا ؟ يمكن ان نقارب الحالة او ندور حولها ، أما ان نصفها بكل دقائقها وتفاصيلها فذلك صعب .

فكيف يصف المتصوف حبه لله سبحانه وتعالى والذي جعله يستصغر كل لذة في الدنيا أمام حبه ؟

كيف يصف شوقه لله الذي جعل جنبه يتجافى عن المضجع ؟

كيف يصف حباً وشوقاً أبعد عنه النوم فراح يبحث عن قُربٍ او وصال ؟

الحروف تقييد وتحجيم وتحجير ، وتجاربهم وسلوكهم حيّ ، به شوق ووله وحب ولوعة ، وصبر واصطبار وفرح وحزن .

لذلك تبقى التعاريف اقتراب من الحالة وليس سبر لكل اغوارها ولكل تفصيلاتها وبنفس عمق المشاعر والاحاسيس التي بها ، وتعجز عن الاحاطة بها كليّة فكلما اتسعت الرؤية ضاقت الكلمات عن التعبير.

ورغم ذلك وان كان لابد ان نختار اقرب التعاريف نتصوره قريباً من وصف حالهم ويجمع جوانب التصوف فهو تعريف الشيخ الجنيد البغدادي رحمه الله تعالى ، وتعريف الكتاني رحمه الله تعالى .

اما الشيخ الجنيد فيرى :

((التصوف تصفية القلب عن موافقة البرية ، ومفارقة الأخلاق الطبيعية ، وإخماد الصفات البشرية ومجانبة الدواعي النفسانية ، ومنازلة الصفات الروحانية

، والتعلق بالعلوم الحقيقية ، واستعمال ما هو أولى على الأبدية ، والنصح لجميع الأمة ، والوفاء لله على الحقيقة ، واتباع الرسول ﷺ في الشريعة))

أما الشيخ الكتاني فيرى ان التصوف (صفاء ومشاهدة) [1]

انَّ المنهج الصوفي انما هو تحقيق واقعي لقوله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ فتزكية النفس هي صفاؤها وتصفيتها ، انها الوصول بها الى الصفاء ،

والمنهج محاولة القرب جاهداً من قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾

أما الغاية فإنها الوصول الى المشاهدة التي يقول الله تعالى في بيان من حققوها وتحققوا بها : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ ﴾

ان الغاية هي الوصول الى : أشهد ان لا اله الا الله .

[1] قضية التصوف ص ٤٣٨

التعرف
على معاني بعض المفردات التي
اصطلح عليها أهل التصوف

سُئل ابو العباس بن عطاء : ما بالكم ايها المتصوفة قد اشتققتم الفاضاً أغربتم على السامعين ، وخرجتم على اللسان المعتاد ؟ هل هذا الا طلب للتمويه أو ستر لعوار المذهب ؟

فقال ابو العباس : ما فعلنا ذلك الا لغيرتنا عليه لعزته علينا ... كيلا يشربها غير طائفتنا [1]

وقال الامام القشيري : نِعْمَ ما فعل القوم من الرموز لأنهم فعلوا ذلك غيرة على طريق أهل الله عز وجل أن تظهر لغيرهم فيفهموها على خلاف الصواب فيَفتِنوا أنفسهم أو يَفْتِنُوا غيرهم [2]

التصوف كتجربة فردية تعتمد على الذوق الشخصي وتعبِّر عن علاقة خاصة بين السالك ومولاه لها خصوصيتها التي تُغَلِّفها والتي تحيطها بغموض يستعصي فهمه ومعرفة شكله ومذاقه حتى على السالكين غيره ، فلكلٍ تجربته ولكلٍ مساره ومسراه وخصوصيته .

ان التنوع في التعبير البشري عن المحسوسات غير المادية وعدم اتفاقهم على فهم خاص بها كالجمال والفرح والسعادة والألم والشوق والحب ... هذا التباين والافتراق في التحديد والفهم لهذه المسميات واشباهها قد ألقت بظلالها على تجربة الصوفي وخلقت لها ذات الصعوبة في التعبير عن محتواها وتفاصيلها ... فكل تجارب المتصوفين تتحدث عن الشوق والوجد والحب والخوف والرجاء ، ثم ذاك الحديث عن اللقاء والارتقاء والوصل والفناء ... امور ليس لها شبيهات في

---

[1] معجم مصطلحات الصوفية

[2] الرسالة القشيرية

حياة الناس لفرادتها وغربتها ، لذلك صار المتصوف مضطرا للتعبير بشكل رمزي وبلغة تعتمد التصور والخيال لفهم حالة لم تمر بالسامع ولا حتى بخياله .

ثم ان حرص المتصوفين على صَون طريقتهم وعدم مشاركتها الا على اهل الذوق واهل الشوق من اهل المجاهدة جرّهم للتعبير بالرمز والتلميح والتلويح فيفهم من أراد الله له ان يفهم ، ويستتر المعنى على سواه .

وذاك كان دأب القوم من اهل هذه الطائفة الكريمة فلم تجد بينهم من استعمل التصريح في شرحه بل اكتفوا بالتلميح والتلويح .

ورغم ان تجربتهم تمتد لما يزيد على الألف عام بمئات السنين الا انهم ظلوا على ذات المنهج في التعبير بالإشارة والتلميح .. فلم يبح بالمكنون منهم أحد .

لكن ، دأبَ محبوهم والباحثون في علومهم على محاولة الجمع بين تلك الاشارات والرموز وتحليلها بغية ايجاد معنى مشترك او فهم جامع لمحتواها ...

وكانت كلها محاولات تقترب بهذا القدر او ذاك من فهم لغة القوم .

وهذه محاولة من تلك المحاولات اعتمدت فيها على جهد من سبق وعلى محاولةٍ شخصية بسيطة في البحث والتقصي والغوص في مفرداتهم .

أمّا لماذا يتكلمون عن تجربتهم وعلاقتهم بالله وهي علاقة خاصة حاولوا جاهدين سترها وعدم البوح بكل جزئياتها للعوام ، فذلك ليثيروا الرغبة فيمن بعدهم من إخوانهم للسير في ذات الطريق وليعلموا ان هذا الطريق سالكٌ وموصِلٌ .

انها الرغبة بنشر الخير ، والحرص بذات الوقت على الكتمان ، فيفهم من أراد الله له ان يفهم ، ويستذوق من رزقه الله ذوق الطيبات ، ويستتر المعنى على من لم يرتقِ لمستوى هذه العلاقة ولمستوى هذه المحبة والقرب .

يقول السيد الشيخ بهاء الدين الروّاس ﷺ وهو يبوح ، ولو رمزاً ، عن بعض ما رأى وبعض ما لمس :

(هذه كلمات انشقت عنها ستور أسرارٍ ، أراد الله إظهارها فظهرت بسرِّ الله من وراء حجب الخفاء الى ساحة المشاهد المنجلية .

ليفتح الله بها أقفال قلوب اجتذبها اليه ، ودلَّها عليه ، وها هي من بحر الكرم الى صدور طلّاب الكرم ، على بركة الله ... ولا حول ولا قوة إلا بالله) [1]

وسيكون المنهج في الاقتراب من معاني الرموز والإشارات في لغة القوم ، هو البحث عن معنى تلك المفردة في معاجم اللغة العربية ، ثم ما درج عليه العرب في استعمالها في شعر أو أدب ، ثم ورود هذه المفردة في كتاب الله الكريم وما قال به أهل التفسير في معناها ، ثم ورود هذه الكلمة او المفردة في أحاديث رسول الله ﷺ ، وأخيراً ورود هذه المفردة أو الرمز في كتابات شيوخ القوم ورجالهم ، كل ذلك لكي نقترب من المعنى الذي وظَّفه رجال التصوف لهذا المصطلح او الرمز او المفردة .

ومن الله التوفيق .

[1] بوارق الحقائق ص ٥

۞ الأبدال :

أبْدال جمعٌ: مفرده بَدَل وبَديل .

والبَدَل : هو الخَلَف والعَوَض .

وبَدَلُ الشيء ، وبِدْلَهُ وبَدِيلُهُ : الخَلَفُ منه والعَوَض . وجمعه : أبْدالٌ

والأبدال : الزهّاد ، وعند الصوفية لقب يطلقونه على رجال الطبقة من مراتب السلوك عندهم .[١]

والأبدال اصطلاحاً هم :

١- قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم، فإذا مات واحد أبدل الله مكانه آخر.

٢- لقب يُطلق عند الصوفية على مَن يُفوَّض إليه أمرُ أتباعه بعد موته، أو لقب يطلقه الصوفيون على رجال الطبقة من مراتب السُّلوك عندهم [٢]

وفي الحديث الشريف يقول رسول الله ﷺ :

الْأَبْدَالُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ ثَلَاثُونَ مِثْلُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ ، كُلَّمَا مَاتَ رَجُلٌ أَبْدَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَكَانَهُ رَجُلًا " [٣]

وقوله ﷺ :

الْأَبْدَالُ يَكُونُونَ بِالشَّامِ ، وَهُمْ أَرْبَعُونَ رَجُلًا ، كُلَّمَا مَاتَ رَجُلٌ أَبْدَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ رَجُلًا ، يُسْقَى بِهِمْ الْغَيْثُ ، وَيُنْتَصَرُ بِهِمْ عَلَى الْأَعْدَاءِ ، وَيُصْرَفُ عَنْ أَهْلِ الشَّامِ بِهِمْ الْعَذَابُ [٤]

---

[١] المعجم الوسيط ص ٤٤

[٢] معجم اللغة المعاصرة ص ١٧٣

[٣] مسند احمد ٣٢٢/٥ برقم ٢٢٨٠٣ ومجمع الزوائد ٦٢/١٠

[٤] مسند احمد ١١٢/١ برقم ٨٩٦

والابدال : قيام الشيء مقام الشيء الذاهب يقال هذا بدل الشيء وبديله [1]

ومنه قوله تعالى :

﴿ فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) [2]

وفي الاصطلاح الصوفي :

يرى الشيخ الأكبر ابن عربي ان :

(الأبدال : وهم سبعة لا يزيدون ولا ينقصون يحفظ الله بهم الاقاليم السبعة لكل بدل اقليم فيه ولايته ، الواحد منهم على قدم الخليل عليه السلام والثاني على قدم الكليم عليه السلام ، والثالث منهم على قدم هارون ، والرابع منهم على قدم ادريس ، والخامس منهم على قدم يوسف ، والسادس منهم على قدم يس ، والسابع على قدم الكليم على الكل السلام .

وسموا هؤلاء ابدالاً لكونهم اذا فارقوا موضعاً ويريدون ان يخلفوا بدلاً منهم في ذلك الموضع لأمر يرونه مصلحة وقربة يتركون به شخصاً على صورته لا يشك احد ممن ادرك رؤية ذلك الشخص انه عن ذلك الرجل وليس هو ، بل هو شخص روحاني يتركه بدله بالقصد على علم منه .

فكل من له هذه القوة فهو بدل)[3]

ويقول الشيخ عبد القادر الكيلاني (الأبدال : هم خواص الخواص)

ويقول ايضاً : (الأبدال هم المنكسرين القلوب لأجله ، الموحدين العارفين أرباب العلوم والعقل ، السادة الأمراء الشحن ، خفراء الخلق ، خلفاء الرحمن وأخلاءه ، وأعيانه ، وأحباءه عليهم السلام) [4]

---

[1] المعجم الصوفي ص ١٩٠

[2] الفرقان ٧٠

[3] الفتوحات المكية ٢/٧

[4] الفتح الرباني والفيض الرحماني – ص ٤٣

ويرى الشيخ فزازة الشامي ان :

(الأبدال : هم من أكلهم فاقة ، ونومهم غلبة ، وكلامهم ضرورة ، وصمتهم حكمة ، وعلمهم قدرة) [1]

ويقول الشيخ أبو طالب المكي :

الأبدال : من الموقنين ، ليسوا واقفين مع حفظ ، إنما هم قائمون بحافظ[2]

ويقول الإمام الشعراني : إنه تنزل عليهم العلوم لكل يوم علم من رقائق على قلب من هؤلاء – ويلي هؤلاء في المقام النجباء والرجباء والنقباء وأهل الغيب وأهل النجدة ، وغيرهم ، وكل منهم ينظم عملاً في الحكومة الباطنية ويستهدف رسالة فيها [3]

۞ الأبد

الأبد: عبارة عن مدة الزمان الممتد الذى لا يتجزأ كما يتجزأ الزمان وذلك أنه يقال : زمان كذا ، ولا يقال : أبد كذا [4] .

(والأبد : الدهر .

أبداً : ظرف يدل على الدوام والاستمرار .

أبدي : ما لا آخر له .

أبدية : دوام لا نهاية له) [5]

وقد وردت هذه اللفظة في القران الكريم (٢٨) مرة وكلها تدل على الدوام والاستمرارية ، كما في قوله تعالى :

---

[1] قوت القلوب ٣٩/١

[2] قوت القلوب ١٢١/١

[3] اليواقيت والجواهر ٨٢/٢

[4] لسان العرب لابن منظور ٦٨/٣

[5] موسوعة الكسنزان ١ / ٨٣

﴿ وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ﴾ [1]

وقال سبحانه : ﴿ وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ ﴾ [2]

ووردت في السنّة النبوية ، عن ابي سعيد الخدري ﷺ ، أن النبي ﷺ قال:

ان الله تبارك وتعالى يقول :

يا أهل الجنة . فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك .

فيقول : هل رضيتم ؟

فيقولون : ومالنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك .

فيقول : الا اعطيكم أفضل من ذلك ؟

فيقولون يا رب وأي شيء اعظم من ذلك ؟

فيقول أُحلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبداً [3]

وعن ابي هريرة ﷺ ، أن النبي ﷺ قال:

من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه يهوي في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً .

ومن قتل نفسه بسمٍّ فسمه في يده يتحسّاه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً.

ومن تردى من جبل متعمداً فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً .[4]

وكل ما جاء في القرآن والسنة من لفظ الأبد ، فإنه يعنى الزمان الممتد ، أو الدائم الذى لا ينقطع ، سواء فى الدنيا كما سبق ، أو فى الآخرة ، كقوله تعالى :

---

[1] التوبة/٨٤

[2] النور/٤

[3] صحيح ابن حبان ١٦/٤٧٠ برقم ٧٤٤٠

[4] صحيح ابن حبان ١٤/٢٧٠ برقم ٥٩٨٦

(خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا) [1].

الأبد فى الاصطلاح الصوفى :

الأبد فى اصطلاح الصوفية ، هو ما لا نهاية له ، أو ما ليس له آخر ، وهو كما في الاصطلاح القرآنى فى لفظه ومعناه .

ومن ألفاظ الصوفية الدالة على ذلك ، ما روى عن أبى بكر الواسطى أنه سُئل عن الأبد فقال :

(إشارة إلى ترك انقطاع فى العدد ، ومحو الأوقات فى السرمد) [2]

والأبدية تدور عندهم على معنيين او استعمالين :

١- نعت من نعوت الله تعالى : كما ذكر السراج الطوسى

(والفرق بين الأزلية والأبدية ، أن الأزلية لا بداية لها ولا أولية ، والأبدية لا نهاية لها ولا آخرية) [3].

و(الأبد والأبدية : نعت من نعوت الله تعالى) [4]

وعن عمرو بن عثمان المكى (المتوفي :٢٩١هـ) ، قال :

(سبحان الصمد ، القديم فى أزل ، لم يزل فى سرمد الأبد) [5].

٢- أبدية أهل الخلد والخلود : قال عبد الله بن خفيف (المتوفي٣٧١هـ) :

(ويعتقدون أن نعيم أهل الجنة ، باق مع بقاء الله تعالى ، وعذاب أهل الكفر باق ، مع بقاء الله تعالى) ،

فإذا كانت الأبدية من نعوت الله التى ينفرد بها ، فإن ذلك لا يمنع اتصاف أهل

---

[1] البينة/٨

[2] اللمع ص٤٤١

[3] اللمع ص٤٤١

[4] اللمع ص ٣٦٤

[5] اللمع ص٤٤١

الخلود بالأبدية ، لأن أبديتهم باقية بإبقاء الله لها فهى متعلقة بمشيئته ، أما أبديته سبحانه فهى باقية ببقاء الله .

وقد وقع خلاف بين فرق المسلمين وطوائفهم حول الأبدية حيث فهمها البعض بطول الأمد ، وليس البقاء اللانهائى ، كما هو اعتقاد الصوفية فى هذه الجزئية حيث يتفقون مع السلف الصالح .

وكلام النصرباذى ، من أجود ما قيل فى تقديم الحل المقنع ، والنابع من الأصول القرآنية لهذه المسألة ، إذ أنه فرق بوضوح بين بقاء صفات الذات وبقاء ما وجد بصفات الفعل ، كالجنة والنار ، ومن ثم ينفرد الله بوصف الأبدية ودوام البقاء .

ويروى عن أبى القاسم النصرباذى أنه قال :

(الجنة باقية بإبقائه ، وذكره ورحمته ومحبته لك باق ببقائه ، فشتان بين ما هو باق ببقائه ، وبين ما هو باق بإبقائه) [1] ،

ويعقب القشيرى على قوله ، بأن هذا المعتقد ، هو غاية التحقيق عند الصوفية ، فإن أهل الحق قالوا : صفات ذات القديم سبحانه وتعالى باقيات ببقائه تعالى [2].

۞ الاتحاد :

اتحاد : مصدر إِتَّحَدَ

الاتحاد : امتزاجُ الشيئين، واختلاطُهما حتى يصيرا شيئاً واحداً لاتّصال نهايات الاتحاد [3]

---

[1] الرسالة القشيرية ٤٢/١

[2] الرسالة القشيرية ٤٢/١

[3] التعريفات ص ٨

وفي الاصطلاح الصوفي :

ان عقيدة التصوف تقوم على الإقرار بالتوحيد واثبات الوحدانية لله تعالى وانه ليس كمثله شيء سبحانه وتعالى وانه لا يمكن للعارف ان يدعي شيئاً من أوصاف الربوبية ، وأن منتهى ما يصل اليه الصوفي ، وحين يكون بأعلى كمالاته ، هو ان يتحقق بصدق العبودية لله سبحانه وتعالى .

(الاتحاد هو شهود وجود واحد مطلق من حيث ان جميع الاشياء موجودة بوجود ذلك الواحد معدومة في أنفسها ، لا من حيث ان لما سوى الله تعالى وجوداً خاصاً به يصير متحداً بالحق ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً) [1]

ويبدو ان الصوفي اذا استغرق في وجده ونطق بغير وعيه في لذة عشقه ، بألفاظ غريبة تعبر عن حالة لم يعهدها الناس ، او تلفّظ بألفاظ وجدٍ او جذبٍ يمكن ان تُفسّر بأنها ترمز للحلول او الاتحاد فربما صاح في لحظة الوجد او الجذب تلك انا والله شيء واحد أتُّهِمَ بالكفر او الشرك والزندقة وربما اقيم عليه الحد كما أقيم على البعض من أهل التصوف كالحلاج وغيره .

(ان هذه الاحكام صدرت عليهم بتعسف وظلم شديدين وذلك ان السالك في طريق الله يتعلق بأنواره تعالى حتى يفنى عن نفسه وعن فنائه ويستشرق بالفردانية المحضة فلا يرى غير الله ولا يبقى له الا الله فيصبح في لحظة الوجد بهذه الحقيقة وهي حقيقة الحقائق .

وليس ذلك في واقع الأمر اتحاداً ، وانما وجداً وعشقاً وسكر فناء ، اذ انه حين يصحو يعرف ان ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد)[2]

و(الاتحاد : هو شهود الوجود الحق الواحد المطلق الذي الكلُّ به موجودٌ بالحق، فيتّحدُ به الكلُّ من حيث كون كلّ شيء موجوداً به معدوماً بنفسه، لا من

---

[1] الموسوعة الصوفية ص ٧٦٩ و معجم مصطلحات الصوفية ص ١٠

[2] معجم الفاظ الصوفية ص ٢٥

حيث أنّ له وجوداً خاصاً اتحد به فإنّه محالٌ)[1]

وعموماً معظم الصوفية يصرّحون بأن وجودهم مستمد من وجود الله و لولا وجود الله لم يكن لهم وجود و لا لغيرهم .

ولما سئل الجنيد عن التوحيد قال : التوحيد إفراد الحدث عن القدم [2]

وربما يبين حقيقة نظرة المتصوفة وفهمهم للإتحاد ما جاء به ابن عربي حيث قال في باب الأسرار : (من قال بالحلول فهو معلول , فان القول بالحلول مرض لا يزول , وما قال بالاتحاد إلا أهل الإلحاد , كما إن القائل بالحلول من أهل الجهل والفضول) [3]

وقال في الباب التاسع والخمسين وخمسمائة بعد كلام طويل : (وهذا يدلك على إن العالم ما هو عين الحق , ولا حل فيه الحق , إذ لو كان عين الحق أو حل فيه لما كان تعالى قديما ولا بديعا) [4]

۞ الاتصال :

الاتصال : ارتباط الأشياء بعضها ببعض ، كاتحاد طرفى الدائرة ، ويضاده الانفصال[5] .

ويستعمل الوصل على نوعين[6] :

– الاتصال فى الأعيان ، كقوله تعالى :

فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ [1]، ونحو حديث أسماء رضى اللَّه عنها

---

[1] اصطلاحات الصوفية ص ١١

[2] الرسالة القشيرية ٢٩/١

[3] الفتوحات ٨٠/١ – ٨١

[4] الفتوحات ٨٠/١ – ٨١

[5] انظر لسان العرب مادة (وصل) ٧٢٦/١١

[6] لسان العرب ٧٢٦/١١

، قالت : " سألت امرأة النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إن ابنتي أصابتها الحصبة فامرق شعرها وإني زوجتها ، أفأصل فيه ؟ فقال : لعن الله الواصلة والموصولة [٢]

– الاتصال فى المعانى ، وهو الشاهد لمصطلح الاتصال ، كقوله عز وجل : ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[٣] أى أكثرنا لهم القول موصولا بعضه ببعض ، وقالت خديجة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ : والله ما يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق[٤]

و في الاصطلاح الصوفي :

الاتصال في عرف الصوفية أو الواصل ، موضوع على معنى تجيزه الأصول القرآنية والنبوية ،وإن لم يرد اللفظ فى القرآن والسنة على المعنى الصوفى، فالواصل عندهم ، هو من كان على صلة بربه ، فلا يرى بسره معنى التعظيم غيره ، ولا يسمع الأمر إلا منه[٥] وهذا المعنى لا يغادر الفهم الشرعي او يغايره .

وروى عن يحى بن معاذ الرازى أنه قال عن الواصل : (من لم يعم عينه عن النظر إلى ما تحت العرش ، لم يصل إلى ما فوق العرش)[٦]

وفي معجم الفاظ الصوفية الاتصال : مكاشفات القلوب ومشاهدات الأسرار[٧]

---

[١] هود/٧٠

[٢] أخرجه البخارى فى كتاب اللباس ٣٩١/١٠ (٥٩٤١)

[٣] القصص/٥١

[٤] أخرجه البخارى فى كتاب بدء الوحى ٣٧/١ (٤)

[٥] التعريفات ص ١٠٨

[٦] اللمع ص ١٠٨

[٧] معجم الفاظ الصوفية ص ٢٤

وقيل ان الاتصال :

من كان على صلة بربه ، فلا يرى بسره معنى لتعظيم غيره ، ولا يسمع الأمر إلا منه[١]

وروى عن يحى بن معاذ الرازى أنه قال عن الواصل : (من لم يعم عينه عن النظر إلى ما تحت العرش ، لم يصل إلى ما فوق العرش) [٢]

يعنى لم يلحق ما فاته من مراقبة الذى خلق العرش ، وكلامه يدل على الدعوة إلى التعلق بالله ، وترك ما سواه ومثله ما ورد عن أبى يزيد البسطامى حين قال : (الواصلون فى ثلاثة أحرف : همهم فى الله ، وشغلهم فى الله ، ورجوعهم إلى الله)[٣]

وروى أيضاً عن عبد الله بن خفيف الشيرازى أنه قال : (الواصل ، من اتصل بمحبوبه دون كل شئ سواه وغاب عن كل شئ سواه)[٤]

(والاتصال هو ان يرى ذاته متصلة بالموجود الأحدي ، وألا يتقيد بوجود نفسه، وان يرى السالك اتصال المدد والجود من غير انقطاع حتى يبقى الموجود باقياً بالله .

وقال بعضهم الاتصال وصول السر الى مقام الذهول ، وقال بعضهم الاتصال: ان لا يشهد العبد غير خالقه ولا يتصل بسرّه خاطر لغير صانعه) [٥]

۞ الأثر :

الأثر : بقية الشيء، والجمع آثار وأُثور وهو العلامة الباقية لشيء قد زال .

---

[١] التعرف ص١٠٨

[٢] اللمع ص٤٣٣

[٣] عوارف المعارف ص ٥١٦

[٤] طبقات الصوفية ص٤٦٦

[٥] الموسوعة الصوفية ص ٧٦٨

وخرجت في إِثْره وفي أَثَره أَي بعده [1]

(والأثر له ثلاثة معانٍ :

الاول : بمعنى النتيجة وهو الحاصل من شيء .

والثاني : بمعنى العلاقة .. والثالث :بمعنى الجزء)[2]

وفي القران الكريم جاء الأثر بمعنى الاقتفاء او الإتباع :

﴿ قَالَ هُمْ أُولَاء عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾[3]

أي يكادون يطأون على مكان سيري

وكما جاء بمعنى الشكل الباقي من الشيء :

﴿ فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [4]

وقد ورد الأثر في السنّة النبوية فمن حديث رسول الله ﷺ :

(إلا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون تحته كما تنبت الحبة في حميل السيل)[5]

وفي الاصطلاح الصوفي :

المعنى الذي يريده الصوفية ان الأثر هو التوحيد والتفريد وهو الطريق للسالك بصدقٍ ، والذي يتجنب اتباع الشهوات وهوى النفس وعدم التأثر بالدنيا وزخرفها .

---

[1] لسان العرب ٥٣/١

[2] التعريفات

[3] سورة طه ٨٤

[4] سورة الروم ٥٠

[5] صحيح البخاري كتاب التوحيد / باب قول الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة إلى/ الجزء رقم٦ رقم٦

(يقول الصوفية ان من منع النظر ، استأنس بالأثر ، ومن عُدِمَ الأثر تعلل بالذِكر) [1]

وعند الشيخ ابن عربي رحمه الله تعالى :

(الأثر هو النتيجة الحاصلة من الحركة بين المؤثِّر والمؤثَّر فيه أي بين الفاعل والمنفعل او بين العلة والمعلول) [2]

فيما يقول الخوّاص رحمه الله تعالى ان الأثر : هو التفريد لله عز وجل في كل الأشياء وذلك بالإعراض عما يلحق نفوسهم من آثار الأشياء [3]

ومعنى ذلك ان الذي لا يستخدم منطق الجدل العقلي وأسقط التدبير مع الله في أمره ، فإنه يستأنس بالفتح والكشف ، مشرقاً عليه من القدوة الطيبة والأثر الكريم في شكل الهام ومعارف وتجليات يشرق بها قلبه وتستأنس بها نفسه .

وفي الموسوعة الصوفية :

(الأثر : هو التفريد لله عز وجل في كل الأشياء ، وذلك بالإعراض عما يلحق النفس من آثار الأشياء .

وسرائر الآثار : هي الاسماء الإلهية التي هي بواطن الأكوان)[4]

ويقول الشيخ ابو حامد الغزالي ان الاثار : ما يلحق من الأعمال بعد انقضاء العمل والعامل [5]

والشيخ الجرجاني يقول أن الاثار :

هي اللوازم المعللة بالشيء [1]

---

[1] معجم الفاظ الصوفية ص ٢٧-٢٨

[2] المعجم الصوفي ص ٤٨

[3] اللمع ص ٤٤١

[4] الموسوعة الصوفية ص ٧٦٩

[5] احياء علوم الدين ٣٤/٤

۞ الإجتباء :

اِجتباء: مصدر اجتبى

الِاجْتِباءُ : الِاسْتِخْلاصُ ، ويُؤَوَّلُ إلى الِاصْطِفاءِ والِاخْتِيارِ .

ويُقالُ جَبَوْتُ المالَ ، وجَبَيْتُهُ بِالواوِ والياءِ ، فَياءُ يَجْتَبِي هُنا إمّا عَلى أصْلِها ، أوْ مُنْقَلِبَةٌ مِن واوٍ لِانْكِسارِ ما قَبِلَها [٢]

فاجتبى الشيءَ اصطفاه واختاره لنفسه ،كما في قوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ﴾[٣]

واجتبى الأمرَ : اختلقه وافتعله كما في قوله عز وجل : ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلاَ اجْتَبَيْتَهَا ﴾[٤]

واجتبى الأموالَ : استخرجها من مظانّها [٥]

وفي الاصطلاح الصوفي :

والصوفية يجمع حالهم وما وصلوا اليه شيئان مرَدَّهما الى الله شيئين تشير اليهما الآية الكريمة ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾[٦]

فقوم من الصوفية خُصّوا بالإجتباء الصرف ، وقوم منهم خُصّوا بالهداية بشرط مقدمة الانابة .

فالذين وقع عليهم الاجتباء هم الخاصة الذين هم المرادون ، اجتباهم مولاهم وأكمل لهم النعمة وهيأ لهم الكرامة فأسقط عنهم حركات الطلب .

---

[١] التعريفات ص ٧

[٢] تفسير روح المعاني ٢/٢٥٠

[٣] يوسف٦

[٤] الأعراف٢٠٣

[٥] المعجم: اللغة العربية المعاصر

[٦] سورة الشورى ١٣

(والاجتباء المحض غير معلل بكسب العبد وهذا حال المحبوب المراد ، يبادئه الحق بمِنَحِهِ ومواهبه من غير سابق كسب منه) [1]

يقول الشيخ القشيري :

(الاجتباء : هو ما ليس للمخلوق فيه أثر ، فيما يحصل للعبد من الخيرات — لا بتكلفّه ولا بتعمّده — فهو قضية الاجتباء .

ويقول الشيخ ابو العباس التجاني :

الاجتباء : هو جذب الله تعالى الى حضرة قدسه بحكم الفضل والجود والعناية بلا تقدم سبب من العبد ، والمجتبى يسمى : محبوباً ، ومصطفى ، ومُراداً ، ومعتنى به)[2]

۞ الإحاطة :

الإحاطة في الأصل هي الاستيلاء على الشيء من كل جهاته .

والإحاطة: الِاسْتِيلاءُ، والشُّمُولُ، وعُمُومُ الظّاهِرِ، والباطِنِ [3]

والإحاطة تقال على وجهين:

أحدهما في الأجسام نحو أحطت بمكان كذا، وتستعمل في الحفظ وفي المنع .

والثاني في العلم نحو قوله تعالى: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا)[4] وأحاط به علمُهُ: أي بلغ منتهاه .

وصفة الإحاطة اعمُّ من صفة العلم من حيث المتعلَّقات ؛ فالله تعالى يقول : ﴿واللهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ﴾ [1] أي علماً وقدرةً وتدبيراً ، فتكون الإحاطة أعمُّ من العلم ، والعلم أخصُّ من الإحاطة .

---

[1] معجم مصطلحات الصوفية ص ١٠ والموسوعة الصوفية ص ٧٦٩

[2] موسوعة الكسنزان ١٨١/٤

[3] روح المعاني ٢٩٨/١

[4] الطلاق:١٢

والعلاقة بين الإحاطة والعلم علاقة تضمُّن ؛ فالإحاطة تتضمن العلم والقدرة والتدبير والمُلْك والقهر وغير ذلك من المعاني التي تتضمَّنها الإحاطة على ما يليقُ بجلال الله تعالى .

والله تعالى وصف نفسه بالإحاطة ﴿ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴾[٢] يعني محيط بالخلق؛ أي مستولٍ عليهم، وكذلك محيط بعلومهم، ومحيط بجميع افعالهم .

والإحاطة صفة تليق بجلال الله وكماله.

وتكون الاحاطة بمعنى الهلاك ، كما في قوله تعالى ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ

كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾[٣]

وفي الاصطلاح الصوفي :

يقول الشيخ الجرجاني :

الاحاطة :إدراك الشيء بكماله ظاهرا و باطنا [٤]

الشيخ الأكبر ابن عربي يقول ليبين معنى الإحاطة :

(والإحاطة بالشيء تستر ذلك الشيء فيكون الظاهر المحيط لا ذلك الشيء فإن الإحاطة به تمنع من ظهوره فصار ذلك الشيء و هو العالم في المحيط كالروح للجسم و المحيط كالجسم للروح الواحد شهادة و هو المحيط الظاهر و الآخر غيب و هو المستور بهذه الإحاطة و هو عين العالم و لما كان الحكم للموصوف بالغيب في الظاهر الذي هو الشهادة و كانت أعيان شيئيات العالم على استعدادات في أنفسها حكمت على الظاهر فيها بما تعطيه حقائقها فظهرت

---

[١] البقرة ١٩

[٢] البروج٢٠

[٣] الكهف ٤٢

[٤] التعريفات ص ٣

صورها في المحيط و هو الحق فقيل عرش و كرسي و أفلاك و أملاك و عناصر و مولدات و أحوال تعرض و ما ثم إلا الله فالحق من كونه محيطا كبيت الخلوة لصاحب الخلوة فيطلب صاحب الخلوة فلا يوجد فإن البيت يحجبه فلا يعرف منه إلا مكانه و مكانه يدل على مكانته) [1]

أما الشيخ عبد الحق ابن سبعين فيقول (الإحاطة تعني الوحدة المطلقة وهي وجود (الله فقط) أما سائر الموجودات الأخرى فوجودها عين وجود الواحد ، فهي غير زائدة عليه بوجه من الوجوه ، والوجود بذلك في حقيقته قضية واحدة ثابتة ، وهي وحدة منزهة عن كل المفهومات الانسانية التي يمكن ان تخلع عليها ، لكونها انكرت كل النسب والاضافات والاسماء ، ولهذا فهي تكاد تعرى حتى عن مفهوم الوحدة نفسه .

ويقول ايضاً ، الاحاطة : هي حضرة الجمع الواحد المتفتقة من جميع جهاتها بإيقاع التحقيق بمعلوم الحق حق لحق ، والوهم مصروف عنه ، والأول هو الآخر)[2]

۞ الإحسان :

الإحسان لغةً : (ضد الإساءة ؛ فالمحاسن في الأعمال ضد المساوئ في الأعمال ، و المحاسن في الأقوال ضد المساوئ في الأقوال) [3]

فيكون الاحسان إتقان الشيء وإتمامه وهو مأخوذ من الحسن ، وهو الجمال ، وقول الله تعالى : ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾ [1]

---

[1] الفتوحات ٢ / ١٥١

[2] موسوعة الكسنزان ٣٠٨/٥

[3] لسان العرب (١٧٩/٣)

أي : (يدفعون بالكلام الحسن ما ورد عليهم من سيء لغيرهم فإذا آذاهم أحد قابلوه بالجميل صبراً واحتمالاً وصفحاً وعفواً) [٢]

كما قال تعالى :

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[٣]

والاحسان اعظم فضيلة واجمل خلق واشرف سلوك وهو يعبر عن الايمان في قوله تعالى ﴿فَأَثَابَهُمُ اللهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء الْمُحْسِنِينَ ﴾ [٤]

ويعبر الاحسان عن معنى الصلاة فالصلاة احسان والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم احسان كما ورد في قوله تعالى :

﴿مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾[٥]

وورد الاحسان بمعنى التهجد أي قيام الليل كما في قوله تعالى ﴿آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾ [٦] أي متهجدين فالآية الكريمة التي تليها ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾

كما ان التصدّق على المساكين والفقراء احسان ، قال تعالى ﴿وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[٧]

كما انها وردت بمعنى خدمة الوالدين والبر بهما ، قال تعالى ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ

---

[١] الرعد : ٢٢

[٢] تفسير ابن كثير ٨/ ١٣٦

[٣] فصلت :٣٤

[٤] سورة المائدة ٨٥

[٥] سورة الانعام ١٦٠

[٦] سورة الذاريات ١٦

[٧] سورة البقرة ١٩٥

إِحْسَاناً ﴾[1]

ووردت بمعنى العفو عن المجرمين كما في قوله تعالى ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[2]

وهو مجاهدة النفس والتسابق في الاخلاص والاجتهاد في طاعة الله ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[3]

كما انها الاخلاص والتقوى لله ﴿وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ))[4]

ويختلف معنى الإحسان اصطلاحا بمختلف السياق الذي يردُ فيه لفظ الإحسان ؛ فإذا اقترن الإحسان بالإيمان والإسلام كان المرادُ به الإشارةَ إلى المراقبة ، و حسن الطاعة ، و هذا هو الذي فسَّره النبي ﷺ في جوابه على جبريل عليه السلام : " الْإِحْسَانِ انْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ".

أما إن ورد الإحسان مطلقاً دون أن يكون مقترناً بالإسلام و الإيمان ؛ فإن المراد به فعل ما هو حسن .

وخير الاحسان ما أشار اليه النبي ﷺ بقوله : (انْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ)

وفي الاصطلاح الصوفي :

هو تهذيب القصد بعلم الشريعة والطريقة .

فيكون قصده مطابقا للأمر ، مبرأ عن شوب الرياء والغرض ، وإحكامه بالجزم وتوطين النفس على ثبات العزم ، وعدم الفتور فيه ، وتصفيته عن النظر إلى غير المقصود بشهود المعبود ، وعدم الالتفات إلى الغير ولو نفسه ، فيعبد الله معتقدا

---

[1] سورة البقرة ٨٣

[2] سورة آل عمران ١٣٤

[3] سورة العنكبوت ٦٩

[4] سورة القصص ٧٧

أنه بمرأى من الله متوجها إليه كأنه يراه بقلبه [1]

قال الشيخ أحمد بن عجيبة الحسني : مقام الإسلام يُعبّر عنه بالشريعة، ومقام الإيمان بالطريقة، ومقام الإحسان بالحقيقة ، فالشريعة: تكليف الظواهر. والطريقة : تصفية الضمائر. والحقيقة : شهود الحق في تجليات المظاهر. فالشريعة أن تعبده، والطريقة أن تقصده، والحقيقة أن تشهده .

وقال أيضا : مذهب الصوفية: أن العمل إذا كان حدّه الجوارح الظاهرة يُسمى مقام الإسلام، وإذا انتقل لتصفية البواطن بالرياضة والمجاهدة يُسمى مقام الإيمان، وإذا فتح على العبد بأسرار الحقيقة يُسمى مقام الإحسان .

(يقول الشيخ عز الدين عبد السلام القدسي : الإحسان هو قيام الروح بمشاهدة العلّام .

ويقول : هو أول معارج الروح لخاصة المقربين .

ويقول الشيخ كمال الدين القاشاني : الإحسان هو التحقق بالعبودية على مشاهدة حضرة الربوبية بنور البصيرة ، أي : رؤية الحق موصوفاً بصفاته بعين صفته ، فهو يراه يقيناً ولا يراه حقيقة ولهذا قال ﷺ (كأنك تراه) ، لأنه يراه من وراء حجب صفاته ، فلا يرى الحقيقة بالحقيقة ، ، إنما يكون الرائي هو الحق ولا يكون للعبد أثر ، وهذا غير مقام المشاهدة إذ الرائي بها هو العبد ، أي : رؤية الحق بحقيقته إنما تكون في مقام الروح ، والإحسان في مقام المشاهدة وهي : حق اليقين) [2]

إخلاص :

---

[1] معجم اصطلاحات الكاشانى ص٢٨٦

[2] موسوعة الكسنزان ٦ / ٤٠٥

الإخلاص : (خَلَص الشيء، بالفتح، يَخْلُص خُلُوصاً وخَلاصاً إذا كان قد نَشِبَ ثم نَجا وسَلِم، وأَخْلَصه وخَلَّصه وأَخْلَص لله دِينَه: أَمْحَضَه" وأخلص الشيء اختاره ، وقرئ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ، قال ثعلب يعني بِالْمُخْلِصِينَ الَّذِينَ أَخْلَصُوا العبادة لله تعالى ، وَبِالْمُخْلَصِينَ الَّذِينَ أَخْلَصَهُمُ اللَّهُ عز وجل ، فالْمُخْلَصون المختارون، والْمُخْلِصِونَ : الموحّدون.)[1]

والخالص كالصافى ، إلا أن الخالص هو ما زال عنه شوبه بعد أن كان فيه ، كقول الله تعالى :

﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾ [2] ، والصافى قد يقال لما لا شوب فيه .

وخلصوا فى قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾[3]

أى انفردوا خالصين عن غيرهم .

وإخلاص المسلمين أنهم أفردوا الله بعبادتهم ، لا يشركون به ، وتبرأوا مما يدعيه اليهود من التشبيه ، والنصارى من التثليث ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء ﴾[4]

عن أبي هريرة ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال :

(أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله ، خالصاً من قبل نفسه)[5] ، فحقيقة الإخلاص التبري عن كل ما دون الله تعالى ، ومن دعائه

---

[1] لسان العرب ١٢٦/٥

[2] سورة النحل ٦٦

[3] سورة يوسف ٨٠

[4] سورة البينة ٥

[5] أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق ٤٢٦/١١ برقم ٦٥٧٠

صلى الله عليه وسلم الذي نقله عمار بن ياسر رضى الله عنه : (وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة ، وكلمة الإخلاص في الرضا والغضب)[1] ،

وفي الاصطلاح الصوفي :

والإخلاص في اصطلاح الصوفية، يتوافق في معظم أقوالهم مع المعنى الوارد في الأصول القرآنية والنبوية، وكلٌّ اجتهد في شرح معناه، فمن ذلك ما روي عن حاتم الأصم أنه قال : (الإخلاص يعرف بالاستقامة)[2]

وروي عن أبى حفص النيسابورى ، أنه سئل عن العاقل ؟ فقال:

«المطالب نفسه بالإخلاص»[3]

اما الفضيل بن عياض فيرى ان :

ترك العمل لأجل الناس رياء والعمل لأجلهم شرك والإخلاص الخلاص من هذين وألا تطلب لعملك شاهدا غير الله وقيل الإخلاص تصفية الأعمال من الكدورات والإخلاص ستر بين العبد وبين الله تعالى لا يعلمه ملك فيكتبه و لا شيطان فيفسده ولا هوى فيميله والفرق بين الإخلاص والصدق أن الصدق أصل وهو الأول والإخلاص فرع وهو تابع وفرق آخر الإخلاص لا يكون إلا بعد الدخول في العمل[4]

وتكلم القشيري في وصف الإخلاص شارحا ما ورد في الأصول القرآنية والنبوية فقال:

---

[1] أخرجه النسائى فى كتاب السهو (١٣٠٦) ، وأحمد فى المسند ٤/٢٦٤برقم ١٣٠٦

[2] طبقات الصوفية ص١٨٣

[3] طبقات الصوفية، ص: ١٢١

[4] التعريفات ص٤

«الإخلاص: ألا يكون شيء من حركاتك وسكناتك إلا لله»[١]

وينسب إلى الجنيد البغدادي قوله: (الإخلاص ، ارتفاع رؤيتك من الفعل)[٢]

وعن رويم بن أحمد (الإخلاص ما أريد به الله ، من أى عمل كان) [٣] .

وقد ورد في كتاب الإحياء :

«الإخلاص: هو صدق النية مع الله تعالى» [٤]

وورد أيضاً :

«هو أن يميز العمل من العيوب، كتمييز اللبن من الفرث والدم»[٥]

أما الشيخ القشيري فأورد في رسالته :

«الإخلاص هو أن تستوي أفعال العبد في الظاهر والباطن » [٦]

أما الشيخ السراج فيقول :

«الإخلاص هو إفراد القصد إلى الله تعالى ، وإخراج الخلق من معاملة الله ﷻ بترك الحول والقوة مع الله ﷻ» [٧]

الدنيا :

الدُّنيا : الحياة الحاضرة ، عكسها الآخرة

وجمعها : دُنْيِيات و دُنًى وهي مؤَنَّث الأدنى

دنا : دنا الشيء من الشيء دنواً ودناوة : قرب . وبينهما دناوة أي قرابة .

---

[١] الرسالة القشيرية، ص: ٤٤٣

[٢] التعرف ١١٨

[٣] التعرف ١١٨

[٤] إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي

[٥] إحياء علوم الدين ٤/٣٤٨

[٦] الرسالة القشيرية – ص ١٦٣

[٧] اللمع ص ص ٢١٨

والدناوة : القرابة والقربى [١]

الدنيا : الدنو القرب ويستعمل فى الزمان والمكان والمنزلة [٢]

والدنيا معاش الإنسان ، ووسيلته إلى الآخرة ، فمهما طال البقاء فيها فهو منصرم ، قال الله تعالى : وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ [٣]

ومن حديث رسول الله ﷺ الذي رواه سهل بن سعد ﷺ : كنا مع رسول الله ﷺ بذي الخليفة فإذا بشاة ميتة شائلة برجلها فقال أتَرَونَ هذه هينة على صاحبها ؟ فوالذي نفسي بيده لَلدنيا أهون على الله من هذه على صاحبها ، ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها قطرة ابداَ [٤]

ومن حديث أنس ﷺ ، أن النبي ﷺ مر بقوم يلقحون ، فقال : لو لم تفعلوا لصلح ، قال فخرج شيصا فمر بهم ، فقال : ما لنخلكم ، قالوا : قلت كذا وكذا ، قال :

أنتم أعلم بأمر دنياكم [٥]

وتأتي الدنيا بمعنى قرب المكان : كقوله تعالى : ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ [٦]،

وقوله : ﴿وَمِنْ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾ [٧]

وتكون الدنيا بمعنى قرب المنزلة والمكانه : فكانت الأصغر الذي يقابل بالأكبر نحو : ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ ﴾ [٨]

---

[١] لسان العرب ٣١١/٥

[٢] كتاب العين ٧٥/٧

[٣] آل عمران١٨٥

[٤] سنن ابن ماجة ١٣٧٦/٢ برقم ٤١١٠

[٥] مسلم ٤/ ١٨٣٦ برقم ٢٣٦٣

[٦] الحاقة/٢٣

[٧] الأنعام/٩٩

[٨] السجدة/٢١

وعبر بالأدنى عن الأرذل والأحقر ، فيقابل بالخير والأبقى نحو قوله :
بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى [1]
وقوله تعالى : ﴿ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴾ [2] ،
وعبر بالأدنى عن الأول ، فيقابل بالآخر نحو قوله : وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَى [3] ،
وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾ [4]
وعبر بالأدنى عن الأقرب فيقابل بالأقصى والأبعد كما في قوله تعالى :
﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ [5]

الدنيا فى الاصطلاح الصوفى :

حظي اصطلاح الدنيا باهتمام بالغ لدى الصوفية ، وعند الأوائل منهم على وجه الخصوص ، فهم ما برحوا يمحصون حقيقتها وغايتها وموقعها فى قلوبهم وإن كانت أغلب أقوالهم تنصب على ذمها والحذر منها ، وتصويرها فى أبشع ما يكون للنفس ، وأفعالهم أيضا تدل على النفور منها مطلقا إلا ما لا بد لهم منه ، روى عن أبى سليمان الدرانى ، أنه قال : (لكل شئ مهر ومهر الجنة ، ترك الدنيا بما فيها) [6]

وينسب أيضا لأحمد بن أبى الحوارى: أنه قال :

(الدنيا مزبلة ومجمع الكلاب ، وأقل من الكلاب من عكف عليها ، فإن

---

[1] الأعلى/ ١٦:١٧

[2] البقرة/٦١

[3] الليل/١٣

[4] البقرة/٢١٩:٢٢٠

[5] الأنفال/٤٢

[6] طبقات الصوفية ص٨١

الكلب يأخذ منها حاجته ، وينصرف والمحب لها ، لا يزايلها بحال) [1] ،

ويذكر لشقيق البلخى : (عملت فى القرآن عشرين سنة ، حتى ميزت الدنيا من الآخرة ، فأصبته فى حرفين ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى [2] ﴾ [3]

ويروى أن أحمد بن خضرويه استقرض من رجل مائة ألف درهم ، فقال له الرجل : أليس أنتم الزهاد فى الدنيا ؟ ما تصنع بهذه الدراهم ؟ قال : أشترى بها لقمة ، فأضعها فى فم مؤمن ولا أجترئ ، أن أسأل ثوابه من الله تعالى ، قال : لم ؟ ، قال : لأن الدنيا كلها لا تزن عند الله جناح بعوضة ، وما مائة ألف درهم فى الدنيا من جناح بعوضة ؟ لو أخذتها فطلبت بها شيئا ما الذى تعطى بها ؟ والدنيا كلها لها هذا القدر ؟ [4]

ولأبى على الثقفى: أف من أشغال الدنيا إذا أقبلت ، وأف من حسراتها إذا أدبرت ، والعاقل من لا يركن إلى شئ ، إذا أقبل كان شغلا ، وإذا أدبر كان حسرة) [5]

أما الشيخ معروف الكرخي فيقول : الدني أربعة أشياء : المال ، والكلام ، والمنام ، والطعام .

فالمال يطغي ، والكلام يلهي ، والمنام ينسي ، والطعام يقسي [6]

فيما يرى الشيخ ابو سليمان الداراني أن الدنيا هي كل ما يشغلك عن الله

---

[1] طبقات الصوفية ٨١

[2] القصص/٦٠

[3] طبقات الصوفية ١٠٢

[4] طبقات الصوفية ٦٤

[5] طبقات الصوفية ٣٦٤

[6] موسوعة الكسنزان ٨ / ١٥١

تعالى [1]

ويقول الشيخ الحكيم الترمذي : الدنيا عروس الملوك ، ومرآة الزهّاد ، أما الملوك فتجملوا بها ، وأما الزهاد فنظروا الى آفتها فتركوها)[2]

والشيخ الرفاعي الكبير قدس الله سره يقول :

الدنيا : ما دنا من القلب ، وشغله عن الحق [3]

۞ الإرادة :

إرادة : مصدر أَرَادَ يُرِيدُ ، أَرِدْ ، إرادةً ، فهو مُريد ، والمفعول مُراد .

والإرادة فى الأصل ، قوة مركبة فى قلب الإنسان ، جعلت أسماً لشروع النفس إلى الشئ مع الحكم فيه ، بأنه ينبغى أن يفعل أولا يفعل[4]

وقيل: الارادة هي العزم على الفعل، أو الترك بعد تصور الغاية، المترتبة عليه من خير، أو نفع، أو لذة ونحو ذلك.

قيل لأحد الصالحين أخبرني عن الارادة من الله، ومن الخلق، فقال: الارادة من الخلق: الضمير وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل . وأما من الله تعالى فإرادته إحداثه لا غير ذلك، لأنه لا يروي، ولا يهم، ولا يتفكر، فهذه الصفات منفية عنه تعالى، وهي صفات الخلق .

وفي الاصطلاح الصوفي :

والإرادة عند الصوفية هي لوعة في القلب تطلق على المريد الصادق الذي يتمنى قرب الله وارادة الله وحق الله .. أما نفسه فلا يرى لها ارادة .. فهو دائم التفكير بالله[1]

---

[1] موسوعة الكسنزان ٨ / ١٥١

[2] طبقات الصوفية ص ١٠٢

[3] قلادة الجواهر ص ١٦٢

[4] لسان العرب١/٣٦٢

والإرادة صفة توجب للحي حالاً يقع منه الفعل على وجه دون وجه وفي الحقيقة هي ما لا يتعلق دائما إلا بالمعدوم فإنها صفة تخصص أمرا ما لحصوله ووجوده كما قال الله تعالى ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ))[٢]

وميل يعقب اعتقاد النفع ومطالبة القلب غذاء الروح من طيب النفس وقيل الإرادة حب النفس عن مراداتها والإقبال على أوامر الله تعالى والرضا وقيل الإرادة جمرة من نار المحبة في القلب مقتضية لإجابة دواعي الحقيقة[٣]

(قال الجنيد رحمه الله تعالى :

الارادة هي ان يعتقد الانسان الشيء ثم يعزم عليه ثم يريده .

وقيل : الإقبال بالكلية على الحق والإعراض عن الخلق ، وهي ابتداء المحبة)[٤]

قال أبو بكر الكلاباذى :

(وأجمعوا أن اللَّه خلق لهم الاختيار والاستحسان، والإرادة للإيمان، والبغض والكراهية والاستقباح للكفر) [٥]

(الإرادة، بمعنى الجانب الإيجابي في مجاهدة الصوفي نفسه، للتخلص من رعونات النفس وعيوبها، وعزمه على الترقي في سلم المقامات والأحوال، وهى عندهم بدء طريق السالكين إلى اللَّه، واسم لأول منزلة القاصدين إليه، وتعني حبس النفس عن مراداتها، والإقبال على أوامر اللَّه، والرضا بموارد القضاء عليه)[٦]

---

[١] معجم الفاظ الصوفية ص ٣٦

[٢] سورة يس ٨

[٣] التعريفات ص ٤

[٤] الموسوعة الصوفية ص ٧٧٩

[٥] التعريف لمذهب أهل التصوف ص ٦٢

[٦] الرسالة ٤٣٣/٢، وانظر طبقات الصوفية ص٤٦٥، والتعريفات ص١٥.

وقال عبد الله بن خفيف : (حقيقة الإرادة، استدامة الكد وترك الراحة)[1] ، وقد استدل أبو القاسم القشيرى (ت:٤٦٥هـ) لمعناها عند الصوفية، بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدْ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [2]، وبقوله ﷺ من حديث أنس بن مالك ﷺ " إذا أراد الله بعبد خيرًا استعمله، فقيل: كيف يستعمله يا رسول الله ؟ قال: يوفقه لعمل صالح قبل الموت " [3] ، ويرى أبو القاسم القشيرى، أن الإرادة وصف للمريد، لأنها مقدمة كل أمر، فما لم يرد العبد شيئا، لم يفعله فلما كان هذا أول الأمر، لمن سلك طريق الله عز وجل، سمى مريدا تشبيها بالقصد في الأمور الذي هو مقدمتها [4]

وقد عبر الدقاق عن الإرادة، بقوله: (لا يكون المريد مريداً ، حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال عشرين سنة) [5]

۞ الأربعينية :

((رياضة للصوفية فيها يضبطون احوالهم بالاعتزال من الناس وقلة المنام والطعام ومداومة الذكر وهي المخصوصة بالذكر في قول رسول الله ﷺ من أخلص لله اربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه وعلى لسانه [6]، وفي قوله تعالى :

---

[1] طبقات الصوفية ص٤٦٥

[2] الأنعام/٥٢

[3] الرسالة ٤٣٣/٢، والحديث صحيح، أخرجه الترمذي في كتاب القدر (٢١٤٢) وقال: حديث حسن صحيح، وقال الشيخ الألباني: صحيح ٤٥٠/٤

[4] الرسالة ٤٣٣/٢

[5] الرسالة ٤٣٣/٢

[6] ابن أبي شيبة في المصنف رقم ٣٥٤٨٥ و أبو نعيم في الحلية ١٨٩/٥ مسند الفردوس رقم رقم ٦١٧٩

وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً [1]))[2]

و ليس مطلوب القوم من الأربعين شيئًا مخصوصًا لا يطلبونه في غيرها، ولكن لما طرقتهم مخالفات حكم الأوقات أحبوا تقييد الوقت بالأربعين رجاء أن ينسحب حكم الأربعين على جميع زمانهم فيكونوا في جميع أوقاتهم كهيئتهم في الأربعين، على أن الأربعين خصت بالذكر في حديث رسول الله ﷺ كما وردت في القران الكريم .

يقول الشيخ السهروردي (وانما خلوة القوم مستمرة ، وإنّما الأربعون واستكمالها له أثر ظاهرُ في ظهور مبادئ بشائر الحق) [3]

(روي أن داود عليه السلام لما ابتُلي بالخطيئة خَرَّ لله ساجدًا أربعين يومًا وليلة حتى أتاه الغفران من ربه، وقد تقرر أن الوحدة والعزلة مِلَاك الأمر ومُتَمَسَّك أرباب الصدق، فمن استمرت أوقاته على ذلك فجميع عمره خلوة، وهو الأسلم لدينه، فإن لم يتيسر له ذلك وكان مبتلى بنفسه أولًا ثم بالأهل والأولاد ثانيًا فليجعل لنفسه من ذلك نصيبًا.

(نُقِل) عن سفيان الثوري فيما روى أحمد بن حرب عن خالد بن زيد عنه أنه كان يقال: ما أخلص عبدٌ لله أربعين صباحًا إلا أنبت الله سبحانه الحكمة في قلبه، وزهَّده الله في الدنيا، ورغَّبه في الآخرة، وبصَّره داء الدنيا ودواءها، فيتعاهد العبد نفسه في كل سنة مرة، وأما المريد الطالب إذا أراد أن يدخل الخلوة فأكمل الأمر في ذلك أن يتجرد من الدنيا، ويخرج كل ما يملكه، ويغتسل غسلًا كاملًا بعد الاحتياط للثوب والمصلى بالنظافة والطهارة، ويصلي ركعتين ويتوب إلى الله

---

[1] سورة الاعراف ١٤٢

[2] معجم مصطلحات الصوفية ص ١٥ والموسوعة الصوفية ص ٧٨٠

[3] بين سير وطير ص ٣٠١

تعالى من ذنوبه ببكاء وتضرع، واستكانة وتخشع، ويسوي بين السريرة والعلانية، ولا ينطوي على غل وغش وحقد وحسد وخيانة، ثم يقعد في موضع خلوته، ولا يخرج إلا لصلاة الجمعة وصلاة الجماعة)[1]

أما الشيخ عبد الغني النابلسي فيقول : الخلوة الأربعينية : هي المنسوبة إلى أربعين يوماً وليلة ، وهي ميقات موسى عليه السلام في مناجاة ربه ، ومدة تخمير طينة آدم عليه السلام ، حتى استعد لنفخ الروح فيه عن أمر الله تعالى .

وهي خلوة مشهورة عند أرباب الطريق ، ولها شروط وآداب [2]

۞ الاستدراج :

اِستَدرَجَ: (فعل)

استدرجَ يستدرج ، استدراجًا ، فهو مُستدرِج ، والمفعول مُستدرَج

وفي اللغة ، للاستدراج معنيين :

أحدهما : أخذ الشيء تدريجاً ، لأنّ أصل الاستدراج مشتق من (الدرجة) فكما أنّ الإنسان ينزل من أعلى العمارة إلى أسفلها بالسلالم درجةً درجة ، أو يصعد من الأسفل إلى الأعلى درجةً درجة ، فقد سمي هذا الأمر استدراجاً.

والمعنى الثّاني للاستدراج هو ، اللّف والطّي ،كطي السّجل ولفّه.

فيكون استدراج اللهُ العبدَ : أخذه قليلاً قليلاً ولم يباغته ، أمهله ولم يعجّل عذابَه واستدرج فلانًا إلى كذا : خَدَعه حتى أطاعه ، حمله على أن يفعل ما يريد بالإغراء أو الحيلة [3]

وفي تفسير الاستدراج في قوله تعالى :

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ

---

[1] احياء علوم الدين ٥ / ١٧٤

[2] موسوعة الكسنزان ٦ / ١٥٠

[3] المعجم الوسيط باب درج

يقول الشيخ الالوسي :

(سنستدرجهم البتة الى الهلاك شيئاً فشيئاً ، والاستدراج استفعال من الدرجة بمعنى النقل درجة بعد درجة من سفل الى علو فيكون استصعاداً او بالعكس فيكون استنزالاً ، وقال بعضهم : هو استفعال من دَرَجَ أما بمعنى صعد ثم اتسع فيه فاستُعمِلَ في كل نقل تدريجي سواء كان بطريق الصعود او الهبوط او الاستقامة ، وأما بمعنى مشى مشياً ضعيفاً ومن دَرَجَ الصبي وأما بمعنى طوى ومنه أدرَجَ الكتاب ، ثم استُعير لطلب كل نقل تدريجي من حال الى حال من الأحوال الملائمة للمتنقل الموافقة لهواه .

واستدراجه تعالى اياهم بإدرار النِعَم عليهم مع انهماكهم في الغي ، ولذا قيل : إذا رأيت الله تعالى أنعم على عبدٍ وهو مقيم على معصية فاعلم انه مستدرج ، وهذا يمكن حمله على الاستصعاد باعتبار نظرهم وزعمهم ان متواترة النعم إثرَةً من الهه تعالى وهو الظاهر ، وعلى الإستنزال باعتبار الحقيقة فإنَّ الجبلة الإنسانية في أصل الفطرة سليمة متهيئة لقبول الحق لقضية كل مولود يولد على الفطرة فهو في بقاع التمكن على الهدى والدين فإذا أخلد الى الأرض واتبع الشهوات وارتكب المعاصي والسيئات ينزل درجة درجة الى ان يصير اسفل سافلين ، وأيّاً ما كان فليس المطلوب إلا تدرجهم في مدارج المعاصي الى ان يحق عليهم كلمة العذاب الأخروي او الدنيوي على ما قيل على أفظع حالٍ وأشنعها ، وإدرار النعم وسيلة الى ذلك) [1]

واصطلاحاً :

لقد تطرق القرآن الكريم إلى موضوع الاستدراج الذي هو عقوبة المكذبين بآيات الله في موضعين:

---

[1] روح المعاني ٥ / ١١٨

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [1]
وقال عَزَّ مِنْ قائل: ﴿ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2]

أنّ التأمل بدقّة في المعنيين يكشف أنّهما يرجعان إلى مفهوم كلّي جامع واحد : وهو العمل التدريجي. والإمهال ليزدادوا كفراً .

وفي الاصطلاح الصوفي :

(عرف الجرجاني الاستدراج بقوله : هو أن تكون بعيداً من رحمة الله تعالى، وقريباً إلى العقاب تدريجياً، وأن يجعل الله تعالى العبد مقبول الحاجة وقتاً فوقتاً إلى أقصى عمره للابتدال بالبلاء والعذاب .

وقال الكفوي: الاستدراج هو أن يعطي الله العبد كل ما يريده في الدنيا ليزداد غيّه وضلاله وجهله وعناده فيزداد كل يوم بعدًا من الله تعالى) [3]

ويقول الشيخ احمد الرفاعي الكبير :

الاستدراج هو نسيان الحق ، والاستغناء بمن دونه ، والتعلق بما سواه ، والالتفات منه الى غيره [4]

ويقول الشيخ القشيري :

(الاستدراج : هو تواتر المنة بغير خوف الفتنة .

وهو : انتشار الذكر بدون خوف المكر .

وهو : التمكين من المُنية ، والصد عن البُغية .

وهو : تعليل رجاء ، وتأميل بغير وفاء .

---

[1] الأعراف : ١٨٢

[2] القلم ٤٤

[3] التعريفات ص٢٠

[4] حالة اهل الحقيقة ص ١٥١

وهو : ظاهر مغبوط ، وسر بالأغيار منوط .

والاستدراج : هو ان يريد الشيء ، ويطوي عن صاحبه وجه القصد فيه ، ويدرجه اليه شيئاً بعد شيء حتى يأخذه بغتة .

وقال الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي :

قال بعضهم : الاستدراج على فنون ، وجملة الاستدراج ، ان تستحسن ما انت فيه وتحب ان تتحبب الى الناس به)[1]

۞ الاستقامة

الاستقامة : تطلق على الاعتدال ، وعلى الطريق الذى يكون على خط مستوية ، والطاعة فى طريق الحق [2] ، كقوله سبحانه وتعالى :

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [3]

وقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [4]

كما وردت الاستقامة في حديث رسول الله ﷺ :

عن ابي سلمة بن عبد الرحمن قال : سألت عائشة : بم كان يستفتح النبي ﷺ صلاته اذا قام من الليل ؟

قالت كان يقول : اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما أُختلف فيه من الحق بإذنك انك لتهدي الى صراط مستقيم [5] .

---

[1] موسوعة الكسنزان ٢٥/٨

[2] لسان العرب ٤٩٦/١٢

[3] الفاتحة/٦

[4] الأحقاف/١٣

[5] سنن ابن ماجة ٤٣١/١

وعن النواس بن سمعان الكلابي قال : قال رسول الله ﷺ ان الله ضرب مثلاً صراطاً مستقيماً على كتفي الصراط داران لهما ابواب مفتحة على الأبواب ستور وداع يدعو على رأس الصراط وداع يدعو فوقه (وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) والأبواب على كتفي الصراط حدود الله فلا يقع احد في حدود الله حتى يكشف الستر ، والذي يدعو من فوقه واعظ ربه [1]

الاستقامة في الاصطلاح الصوفي :

والاستقامة فى عرف الصوفية تعنى عند أغلبهم ، الجمع بين أداء الطاعات واجتناب المعاصى ، والخروج من المعهودات ومفارقة الرسوم والعادات ، والقيام بأمر الله بالنوافل والمكتوبات ..

ومما ورد عنهم فيها :

ما روى عن حاتم الأصم أنه قال :

(السمة التى يعرف بها الإخلاص ، الاستقامة) ، كما استدل عليها بالرجاء فقال : (يعرف الإخلاص بالاستقامة ، وتعرف الاستقامة بالرجاء) [2]

والاستقامة لا تعرف بالرجاء وحده ، إنما تعرف بالصدق فى جميع أعمال القلوب ، وأقوال اللسان ، وأعمال الجوارح ، والأجود من كلام حاتم الأصم ، ما ينسب ليحى بن معاذ الرازى قال :

(الاستقامة على ثلاثة أضرب ، استقامة اللسان على كلمة الشهادة ،واستقامة الجنان على صدق الإرادة ، واستقامة الأركان على الجهد فى العبادة) [3]

---

[1] سنن الترمذي ١٤٤/٥ برقم ٢٨٥٩

[2] طبقات الصوفية ص٩٤

[3] التعرف ص ٩٧

ومثله ما روى عن أبى بكر الواسطى أنه قال :

(الخصلة التى بها كملت المحاسن ، وبفقدها قبحت المحاسن الاستقامة)[1]

ويذكر لأبى على الدقاق : أن الاستقامة توجب دوام الكرامات ، لقوله تعالى :

﴿ وَأَلَّوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا) [2]

ولم يقل سقيناهم ، بل قال : أسقيناهم ، يقال : أسقيته إذا جعلت له سقيا فهو يشير إلى الدوام [3] .

(وقد بين القشيرى حد الاستقامة عند الصوفية ، مهتديا فى تعريفها بالأصول القرآنية والنبوية ، فعرفها بأنها درجة بها كمال الأمور وتمامها وبوجودها حصول الخيرات ونظامها ، ومن لم يكن مستقيما فى حالته ، ضاع سعيه وخاب جهده ، ثم استدل لذلك بقوله تعالى :

﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا ﴾ [4]

وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ [5]،

وقد استدل على معنى الاستقامة بحديث سفيان بن عبد الله الثقفى رضي الله عنه : ﴿ قل آمنت بالله ثم استقم ﴾ [6] .

والاستقامة تأخذ عند الشيخ الأكبر ابن عربى ، مفهوما مخالفاً لما سبق ، إذ الاستقامة عامة فى الوجود ، فالكل عنده على صراط مستقيم ، لقوله تعالى :

---

[1] الرسالة القشيرية ٤٤٢/٢

[2] الجن/١٦

[3] الرسالة القشيرية ٤٤١/٢

[4] النحل/٩٢

[5] الأحقاف/١٣

[6] انظر الرسالة القشيرية ٤٤١/٢

﴿ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ، يقول الشيخ الأكبر ابن عربى:

(فما من أحد من العالم إلا على صراط مستقيم ، وهو صراط الرب تبارك وتعالى) [1] .

ويقول الشيخ عبد الكريم الجيلى: (الصراط المستقيم ، هو صراط الله الذى هو تنوعات تجليه فى ذاته لذاته ، فمن حصل فى هذا الصراط واستقام على علم كيفية الاتصاف بأسماء الله تعالى وصفاته ، فإنه يتنوع بتجلياتها فى العالم على حسب مقتضى الشأن)

۞ الإسم :

والجمع منه : أسماء ، أساميٌّ و أسامٍ

والاسْمُ في اللغة : لفظ يُعرفُ به الشّيءُ، أو الشَّخصُ ويُستدلّ به عليه كاسم مُحمَّد و بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وقوله تعالى ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ))[2] وقد يكون صفة كقوله تعالى :

﴿ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ﴾[3] .

فالاسم ما دل على معنى في نفسه غير مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة، وهو ينقسم إلى:

اسم عين، وهو الدال على معنى يقوم بذاته، كزيد وعمرو .

وإلى اسم معنى، وهو ما لا يقوم بذاته، سواء كان معناه وجوديا كالعلم أو عدميا كالجهل.

---

[1] فصوص الحكم ص٢٤١

[2] الصف ٦

[3] الحجرات ١١

وفي الاصطلاح الصوفي :

(وليس عند الانسان في الحياة الدنيا من الله الا اسمه .

يقول الشبلي رحمه الله تعالى : ليس مع الخلق منه الا اسمه .

ومعنى ذلك انه لا يوجد بين الناس من ينطق اسم الله تعالى كما يستحق اسمه من الإعزاز و الإجلال والإكبار)[1]

(ولذلك فإن ائمة الصوفية يهتمون باسم الجلالة ، وكل سالك في الطريق الصوفي يشتغل في ورده باسم من اسماء الله الحسنى.

كما يرى الصوفية ان الاسم الذي يحكم العبد في حاله في الوقت ، وذلك لأن العبد ربما يشتغل في حال آخر باسم آخر من اسماء الله الحسنى) [2]

والاسم بهذا المعنى يكون نوعاً من العبادة لله تعالى وكما جاء في الحديث الشريف (اعبد الله كأنك تراه) [3]

(ويرى الشبلي انه : تاهت الخليقة في العلم وتاه العلم في الاسم وتاه الاسم في الذات)[4]

ومعنى ذلك ان الانسان مهما كان عالماً ومتحققاً فانه لن يستطيع مهما أوتي من العلم ان يتعرف على حقيقة اسم الله كما سبحانه عليه من العلو والرفعة .

((والاسماء الالهية تنقسم باعتبار الذات والصفات والأفعال الى : الاسماء الذاتية كاسم الله والاسماء الصفاتية كاسمه العليم والاسماء الأفعالية كاسمه الخالق ، وتنحصر الاسماء باعتبار الأنس والهيبة لدى مطالعتها في الاسماء الجمالية كإسم

---

[1] اللمع ص ٤٢٦

[2] معجم الفاظ الصوفية ص ٤١

[3] مسند احمد ١٣٢/٢ برقم ٦١٥٦

[4] معجم الفاظ الصوفية ص ٤٢

اللطيف والاسماء الجلالية كاسم القهار ولكل مخلوق سوى الانسان حظ من بعض الاسماء دون الكل ، كحظ الملائكة من اسم السبوح والقدوس وهم لذلك يقولون ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [1]

واختص الانسان بالحظ من الاسماء جميعهاً فيقول الله تعالى (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) [2]، أي ركب في فطرته من اسمائه لطيفة ، وهيأه بتلك اللطائف للتحقق بكل الاسماء الجلالية والجمالية .

وتسمى الاسماء الذاتية اسماء اولية ومفاتيح الغيب وأئمة الأسماء وأمهات الأسماء ، لأنها لا تتوقف على غيرها ولا تتعلق به .

وهي الأسماء السبعة : الحي ، العالم ، المريد ، والقادر ، والسميع ، والبصير ، والمتكلم))[3]

۞ الاشتياق :

اشتياق (اسم) وهو مصدر : اشْتاقَ يشتاقُ ، اشتياقًا ، فهو مُشتاق .

والشَّوْقُ والاشْتياقُ : نزاع النفس إلى الشيء، وحركة الهوى، أو تعلقها به[4]

كما ان الشوق : حركة الهوى وجمعه أشواق .

ومنها قول الشاعر :

أَلا حَيّ قبل الْبَين من أَنْت عاشقه ... وَمن أَنْت مشتاق إِلَيْهِ وشائقه

وقول الشاعر

تَرَاهُ باكِيا في كُلّ وَقْتٍ ... مَخافَةَ فُرْقَةٍ أوْ لِاشْتِياقِ

وهو في الاصطلاح الصوفي :

---

[1] البقرة ٣

[2] البقرة ٣١

[3] الموسوعة الصوفية ص ٧٨٦

[4] لسان العرب مادة شوق

انجذاب باطن المحب نحو المحبوب في حالة الوصال من اجل الوصول الى زيادة اللذة او دوامها[1]

ويشبّه الجنيد شوقه وفعله بالقلب كالنار احساساً وفعلاً فيقول :

(يا موقِدَ النارِ في قلبي بقدرتهِ .... لو شئت أطفأت عن قلبي بك النارُ) [2]

أما النصرآباذي فقد جعل مقام الاشتياق متفرّدا على مقام الشوق، إذ لا يتأتى في نظره لأي كان، لعلو درجته، وصعوبة دوامه إلا بشرط الفناء، وقتل النفس فيه، حيث قال : للخلق كلهم الشوق، وليس لهم مقام الاشتياق، ومن دخل في حال الاشتياق هام فيه، حتى لا يرى له أثر ولا قرار[3]

لا شك أن دوام الحال من المحال، إلا في حالة الاشتياق تلك، والتي يتّصف بها عباد الرحمن وخاصته، من أولياء الله، والعارفين، فهو اشتياق أبدي متواصل، ما دامت الروح في الجسد .

يقول أحمد بن عجيبة (الشوق انزعاج – اهتياج- القلب إلى لقاء الحبيب: والاشتياق ارتياح القلب إلى دوام الاتصال به، فالشوق يزول برؤية الحبيب، والاشتياق لا يزول أبدا، لطلب الروح الزيادة في كشف الأسرار، والقرب إلى الأبد) [4]

وقال الشيخ الأكبر ابن عربي: الشوق هو ما يسكن باللقاء، فإنه هبوب القلب إلى غائب، فإذا ورد سكن"، [5]

---

[1] معجم مصطلحات الصوفية ص ١٧ والموسوعة الصوفية ص ٧٨٨

[2] اللمع ص ٣٨١

[3] الرسالة القشيرية ص ٣٢٩.

[4] التشوف ص ٣٦

[5] موسوعة الكسنزان، ١٢/ ٣٤٣

وقد سئل الجنيد: ‘‘من أي يكون بكاء المحب إذا لقي المحبوب ؟ فقال إنما يكون ذلك سروراً به، من شدة الشوق’’.

ومن العلماء الصوفية من اقترن تعريفه للشوق بالمحبة، كقول كمال الدين القاشاني: ‘‘الشوق يعنون به قواصف قهر المحبة بشدة ميلها إلى إلحاق المشتاق بمشوقه، والعاشق بمعشوقه’’[1]

والواقع أن الشوق ملازم للمحبة، كيف لا والمشتاق إليه هو رب العزة والملكوت، المتنزه عن كل التشبيهات والنعوت، وشوقه ذاك أذهب الضلال، وأتى بالنور، وأبدل الكدرات بالطمأنينة والسرور، يقول المحاسبي: ‘‘الشوق هو سراج نور من نور المحبة، غير أنه زائد على نور المحبة الأصلية، والمحبة الأصلية هي نور الإيمان’’. فكلما كان حبك للشيء كبيرا كلما كان شوقك له أكبر، وفي تصاعد مستمر، وقد صدق أحمد بن قدامة المقدسي حين لخص ذلك في قوله: ‘‘الشوق ثمرة من ثمارها المحبة، فإن من أحب شيئا اشتاق إليه’’. [2]

۞ الاصطفاء :

اِصطفاء : اسم وهو مصدر إِصَطفى

المعنى اللغوي للاصطفاء :

الاصطفاء: الاجتباء، والتمييز، والترجيح، والإيثار [3]

وبهذا يكون الاصطفاء قريب من الاختيار إلا انه يفرق عنه بأن الاختيار هو اختيار شيئا من بين الأشياء دون الالتفات إلى خصائصه

والمعنى الاصطلاحي للإصطفاء هو : اختيار شيء وتقديمه على غيره .

فيكون الاصطفاء: نوع تخصيص وتفضيل من الله تعالى لشيء على شيء آخر؛

---

[1] الرسالة القشيرية، ص:٣٣٣

[2] موسوعة الكسنزان ٣٣٣/٢

[3] انظر تاج العروس : (٤٢٧/٣٨)

والاصطفاء هو أخذ صفوة الشيء، أي اختيار شيئاً من بين الأشياء باعتباره صفوة تلك الأشياء وأفضلها .

وفي القران الكريم جاء الاصطفاء بمعنى قريب من المعنى اللغوي .

حيث ورد الاصطفاء بمعانٍ ثلاثة :

فيراد منه تارة اختيار صفوة الشيء، وتارة التطهير، وأخرى التفضيل، وذلك حسب السياق الذي يرد فيه.

اختيار صفوة الشيء كما في قوله تعالى :

اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ [1]

ويراد به التفضيل كما في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾[2]

وكقوله تعالى :﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾[3]

وقد يراد به التطهير كما في قوله تعالى :﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [4]

كما ورد في السنة النبوية ، من حديث واثلة بن الأسقع ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الله اصطفى كنانة من ولد إسمعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم [5]

الاصطفاء في الاصطلاح الصوفي :

---

[1] سورة الحج، الآية ٧٥

[2] سورة البقرة، الآية ٢٤٧

[3] سورة الأعراف، الآية ١٤٤

[4] سورة آل عمران، الآية ٤٢

[5] أخرجه مسلم فى كتاب الفضائل ١٧٨٢/٤ برقم ٢٢٧٦

والاصطفاء عند الصوفية ، ورد على معنى الاجتباء فى سابق العلم
(الاصطفاء هو الاجتباء ، فالعبد المجتبى منذ بداية أمره رهن القبضة الإلهية) [1]
وكما قال الحكيم الترمذى (ويرى السراج أن الاصطفاء فى اصطلاح الصوفية هو الاجتباء فى سابق العلم ، لقوله تعالى :
﴿ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[2] ،
ولقوله : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنْ الْمَلائِكَةِ رُسُلا وَمِنْ النَّاسِ ﴾[3]
وفي المصطلح الصوفي يدلل الاصطفاء وكما ذكر أبو بكر الواسطى ، على :
(ابتداك بنفسه واصطفاك لنفسه ، فمن استعظم ذلك ، حسنت إخطار نفسه

فيما بذلت ، فإن قابلته بنفس العناية ، تضمنك ما منه الهداية) [4]
(ان المجتبى هو المصطفى وهو الذي في اول أمره لم تذهب نفسه بعد بحيث تصلح لما أعدّ لها من مرتبة ، ولو لم يكن الأمر كذلك لحلت هذه النفس مقاماً عزيزاً مكرماً ، ولذلك يحال بين المجتبى وبين نفسه حيلولة كاملة حتى لا تشارك القلب في عطاياه ، ويتولى الحق تعالى هذه النفس بالعناية ويفيض عليها قليلاً قليلاً على قدر ما تتحمله من انوار العطاء الالهي حتى يُزال عنها الهوى وحلاوة الشهوات الدنيا ثم يسكرها الله تعالى بحلاوة العطاء وحلاوة القربة ، وحينئذ تصل الى مقام القربة العظمى فتؤخذ فيه ما يؤخذ به القلب ، فلا يصبح هناك حائل بين القلب وبينها لأنها اصبحت طائعة لا تقدر هذه النفس ان تدنس القلب بشهواتها .

---

[1] معجم الفاظ الصوفية ص ٤٧ واللمع ص ٤٥٠
[2] سورة الانعام ٨٧
[3] سورة الحج ٧٥
[4] اللمع ص٤٤٧

حيث لا طلب ولا شهوة لها لأن كل شيء اصبح بمشيئة الله وبقدرة الله ،
واصبحت هذه النفس سالمة مستسلمة تتنقل من ملك الى ملك ومن مرتبة الى مرتبة)[1]

۞ الاصطلام :

الاصطلام من المفردات الغريبة والقليلة الاستعمال ولا يعثر عليه في معاجم اللغة العربية ولا ترد الا بالمعنى الاشتقاقي مثل صلا واصطلا وصليت [2]
واقربها الى المعنى الصوفي الاصطلام بالنار اي تدفأ بالنار .
وترد : صَلَمَ الشيءَ صَلْماً : قطعه من أصله ، وقيل : الصَّلْمُ قطع الأُذن او الأنف من أَصلهما .
وعبدٌ مُصَلَّم وأَصْلَمُ : مقطوعُ الأُذن [3]
وهو بمعنى الاسْتِئْصَالُ، تَقُولُ: اصْطَلَمَ الشَّجَرَ إِذَا اسْتَأْصَلَهُ، وَأَصْلُهُ مِنَ الصَّلْمِ فيكون الاصْطِلاَمُ بِمَعْنَى: الإِفْنَاءِ، وَالصَّلْمُ: فَنَاءُ الشَّيْءِ، وَيَأْتِي الاصْطِلاَمُ أَيْضًا لِمَعانِي: الإِبَادَةُ، الإِزَالةُ [4]
قال الشاعر :
وبادرْ إِلى اللذاتِ فالدهرُ مولعٌ ... بتقويضِ عزٍ واصطلامِ علاءِ
واصطلاحاً :
حالة تعرض للقلب تجعل العبد يغيب عن فكره ووجوده
وفي الاصطلاح الصوفي :

---

[1] معجم الفاظ الصوفية ص ٤٩
[2] المفردات في غريب القران ص ٢٥٨
[3] معجم المعاني الجامع
[4] لسان العرب : ٣٤٠/١٢ و مختار الصحاح : (ص٣٧٥)

والاصطلام من المصطلحات الصوفية ، وهو مرتبة من مراتب الفناء يغيب ويفنى فيها الشخص عن نفسه وفكره وكل وجوده وعن جميع المحسوسات لفرط الغيبة ، فلا يشهد الا وجود مولاه ، ويقابل ذلك مصطلح (الحُضُورِ) وَ(الصَّحْوُ) وهما: رجوع الصوفي الى الاحساس بنفسه بعد الغيبة .

ويحصل الاصطلام بعد ان يستغرق العبد في ذِكر الله ومحبته سبحانه وتعالى حتى يغيب عن نفسه وينساها .

وفي الموسوعات الصوفية :

(اذا خلص المريد في ظاهره وباطنه ، وأشرق قلبه بنور الحق ، فيلقى اليه العلم الهاماً .. فيعيش وجداً عارماً .. وان زاد كان ولهاً وهو اصطلاماً) [1]

(ان الاصطلام نعت وَلَهٍ يرد على القلب فيسكن تحت سلطانه)[2]

و(الوله الغالب على القلب وهو قريب من الهيمان ، وقيل هو غلبات الحق الذي يجعل كلية العبد مغلوبة له بامتحان اللطف في نفي ارادته)[3]

يقول الشيخ القاشاني الاصطلام :

(هو نعتُ وَلَهٍ يرقُّ على القلب فيسكن تحت سلطانه . فإن دام ذلك بالعبد حتى سلبه عن نفسه وأخذه عن حسه بحيث لم يبق منه اسما ولا أثرا ولا عينا ولا طللا ، حتى صار مسلوبا عن المكنونات بأسرها ، فما دام العبد كذلك فهو ممحو الآثار ، فلهذا لا يجري عليه أحكام التكليف ولا يوصف بتحسين ولا يختص بتشريف)[4]

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي :

---

[1] معجم الفاظ الصوفية ص ٤٦

[2] معجم مصطلحات الصوفية ص ٥٣٦

[3] الموسوعة الصوفية ص ٦٤٢

[4] لطائف الإعلام ص ١٠٠

(الاصطلام في اصطلاح القوم ، وله يرد على القلب سلطانه قوي ، فيسكن من قام به تحته ، وهو أن العبد إذا تجلى له الحق في سره في صورة الجمال ، أثر في نفسه هيبة .

فإن الجمال نعت الحق تعالى ، والهيبة نعت العبد ، والجمال نعت الحق ، والأنس نعت العبد ، فإذا اتصف العبد بالهيبة لتجلي الجمال ، فإن الجمال مهوب أبدا ، كان عن الهيبة أثر في القلب ، وخدر في الجوارح ، حكم ذلك الأثر اشتعال نار الهيبة ، فيخاف لذلك سطوته فيسكن .

وعلامته فيه في الظاهر : خدر الجوارح وموتها ، فإن تحرك من هذه صفته فحركته دورية حتى لا يزول عن موضعه ، فإنه يخيل إليه أن تلك النار محيطة به من جميع الجهات ، فلا يجد منفذا فيدور في موضعه كأنه يريد الفرار منه إلى أن يخف ذلك عنه بنعت آخر يقوم به . وهو حال ليس هو مقام)[1]

۞ الأصول :

الأَصْلُ: أَسفل كل شيء وجمعه أُصول ، ويقال: اسْتَأْصَلَتْ هذه الشجرةُ أَي ثبت أَصلها ، واستأْصله أَي قَلَعه من أَصله. وفي حديث الأُضحية: أَنه نهى عن المسْتَأْصَلة؛ هي التي أُخِذ قَرْنُها من أَصله [2]

والأُصُول تستعمل كأصول العلوم : بمعنى قواعدها التي تبنى عليها الأَحكام في اللياقة ، وفي الدِّين ، والفقه .

ووردت مادة (أصل) في القران الكريم بمشتقاتها المختلفة (١٠) مرات منها قوله تعالى :

---

[1] الفتوحات المكية ٤/٢٤٠

[2] لسان العرب ١١/١٦

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [1]

وفي الاصطلاح الصوفي :

والأصل في المصطلح الصوفي هو ما يثبت حكمه بنفسه ويبنى على غيره [2]

ويرى صاحب الموسوعة الصوفية ان (الأصل هو الشيء الذي يكون له تزايد ، فأصول الدين الهداية ، والفرع ما تزايد عن الأصل ، فاذا تزايد من الفرع زيادة تسمى بالأصل ، فالأصل حجة للزيادات ، والزيادات هي الفروع مردودة الى الأصول .

والأصل الهداية والتوحيد ، والمعرفة والايمان ، والصدق واليقين والإخلاص ، وزيادتها بزيادة الهداية .

والأحوال والمقامات والأعمال والطاعات زيادات هذه الأصول وفروعها ، وهي مسمات باسم الأصول لتزايدها وزيادة فروعها . وقيل النقصان في الأحوال لأنها فروع ، فاذا احكمت الأصول لم يضر النقصان في الفروع .

وقيل أصول في مذهب التصوف خمس خلال هي :

صيام النهار ، وقيام الليل ، وإخلاص العمل ، والتوفر على الأعمال بطول رعاية ، والتوكل على الله في كل حال) [3]

ويقول الشيخ السرّاج الطوسي : الأصل هو الشيء الذي يكون له تزايد .

والأصول : أصول الدين مثل التوحيد ، والمعرفة ، والإيمان واليقين ، والصدق ، والإخلاص [4]

---

[1] ابراهيم / ٢٤

[2] التعريفات ص ١١

[3] الموسوعة الصوفية ص ٧٩٢

[4] اللُّمع ص ٣٥٧

ويرى الشيخ القشيري أنَّ الأصل : هو ما يُرد اليه الفرع وله تزايد [1]

۞ الأطْوَار:

طَور : (اسم) وأطْوَار : جمع طَور

(الطَّوْرُ: التارَةُ، تقول: طَوْراً بَعْدَ طَوْرٍ أَي تارةً بعد ، وجمع الطَّوْرِ أَطْوارٌ.

والطِّوْر: الحالُ، وجمعه أَطْوارٌ.

الأَطْوارُ: الحالاتُ المختلفةُ والتاراتُ والحدودُ، واحدُها طَوْرٌ،أَي مَرّةً مُلْكٌ ومَرَّةً هُلْكٌ ومَرّةً بُؤْسٌ ومَرّةً نُعْم)[2]

كقول الشاعر :

فإنْ أَفاقَ لَقَدْ طَالَتْ عَمَايَتُهُ، ... وَالمرءُ يُخْلِقُ طَوراً بَعْدَ أطْوَارِ

إن يُمْسِ مُلْكُ بَنِي ساسانَ أَفْرَطَهُمْ ... فإِنَّ ذَا الدَّهْرَ أَطْوارٌ دَهارِيرُ

وفي المصحف الشريف وردت الطور :

في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾[3] قال الأخفش: طوراً علقة وطورا مُضغة.

والناس (أطْوارٌ) أي على حالات شتى .

وفي الاصطلاح الصوفي :

هي اطوار سبعة يتغير عليها الصوفي عبارة عن : الطبع والنفس والقلب والروح والسر والخفيّ والأخفى [4]

۞ الاعتصام

الاعتصام لغة : مصدر اعتصم من عصم بمعنى منع.

والاعتصام: الامتساك و التمسّك بالشيء [1]

---

[1] موسوعة الكسنزان ١ / ٢٧٣

[2] لسان العرب ١٥٧/٩

[3] نوح ١٤

[4] معجم مصطلحات الصوفية ص ١٨

ومن يعتصم بالله واستعصم: أي امتنع، طالباً للعصمة ، واستمسك كأنّه طلب ما يعتصم به من ركوب الفاحشة [٢]

واعتصمت بالله، أي امتنعت به من الشرّ [٣] والاعتصام بحبل الله: التمسّك به وترك الفرقة و اتّباع القرآن ، [٤] واعتصم بالله امتنع بلطفه من المعصية .

وقوله تعالى :

﴿ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلا مَنْ رَحِمَ ﴾ [٥]

أى لا شئ يعصم منه ، ومن قال معناه لا معصوم ، فليس يعنى أن العاصم بمعنى المعصوم ، وإنما ذلك تنبيه منه على المعنى المقصود بذلك ، وذلك أن العاصم والمعصوم يتلازمان ، فأيهما حصل حصل معه الآخر ، قال : (مَا لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ) [٦]

والاعتصام التمسك بالشئ ، قال تعالى:

(وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[٧]

وفي السنّة النبوية المطهرة وردت في قول رسول الله ﷺ :

عن علي بن ابي طالب ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول اتاني جبريل عليه السلام فقال يا مُحَمَّد ان امتك مختلفة بعدك ، قال فقلت له فأين المخرج يا

---

[١] لسان العرب ٩ / ٢٤٥

[٢] المفردات ١ / ٥٧٠

[٣] العين ١ / ٣١٣

[٤] لسان العرب ٩ / ٢٤٦

[٥] هود/٤٣

[٦] انظر لسان العرب ٢٤٧/٩

[٧] آل عمران/١٠١

جبريل قال فقال كتاب الله تعالى به يقصم الله كل جبار ، من اعتصم به نجا ومن تركه هلك مرتين ، قول فصل وليس بالهزل ، لا تختلقه الألسن ولا تفنى أعاجيبه فيه نبأ ما كان قبلكم وفصل ما بينكم وخبر من يأتي بعدكم [١]

الإعتصام فى الاصطلاح الصوفى :

الاعتصام فى الاصطلاح الصوفى يعنى التمسك بحبل اللَّه ، والطاعة على وفق الكتاب والسنة ، وهذا المعنى هو السائد عند أغلبهم ، ويوافق ما عليه جمهور العلماء من غير الصوفية ، لدلالة الأصول القرآنية والنبوية عليه [٢] ،

ومن أهم ما ذكره الصوفية فى مصطلح الاعتصام : ما ذكره أبو القاسم القشيرى :

(أن حقيقة الاعتصام تظهر فى صدق اللجوء إلي اللَّه ، ودوام الفرار إليه واستصحاب الاستغاثة إليه ، والاعتصام بحبله فى التمسك بآثار الواسطة العزيز ، صلوات اللَّه عليه ، وذلك بالتحقق والتعلق بالكتاب والسنة ، قال تعالى : وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا [٣]) [٤] .

والاعتصام ايضاً :

هو المحافظة على الطاعة ومراقبة الأمر ، ومنه اعتصام بالجسوم ، واعتصام بالانقطاع ، واعتصام بالاتصال وهو شهو الحق تفريداً ، وهو الاعتصام بالله [٥]

---

[١] مسند احمد ٩١/١ برقم ٧٠٤

[٢] معجم اصطلاحات الصوفية الكاشانى ص١٩٩

[٣] آل عمران/١٠٣

[٤] التنوير فى إسقاط التدبير ص١١٩

[٥] الموسوعة الصوفية ص ٧٩٢

(يقول الشيخ القشيري : الاعتصام هو صِدق اللجوء إليه ،ودوام الفرار اليه ، واستصحاب الإستغاثة اليه .

ويقول الشيخ عبد الرحمن السلمي : الاعتصام : هو اللجوء بطرح الحول والقوة ،والسكون للأمر والهدوء تحت مراد الله تعالى .

والاعتصام عند ابن عربي : هو الاحتفاظ ، فلولا نظر الله في العالم وثم وجوده ، لعدم العالم ، فبالله عِصمة العالم وحفظه) [1]

۞ الاعتكاف :

عَكَف على الشيء يَعْكُفُ ويَعْكِفُ عَكْفاً وعُكوفاً : أَقبل عليه مُواظِباً لا يَصْرِفُ عنه وجهه [2]

والاعتكاف لزوم الشيء وحبس النفس عليه بِراً كان أو غيره ومنه قول الله تعالى في القرآن: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾[3]

وهو في الشرع الإقامة في المسجد، وهو سنة مؤكدة عن النبي ﷺ، لقول السيدة عائشة: (كان النبي ﷺ يعتكف العشر الأواخر).

والاعتكاف في الشريعة : عبارة عن المقام في مكان مخصوص وهو المسجد بأوصاف مخصوصة من النية والصوم وغيرهما ،وهو مشروع قرآناً وسنة وإجماعاً .

وقد ورد الاعتكاف في السنّة الشريفة :

عن ام المؤمنين عائشة ﵂ (اعْتَكَفَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امْرَأَةٌ مِنْ أَزْوَاجِهِ مُسْتَحَاضَةٌ ، فَكَانَتْ تَرَى الصُّفْرَةَ وَالْحُمْرَةَ ، فَرُبَّمَا وَضَعْنَا الطَّسْتَ تَحْتَهَا وَهِيَ تُصَلِّي)[4]

---

[1] موسوعة الكسنزان ١٥ / ٤٠٥

[2] لسان العرب ٢٤٣/١٠

[3] الأنبياء ٥٢

[4] صحيح البخاري ٧١٦/٢ برقم ١٩٣٢

وعن نافع ﷺ : (سَأَلَ عُمَرُ عَنْ نَذْرٍ كَانَ نَذَرَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، اعْتِكَافُ يَوْمٍ ؟ فَأَمَرَهُ بِهِ)[1]

وعن ام المؤمنين عائشة ﷺ لا اعتكاف الا بصوم ولا اعتكاف الا بمسجد [2]

وقال حذيفة : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

(والمرأة تعتكف في مسجد بيتها) وهو الموضع الذي أعدته للصلاة .

(ويشترط في حقها ما يشترط في حق الرجل في المسجد) لأن الرجل لما كان اعتكافه في موضع صلاته وكانت صلاتها في بيتها أفضل كان اعتكافها فيه أفضل ، قال ﷺ: (صلاة المرأة في بيتها افضل من صلاتها في حجرتها ، وصلاتها في مخدعها افضل من صلاتها في بيتها) [3]

ولو اعتكفت في المسجد جاز لوجود شرائطه ، ويكره لما روينا .

وفي الاصطلاح الصوفي :

قيل للحارث المحاسبي :

ما علامة الأنس بالله ؟ قال : التوحش من الخلق، قيل له : فما علامة التوحش من الخلق؟ قال: الفرار إلى مواطن الخلوات، والتفرد بعذوبة الذكر، فعلى قدر ما يدخل القلب من الأنس بذكر الله يخرج التوحش[4]

وعن أبي القاسم الجنيد أنه قال:

من أراد أن يسلم له دينه، ويستريح بدنه وقلبه، فليعتزل الناس، فإن هذا زمان وحشة، والعاقل من اختار فيه الوحدة [1]

---

[1] صحيح البخاري ١١٤٦/٣ برقم ٢٩٧٥ وصحيح مسلم ٣/ ١٢٧٨ برقم ١٦٥٦ وصحيح ابن حبان ٢٢٦/١٠ برقم

[2] سنن ابي داود ٢٢٣/٢ برقم ٢٤٧٣ وسنن البيهقي الكبرى ٣١٧/٤ برقم ٨٣٦٢

[3] سنن ابي داود ١٥٦/١ برقم سنن البيهقي الكبرى ١٣١/٣ برقم ٥١٤٤

[4] حلية الأولياء، (١٠٧/١٠)

يقول الشريف الجرجاني :

(الاعتكاف : هو تفريغ القلب عن شغل الدنيا ، وتسليم النفس الى المولى .

وقيل : الاعتكاف والعكوف والإقامة معناه لا أبرح عن بابك حتى تغفر لي)[٢]

۞ الأعراف :

الأعراف في اللغة جمع عرف بمعنى المحل والموضع المرتفع وعُرْفُ الديك لحمة مستطيلة في أعلى رأسه يشبه به بظر الجارية وعُرْفُ الدابة الشعر النابت في محدب رقبتها [٣]

الأعراف اصطلاحاً : هو حجاب مرتفع بين الجنة والنار يشرف عليهما، وعليه رجال يعرفون أهل الجنة وأهل النار معرفة تامة. قال تعالى: ﴿ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ ﴾ [٤]

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴾[٥]

وقد اختلفت كلمة الأعراف في خصوص المراد من الأعراف في القرآن الكريم ، فذكر المفسّرون آراء مختلفة في ذلك ، يشترك أكثرها في معنى واحد وهو جدار بين أهل الجنة وأهل النار [٦]

كما اختلفوا في رجال الأعراف فكانوا فيها على أقوال .

وفي الاصطلاح الصوفي :

---

[١] الرسالة القشيرية (٥٠)

[٢] التعريفات ٣١

[٣] لسان العرب، ٢٤١/٩

[٤] الأعراف٤٦

[٥] الأعراف٤٨

[٦] المفردات ص ٣٣٢

(هو المطلع وهو مقام شهود الحق في كل شيء متجليا بصفاته التي ذلك الشيء مظهرها وهو مقام الإشراف على الأطراف قال الله تعالى :
﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾[1] وقال النبي صلى الله عليه وسلم إن لكل آية ظهرا وبطنا واحدا ومطلعا) [2]
أما ابن عربي ﷺ فيقول في تفسير اصحاب الأعراف :
(((وبينهما حجاب) أي:
وبين أصحاب الجنة وبني أصحاب النار حجاب به كل منهم محجوب عن صاحبه. والمراد بأصحاب الجنة ههنا: أهل ثواب الأعمال من الأبرار والزهاد والعباد الذين جنتهم جنة النفوس، وإلا فأهل جنة القلوب والأرواح لا يحجبون عن أصحاب النار (وعلى الأعراف) أي : على أعالي ذلك الحجاب الذي هو حجاب القلب الفارق بين الفريقين هؤلاء عن يمينه وهؤلاء عن شماله (رجال) هم العرفاء أهل الله وخاصته (يعرفون كلا) من الفريقين (بسيماهم) يسلمون على أهل الجنة بإمداد أسباب التزكية والتحلية والأنوار القلبية وإفاضة الخيرات والبركات عليهم، لم يدخلوا الجنة لتجردهم عن ملابس صفات النفوس وطيباتها وترقيهم عن طورهم فلا يشغلهم عن الشهود الذاتي ومطالعة التجلي الصفاتي
نعيم (وهم) أي: أصحاب الجنة (يطمعون) في دخولهم ليقتبسوا من نورهم ويستضيئوا بأشعة وجوههم، ويستأنسوا بحضورهم)) [3]
وعن ابن عربي في وصف يوم القيامة:
(وتأتي الملائكة الثمانية تحمل ذلك العرش فيضعونه في تلك الأرض والجنة عن يمين العرش والنار من الجانب الآخر وقد علت الهيبة الإلهية وغلبت على قلوب

---

[1] الأعراف٤٨
[2] التعريفات ص ١٣
[3] تفسير ابن عربي ١ / ٢٥٨

أهل الموقف ويأمرهم داعي الحق عن أمر الله بالسجود لله فلا يبقى أحد سجد لله خالصاً على أي دين كان إلا سجد السجود المعهود ومن سجد اتقاء ورياء خرّ على قفاه وبهذه السجدة يرجح ميزان أصحاب الأعراف لأنها سجدة تكليف فيسعدون ويدخلون الجنة)[1]

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي ايضاً :

(الأعراف : رجال هم أعظم الرجال في المنزلة ، فإن لهم الإستشراف على المنازل.

فما أشار بالأعراف هنا هذا الشيخ إلى من تساوت حسناته وسيئاته وإنما أخذه من حيث منزلة الاستشراف، فإن الأعراف هنا هو السور الذي بين الجنة والنار " باطنه فيه الرحمة " ، وهو الذي يلي الجنة ، " وظاهره من قبله العذاب" وهو الذي يلي النار ، فجعل النار من قبله .

وقوله : "ونادوا أصحاب الجنة" لم يدخلوها فإنهم في مقام الكشف للأشياء .

ويقول الأعراف : هو سور حاجز بين الجنة والنار ، برزخ باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ، فهو حد بين دار السعداء ودار الأشقياء ، دار أهل الرؤية ودار الحجاب) [2]

الشيخ مُحَمَّد بهاء الدين البيطار يقول :

الأعراف : هو الفارق بين الجلال والجمال ، جامع للرب والعبد معا ، وهو الحقيقة الإنسانية الكلية الذاتية فهي السور المضروب بين حقائق الجمال والجلال ، إذ هي برزخ الكمال [3]

---

[1] الفتوحات المكية ٤/٤٧٥

[2] الفتوحات المكية ١ / ١٨٨

[3] موسوعة الكسنزان ١٥ / ٢٠١

الشيخ عبد الكريم الجيلي يقول :

"الأعراف" : هو محل القرب الإلهي المعبر عنه في القرآن بقوله تعالى : "عند مليك مقتدر"، ويسمى هذا المنظر بهذا الاسم للمعرفة، وهو تحقق العلم .

كما يقول : أهل الأعراف هم العارفون بالله ، لأن من عرف الله تعالى تحقق بعلم أمر الآخرة وإن لم يعرفه لم يتحقق بعلمه [1]

الشيخ سهل بن عبد الله التستري :

يقول "(أصحاب الأعراف : هم أهل المعرفة

قال الله تعالى : "يعرفون كلا بسيماهم" أقامتهم لشرفهم في الدارين وأهلهما يعرفهم الملكان، كما أشرفهم على أسرار العباد في الدنيا وأحوالهم

أما الشيخ فارس البغدادي فيقول "أصحاب الأعراف" : هم الذين عرفهم الله مقام من استقطعتهم عن الحق الحظوظ والمخالفات ، فأهل النار قطعتهم عن الحق المخالفات .

وأهل الجنة قطعتهم عنه الحظوظ .

وبقي أصحاب الأعراف ولا وسم لهم ولا سيما سوى الحق) [2]

۞ الأعيان :

في اللغة :

(عضو الإبصار ، ينبوع الماء ، جاسوس ، النفيس من كل الشيء ، عين الشيء : ذاته و نفسه ، الحاضر من كل شيء) [3]

وفي القران الكريم وردت بهذه المعاني على اختلاف مشتقاتها ، ومنها قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾[1]

---

[1] الانسان الكامل ٢ / ٥٧

[2] موسوعة الكسنزان ١٥ / ٢٠٢

[3] المعجم العربي الأساسي ص ٨٨٢

الأعيان في الاصطلاح الصوفي :

الأعيان : هي شؤون ذاتية ظهرت في الحضرة الواحدية بحكم العالمية ، فهي معلومات معدومة ، العين أبداً إلا ان وجود الحق ظهر فيها ، فهي مع كونها ممكنات معدومة لها آثار في الوجود الظاهر بها وبصورها المعلومة [٢]

فيما يرى الشيخ الشريف الجرجاني ان الأعيان : ما له قيام بذاته ، ومعنى قيامه بذاته ان يتحيز بنفسه غير تابع تحيزه لتحيز شيء آخر ، بخلاف العرض فإن تحيزه تابع لتحيز الجوهر الذي هو موضوعه أي محله الذي يقومه [٣]

والاعيان الثابتة هي حقائق الممكنات في علم الله تعالى وهي صور حقائق الاسماء الالهية في الحضرة العلمية ، لا تأخر لها عن الحق الا بالذات لا بالزمان فهي أزلية و وابدية [٤]

ويقول الدكتور ابو العلا العفيفي : الأعيان يقصد بها الحقائق والذوات أو الماهيات كما يستعملها ابن عربي أحياناً مرادفة للموجودات الخارجية المحسوسة ، ولكنه في كلامه عن الأعيان الثابتة يقصد المعنى الأول لا الثاني [٥]

۞ الأفراد

(والفرد : الله تعالى وتقدس هو الفَرْدُ، وقد تَفَرَّدَ بالأَمر دون خلقه.

والفرد: الوتر، والجمع أَفراد وفُرادَى، على غير قياس) [٦]

---

[١] التكاثر/٧

[٢] اصطلاحات الصوفية ص ٨٠

[٣] التعريفات ص ٣٠

[٤] معجم مصطلحات الصوفية ص ١٩

[٥] موسوعة الكسنزان ١٦ / ٣٧١

[٦] لسان العرب ٣٣١/٣

والفرد : اسم من أسماء الله الحسنى ، معناه : المنفرد بالقِدَم والإبداع والتَّدبير ، المنفرِد عن جميع الأشياء ، الممتنِع عن الاختلاط بها ، المستغني عنها .

وقد ورد في قوله تعالى : رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ [1]

وفي الاصطلاح الصوفي :

الأفراد : الرجال الخارجين عن نظر القطب [2]

والأفراد : (هم من رجال المراتب عند ابن عربي وتتوالى الاسماء عند ابن عربي .. فهم الأفراد : لأنه ليس اهم حكم العموم ..

وهم الأخفياء : لأنهم الذين لا يعرفهم الأبدال ولا يشهدهم الأوتاد ..

وهم افراد الوقت : لأنهم خارجون عن نظر القطب صاحب الوقت فلا يحكمهم ولا يتصرف بهم ..

وهم اعيان الأولياء : لأنهم الخاصة فيهم ، وهم في جنس البشر كالملائكة المهيمون في جنس الملائكة . ..

وهم الأبرياء فلا يرى العالم عليهم من أثر التقريب شيئاً)[3]

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي :

(ومنهم ﷺ الأفراد ، لا عدد يحصرهم ، وهم المقربون بلسان الشرع ، وهم رجال خارجون عن دائرة القطب ، والخضر منهم ، ونظيرهم من الملائكة الارواح المهيمة في جلال الله ، وهم الكروبيون)[4]

ويقول أيضاً :

---

[1] الأنبياء ٨٩

[2] معجم مصطلحات الصوفية ص ١٩

[3] المعجم الصوفي ص ٨٧٧

[4] الفتوحات المكية ١٩/٢

(فجلال الله في قلوب الأفراد فلا يشهدون سوى الحق ، وهم خارجون عن حكم القطب الذي هو الامام وهو واحد منهم)[1]

(ان العالم المهيم لا يستفيد من العقل الأول شيئاً ، وليس له على المهيمين سلطان ، بل هو واياه في مرتبة واحدة ، كالأفراد منا الخارجين على حكم القطب ، وان كان القطب واحداً من الأفراد ، لكن خصص العقل بالإفادة كما خصص القطب من بين الأفراد بالتولية)[2]

ويقول الشيخ مُحَمَّد ماضي أبو العزايم :

الأفراد : هم الذين أفردهم الحق لذاته ، دون خطور أقل خاطر لسواه على قلوبهم ، ولا شهود كائن ما غيره [3]

۞ المجذوب :

مجذوب: (اسم) والجمع منه : مجذوبون و مجاذيبُ

وهو اسم مفعول من جذَبَ

الجَذْبُ: مدك الشيء ، والجذب : المد . جذب الشيء يجذبه: مده . وجذبه : حوله عن موضعه ، واجتذبه : استلبه [4]

والجَذْبُ في اصطلاح الصُّوفِيَّة :

فِي اصْطِلَاح الصُّوفِيَّة الجذب حَال من أَحْوَال النَّفس يغيب فِيهَا الْقلب عَن علم مَا يجْرِي من أَحْوَال الْخلق ويتصل فِيهَا بالعالم الْعلوِي .

والمجذوب : من اصطنعه الحق لنفسه واصطفاه بحضرة أنسه وأطلعه بجناب قدسه ففاز بجميع المقامات والمراتب بلا كلفة المكاسب والمتاعب [1]

---

[1] الفتوحات المكية ٦٧٥/٢

[2] الفتوحات المكية ٩٣/١

[3] موسوعة الكسنزان ٢٦٢/١٧

[4] لسان العرب ١٠٢/٣

يقول الشيخ ابن عطاء الله السكندري :

(فأرباب الجذب يكشف لهم عن كمال ذاته ، ثم يردهم إلى شهود صفاته ، ثم يرجعهم إلى التعلق بأسمائه ، ثم يردهم إلى شهود آثاره . والسالكون على عكس هذا . فنهاية السالكين بداية المجذوبين . وبداية السالكين نهاية المجذوبين لكن لا بمعنى واحد ، فربما التقيا في الطريق ، هذا في ترقيه وهذا في تدليه)[٢]

ويقول رحمه الله تعالى :

(إن من الناس من حرك الله همته لطلب الوصول إليه فسار يطوي مهامة نفسه وبيداء طبعه ، إلى أن وصل إلى حضرة ربه ، يصدق على هذا قوله سبحانه وتعالى : ﴿والَّذينَ جاهَدوا فينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا ﴾ ومن الناس من فاجأته عناية الله من غير طلب ولا استعداد ، ويشهد لذلك قوله تعالى : ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ﴾ فالأول : حال السالكين ، والثاني : حال المجذوبين)[٣]

يقول الشيخ الحكيم الترمذي :

(يحتاج الولي إلى مدة في جذبه ، كما يحتاج المجتهد إلى المدة في صدقه . إلا أن هذه تصفيته لنفسه بجهده ، وتصفية المجذوب يتولاه الله بأنواره فانظر كيف صنع الله بعبده ، وصنع العبد بنفسه ؟ أما ترى آدم عليه السلام كيف فات الخلق وبرز عليهم بما تولاه الله من فطرته وقال لسائر الخلق (كن فكان) , فالمجذوب يُجذب في كل موطن في طريقه إلى الله تعالى ، ويخبر ويعرف المواطن)

وقال بعض الصالحين : المجذوبون في حضرة الله : هم الذين استولى نورهم على ظاهرهم .

---

[١] التعريفات ص ٨٧

[٢] ايقاظ الهمم في شرح الحكم ص ٤٤٣

[٣] لطائف المنن ص ١٩٣- ١٩٤

و((المجذوب تقول العامة انه فاقد العقل ، وانه لتصوفه اكثر النظر الى السماء او الى القمر فانجذب .

وفي المصطلح الصوفي : المجذوب من ارتضاه الحق تعالى لنفسه ، واصطفاه لحضرة أنسه ، وطهّره بماء قدسه ، فحاز من المنح والمواهب ما فاز به بجميع المقامات والمراتب بلا كلفة مكاسب ومتاعب)) [1]

۞ الإلهام :

إلهام: (اسم) وهو مصدر أَلْهَمَ يلهم

الإلهام لغةً: يأتي لمعان عدة، منها:

أ- إلقاء الشيء في الرُّوع: ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[2] ، وأصله من التهام الشيء وهو ابتلاعه [3]

ب- ما يلقى في الروع أو ما يلقيه الله في النفس من الأمور التي تبعث على الفعل أو الترك [4]

ت- الإلهام بمعنى التلقين، قال صاحب القاموس: (ألهمه الله خيرًا لقنه إياه) [5]

أما في الاصطلاح : فقد تعدَّدت الطرق في تعريفه، ورغم ذلك التعدد والاختلاف لفظًا إلا أنها متحدة معنى، وتدور حول إلقاء معنى أو فكرة أو خبر أو حقيقة في النفس توجب علمًا ضروريًّا لا يستطيع الإنسان دفعه، وأحسن التعاريف وأجمعها لمعنى الإلهام عندهم ما عرَّفه به القاضي أبو زيد الدبوسي بأنه (أي الإلهام) مَا حَرَّكَ الْقلب بِعلم يدعوك إلى العمل به، من غير استدلال بآية

---

[1] الموسوعة الصوفية ١٢٤٣ والمعجم الصوفي ص ٢٣٦

[2] الشمس:٨

[3] المفردات في غريب القرآن ص٤٥٥

[4] لسان العرب ٤١٠/١

[5] القاموس المحيط ٢٥٥/٢

ولا نظر في حجَّة .

والإلهام في الاصطلاح الصوفي :

ذهب الإمام الغزالي إلى التسوية بين وحي الأنبياء وإلهام الأولياء من جميع الوجوه باستثناء مشاهدة السبب وهو الملك فقال :

(ولم يفارق الوحي الإلهام في شيء من ذلك, بل في مشاهدة الملك الملقي للعلم, فإن العلم إنما يحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة) [١]

قال أبو المواهب الشاذلي ردا على من أنكر قول القائل حدثني قلبي عن ربي:

(لا إنكار لأن المراد: أخبرني قلبي عن ربي من طريق الإلهام الذي هو وحي الأولياء) [٢]

وقد وردت بعض أقوال الصوفية برد الإلهام إذا كان مخالفا للكتاب والسنة, فقال أبو الحسن الشاذلي:

(إذا عارض كشفك الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف, وقل لنفسك: إن الله تعالى قد ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة ولم يضمنها في جانب الكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة ..)[٣]

ويقول إبراهيم الدسوقي في وجوب التسليم لإلهامات الأولياء:

(عليكم بتصديق القوم في كل ما يدعون فقد أفلح المصدقون وخاب المستهزئون, فإن الله تعالى يقذف في سر خواص عباده ما لم يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل.., فما للعاقب إلا التسليم, وإلا فاتوه وفاتهم, وحرم فوائدهم, وخسر الدارين) [٤]

---

[١] إحياء علوم الدين ١٩/٣

[٢] طبقات الشعراني ٦٨/٢

[٣] طبقات الشعراني ٥/٢

[٤] طبقات الشعراني ١٧٣/١

وقيل الإلهام ما وقع في القلب من علم وهو يدعو إلى العمل من غير استدلال بآية ولا نظر في حجة وهو ليس بحجة عند العلماء إلا عند الصوفيين والفرق بينه وبين الإعلام أن الإلهام أخص من الإعلام لأنه قد يكون بطريق الكسب وقد يكون بطريق التنبيه [1]

يتبين انه إذا كان الصوفي واصلاً أمكنه القول إنّ كتابته من وحي إلهام الحق، فلم يكتب إلا المعرفة المنزلة عليه بالإلهام الرباني، وبتعبيره يُصَرّح: لا أكتب إلا المعرفة (الواردة على قلبي بإلهام ربي، وهي في الحقيقة درر عوارفه في حق العارفين) [2]

وإن كان مريداً سالكاً قال: (غرضي أن لا أكتب في هذا المجموع إلا ما رأيته بعيني أو سمعته من الشيخ ﷺ بأذني) [3]

وربما يكون ابن العربي رحمه الله تعالى من اكثر اهل التصوف الذين جعلوا من علم الخرق أو الكشف بطريق الإلهام مصدراً مهماً واساساً لأغلب كتاباتهم، فقد ذكر أنّ معظم كتاباته ليست من تأليفه الشخصي، وإنما هي من الفتوحات الواردة على قلبه، وعلى سبيل المثال، يفتتح كتابه: (شق الجيب بعلم الغيب) بقوله: (الحمد لله رب العالمين، الذي وفقني للسباحة في بحر اليقين، وقوّاني على إخراج الدرر من أصداف العبارات، والاستعارات العجيبة، والأوضاع الجديدة، الواردة على قلبي بإلهام ربّي، وهي في الحقيقة درر عوارفه في حق العارفين) [4]

ويقول رحمه الله تعالى :

---

[1] التعريفات ص ١٣

[2] شق الجيب بعلم الغيب ص ٢٨٥

[3] ، الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ ص ٣٣

[4] شق الجيب بعلم الغيب ص ٢٨٥

(لم يكن لي من اختيار، ولا عن نظر فكري، وإنما الحق يُملي لنا على لسان ملك الإلهام جميع ما نسطره) [1] . ويقول أيضا: (فو الله ما كتبت منه حرفًا إلا عن إملاء إلهي، وإلقاء رباني، أو نفث روحاني في روع كياني، هذا جملة الأمر مع كوننا لسنا برسل مشرّعين ولا أنبياء مكلفين) [2]

۞ الإلهية – الألوهية

الإلهية : صفةٌ ثابتةٌ لله عزَّ وجلَّ من اسمه (الله) واسمه (الإله)، وهما اسمان ثابتان في مواضع عديدة من كتاب الله عزَّ وجلَّ.

وأصل كلمة (الله) إلاه كما رجَّحَه ابن القيم في (بدائع الفوائد)، وإلاه بمعنى مألوه؛ أي: معبود؛ ككتاب بمعنى مكتوب.

والإلهية أو الألوهية صفة مأخوذة من هذين الاسمين.

قال الحافظ ابن القيم عند الحديث عن أسماء الله تعالى (الله)، (الرب)، (الرحمن)؛ قال: (... فالدين والشرع والأمر والنهي مظهره وقيامه من صفة الإلهية، والخلق والإيجاد والتدبير والفعل من صفة الربوبية، والجزاء والثواب والعقاب والجنة والنار من صفة الملك) [3]

وقال الحافظ ابن القيم عند الحديث عن أسماء الله تعالى (الله)، (الرب)، (الرحمن)؛ قال: (... فالدين والشرع والأمر والنهي مظهره وقيامه من صفة الإلهية، والخلق والإيجاد والتدبير والفعل من صفة الربوبية، والجزاء والثواب والعقاب والجنة والنار من صفة الملك) [4]

---

[1] الفتوحات المكية (٨٧/١)

[2] الفتوحات المكية (٤٥٥/١)

[3] مدارج السالكين (٣٤/١)

[4] التفسير (٢٩٨/٥)

الألوهية : (كون أو صفة الذات الإلهية)[1]

وفي الاصطلاح الصوفي :

(أحدية جمع جميع الحقائق الوجودية كما أن آدم عليه الصلاة و السلام أحدية لجمع جميع الصور البشرية إذ للأحدية الجمعية الكمالية مرتبتان إحداهما قبل التفصيل لكون كل كثرة مسبوقة بواحد هي فيه بالقوة هو وتذكر قوله تعالى (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ)[2]

فإنه لسان من ألسنة شهود المفصل في المجمل مفصلا ليس كشهود العالم من الخلق في النواة الواحدة النخيل الكامنة فيه بالقوة فإنه شهود المفضل في المجمل مجملاً لا مفصلاً وشهود المفصل في المجمل مفصلاً يختص بالحق وبمن جاء بالحق أن يشهده من الكمل وهو خاتم الأنبياء وخاتم الأولياء)[3]

ويقول الشيخ ابن عربي : لا يسمى الشخص إلهيّاً إلا ان يكون أخذه العلوم عن الله من فتوح المكاشفة بالحق[4]

ويقول أيضاً رحمه الله تعالى :

الإلهية : كل اسم إلهي مضاف الى البشر[5]

أما الشيخ الحلاج رحمه الله تعالى فيقول :

من ظن أن الإلهية تمتزج بالبشرية أو البشرية تمتزج بالإلهية فقد كفر ، فإن الله تعالى تفرق بذاته عن ذوات الخلق وصفاتهم ، فلا يشبههم بوجه من الوجوه ولا يشبهونه بشيء من الأشياء وكيف يتصور الشبه بين القديم والمحدث ومن زعم

---

[1] المعجم العربي الأساسي ص ١٠٣

[2] سورة الأعراف ١٧١

[3] التعريفات ص ١٤

[4] انظر الفتوحات المكية ٥٠٠/٣

[5] موسوعة الكسنزان ٣٠٤/١ عن كتاب اصطلاح الصوفية ص ١٤

أن الباري في مكان أو متصل بمكان أو يتصور على الضمير أو يتخايل في الأوهام أو يدخل تحت الصفة والنعت فقد أشرك [1]

وتقول د سعاد الحكيم لتوضيح رأي الشيخ ابن عربي أورده في فصوص الحكم : (يميز الشيخ الأكبر بين الإلهية الدائمة التلوين ، لأن الله دائم التجلي في الصور ، وبين الربوبية التي لكل اسم من الأسماء الإلهية وهي ثابتة له لا تتغير ، يقول الشيخ (إن الرب له الثبوت ، والإله يتنوع بالأسماء فهو كل يوم في شأن))[2]

۞ أم الكتاب :

أم وتجمع على أُمّات ، و أُمّهات وهي الوالدة وتطلق اصطلاحاً على الأصول كالجدة .

والكِتَاب: الصحف المجموعة التي حوت جملة من المعلومات وهو اسم مفرد جمعه الكُتُب .

واصطلاحاً يطلق على القرآن الكريم كما في قوله تعالى :

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ)[3].

كما ويطلق على باقي الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل ....

قال تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ﴾ [4]

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً ﴾ [5]

﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[1]

---

[1] الطواسين ص ٩٣

[2] المعجم الصوفي ص ٨١

[3] البقرة ٢

[4] البقرة ٨٧

[5] مريم ٣٠

و الكتاب هو الحاوي على الاعمال يوم القيامة قال تعالى ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاء وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[٢]

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ [٣]

ويراد بالكتاب اللوح المحفوظ لقوله تعالى :

﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُوْلُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفاً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً ﴾ [٤]

﴿وَإِن مَّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً كَانَ ذَلِك فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً ﴾ [٥]

ويأتي الكتاب بمعنى المكاتبة كما في قوله تعالى :

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمْ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً ﴾ [٦]

وهو الأجل ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴾[٧]

---

[١] البقرة ١٠٥

[٢] الزمر٦٩

[٣] الكهف٤٩

[٤] الأحزاب٦

[٥] الإسراء٥٨

[٦] النور٣٣

[٧] الحجر٤

ويحمل معنى القدَر، القضاء ﴿ لَوْلاَ كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1]

وهو أمر وفرض لقوله عز وجل

﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾[2] مفروضة في وقت معيَّن

و ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ ﴾[3]

ويحتمل معنى عدّة المرأة في قوله تعالى : ﴿وَلاَ تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ﴾[4]

وأَمُّ الكتاب : سورة الفاتحة

واللوح المحفوظ ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ الزخرف٤

وفي السنّة الشريفة جاءت ام الكتاب بمعنى اللوح المحفوظ لقوله ﷺ :

(إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ ، وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِ ذَلِكَ ، دَعْوَةِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ، وَبِشَارَةِ عِيسَى قَوْمَهُ ، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ ، وَكَذَلِكَ تَرَى أُمَّهَاتُ النَّبِيِّينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ)[5]

وبمعنى القران لقوله ﷺ :

(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُمُّ الْقُرْآنِ ، و أُمُّ الْكِتَابِ ، وهي السَّبْعُ الْمَثَانِي)[6]

وفي الاصطلاح الصوفي :

---

[1] الأنفال ٦٨

[2] النساء ١٠٣

[3] النساء٢٤

[4] البقرة ٢٣٥

[5] مسند احمد ١٢٨/٤ برقم ١٧٢٠٣ ومجمع الزوائد ٢٢٣/٨

[6] سنن الترمذي ٢٩٧/٥ برقم ٣١٢٥

أم الكتاب : العقل الأول [1]

وعند الشيخ عبد العزيز الدباغ :

أم الكتاب : هي العلم القديم الذي لا يخيب أصلاً [2]

ويقول الشيخ عبد الكريم الجيلي :

أم الكتاب : عبارة عن ماهية كنه الذات المعبر عنها من بعض وجوهها بماهيات الحقائق التي لا يطلق عليها اسم ولا نعت ولا وصف ولا وجود ولا عدم ولا حق ولا خلق [3]

(ويرى الشيخ ابو العباس التجاني أن أم الكتاب : هي قسم من اللوح المحفوظ ، كل ما فيه واقع ثابت لا يمكن تحوله .

ويقول الباحث مُحَمَّد غازي عرابي أم الكتاب :

أصل الفروع ، وعين العيون ، ولذلك قال سبحانه : ﴿ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾[4]

فأثبت ان للكتاب أماً ، والأم الأصل ، ومنها وُلِد ، فهي الباطن وهو الظاهر والبطون لله ، فالأم هنا أب ، والمعنى الإيجاد وهو الله .

فأم الكتاب : علمه الأزلي ، كائن فيه ، مباين له عند صدوره ، ولذلك قال : ﴿ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ﴾[5] أي : ليصير المعلوم بالقوة معلوماً بالفعل .

فأم الكتاب : التكوين وباطنه الأصلي قبل الحدوث ، وفي باطنه جميع التفاصيل ، لكنها مجهولة حتى حدوثها ، وليس هذا على الله بمستبعد ، وليس فيه انتقاص لقدرته ، فالمعلوم بالقوة قوة ، أما تفاصيلها فعند الحدوث) [1]

---

[1] التعريفات ص ١٤

[2] الإبريز ص ١٦٦

[3] الانسان الكامل ٦٥/١

[4] الرعد ٣٩

[5] مُحَمَّد ٣١

۞ الإمامان :

الإمامان مثنى إمام .

والإمام لغة :

الإمامة في اللغة مصدر من الفعل (أَمَّ) تقول: (أمَّهم وأمَّ بهم: تقدمهم، وهي الإمامة، والإمام: كل ما ائتم به من رئيس أو غيره) [٢]

ويقول ابن منظور: (الإمام كل من ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين.. والجمع: أئمة، وإمام كل شيء قيَّمه والمصلح له، والقرآن إمام المسلمين، وسيدنا مُحَمَّد رسول الله ﷺ إمام الأئمة، والخليفة إمام الرعية، وأممت القوم في الصلاة إمامة، وائتُم به: اقتدي به.

والإمام: المثال، وإمام الغلام في المكتب ما يتعلمه كل يوم، وإمام المثال ما امتثل عليه، والإمام: الخيط الذي يُمَدُّ على البناء فيبنى عليه ويسوى عليه ساف البناء..) [٣]

وقال صاحب (تاج العروس) : (والإمام: الطريق الواسع، وبه فُسِّر قوله تعالى: وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ [٤] أي: بطريق يُؤم، أي: يقصد فيتميز)[٥]

وقد وردت كلمة إمام في المصحف (١٢) مرة بمشتقاتها ، ومنها قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾[٦]

وفي السنة المطهرة : في حديث أبيُّ بن كعب قال رسول الله ﷺ :

---

[١] موسوعة الكسنزان ١٩/٤٣

[٢] (القاموس المحيط) للفيروز آبادي (٤/٧٨)

[٣] لسان العرب (١٢/٢٤) مادة (أمم)

[٤] سورة الحجر: ٧٩

[٥] تاج العروس ٣١/٢٤٤، ٢٤٥ مادة (أمم)

[٦] البقرة ١٢٤

(إذا كانَ يومُ القيامةِ كنتُ إمامَ النَّبيّينَ وخطيبَهُم ، وصاحبَ شفاعتِهِم ، غيرَ فخرٍ) [1]

وفي الاصطلاح الصوفي :

الإمامان :

الشخصان اللذان أحدهما عن يمين الغوث أي القطب ونظره في الملكوت وهو مرآة ما يتوجه من المركز القطبي إلى العالم الروحاني من الإمدادات التي هي مادة الوجود والبقاء وهذا الإمام مرآته لا محالة والآخر عن يساره ونظره في الملك وهو مرآة ما يتوجه منه إلى المحسوسات من المادة الحيوانية وهذا مرآته ومحله وهو أعلى من صاحبه وهو الذي يخلف القطب إذا مات [2]

وعند صاحب اصطلاحات الصوفية هما :

(هما الشخصان اللذان احدهما عن يمين الغوث أي القطب ، ونظره في الملكوت ، والاخر عن يساره ونظره في الملك ، وهو اعلى من صاحبه ، وهو الذي يخلف القطب) [3]

وعند الشيخ الأكبر للإمامين نفس المعنى ولكن يضاف لهما اسمين وللقطب اسم ايضاً ، فيقول الشيخ رحمه الله تعالى :

(ومنهم ﷺ الأئمة ولا يزيدون في كل زمان على اثنين لا ثالث لهما .

الواحد : عبد الرب ، والآخر : عبد الملك ، والقطب عبد الله .. فلكل رجل اسم الهي به يدعى .. ولو كان اسمه ما كان ، فالأقطاب كلهم عبد الله ، والائمة في كل زمان عبد الملك وعبد الرب ، وهما اللذان يخلفان القطب اذا

---

[1] أخرجه الترمذي (٣٦١٣)، وابن ماجه (٤٣١٤)، وأحمد (٢١٢٨٣) وصححه الألباني

[2] التعريفات ص ١٤

[3] اصطلاحات الصوفية ص ٥٧

مات ، وهما للقطب بمنزلة الوزيرين ، الواحد منهما مقصور على مشاهدة عالم الملكوت والاخر مع عالم الملك)[1]

تقول د سعاد الحكيم : (للمتصوفة دولة قائمة بذاتها على منوال الدولة السياسية التي يعيشون في ظلها ظاهراً ، فهناك الخليفة الذي هو الغوث او القطب ، ولهذا الخليفة وزيران هما : الإمامان .

يصور ابن عربي القطب والإمامين ، خليفة يجلس في سدة الحكم عن يمينه وزير هو الإمام الروحياني او عبد الملك ، وعن يساره الإمام الأكمل او عبد الرب الذي ينتقل اليه الأمر بموت القطب) [2]

ويقول الشيخ احمد الكمشخانوي النقشبندي : الإمامان لهما أربعة أعمال ظاهرة وباطنة .

فأما الظاهرة : فالزهد ، والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

واما الباطنة : فالصدق والإخلاص والحياء والمراقبة [3]

۞ الإنابة :

إنابة: (اسم) وهي مصدر أَنابَ يُنيب من نوب : إقامة الغير مقام النفس في التصرف .

يقال أناب ينيب إنابة، فهو منيب، إذا أقبل ورجع [4]

الإنابَةُ: الرُّجوعُ إلى الطّاعَةِ، أو الرُّجوعُ إلى اللهِ بِالتَّوبَةِ، يُقال: أنابَ، يُنيبُ، إنابةً، فهو مُنِيبٌ: إذا أَقْبَلَ ورَجَعَ إلى الطّاعَةِ، ونابَ إلى اللهِ: إذا تابَ. ومِن معانِيها: الرُّجوعُ مِن الغَفْلَةِ إلى الذِّكْرِ، ومِن الوَحْشَةِ إلى الأُنْسِ.[1]

---

[1] الفتوحات ٦/٢

[2] انظر المعجم الصوفي ص ١٠٩

[3] موسوعة الكسنزان ٢٥/٢ عن جامع الأصول في الأولياء

[4] النهاية لابن الأثير:١٢٣/٥

والإنابة من العبادات العظيمة التي وصف الله بها أنبيائه وعباده المؤمنين .

قال تعالى عن نبي الله داود عليه السلام: ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَاب ﴾[٢]

وقال تعالى عن نبي الله سليمان عليه السلام: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَاب ﴾ [٣]

وقال تعالى عن نبينا مُحَمَّد صلى اللهُ عليه وسلم: ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيب ﴾[٤]

وفي الحديث الشريف : لا تمنّوا الموت فإن المطلع شديد ، وانَّ من السعادة أن يطول عمر العبد ويرزقه الله الإنابة [٥]

وقوله عليه الصلاة والسلام :

اللهم لك أسلمت وبك آمنت ، وَعليك توكلت وإليك أَنَبْتُ وبك خاصمت ، اللهم إني أَعوذ بعزتك لا إله إلا أَنت أَن تُضِلني [٦]

وقالت العرب في أشعارها :

وأَخُو الإِنابة إِذ رأَى خُلَّانَهُ ... تَلَّى شِفَاعاً حَوْله كالإِذْخِر

وفي الاصطلاح الصوفي :

---

[١] لسان العرب : (٧٧٤/١)

[٢] سورة ص : ٢٤

[٣] سورة ص: ٣٤

[٤] سورة الشورى: ١٠

[٥] مجمع الزوائد ٢٠٣/١٠ والترغيب والترهيب ١٢٨/٤ برقم ٥٠٩٨

[٦] مسند احمد ٣٠٨/١ برقم ٢٧٤٨ وصحيح ابن حبان ١٨٠/٣ برقم ٨٩٨

الإنابة تعني : إخراج القلب من ظلمات الشبهات ، وقيل الإنابة الرجوع من الكل إلى من له الكل وقيل الإنابة الرجوع من الغفلة إلى الذكر ومن الوحشة إلى الأنس [١]

وهي : الانتباه زجر الحق للعبد بإلقاءات مزعجة منشطة إياه من عقال الغرة على طريق العناية به [٢]

والإنابة إنابتان:

(إنابة لربوبيّته: وهي إنابة المخلوقات كلّها؛ يشترك فيها المؤمن والكافر، والبرّ والفاجر. قال الله تعالى: ﴿وَإِذا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾[٣]

فهذا عامّ في حقّ كلّ داع أصابه ضرّ. كما هو الواقع.

إنابة أوليائه: وهي إنابة لإلهيّته إنابة عبوديّة ومحبّة، وهي تتضمّن أربعة أمور:

محبّته، والخضوع له، والإقبال عليه، والإعراض عمّا سواه ، فلا يستحقّ اسم (المنيب) إلّا من اجتمعت فيه هذه الأربع.)[٤]

ويقول الشيخ ابراهيم بن ادهم : الإنابة هي صدق العبد في التوبة ، فهي ثاني درجة التوبة [٥]

ويقول الشيخ ابو عبد الله بن خفيف الشيرازي : الإنابة هي التزام الخدمة ، وبذل المهجة [٦]

---

[١] التعريفات ص ١٥

[٢] التعريفات ص ١٥

[٣] الروم:٣٣

[٤] انظر مدارج السالكين ١/ ٤٣٤

[٥] عوارف المعارف ص ٢٢٩

[٦] حلية الأولياء ٣٨٦/١٠

ويقول الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي : الإنابة هي الرجوع من جميع ما له ، ثم اذا صح له هذا يكون مرجعه منه اليه ، ثم اذا صح له ذلك بقي مستهلكاً في مشاهدة المرجوع اليه ، فلا يكون له رجوع ولا يثوب [1]

۞ الأنس :

وَالْأَنَسُ: خلاف الوحشة، وهو مصدر قولك أَنِسْتُ به [2]

وهو فرح وسعادة غامرة تملأ القلب بالمحبوب الذي هو الله .

وقد وردت لفظة آنس في القران الكريم في ستة مواضع منها قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [3]

﴿آنَسَ مِن جانِبِ الطُّورِ﴾ وأَصْلُ الإيناسِ عَلى ما قِيلَ الإحْساسُ فَيَكُونُ أعَمَّ مِنَ الإبْصارِ، وقالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: هو الإبْصارُ البَيِّنُ الَّذِي لا شُبْهَةَ فِيهِ ومِنهُ إنْسانُ العَيْنِ لِأنَّهُ يَبِينُ بِهِ الشَّيْءُ والإنْسُ لِظُهُورِهِمْ كَما قِيلَ: الجِنُّ لِاسْتِتارِهِمْ، وقِيلَ : هو إبْصارُ ما يُؤْنَسُ بِهِ [4]

وفي الاصطلاح الصوفي :

الأُنس : هو حال يصل اليه السالك معتمداً على الله ، ساكناً اليه ، مستعيناً به وفي الأنس ترتفع الحشمة وتبقى الهيبة مع الله وبذلك يكون الأنس طمأنينة ورضا بالله [5]

---

[1] موسوعة الكسنزان ٣٢٠/٢٠ عن حقائق التفسير للسلمي ص ٥٣٨

[2] لسان العرب ١٧١/١

[3] القصص ٢٩

[4] روح البيان للآلوسي

[5] معجم الفاظ الصوفية ص ٥٨

والأنس بالله يقتضي الطمأنينة، وهي ضروب:

(طمأنينة العوام الذين إذا ذكروا ربهم اطمأنوا إلى ذكرهم له، فحظهم منه الإجابة للدعوات باتساع الرزق ودفع الآفات، وطمأنينة الخواص الذين يرضون بقضاء الله ويصبرون على بلائه، وطمأنينة خواص الخواص وهم الذين علموا أن سرائرهم لا تقدر أن تطمئن إليه هيبة وتعظيمًا؛ لأنه ليس له غاية تدرك، وليس كمثله شيء)[1]

وقيل في الأُنس انه : تلذذ الروح بكمال الجمال ، وهو أثر مشاهدة جمال الحضرة الالهية في القلب ، وهو جمال الجلال .[2]

وأهل الأنس في الأنس على أحوال :

(فمنهم من أنس بالذكر واستوحش من الغفلة، وأنس بالطاعة واستوحش من الذنب. ويفسر هذا قول سهل بن عبد الله: أول الأنس من العبد تأنس النفس والجوارح بالعقل، ويأنس العقل والنفس بعلم الشرع، ويأنس العقل والنفس والجوارح بالعمل لله خالصًا فيأنس العبد بالله، أي يسكن إليه .

والحال الثاني: أن يأنس العبد بالله ويستوحش مما سواه من العوارض والخواطر الشاغلة، ويفسره قول ذي النون وقد قيل له: ما علامة الأنس بالله؟ فقال: إذا رأيته يؤنسك بخلقه فإنه هو ذا يوحشك من نفسه، وإذا رأيته يوحشك من خلقه فهو ذا يؤنسك بنفسه .

والحال الثالث: هو الذهاب عن رؤية الأنس بوجود الهيبة والقرب والتعظيم مع الأنس.)[3]

يقول الشيخ أبو بكر الشبلي: الأنس هو وحشتك منك ومن نفسك ومن

---

[1] اللمع ٦٧

[2] معجم مصطلحات الصوفية ص ٢٦

[3] اللمع ٦٦

الكون و الأنس بالله يقتضي الاطمئنانية [1]

يقول الشيخ أحمد الرفاعي الكبير : الأنس بالله لا يكون إلا لعبد قد كملت طهارته و صفا ذكره واستوحش من كل ما يشغله عن الله عز وجل [2]

يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني : من أحب الله لا يرى غير الله و من اشتاق إلى الله أنس بالله .

يقول الشيخ ابن عطاء الله السكندري : متى أوحشك من خلقه فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الأنس به .

(يقول الجنيد : ما اطيب الألفة والمؤانسة ، وما اوحش مقامات المخالفات والوحشة .

والأنس يطلق على انس خاص هو الأنس بالله ، وهو إلتذاذ الروح بكمال الجمال ، وهو من اثار مشاهدة الحضرة الالهية بالقلب وهو جمال الجلال .

وقيل الأنس ضد الهيبة فمن تظهر له عظمة الله يستشعر الهيبة ، ومن يسبق اليه جماله يستشعر الأنس ، واصحاب الهيبة مبتلون ، واصحاب الأنس مبتهجون .

وقيل الأنس ان تستأنس بالأذكار وتغيب عن رؤية الأغيار)[3]

ويقول الشيخ السري السقطي : الأنس : التذاذ الروح بكمال الجمال [4]

۞ الإنسان الكامل :

الحديث عن الإنسان الكامل حديث صعب ، صعب في تعريفه وصعب في تحديد مفهومه وصعب في تحديد من يُطلق عليه ... رغم ان لفظة الإنسانالكامل قديمة الإستعمال ، فقد وصلت الينا في كتابات عزيز الدين

---

[1] اللمع ٦٧

[2] الطبقات الكبرى ١/١٢٠

[3] الموسوعة الصوفية ص ٨١٢

[4] عوارف المعارف ص ٢٤٣

النسفي (القرن ٧هـ) و ((الإنسان الكامل)) لعبدالكريم الجيلي (القرن ٩هـ) .
وربما تتأتى صعوبة البحث وتحديد المعنى من صعوبة مفهوم الكامل ، فالكمال والتمام مفهومان متقاربان ظاهرياً ، وهما (وإن كان الضد والنقيض منهما واحداً وهو الناقص او النقصان) إلا انهما يتباعدان في جزئيات المعنى وأبعاده .
فحين نقول ان البناء قد تمَّ فذاك يعني اكتمال اجزائه ووجود جميع الأشياء اللّازمة لوجوده لكنه لا يعني بالضرورة بلوغه حالة الكمال ، ف «الكمال» درجات يُمكن أن يصل إليها الشيء بعد أن أصبح تامّاً ، وحين يقال إنّ فلاناً قد كَمُل عقله، فهو كان عاقلاً قبل ذاك ولكن عقله قد ارتفع الآن درجة.
لذلك، فإنَّ الإنسان الكامل معناه وجود إنسان تامّ في قبال إنسان لم يزل غير تامّ، لم يزل نصف إنسان، او بعض إنسان، ربما ربع إنسان، وربما أقل او أكثر، فهو ليس إنساناً تامّاً ..ومؤكد انه ليس انساناً كاملاً .

في الاصطلاح الصوفي :

تقول الدكتورة سعاد الحكيم في المعجم الصوفي :
((إن عبارة (الإنسان الكامل) مؤلفة من لفظين ، وقد سبق لنا إيضاح لفظة (إنسان) في فكر الشيخ ، أما (كامل) فليس لها أي معنى خلقي على الإطلاق بل تفيد :
١. تمام الشمولية للصفات كافة ، دون النظر إلى تصنيفها الخلقي من خير أو شر ، فللكمال هنا معنى وجودي ، أي وجود جميع الصفات الإلهية والكونية أو قابلية وجودها في الإنسان وليس خلقياً ، إذن إنسان كامل في وجوده
٢. كمال المعرفة بالنفس وبالله ، فالإنسان الكامل هو من أدرك في مرحلة من مراحل كشفه وحدته الذاتية بالحق ووصل من تحققه هذا إلى كمال المعرفة بنفسه وبالله ، إذن إنسان كامل في معرفته .
وتقول الدكتورة :

يجب أن ننبه هنا دفعاً لكل التباس إلى أن المقصود بالإنسان الكامل هو مُحَمَّد ، ولم يختلط على دارسي ابن عربي عبارة أكثر من هذه ؛ لأن ابن عربي نفسه يستعملها أحياناً للكلام على الحقيقة المحمدية ، وأحياناً ليعبر عن آدم أو عن الكامل من الرجال أمثال أبي يزيد وغيرهم .

إذن من هو الإنسان الكامل بين هؤلاء ؟

وهل تعني هذه العبارة جنساً يضم بين حناياه الكثير من الأفراد ؟ أم هي اسم لحقيقة واحدة متميزة ؟

إن الإنسان الكامل هو مُحَمَّدﷺ .

أو بعبارة أخرى : الحقيقة المحمدية ، ولكن هذه الحقيقة قطب يدور في فلكه دائماً كل طالب للكمال ، فلا يزال يدور ، أي يتحقق بالصفات المحمدية ، ويدور ... وفي دورانه يصغر قطر الدائرة ويصغر ، ويتحقق الطالب بوحدته الذاتية مع مركز الدائرة ، أي الحقيقة المحمدية ، وهنا في تحققه يطلق عليه اسم من تحقق به ، أي اسم الإنسان الكامل .

فعبارة (الإنسان الكامل) هي لصاحبها أي : مُحَمَّد ، ويصح أن نطلقها على المتحققين به الفانين ، لأنهم أصبحوا عينه (الصفاتية) ، فهي أصلاً لصاحبها الذي خلق إنساناً كاملاً ، وهي تحققاً لأكمل الرجال الذين جاهدوا في سلوك طريقها)) [1]

يرد الإنسان الكامل بمعنيين :

الإنسان الكامل ويقصد به رسول الله مُحَمَّد صلّى الله عليه وسلم كما ويطلق على نوابه وخلفائه صلى الله عليه وسلم الذين يستمدون منه أنوارهم ، وحين يتعلق الإصطلاح بالنبي مُحَمَّد ﷺ فذاك ما يقوله مباشرة الشيخ الأكبر ابن عربي في فتوحاته المكيّة :

---

[1] انظر المعجم الصوفي ص ١٦٠ – ١٦١

(فهو الإنسان الكامل الذي لا أكمل منه ، وهو مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم)[1]

و يقول الشيخ الأكبر ابن عربي ايضاً :

الإنسان الكامل : هو المختصر الشريف ، أوجد الله فيه جميع الأسماء الإلهية وحقائق ما خرج عنه في العالم الكبير المنفصل ، وجعله روحاً للعالم فسخر له العلو والسفل لكمال الصورة .

وبنفس التوجه يقول الشيخ عبد الكريم الجيلي :

(الإنسان الكامل : هو مُحَمَّد وأنه مقابل للحق والخلق ... والباقون من الأنبياء والأولياء الكمل صلوات الله عليهم ملحقون به لحوق الكامل بالأكمل ومنتسبون إليه انتساب الفاضل إلى الأفضل . ولكن مطلق لفظ الإنسان الكامل حيث وقع في مؤلفاتي إنما أريد به : مُحَمَّداً تأدباً لمقامه الأعلى ومحله الأكمل الأسنى ، ولي في هذه التسمية له إشارات وتنبيهات على مطلق مقام الإنسان الكامل لا يسوغ لإضافة تلك الإشارات ولا يجوز إسناد تلك العبارات إلا لاسم مُحَمَّد ، إذ هو الإنسان الكامل بالاتفاق ، وليس لأحد من الكمل ما له من الخلق والأخلاق) [2]

ويقول : (الإنسان الكامل : هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره ، وهو واحد منذ كان الوجود إلى أبد الآبدين ، ثم له تنوع في ملابس ويظهر في كنائس ، فيسمى به باعتبار لباس ولا يسمى به باعتبار لباس آخر . فإسمه الأصلي الذي هو مُحَمَّد ، وكنيته أبو القاسم ، ووصفه عبد الله ، ولقبه شمس الدين . ثم له باعتبار ملابس أخرى أسام وله في كل زمان إسم ما يليق بلباسه في ذلك الزمان) [3]

---

[1] الفتوحات المكية ١٨٦/٣

[2] الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل ٢ /٤٤

[3] الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل ٢ /٤٦

وكذا بقية شيوخ التصوف ، فالشيخ عبد الغني النابلسي يقول :

الإنسان الكامل : هو حضرة الرسول الأعظم ، والمخلوق الأول قبل خلق كل عالم وعامل [١]

ويقول الشيخ سعيد النورسي :

الإنسان الكامل : هو الرسول الأكرم والدليل الأعظم إلى الله ، قد أظهر جميع ما بيناه من كمالات الإنسان وقيمته ومهمته ومثله ، فأظهر تلك الكمالات في نفسه ، وفي دينه ، بأوضح صورة وأكملها ، مما يدلنا على : أن الكائنات مثلما خلقت لأجل الإنسان أي أنه المقصود الأعظم من خلقها والمنتخب منها ، فان أجل مقصود من خلق الإنسان أيضا وأفضل مصطفى منه ، بل أروع وأسطع مرآة للأحد إنما هو مُحَمَّد [٢]

وفي كتاب التعريفات : هو الجامع لجميع العوالم الإلهية والكونية الكلية والجزئية وهو كتاب جامع للكتب الإلهية والكونية فمن حيث روحه وعقله كتاب عقلي مسمى بأم الكتاب ومن حيث قلبه كتاب اللوح المحفوظ ومن حيث نفسه كتاب المحو والإثبات فهو الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة التي لا يمسها ولا يدرك أسرارها إلا المطهرون من الحجب الظلمانية فنسبة العقل الأول إلى العالم الكبير وحقائقه بعينها نسبة الروح الإنساني إلى البدن وقواه وإن النفس الكلية قلب العالم الكبير كما أن النفس الناطقة قلب الإنسان ولذلك يسمى العالم بالإنسان الكبير [٣]

أما اطلاق المصطلح على نوّابه صلّى الله عليه وسلم فهو ما عبّرَ عنه الدكتور أبو العلا عفيفي حين يقول :

---

[١] موسوعة الكسنزان ٢/٢٢٥ عن كوكب المباني

[٢] موسوعة الكسنزان ٢/٢٢٦

[٣] التعريفات ص ١٥

(الإنسان الكامل – في نظر الجيلي كما هو في نظر ابن عربي – : واحد منذ كان الوجود إلى أبد الآبدين ، لكنه يتنوع في الصور ويظهر في كل زمان في صورة صاحب ذلك الزمان ، ويتسمى بإسمه . أما إسمه الحقيقي فهو مُحَمَّد ، وكنيته أبو القاسم ، ووصفه عبد الله . ولكن المراد
به الحقيقة المحمدية على ما أوضحه ابن عربي) [1]

أما مرتبة الانسان الكامل : هي عبارة عن جميع المراتب الإلهية والكونية من العقول والنفوس الكلية والجزئية ومراتب الطبيعة إلى آخر تنزيلات الوجود وتسمى المرتبة العمائية أيضا فهي مضاهية للمرتبة الإلهية ولا فرق بينهما إلا بالربوبية ولذلك صار خليفة لله تعالى ، ومراتب رجال الله هي :

الأقطاب ، والغوث ، والأئمة ، والأوتاد ، والأبدال ، والأخيار ، والأبرار ، والنقباء ، والنجباء ، والعُمد ، والمكتومون [2]

۞ أهل الذوق :

الأهل: أَهْل الرجل عَشِيرتُه وذَوُو قُرْباه، والجمع أَهْلون وآهَالٌ وأَهَالٍ وأَهْلات وأَهَلات [3]

والذّوْقُ: مصدر ذاقَ الشيءَ ، وهو التعرف على طعم الشيء باللسان ومعرفة خواص الأجسام الطَّعْمِيَّة ، ومعرفة الطَّعْم الخاصّ بكُلٍّ مِن المآكِل أَو المشْروبات المخْتَلِفة. واللِّسان هو عُضْو الذَّوْق [4]

كما أن الذوق يطلق أيضاً في القرآن الكريم وفي لغة العرب على أشياء معنوية، فيتجاوز معناه معرفة طعم الأشياء بواسطة اللسان الى معنى يتجاوز اللسان

---

[1] موسوعة الكسنزان ٢/٢٣٣

[2] الموسوعة الصوفية ص ١٢٦٠

[3] لسان العرب ١١/٢٨

[4] انظر مختار الصحاح مادة ذوق

والمأكولات والمشروب .

فهذا الذوق قد يكون أحياناً تعبيراً عن الذوق الحسي للعذاب الحسي، وقد يكون معناه ذق مثلاً للإهانة ، أو ذق الخوف، أو ذق الجوع ، وهي أشياء لا تذاق باللسان، وإنما تذاق بحاسة أخرى وراء ذلك، كما يكون التذوق الحسّي للجمال وللخير وبما يُفرح ويسعد المتذوق ويشعره بالإستئناس وانبساط النفس . والأمر هنا يتجاوز التذوق والتعرف على الطعم باللسان بل يشمل حواس أبعد من ذلك مما يجعل واردات السعادة والفرح او الخوف والألم تقع في القلب .

وذلك كما في قوله تعالى:

﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [1]

﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ [2]

﴿ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ [3]

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴾ [4]

وجاء الذوق بمعنى تذوق الرحمة والخير في قوله تعالى﴿ولَئِنْ أَذَقْناهُ رَحمَةً مِنّا ﴾[5]

والذوق أيضاً : آدابُ السلوك التي تقتضي معرفة ما هو لائق أو مناسب في موقف اجتماعيّ معيّن . ومنه قولنا حَسَنُ الذوْق .

وفي السيرة النبوية :

عن عائشة –رضي الله عنها–، قالت: طلَّق رجل امرأَته ثلاثا، فَتَزوَّجها رجل، ثم طلَّقها قَبْل أن يَدْخُل بها، فَأَراد زوجها الأول أن يتزوَّجها، فسُئِل رسول الله صلى الله

---

[1] النحل:١١٢

[2] الدخان:٤٩

[3] النبأ:٣٠

[4] الطلاق:٩

[5] فصلت ٥٠

عليه وسلم عن ذلك، فقال: «لا، حتى يَذُوَق الآخرُ مِنْ عُسَيْلَتِها ما ذَاقَ الأوَّل»[1]

عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ، مَنْ رَضِيَ بِالله رَبًّا، وَبِالإِسْلامَ دِيناً، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً»[2]

وفي المصطلح الصوفي :

من يكون حكم تجلياته نازلا من مقام روحه و قلبه إلى مقام نفسه وقواه كأنه يجد ذلك حسا ويدركه ذوقا بل يلوح ذلك من وجوههم[3]

(واهل الذوق هم الصوفية عموماً ، وذوقهم نور في قلوبهم يميزون به بين الحق والباطل)[4]

يقول الشيخ أبو عبد الله الروذباري :

الذوق : هو أول المواجيد ، فأهل الغَيبة اذا شربوا طاشوا ، واهل الحضور اذا شربوا عاشوا [5]

يقول الشيخ الأكبر ابن عربي

الذوق : (الذوق عند القوم : هو أول مبادئ التجلي ، وهو حال يفجأ العبد في قلبه ، فإن أقام نفسين فصاعداً كان شربا) [6]

فيما يقول الشيخ كمال الدين القاشاني

---

[1] صحيح مسلم / كتاب النكاح باب لا تحل المطلقة ثلاثا لمطلقها حتى تنكح زوجا غيره ويطأها ثم يفارقها وتنقضي عدتها ١٠٥٧/٢

[2] صحيح مسلم (٣٤) وأخرجه الترمذي في "كتاب الإيمان" "باب من ذاق طعم الإيمان" حديث (٢٦٢٣)

[3] التعريفات ص ١٥

[4] الموسوعة الصوفية ص ٨١٤

[5] حلية الأولياء ٤١٥/١٠

[6] الفتوحات المكية ٥٤٨/٢

(الذوق : هو أول درجات شهود الحق بالحق في أثناء البوارق المتوالية عند أدنى لبث من التجلي البرقي ، فإذا زاد وبلغ أوسط مقام الشهود سمي شرباً ، فإذا بلغ النهاية سمي رياً ، وذلك بحسب صفاء السر عن لحظ الغير) [1]

ويرى الدكتور عبد المنعم الحفني ان :(الذوق : هو نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه ، يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا من كتاب أو غيره ، وهو كالشراب لكن الشراب لا يستعمل إلا الراحات ، والذوق يلائم الراحات والمتاعب . وأول التجليات الذوق ، ثم الشراب) [2]

الدكتور حسن الشرقاوي يقول : الذوق هو طريق الإيمان ، لأن الإيمان هو الذي يجمعه إلى الله وبالله[3]

۞ الأوتاد :

أوتاد: (اسم) وهي جمع وَتَد

(والوتد : ما رز في الحائط أو الأرض من الخشب ، والجمع أوتاد وأوْتَادُ الأرْضِ : جِبَالُهَا ، ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأرْضَ مِهَاداً وَالجِبالَ أوْتَاداً ﴾[4] أوْتَادُ البِلاَدِ هُمْ حُكَمَاؤُهَا : رُؤَسَاؤُها) [5]

وقوله تعالى ﴿وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾ ، (والأوتاد جمع وتد وهو معروف وقيل انه شبّه هنا فرعون في ثبات ملكه ورسوخ سلطته ببيت ثابت أقيم عماده وثبتت اوتاده تشبيهاً مضمراً في النفس على طريق الاستعارة المكنية ووصف بذي الأوتاد على سبيل التخييل ، فرعون الثابت ملكه وسلطته ، وقيل شبّه

---

[1] اصطلاحات الصوفية ص ١٦٢

[2] معجم مصطلحات الصوفية ص ١٠٤

[3] معجم الفاظ الصوفية ص ١٤٥

[4] النبأ آية ٧

[5] لسان العرب ١٤٦/١٥

الملك الثابت من حيث الثبات والرسوخ بذي الاوتاد وهو البيت المطنب بأوتاده) [1]

وفي شعر العرب :

الْبَيْت لَا يبتني إلاّ لَهُ عمدُ ... وَلَا عماد إذالم يرس أوتاد

ضَرَبَتْ دَوْسَرُ فِيهِ ضَرْبَةً ... أَثْبَتَتْ أَوْتادَ مُلْكٍ فاسْتَقَرْ

وفي الاصطلاح الصوفي :

أَوتادُ الصُّوفية : أَربعةُ رجال منازلهم على منازل أَربعة أركان من العالم : شرقيّ وغربيّ ، وشماليّ وجنوبيّ ، مع كل واحدٍ منهم مقام تلك الجهة [2]

(وقيل الأوتاد الأربعة يمثلون : عيسى ، وادريس ، وموسى ، والخضر ، عليهم السلام .

ولم يذكر الصوفية سبباً لاختيار أي من هؤلاء الأربعة لهذه المهمة .

والاوتاد اخص من الابدال ، لأن الابدال يتبدلون ويتقلبون في المقامات ، ولكن الأوتاد تثبت بهم اركان العالم كثبوت الخيمة بالاوتاد ، والقطب أخص اهل الغيب من شخوص الحكومة الباطنية)[3]

يقول الشيخ قضيب البان الموصلي :

الأوتاد : هم الذين تخرج أنفاسهم لله وترجع بالله ، فإذا خرجت لله أضاء الروح ، وإذا رجعت بالله أضاء السر ، فهو يتصرف بنورين ، بنور الروح ، وبنور السر ، فيكشف الظاهر بنور الروح ، ويكشف الباطن بنور السر [4]

والشيخ الأكبر ابن عربي

---

[1] روح المعاني ١٦٤/١٢

[2] التعريفات ص ١٥

[3] الموسوعة الصوفية ص ٨١٩

[4] موسوعة الكسنزان ١٤١/٢١

يقول : الأوتاد : عبارة عن أربعة رجال : منازلهم على منازل الأربعة الأركان من العالم ، شرق وغرب وشمال وجنوب ، مقام كل واحد منهم مقام تلك الجهة [١]

ويقول الشيخ احمد بن عجيبة :

الأوتاد هم الراسخون في معرفة الله ، وهم أربعة كأنهم أوتاد لأركان الكون الأربعة[٢]

۞ الإيمان :

إيمان مصدر آمنَ يؤمن

وفي اللغة : الإيمان : ضد الكفر . والإيمان : بمعنى التصديق ، ضده التكذيب . يقال : آمن به قوم وكذب به قوم [٣]

والإيمانُ شَرعاً : التصديق بالقَلْب ، والإقرار باللّسان .

وهو اصطلاحاً: الاعتقاد بالله وبمحمد رسول الله بالقلب ، والنطق به باللسان والعمل بما لا يناقض ذلك .

والإيمان يزيد وينقص: أي له منزلة في القلب تزيد وتنقص تبعا للفتن والابتلاءات [٤]

وفي التنزيل : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾[٥]

وفي السنّة الشريفة ورد الايمان في قوله ﷺ :

(افضل الايمان عند الله عز وجل إيمان لا شك فيه)[٦]

---

[١] مناقب الأبرار ٩٤/٢

[٢] موسوعة الكسنزان ١٤١/٢١

[٣] لسان العرب ١٦٤/١

[٤] المعجم: مصطلحات فقهية

[٥] الأنفال٢

[٦] مسند احمد ٥٧/٢ برقم ١٠٧٦٧

وقوله ﷺ حين سُئل اي الاعمال افضل (الايمان بالله والجهاد في سبيل الله)[1]

وقوله ﷺ (ثلاث من كن فيه ذاق حلاوة الايمان : من كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما ، ومن احب عبدا لا يحبه الا لله ، ومن يكره ان يعود في الكفر بعد ان انقذه الله كما يكره ان يلقى في النار) [2]

والايمان تصديق محله القلب، فلا يعلم حقيقته إلا الله .

والإيمان في الاصطلاح الصوفي :

(قول باللسان ومعرفة بالجنان وعمل بالأركان يقوى بالطاعة وينقص بالرياء والعصيان ويزداد بالعلم ويضعف بالجهل .فالإيمان قول وعمل ونيّة صادقة) [3]

يقول الحلاج رحمه الله تعالى :

(مَن إلتَمَسَ الحقَّ بنور الايمان ، كان كمن طلب الشمس بنور الكواكب) [4]

وقال بعض الصالحين : الايمان ان يكون الكل مستجيباً في الدعوة ، مع حذف خواطر الانصراف عن الله بسرك ، فتكون شاهداً لما له ، غائباً عما ليس له .

وقيل الايمان بالله مشاهدة الوهيته [5]

وقيل : (الاسلام ظاهر ، والايمان باطن ، والايمان تحقيق واعتقاد ، والاسلام خضوع وانقياد .

وحقائق الايمان الصوفي اربع :

توحيد بلا حد ، وذكر بلا بتّ ، وحال بلا نعت ، ووجد بلا وقت)[6]

---

[1] مسند احمد ٥٣١/٢ برقم ١٠٨٩١

[2] البخاري ١٦/١ برقم ٢١

[3] معجم الفاظ الصوفية ص ٦٢

[4] سير أعلام النبلاء ١٤ / ٣٢٦

[5] التعرف لمذهب اهل التصوف ص ٧٤

[6] الموسوعة الصوفية ص ٨٢٣

والشيخ الأكبر ابن عربي يقول :

(وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَ إِذَا خَلَوْا إِلىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ ، الايمان في هذا المقام على خمسة أقسام إيمان تقليد و إيمان علم و إيمان عين و إيمان حق و إيمان حقيقة فالتقليد للعوام و العلم لأصحاب الدليل و العين لأهل المشاهدة و الحق للعارفين و الحقيقة للواقفين و حقيقة الحقيقة و هو السادس للعلماء المرسلين أصلا و وراثة منع كشفها فلا سبيل إلى إيضاحها فكانت صفات الدعاوي إذا لقوا هؤلاء الخمسة قالوا آمنا فالقلب للعوام و سر القلب لأصحاب الدليل و الروح لأهل المشاهدة و سر الروح للعارفين و سر السر للواقفين و السر الأعظم لأهل الغيرة و الحجاب و المنافقون تعروا عن الايمان و انتظموا في الإسلام و إيمانهم ما جاوز خزانة خيالهم فاتخذوا أصناما في ذواتهم أقاموها مقام آلهتهم) [1]

۞ البارقة :

بارِقة: (اسم) والجمع : بَوارِقُ وهي مؤنث البارق ، برَقَ يَبرُق ، بَرْقًا وبَريقًا وبُروقًا ، فهو بارِق وهي بارقة

وفي اللغة : (البرق : واحد بروق السحاب . والبرق الذي يلمع في الغيم ، وجمعه بروق . وبرقت السماء تبرق برقا وأبرقت : جاءت ببرق)[2]

البارِقَةُ : بريق السلاح

ولاح سحاب بَارِق: يرسل بَرْقاً لامعاً ، وغيمة بارقة

وقيل في الأمثال : ما كل بارقة تجود بمائها : اي ما كل غيمة تبرق يمكن ان تجيء بالمطر والغيث .

(وفي شعر العرب قيل :

---

[1] الفتوحات المكية ١١٧/١

[2] لسان العرب ٦٧/٢

ويريكَ بارقةً فإما جئتَها ... ألفيتَها برقَ الظبا والأنصلِ) [1]

وفي الاصطلاح الصوفي :

البارقة : هي لائحة ترد من الجناب الأقدس وتنطفىء سريعا وهي من أوائل الكشف ومباديه [2]

ويقول الشيخ كمال الدين القاشاني :

البارقة : هي ما يلوح من التجلي ثم يروح ، ويسمى : اللائحة ، والخطرة

(ويقول الشيخ الأكبر :

البارق : هو التجلي الذاتي لعدم ثبوته .

ويقول الشيخ شهاب الدين السهروردي :

البوارق : هي أول ما يبتدئ أهل الطريق ، وهي أنوار خاطفة لذيذة سريعة الإنطواء سموها الطوالع واللوائح)[3]

۞ البدلاء :

بُدَلاءُ: (اسم) جمع بَديل ، المؤنث : بَديلة

ومعنى بديل في اللغة :

(والبَدِيل: البَدَل. وبَدَلُ الشيء: غَيْرُه. وبَدَله وبَدِيله : الخَلَف منه) [4]

والبديل : عِوَض أو خَلَف أو خيار [5]

وفي الاصطلاح الصوفي :

البَدِيلُ واحدُ الأبْدال عند الصوفيَّة [1]

---

[1] لسان العرب ٦٧/٢

[2] التعريفات ص ١٧ والموسوعة الصوفية ص ٨٢٨

[3] موسوعة الكسنزان ١٥٦/٣

[4] لسان العرب ٤٨/١١

[5] معجم اللغة العربية المعاصرة

(هم سبعة رجال من سافر من موضع ترك جسدا على صورته حيا بحياته ظاهرا بأعمال أصله بحيث لا يعرف أحد أنه فقد وذلك هو البدل لا غير وهو في تلبسه بالأجساد والصور على صورته يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة لكل إقليم فيه ولايته منهم واحد على قدم إبراهيم عليه السلام وله الإقليم الأول والثاني على قدم الكليم والثالث على قدم هارون والرابع على قدم إدريس والخامس على قدم يوسف والسادس على قدم عيسى والسابع على قدم آدم عليهم السلام على ترتيب الأقاليم) [٢]

يقول الشيخ الأكبر رضي الله عَنه :

(ومنهم رضي الله عَنهم اثنا عشر نفسا وهم البدلاء ما هم الأبدال وهم في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون وسموا بدلاء لأن الواحد منهم لو لم يوجد الباقون ناب منابهم وقام بما يقوم به جميعهم فكل واحد منهم في عين الجميع وما على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد ويلتبس على الناس أمرهم مع الأبدال من جهة الاسم ويشبهون النقباء من جهة العدد آيتهم من كتاب الله تعالى قول بلقيس (كَأَنَّهُ هُوَ) [٣] تعني عرشها وهو هو فما شبهته إلا بنفسه وعينه لا بغيره وإنما شوش عليها بعد المسافة المعتاد وبالعادات ضل جماعة من الناس في هذا الطريق [٤]

تقول د سعاد الحكيم :

مقام البدلية عند ابن عربي : هو مقام ذو مواصفات معينة تنطبق على عدد

---

[١] معجم المعاني الجامع

[٢] التعريفات ص ١٨

[٣] النمل ٤٢

[٤] الفتوحات المكية ١٥/٢

محدود من الرجال ، أربعون عند بعض وسبعة عند آخرون [1]

يقول الشيخ أبو طالب المكي :

الأبدال : من الموقنين ، ليسوا واقفين مع حفظ ، انما هم قائمون بحافظ [2]

ويقول الشيخ فرزاة الشامي :

الأبدال : هم من أكلهم فاقة ، ونومهم غلبة ، وكلامهم ضرورة ، وصمتهم حكمة ، وعلمهم قدرة [3]

۞ البرزخ :

(البرزخ: ما بين كل شيئين، وفي الصحاح: الحاجز بين الشيئين.

والبرزخ: ما بين الدنيا والآخرة قبل الحشر من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ. وفي حديث المبعث عن أبي سعيد: في برزخ ما بين الدنيا والآخرة، قال: البرزخ ما بين كل شيئين من حاجز،

وبَرازِخُ الإِيمانِ : ما بَيْنَ أَوَّلِهِ وأَخِرِهِ ، أو ما بين الشَّكِّ واليَقينِ)[4]

وفي الذكر الحكيم :

﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [5]

﴿وقوله تعالى : هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾

والبرزخ في الاصطلاح الصوفي :

(يمثل العالم المشهور بين عالم المعاني المجردة والأجسام المادية والعبادات

---

[1] المعجم الصوفي ص ١٨٩

[2] قوت القلوب ١٢١/١

[3] قوت القلوب ٣٩/١

[4] لسان العرب ٨/٣

[5] المؤمنون ٢٣

تتجسد بما يناسبها إذا وصل إليه وهو الخيال المنفصل وهو الحائل بين الشيئين ويعبر به عن عالم المثال أعني الحاجز من الأجسام الكثيفة وعالم الأرواح المجردة أعني الدنيا والآخرة البرزخ الجامع هو الحضرة الواحدية والتعين الأول الذي هو أصل البرازخ كلها فلهذا يسمى البرزخ الأول الأعظم والأكبر) [1]

(ان عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه وهو بين الدنيا والآخرة . وهذا البرزخ يشرف اهله على الدنيا والآخرة ، وسمي عذاب القبر ونعيمه وانه روضة او حفرة من حفر النار)[2]

(ويرى الشيخ محي الدين بن عربي : انه بعد ان اوجد الله تعالى العوامل اللطيفة والكثيفة ومهد المملكة وهيأ المرتبة الشريفة ، انزل في اول دورة العذراء (الخليقة) وذلك جعل سبحانه وتعالى مدتها في الدنيا سبع الاف سنة ، وتحل بنا في اخرها حالة فناء بين يوم وسنة فننتقل الى البرزخ الجامع للطرائق وتغلب فيه الحقائق الطيارة على جميع الحقائق فترجع الدولة للأرواح وخليفتها في ذلك الوقت طائر له ستمائة جناح وترى الأشباح في حكم التبع للأرواح ، فيتحول الانسان في أي صورة شاء لحقيقة صحت له عند البعث من القبور في الإنشاء)[3]

ويقول الشيخ عبد القادر الجزائري :

برزخ : هو حاجز معقول بين أي شيئين يفصل بينهما ، بحيث لا يختلط أحدهما بالآخر ولا يكون عينهما ولا غيرهما ، وفيه قوتهما معاً ، بمعنى : أنه لا يكون عين كل واحد من المتقابلين من كلتا وجهتيه ، بل له وجه الى هذا ووجه الى هذا ، مع انه لا يتجزأ ولا يتبعض ، ولا ينقسم يكون بين محسوسين ،

---

[1] التعريفات ص ١٨

[2] الروح ص ١٠٠

[3] معجم الفاظ الصوفية ص ٧١ عن الفتوحات المكية السفر الأول ص ٥٦

كالخط الفاصل بين الظل والشمس .

وقد يكون بين معقول ومحسوس ، وقد يكون بين موجود ومعدوم ، والبرزخ من حيث هو لا موجود ولا معدوم ، ولا مجهول ولا منفي ، ولا مثبت كالصور المدركة بالمرايا وفي كل جسم صقيل ، فإنك تعلم أنك ادركت شيئاً بوجه ، وتعلم انك ما ادركت شيئاً بوجه ، فأنت صادق ان قلت أدركت ، أو قلت ما أدركت ، وليس البرزخ غير الخيال فهو عينه [1]

وقال الشيخ عبد الكريم الجيلي : البرزخ : هو وجود ولكن غير تام ولا مستقل ، ولو كان تاماً او مستقلاً لكان دار إقامة مثل دار الدنيا والآخرة فهو في المثال كما نتصور تلك الشعلة واخضرارها بخضرة الزجاجة فتشكل لنا كما هي عليه ، ولكن في عالم الخيال [2]

۞ البصيرة :

بَصيرة: (اسم) والجمع : بَصائرُ و بِصَار

(البَصِيرة : عقيدة القلب..والبصيرة اسم لما اعتقد في القلب من الدين وتحقيق الأمر، وقيل: البصيرة الفطنة .

والبصر: العلم. وبصرت بالشئ: علمته، قال عز وجل:

بصرت بما لم يبصروا به. والبصير: العالم ، وقد بصر بصارة)[3]

والبَصِيرة كلُّ ما اتُّخِذ جُنَّةً كالدِّرع والتُّرس وغيرهما [4]

والبَصِيرة الحُجَّة والدليل لقوله تعالى ﴿بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾ [5]

---

[1] موسوعة الكسنزان ١٣٥/٣

[2] الانسان الكامل للجيلي ٥٤/٢

[3] لسان العرب ٦٥/٤

[4] معجم المعاني الجامع والمعجم الوسيط

[5] القيامة ١٤

والبصيرة : البيّنة، الحقّ واليقين ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ [1] وهي العِبْرة ، والعِظة ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾ [2]

وفي الاصطلاح الصوفي :

تعرف البصيرة على انها : قوة باطنة هى للقلب كعين الرأس ، ويقال هى عين القلب عندما ينكشف حجابه ، فيشاهد بها بواطن الأمور ، كما يشاهد عين الرأس ظواهرها ، ولهذا قالوا : البصيرة ما يخلص من الحيرة [3]

ووردت عندهم أيضا على معنى التحقق من الشئ ، وزيادة اليقين وتوكيده كالتحقق من الدعوة إلى المتابع للكتاب والسنة واتباع الوحى ، يقول الجنيد بن مُحَمَّد : (الطرق كلها مسدودة ، إلا على المقتفين آثار النبى ﷺ ، لقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي ﴾ [4]

ويعرف السراج البصيرة ، بألا يشهد الصوفى لنفسه ولا يرى نفسه ، فيستقطعه بشواهده ، ويوقن أنه ليس إلى نفسه شئ من الهداية وأنه لا يملك ضرا ولا نفعا ، إلا أن يتولى الله تعالى ذلك [5]

ويقاربه أيضا قول القشيرى:

البصيرة اليقين الذى لا مرية فيه ، والبيان الذى لا شك فيه ، والبصيرة يكون صاحبها ملاحظا بالتوفيق جهدا ومكاشفا ، بالتحقق سرا .

(والبصيرة : قوة للقلب منورة بنور القدس ، منكشف حجابها بهداية الحق ، تُرى بها حقائق الأشياء وبواطنها ، وتسمى القوة القدسية ، بمثابة البصر للنفس

---

[1] يوسف ١٠٨

[2] الأنعام ١٠٤

[3] معجم الكاشانى ص٦٤

[4] سورة يوسف ١٠٨

[5] اللمع ص١٥٣

الذي ترى به صور الأشياء وظواهرها)[1]

ويقول الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس سره :

(البصيرة : من عين الروح تفتح في مقام الفؤاد للأولياء ، ولذلك لا تحصل بعلم الظاهر ، بل بعلم اللدن الباطن ، كما قال الله تعالى : ﴿وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْماً ﴾[2] فالواجب على الإنسان تحصيل تلك العين على أهل البصائر بأخذ التلقين من ولي مرشد مخبر من عالم اللاهوت » .و يرى أن البصيرة لها معنيان : الأول : الولاية الكاملة ، وقد استنبطها من قوله تعالى : أَدْعو إِلى اللَّهِ عَلى بَصيرَةٍ أَنا وَمَنِ اتَّبَعَني فيقول : « على البصيرة أنا ومن اتبعني : وهو إشارة إلى الوارث الكامل المرشد ، أي الإرشاد من بعدي لمن له بصيرة باطنة مثل بصيرتي من وجه ، والمراد منه الولاية الكاملة ، كما أشار إليه بقوله سبحانه وتعالى : ﴿وَلِيّاً مُرْشِداً ﴾[3])[4]

والشيخ ابن عربي يقول عن البصيرة :

(هي إدراك البصر في الباطن أو إدراك المعاني .

والبصيرة : إعطاء البصر حقه في حكمه وسائر الحواس ، وإعطاء العقل حكمه وسائر القوى المعنوية ، وإعطاء النسب الإلهية والفتح الإلهي حكمهم ، وهي التي نزل القرآن بها في قوله تعالى : أَدْعو إِلى اللَّهِ عَلى بَصيرَةٍ أَنا وَمَنِ اتَّبَعَني .

كما ويقول إن : « البصيرة : هي الكشف »)[5]

---

[1] الموسوعة الصوفية ص ٨٣٧ و التعريفات ص ١٩

[2] الكهف ٦٥

[3] الكهف ١٧

[4] موسوعة الكسنزان ٢٥٠/٣

[5] موسوعة الكسنزان ٢٥١/٣

۞ البعد

البعد : ضد القرب وليس لهما حد ممدود ، وإنما ذلك بحسب اعتبار المكان بغيره ويستعمل البعد على انواع [١] :

١ .البعد في المعنويات : وقد تكررت في مواضع كثيرة مثل الضلال البعيد ، شقاق بعيد ...

كما في قوله تعالى :

﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾[٢]

﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً ﴾[٣]

٢ .البعد فى المحسوس كقوله تعالى:

﴿ أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [٤]،

وقوله سبحانه : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَالَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴾[٥]

٣ .وتستعمل بعيد للدلالة على الزمان ،كما في قوله تعالى :

﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴾ [٦]

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾[٧]

﴾[٧]

---

[١] المفردات ص٥٣

[٢] البقرة١٧٦

[٣] النساء٦٠

[٤] فصلت/٤٤

[٥] الزخرف٣٨

[٦] الأنبياء١٠٩

[٧] النمل٢٢

والبعيد هنا للزمان حيث ورد في تفسير روح المعاني (بعيد) صفة زمان والكلام لمقدر كأنه قيل : ما مضى من غيبته بعد التهديد ؟ فقيل : مكث غير بعيد أي زماناً غير مديد [1]

وفي الحديث النبوي جاءت كلمة بعيد بذات المعنى كما في قوله صلى الله عليه وسلم عن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال :

(السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار ، والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار)[2]

ومن حديث أسيد ان رسول الله ﷺ قال :اذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وابشاركم وترون انه منكم قريب فأنا اولاكم به ، واذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم وتنفر منه اشعاركم وابشاركم وترون انه منكم بعيد فأنا ابعدكم منه) [3]

وكما في حديث البراء رضي الله عنه قال كنا يوم الحديبية اربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها حتى لم نترك فيها قطرة فجلس النبي ﷺ على شفير البئر فدعا بماء فمضمض ومج في البئر ، فمكثنا غير بعيد ، ثم استقينا حتى روينا وروت او صدرت ركائبنا [4]

البعد فى الاصطلاح الصوفى :

والبعد فى الاصطلاح الصوفى ، يذكر على معنى البعد عن الله ، ويضاده القرب ، كما روى عن أبى حفص النيسابورى ، أنه قال :

(التصوف كله آداب ، لكل وقت أدب ، ولكل مقام أدب ، فمن لزم آداب

---

[1] روح المعاني ١٠/ ١٨١

[2] سنن الترمذي ٣٤٢/٤

[3] صحيح ابن حبان ٢٦٤/١

[4] البخاري ١٣١١/٣ برقم ٣٣٨٤

الأوقات ، بلغ مبلغ الرجال ، ومن ضيع الآداب ، فهو بعيد من حيث يظن القرب ، ومردود من حيث يرجو القبول) [١].

ويرى الصوفية الرياء بعداً وتجريد التوحيد الإخلاص قربا ، ويروى أن أبا الحسين النورى رأى بعض أصحاب أبى حمزة ، فقال : أنت من أصحاب أبى حمزة الذى يشير إلى القرب ؟ ، إذا لقيته فقل له : (إن أبا الحسين النورى يقرئك السلام ويقول لك : قرب القرب فيما نحن فيه بعد البعد) [٢] .

ومثل هذه المعانى لها أصولها القرآنية ، وربما كان اعتمادهم فى شرح المعنى على الشاهد النبوى ، كقول أبي القاسم القشيرى:

(البعد هو التدنس بمخالفته تعالى ، والتجافى عن طاعته ، فأول البعد بعد عن التوفيق ، ثم بعد عن التحقيق ، بل البعد عن التوفيق فى الحقيقة هو بعد عن التحقيق ، قال ﷺ : " وما تقرب إليَّ المتقربون بمثل آداء ما افترضتهم عليهم ، ولا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى يحبنى وأحبه ، فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ، فبى يبصر وبى يسمع " [٣] ،

والمعنى المشار إليه فى الحديث وإن كان فى القرب ، إلا أنه صحيح فى مصطلح البعد بمفهوم المخالفة ، ويتوافق أيضا مع الأصول القرآنية .

ويذكر الكاشانى فى تفسيره ، معنى الإقامة على المخالفات ، أن المخالفة من أحكام ما به الافتراق ، والطاعة من أحكام ما به الاجتماع ، والبعد افتراق والقرب اجتماع ، وعلى ذلك يتنوع معنى البعد ، فقد يكون البعد باعتبار النعوت الذاتية ، كافتراق الأشياء وتحيزها بالحدود الذاتية ، وهذا هو البعد

---

[١] طبقات الصوفية ص١١٩

[٢] الرسالة القشيرية ١/٢٦٠

[٣] الرسالة القشيرية١/٢٥٧

الأبعد ، ومن ذلك قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ) [1]، إذ لا جامع بين ذات الغنى بالذات ، وبين الذوات المفتقرة بالذات ، وقد يكون بالنعوت العرضية ، كالمكان والزمان ، والمقدار والألوان ، وقد يكون البعد منك فلا يزول هذا البعد ، إلا من باب دع نفسك وتعالى ، فإن من ترك نفسه بعد عنها ، وتركها إنما هو بترك أوصافها وأخلاقها المبعدة إياها عن مقصدها ، ولا يترك أوصافها وأخلاقها إلا عند اتصافها وتخلقها بالأخلاق الإلهية وصفاتها [2]

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي :

البعد : الإقامة على المخالفات ، وقد يكون البعد منك ، ويختلف باختلاف الأحوال ، فيدل على ما يراد به قرائن الأحوال وكذلك القرب [3]

۞ البلاء

(بلا : بلوت الرجل بلوا وبلاء وابتليته : اختبرته ، وبلاه يبلوه بلواً : إذا جربه واختبره . وأبلى بمعنى أخبر . وابتلاه الله : امتحنه ، وفي حديث حذيفة : لا أبلي أحداً بعدك أبداً .

وقد ابتليته فأبلاني أي استخبرته فأخبرني . وفي حديث أم سلمة : إن من أصحابي من لا يراني بعد أن فارقني ، فقال لها عمر : بالله أمنهم أنا ؟ قالت : لا ولن أبلي أحدا بعدك أي لا أخبر بعدك أحدا)[4]

وقد ورد البلاء في الذكر الحكيم بمعنى الإختبار كما في قوله تعالى :

(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ) [5]

---

[1] العنكبوت/٦

[2] اصطلاحات الصوفية ص٢٢٠

[3] اصطلاحات الصوفية ص ٧

[4] لسان العرب ١٥٢/٢

[5] مُحَمَّد/٣١

والبلاء يكون في الخير والشر . يقال : ابتليته بلاء حسنا وبلاء سيئا ، والله تعالى يبلي العبد بلاء حسناً ويبليه بلاء سيئا والجمع البلايا

﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [1]

وقوله تعالى : ﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِي وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِي﴾ [2]

وفي الحديث :

اللهم لا تبلنا إلا بالتي هي أحسن ، والاسم البلاء أي لا تمتحنا [3]

وأبلي بمعنى خرق الثياب ورقعها ، وأخلقت الثوب أخرجت باليه ولفقته .

ومنه حديث ام خالد بنت خالد حيث قالت :

أُتِيَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بثِيابٍ فيها خَمِيصَةٌ سَوْداءُ، قالَ: مَن تَرَوْنَ نَكْسُوها هذِه الخَمِيصَةَ فَأُسْكِتَ القَوْمُ، قالَ: ائْتُونِي بأُمِّ خالِدٍ فَأُتِيَ بي النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فألْبَسَنِيها بيَدِهِ، وقالَ: أبْلِي وأَخْلِقِي مَرَّتَيْنِ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ إلى عَلَمِ الخَمِيصَةِ ويُشِيرُ بيَدِهِ إلَيَّ ويقولُ: يا أُمَّ خالِدٍ هذا سَنا ويا أُمَّ خالِدٍ هذا سَنا والسَّنا بلِسانِ الحَبَشِيَّةِ الحَسَنُ قالَ إسْحاقُ: حَدَّثَتْنِي امْرَأَةٌ مِن أهْلِي: أنَّها رَأَتْهُ علَى أُمِّ خالِدٍ [4]

(أبلي وأخلقي) : كلام معروف عند العرب معناه الدعاء بطول البقاء

والبلاء فى الاصطلاح الصوفى :

---

[1] الأنبياء٣٥

[2] الفجر/١٥:١٦

[3] لسان العرب ١٥٢/٢

[4] البخاري ٢١٩٨/٥ برقم ٥٨٤٥ والحاكم برقم ٢٣٦٧ والبيهقي ٦٢٨٩

البلاء فى الاصطلاح الصوفى ، يرد على معنى الاختبار والامتحان .

وروى عن سهل بن عبد الله التسترى، أنه قال :

(البلوى من الله على وجهين : بلوى رحمة ، وبلوى عقوبة ، فبلوى الرحمة يبعث صاحبه على إظهار فقره إلى الله وترك التدبير ، وبلوى العقوبة يبعث صاحبه على اختياره وتدبيره) [١]

وعلى الوتيرة نفسها ، يبين السراج الطوسى معنى البلاء من مفهوم قرآنى محض ، ويدلل عليه بشاهد نبوى ، فيقول : (البلاء ظهور امتحان الحق لعبده فى حقيقة حاله بالابتلاء ، وهو ما ينزل به من التعذيب ، وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " نحن معشر الأنبياء أشد الناس بلاء [٢]

قول الشيخ الأكبر إبن عربي ﷺ :

البلاء : هو سوط من سياط الله ، يسوق به عباده اليه ، لتصفيتهم عن صفات نفوسهم وإظهار ما فيهم من الكمالات ، وانقطاعهم عنده من الخلق ، ومن النفس الى الحق ، ولهذا كان متوكلاً بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل [٣]

ويرى الغوث عبد القادر الكيلاني قدس سره : أنه لولا الابتلاء والاختبار لادعى الولاية خلق كثير ولذلك قال بعضهم : وُكِّل البلاء بالولاية كي لا تدعى ، وأن علامة الصحة في الولاية ، الصبر على الأذى ، والتجاوز عن أذى الخلق ، فالأولياء يتعامون عما يرون من الخلق ، فلا يضحك في وجه الفاسق إلا العارف بالله ولا يتحمل إذاه ولا يقدر عليه إلا الأولياء [٤]

تاج :

---

[١] طبقات الصوفية ص٢١٠ – ٢١١

[٢] اللمع ص٤٢٩

[٣] موسوعة الكسنزان ٣٦٣/٣ عن تفسير ابن عربي

[٤] معجم ألفاظ الصوفية ص ٢٠

تاج: (اسم) وجمعه : تِيجَانٌ ، و أَتواجٌ

التَّاجُ ما يوضع على رءُوس الملوكِ كطوق يتوّج به الرأس .

وقد يطلق على اعلى الأشياء ،

(التاج معروف.والإِكْلِيلُ والقُصَّةُ والعِمامةُ تاجٌ على التشبيه والعربُ تسمي العمائمَ التاجَ وفي الحديث العمائمُ تِيجانُ العربِ وهو ما يصاغ للملوك من الذهب والجوهر أَراد أَن العمائم للعرب بمنزلة التيجان للملوك والأَكاليلُ تيجان ملوك العجم والتاجُ الإِكليلُ)[1]

وفي الاصطلاح الصوفي:

التاج هو : عبارة عن عدم التناهي واشارة الى ماهية الذات التي لا نهاية لها [2]

ويقول الشيخ عبد الكريم الجيلي :

التاج : هو عبارة عن عدم التناهي في المكانة والمحتد وما يقتضيه لذاته ، فإن كل شيء من صفاته لا يتناهى [3]

ويقول الشيخ مُحَمَّد بهاء الدين البيطار :

(التاج : هو صَلى الله عليه وسلم لأنه زينة الله تعالى في المملكة الإلهية ، كما ان التاج زينة الملك في مملكته .

ويقول القاضي عياض :

المراد بالتاج العمامة ولم تكن حينئذ إلا للعرب ، والعمائم تيجان العرب)[4]

۞ تاج الملك :

(علامة الملك وتتويج الكتاب السلطاني خط السلطان فيه .

---

[1] لسان العرب باب توج

[2] معجم مصطلحات الصوفية ص ٤٠ والموسوعة الصوفية ص ٨٥٢

[3] الإنسان الكامل ٣/٢

[4] موسوعة الكسنزان ١٠٩/٤

والوجود كتاب مرقوم يشهده المقربون ويجهله من ليس بمقرب ، وتتويج هذا الكتاب انما يكون بمن جمع الحقائق كلها ، وهي علامة موجودة .

فالإنسان الكامل الذي يدل بذاته من اول البديهة على ربه هو : تاج الملك خُصّ بعلم الأسماء كلها وبجوامع الكلم) [1]

۞ التجلي :

تجلّى : ظهر وبان [2]

والتجلي : الظهور ، يقال : أجليت الأمر بينته وأظهرته ، ومن حديث عبد الله بن عباس ﷺ قال : خسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ ، فصلى رسول الله ﷺ والناس معه ..

ثم انصرف ، وقد تجلت الشمس [3]

وفي الذكر الحكيم يقول الله تعالى :

فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا [4]

يقول الشيخ الآلوسي في تفسيره روح المعاني جليته فتجلى؛ أي: أظهرته فظهر [5]

وفي الاصطلاح الصوفي :

(هو ما ينكشف عن القلوب من أنوار الغيوب ، وإنما جمع الغيوب باعتبار تعدد موارد التجلي فإن لكل اسم إلهي بحسب حيطته ووجوهه تجليات متنوعة. وأمهات الغيوب التي تظهر التجليات من بطائنها سبعة غيب الحق وحقائقه وغيب الخفاء المنفصل من الغيب المطلق بالتمييز الأخفى في حضرة أو أدنى

---

[1] الفتوحات المكية ٣ / ١٠٤ المعجم الصوفي ٢٤٣

[2] لسان العرب ١٨٨/٣

[3] أخرجه البخارى ٢٠٩/٩ برقم ٥١٩٧

[4] الاعراف ١٤٣

[5] روح المعاني ٥ / ٤٣

وغيب السر المنفصل من الغيب الإلهي بالتمييز الخفي في حضرة قاب قوسين وغيب الروح وهو حضرة السر الوجودي المنفصل بالتمييز الأخفى والخفي في التابع الأمري وغيب القلب وهو موقع تعانق الروح والنفس ومحل استيلاد السر الوجودي ومنصة استجلائه في كسوة أحدية جمع الكمال وعيب النفس وهو أنس المناظرة وغيب اللطائف البدنية وهي مطارح أنظاره لكشف ما يحق له جمعا وتفصيلا) [1]

وينسب لأبى الحسين النورى قوله فى مصطلح التجلى :

(تجلى لخلقه بخلقه ، واستتر عن خلقه بخلقه ، فبتجليه حسنت المحاسن وجملت ، وباستتاره قبحت وسمجت) [2]،

ويذكر الهجويرى أن التجلى هو ما يسطع من الأنوار الربانية على قلوب المقبلين ، التى بها يتمكنون من رؤية الله تعالى بقلوبهم .

ويذكر السهروردي في عوارفه انه : (قد يكون التجلّي بطريق الأفعال، وقد يكون بطريق الصفات، وقد يكون بطريق الذات) [3]

وينقل الشعراني عن أبي المواهب الشاذلي أنه كان يقول: (إذا ما تجلى الحق من غيب ذاته... تلاشى وجود الغير حقاً بلا شك) [4]

(رؤية اهل التجلي لله تكون بقلوبهم وهي رؤية ليست عيانية .

وقيل التجلي اشراق انوار الحق على قلوب المقبلين عليه)[5]

۞ التحقق :

---

[1] التعريفات ص ٢١

[2] اللمع ص٤٣٩

[3] عوارف المعارف ٥٢٦

[4] الطبقات الكبرى٢ /٧١

[5] الموسوعة الصوفية ص ٨٥٤

الحق : نقيض الباطل

تَحقُّق : صَحَّ وثَبَت، ووقع وصار حَقًّا [1]

وفي الاصطلاح الصوفي :

وقوف القلب بدوام الانتصاب بين يدي من آمن به [2]

وقال الشيخ احمد زروق : التحقق هو محاولة تحقيق صفاته جَلَّ جلاله بالسلوك طبقاً لمعنى الاسم بطريقة مناسبة في الظرف المناسب [3]

أما الشيخ كمال الدين القاشاني فيقول :

التحقق : هو شهود الحق في صور أسمائه التي هي الأكوان فلا يحتجب المحقق بالحق عن الخلق ولا بالحق عن الخلق [4]

(فالتحقق : هو الوصول إلى المقصد الأسنى المشع عن شمس التوحيد ، وهي عين الحقيقة . فهاهنا وصل الغزالي واستراح ، ثم باشر إعداد مؤلفاته في حقيقة التوحيد ، كما ضمنها في الإحياء والمقصد الأسنى وجواهر القران والرسالة اللدنية وغير ذلك .

فالتحقق للواصلين ، هو من إختصاص أهل الله وهم أهل الذوق . فلا فيلسوف ولا حكيم ولا فقيه ولا مشرع له نصيب في هذا المجال العالي في حضرة الجناب العالي)[5]

۞ التداني :

تدانَى: (فعل) تدانى يتدانَى ، تَدانَ ، تدانيًا ، فهو متدانٍ

---

[1] معجم الغني باب حقق

[2] معجم مصطلحات الصوفية ص ٤٣ والموسوعة الصوفية ص ٨٥٥

[3] موسوعة الكسنزان ٧٠/٥

[4] اصطلاحات الصوفية ص ١٥٦

[5] موسوعة الكسنزان ٤٤٨/٦

ودنا الشيء من الشيء دنوا ودناوة : قرب . وفي حديث الإيمان : ادنه ; هو أمر بالدنو والقرب ، وبينهما دناوة أي قرابة . والدناوة : القرابة والقربى . ويقال : ما تزداد منا إلا قربا ودناوة [1]

وفي الذكر الحكيم وردت الكلمة بمشتقاتها (١٨) مرة .

ومنها قوله تعالى : ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [2]

وفي السنة الشريفة :

من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عَنه :

نَزَلَ أَهْلُ قُرَيْظَةَ علَى حُكْمِ سَعْدِ بنِ مُعَاذٍ، فأرْسَلَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ إلى سَعْدٍ، فأتَاهُ علَى حِمَارٍ، فَلَمَّا دَنَا قَرِيبًا مِنَ المسْجِدِ، قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ لِلأَنْصَارِ: قُومُوا إلى سَيِّدِكُمْ، أَوْ خَيْرِكُمْ، ..... [3]

وفي الاصطلاح الصوفي

(التداني في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [4]

هو القرب وهو معراج المقربين ، ومعراجهم الغائي بالإصالة ، أي بدون وراثة ، ينتهي الى حضرة (قاب قوسين) وبحكم الوراثة المحمدية ينتهي إلى حضرة (أو أدنى) وهذه الحضرة هي مبدأ رقيقة التداني .

والدنو يكون بما يودع في العبد من لطائف المعرفة وزوائدها .

والدنو : دنو كرامات لا دنو مسافات) [5]

والتداني عند الشيخ الأكبر ابن عربي ﷺ :

---

[1] لسان العرب ١١٣/٥

[2] النجم ٨ – ٩

[3] أخرجه البخاري (٤١٢٢)، ومسلم (١٧٦٩)

[4] النجم ٨–٩

[5] الموسوعة الصوفية ٨٥٦ والتعريفات ص ٥٧

هو معراج المقربين الى التدلّي [1]

التسليم :

التسليم مصدر سلَّمَ ، السَّلامُ والسَّلامَةُ البراءة تَسَلَّمَ منه تَبَرَّأَ ، والتَّسْلِيمُ: مُشْتَقٌّ مِنَ السَّلام اسْمِ اللَّه تَعَالَى لِسَلَامَتِهِ مِنَ الْعَيْبِ وَالنَّقْصِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَن اللَّه مُطَّلِعٌ عَلَيْكُمْ فَلَا تَغْفُلوا، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ اسْمُ السَّلامِ عليكَ، إِذ كَانَ اسْمُ اللَّه تَعَالَى يُذْكَرُ عَلَى الأَعمال تَوَقُّعاً لِاجْتِمَاعِ مَعَانِي الْخَيْرَاتِ فِيهِ، وَانْتِفَاءِ عَوارض الْفَسَادِ عَنْهُ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ سَلِمْتَ مِنِّي فَاجْعَلْنِي أَسْلَمُ مِنْكَ مِنَ السَّلامة بِمَعْنَى السَّلام. وَيُقَالُ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ، وسَلامٌ عَلَيْكُمْ، وسَلامٌ، بِحَذْفِ عَلَيْكُمْ، وَلَمْ يَرِدْ فِي الْقُرْآنِ غَالِبًا إِلَّا مُنَكَّراً كَقَوْلِهِ تَعَالَى: سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ [2]

والتسليم في القران الكريم يطلق على عدة معان :

١- تسليم للأمر الشرعى والتدبير النبوى ، ومنه قوله تعالى : فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا [3]

٢- التسليم بمعنى التحية وإلقاء السلام ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [4]

٣- تسليم للأمر الإلهى الكونى ، ومسلك العبد فيه الرضا بالقضاء والقدر ، فإنه واقع لا محالة ، لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [5]

---

[1] الفتوحات المكية ١٣٠/٢

[2] لسان العرب ٢٩٠/١٢

[3] النساء/٦٥

[4] الأحزاب/٥٦

[5] آل عمران/٨٣

وفي السنّة النبوية الشريفة ورد التسليم في حديث :

عن أبي سعيد الخدري قال : " قلنا يا رسول الله ، هذا التسليم ، فكيف نصلي عليك ؟ ، قال : قولوا اللَّهم صل على مُحَمَّد ، عبدك ورسولك ، كما صليت على آل إبراهيم .. [1]

وفي حديث : مفتاح الصلاة الطهور ، وتحريمها التكبير ، وتحليلها التسليم [2]

وفي الاصطلاح الصوفي :

التسليم فى الاصطلاح الصوفى ، ورد على معني الرضا بالقضاء والقدر ، كما نسب إلى الحارث بن أسد المحاسبى أنه قال :

(التسليم هو الثبوت عند نزول البلاء ، من غير تغير منه فى الظاهر والباطن)[3] ، وقال أيضا أن التسليم (هو استقبال القضاء بالرضا ، والانقياد لأمر الله ، وترك الاعتراض)[4]

وكلامة يوافق الأصول القرآنية والنبوية وتحتمله الأدلة ،

اما الكاشانى فيتحدث عن التسليم في كل حالات السالك :

(التسليم صورته في البدايات : تسليم الأحكام الشرعية بلا اعتراض عليها ولا طلب لعلتها .

وفي الأبواب : استسلام القوى لها ، والاذعان لمقتضاها ، بلا نزاع ولا كره .

---

[1] البخارى فى التفسير ٣٩٢/٨ برقم ٤٧٩٨

[2] الترمذى فى كتاب الطهارة ٨/١ وأبو داود ١٦/١ يرقم ٦١ ، والدارقطنى فى سننه ٣٥٩/١ برقم ١ والحاكم فى المستدرك ١/ ٤٥٧

[3] طبقات الصوفية ص٥٩

[4] التعريفات للجرجانى ص٥٩

وفي المعاملات : الاذعان لما يثبت النفس على خلاف مقتضى طباعها من الصبر مكان الطيش والإيثار مكان الشح ويلزمها العدالة والتوسط ، ويردعها عن طرفي الإفراط والتفريط في الخلق .

وفي الأصول : تسليم القصد الى الكشف لقوة الأنس .

وفي الأحوال : تسليم العلم الى الحق ليقوى الحب ويشتد الجذب .

وفي الولايات : تسليم الرسم الى الحقيقة ، والانخلاع عن صفات الخليقة .

وفي الحقائق : تسليم المعاينة الى المعاين ، والحياة الى الحي بالذات .

وفي النهايات : تسليم ما دون الحق الى الحق مع السلامة في رؤية التسليم بمناسبة تسليم الحق اياك اليه) [1]

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي :

التسليم : (التسليم الحق ، هو أن تجد نفسك مسلمة إلى الحق ، وأنه ما سلمها إلى الحق إلا الحق ، وقد تسلم من دعوى التسليم له ، فيما شرع من الحكم ، وقضى من الأحكام ، بمعاينتك تسليم الحق إياك إليه) [2]

ويقول الشيخ القشيري :

التسليم : حال من أحوال التوكل ، فوق القناعة وسكون القلب ، حيث يكتفي بعلم أن الله تعالى يعلم حاله فيشتغل بما أمره الله ، ويعمل على طاعته ولا يراعي انجاز ما وعده ، كما في حال سكون القلب ، بل يكلُّ أمره الى الله [3]

۞ التفكر:

والتفكر تجربة باطنيّة تنصب على النشاط الذهنيّ الداخليّ ؛ فهو معرفة تكون فيها الذات العارفة والموضوع المعروف شيئًا واحدًا [1]

---

[1] معجم اصطلاحات الصوفية ص ٢٤٣

[2] الفتوحات المكية ٣٨١/٢

[3] موسوعة الكسنزان ٢٨٦/١١

جاءتْ مادَّة (فكر) في معجم لسان العرب بمعنى إعْمال الخاطر في الشَّيء[٢] ، و:الفِكرُ مقلوبٌ عن الفرك، لكن يستعمل الفِكرُ في الأمور المعنويَّة، وهو فركُ الأمور وبحثُها للوصول إلى حقيقتها [٣]

وقد وردت مادة (فكر) في القرآن الكريم في نحو عشرين موضعًا ، ولكنَّها بصيغة الفعل، ولم ترد بصيغة الاسم أو المصدر؛ قال تعالى:

(إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ)[٤] ، وقال تعالى: (أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ) [٥] أي : أفلا تتفكرون في آيات الله؛ لتبصروا الحق فتؤمنوا به [٦].

وكذا في بقية الآيات .

أمَّا من الناحية الاصطِلاحيَّة:

ورد عند الرَّاغب الأصفهاني بأنَّه: "قوَّة مطردة للعلم إلى معلوم، وجوَلان تلك القوَّة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يمكن أن يُقال إلاَّ فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلْب" [٧].

فالفكر إمَّا أن يراد به الكيفيَّة التي يدرك بها الإنسان حقائق الأمور التي أعمل فيها عقله، فيكون الفكر عندئذٍ بمثابة الأداة أو الآليَّة في عمليَّة التَّفكير، وما يلحق بها من طاقات وقوى وملكات عقليَّة ونفسيَّة.

وإمَّا أن يراد به ما نتج عن ذلك من تصوُّرات وأحكام ورؤًى حول القضايا

---

[١] معجم المعاني الجامع

[٢] لسان العرب،: مادة (فكر)

[٣] انظر المعجم الوسيط: الجزء الثاني مادة (فكر). ص٦٩٨

[٤] سورة المدثر:١٨

[٥] سورة الأنعام:٥٠

[٦] التفسير الميسر ١ / ١٣٣

[٧] مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني مادة (فكر) ، ص ٨٣، ٦٤٣

المطروحة، ثمَّ تتَّسع دائرة مفهوم الفِكْر أو تضيق تبعًا لمنطلقات المحدّد لمفهوم الفكر، فإذا اتَّسع مفهوم الفكْر اشتمل على المؤروث الفكْري للإنسان في جَميع ميادين المعْرِفة والعلوم على الصَّعيد النَّظري وقد تضيق دائرة مفهوم الفكر حتَّى تنحصر في مجرَّد النَّظر العقلي في أمرٍ ما، فيكون الفكْر عندئذٍ منسوبًا إلى مبدأ، أو مذهب، أو طائفة، أو أمَّة، أو عصر، أودين.

وفي الاصطلاح الصوفي :

يحمل التفكر معنى :

(تصرف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب وسراج القلب يرى به خيره وشره ومنافعه ومضاره وكل قلب لا تفكر فيه فهو في ظلمات يتخبط وقيل هو إحضار ما في القلب من معرفة الأشياء وقيل التفكر تصفية القلب بموارد الفوائد وقيل مصباح الاعتبار ومفتاح الاختيار وقيل حديقة أشجار الحقائق وحدقة أنوار الدقائق وقيل مزرعة الحقيقة ومشرعة الشريعة وقيل فناء الدنيا وزوالها وميزان بقاء الآخرة ونوالها وقيل شبكة طائر الحكمة وقيل هو العبارة عن الشيء بأسهل وأيسر من لفظ الأصل) [١]

يقول الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي :

قيل التفكر : هو ان تتفكر في تنبهك وغفلتك وطاعتك ومعصيتك فإذا تفكرت فيه خلصت لك أفعالك

ويقول الشيخ كمال الدين القاشاني :

التفكر في اصطلاح الطائفة : هو عبارة عن التماس العقل وتفتيشه عما يحصل به مطلوبه الذي يبتغيه وهو : القرب من الله جلَّ جلاله[٢]

ويقول الشيخ احمد النقشبندي :

---

[١] التعريفات ص ٢٦

[٢] موسوعة الكسنزان ٤٧٦/١٧

التفكر هو التفتيش عما يحصل به المقصود [1]

۞ التقديس :

التقديس مصدر قدَّس

التَّقْدِيسُ: تنزيه اللَّه عز وجل. و القُدْسُ تنزيه اللَّه تعالى، وهو المتَقَدَّس القُدُّوس المقَدَّس. ويقال: القُدُّوس فَعُّول من القُدْس، وهو الطهارة [2]

وفي اللغة التطهير والتعظيم والتوقير [3]

قال الله تعالى: (الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ [4] أي: المطهرة.

وقدَّس اللهَ تعالى: أي نَزَّهَه عما لا يليق به.

والتقديس في الاصطلاح تنزيه الحق عن كل ما لا يليق بجنابه وعن النقائص الكونية مطلقا وعن جميع ما يعد كمالاً بالنسبة إلى غيره من الموجودات مجردة كانت أو غير مجردة .

ويطلق التقديس على معنيين :

التطهير والتنزيه عما لا يليق ، كقوله تعالى :﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [5] ، أى ننزهك عما لا يليق بك و ننزِّهك التنزيه اللائق بحمدك وجلالك، ونمجِّدك بكل صفات الكمال والجلال .

و التقديس بمعنى المباركة ، قال عبد الله بن عباس ﷺ فى قوله تعالى ﴿ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [6] ، المقدس : المبارك[1] ، وقوله تعالى :

---

[1] جامع الأصول ٣٤١/٢

[2] لسان العرب ١٨٦/٦

[3] معجم المعاني الجامع

[4] المائدة٢١

[5] سورة البقرة ٣٠

[6] سورة طه ١٢

﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾[٢] يعنى به جبريل من حيث ، إنه ينزل بالقدس من الله ، أى بما يبارك النفوس ويطهرها ، من القرآن والحكمة ، والبيت المقدس هو المطهر من نجاسة الشرك [٣] .

وفي الاصطلاح الصوفي :

قال الشيخ سهل بن عبد الله التسترى : القدوس هو الحق الذى طهر من الأولاد والشركاء والصاحبة .

والتقديس أخص من التسبيح كيفية وكمية أي أشد تنزيها منه وأكثر ولذلك يؤخر عنه في قولهم سبوح قدوس ويقال التسبيح تنزيه بحسب مقام الجمع فقط والتقديس تنزيه بحسب الجمع والتفصيل فيكون أكثر كمية [٤]

ويقول د عبد المنعم الحفني التقديس : هو التطهير من المطالب والمشارب ، والجهات والتصورات ، وتوهم الاعتبار [٥]

كما قيل في التقديس : هو إخراج الأصل من الفرع ، والجوهر من العرض ، وهي عملية فكرية روحية يتوصل بها الإنسان الى معرفة الله [٦]

۞ التقوى :

التقوى الاسم مِن اتَّقَى وهي صفة في النفس تحمل الإنسان على فعل ما أمر الله والامتناع عما نهى عنه [٧]

---

[١] أخرجه البخارى فى كتاب التفسير ، تفسير سورة طه ٢٨٥/٨

[٢] سورة النحل ١٠٢

[٣] لسان العرب ١٦٨/٦

[٤] التعريفات ص ٢٧

[٥] معجم مصطلحات الصوفية ص ٤٧

[٦] النصوص في مصطلحات التصوف ص ٦٧

[٧] معجم المعاني الجامع

وهي في اللغة بمعنى الاتقاء وهو اتخاذ الوقاية و جعل النفس فى وقاية مما يخاف ، ويقال اتقى فلان بكذا إذا جعله وقاية لنفسه[1] .

وفي الحديث الشريف (اتقوا النار ولو بشقة تمرة فمن لم يجد شقة تمرة فبكلمة طيبة)[2].

والتقوى فى الشرع ، حفظ النفس عما يؤثم ، وذلك بترك المحظور ، والمتقي هو الذى يجعل طاعته لله ، وامتثاله لأوامره ، وقاية له من عذابه ، ويتم ذلك بترك بعض المباحات المشتبهات حتى لا يقع فى الحرام ، لما روى عن النعمان بن بشير ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (الحلال بين والحرام بين ، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى المشبهات ، استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات ، كراع يرعى حول الحمى ، يوشك أن يواقعه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا إن حمى الله في أرضه محارمه) [3]

والتقوى منازل ودرجات ، لقوله تعالى : (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً) [4] ، فهناك التقوى المنبعثة عن الإسلام ، والتقوى المنبعثة عن الإيمان ، والتقوى الناتجة عن الإحسان ، قال تعالى فى بيان هذا التنوع :

﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِين ﴾[5] ، وقال تعالى :

---

[1] لسان العرب ٤٠٣/١٥

[2] البخارى فى كتاب المناقب ٧٠٦/٦ برقم ٣٥٩٥

[3] أخرجه البخارى فى الإيمان ١٥٣/١ برقم ٥٢ ، ومسلم فى الإيمان ١٢١٩/٣برقم ١٥٩٩ ١٥٩٩

[4] سورة الزمر ٧٣

[5] سورة المائدة ٩٣

﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾[1]

وفي المصطلح الصوفي :

(التقوى الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك والتقوى في الطاعة يراد بها الإخلاص وفي المعصية يراد به الترك والحذر وقيل أن يتقي العبد ما سوى الله تعالى وقيل المحافظة على آداب الشريعة وقيل مجانبة كل ما يبعدك عن الله تعالى وقيل ترك حظوظ النفس ومباينة النهى وقيل ألّا ترى في نفسك شيئا سوى الله وقيل ألّا ترى نفسك خيراً من أحد وقيل ترك ما دون الله والمتبع عندهم هو الذي أتقي متابعة الهوى وقيل الاهتداء بالنبي عليه السلام قولاً وفعلا)[2]

والتقوى عند أوائل الصوفية ، من أعلى المقامات وأجلّها ، لأنها توقي من المكروهات والمرهوبات ، الحائلة بين المرء وبين المحبوبات والمطلوبات ، فيتقى الكفر بالإيمان ، والشرك بالتوحيد ، والرياء بالإخلاص ، والكذب بالصدق والغش بالنصيحة ..... فالتقوى شاملة لجميع المقامات ، ومحتويه على سائر معاملات المقربين والأبرار .

روي عن أبى الحسن الوراق النيسابورى أنه قال : (أجلّ شئ يفتح الله تعالى به على عبده التقوى ، فإن منها تتشعب جميع الخيرات ، وأسباب القرب والتقرب ، وأصل التقوى الإخلاص ، وحقيقتها التخلى عن كل شئ ، إلا ممن إليه تقواك) [3]

ويقول الشيخ ابو عبد الله بن خفيف الشيرازي :

---

[1] سورة مُحَمَّد ١٧

[2] التعريفات ص ٢٧

[3] طبقات الصوفية ص٣٠٠

التقوى : هي مجانبة ما يبعدك عن الله تعالى [1]

ويقول الشيخ ابو عثمان المغربي :

التقوى : هي الوقوف مع الحدود ، لا يقصر فيها ولا يتعداهد [2]

(والتقوى مشاهدة الأحوال الدالّة على قِدَم انفراده تعالى او ان لا ترى في قلبك شيئا سوى الله .

وقيل التقوى ان تزين سريرتك للحق كما تزين علانيتك للخلق .

يقول ابو يزيد البسطامي : المتقي من اذا قال : قال الله ، واذا فعل : فعل الله. يعني انه قوله وعمله كله لله .

وقال ابو سليمان الداراني : المتقون الذين نزع الله عن قلوبهم حب الشهوات .

والتقوى فيها جماع الخير كله وهي وصية الله في الأولين والاخرين وهي خير ما يستفيده الانسان) [3]

(ويقول الشيخ ابو يزيد البسطامي : التقوى هي التورع عن جميع الشبهات

ويرى الشيخ الجنيد لبغدادي أنَّ : التقوى هي حسن الخلق

ويقول الشيخ القاسم السياري : التقوى هي المحافظة على آداب الشريعة) [4]

۞ التلبيس :

التلبيس : مصدر لبَّس.

(اللبس، بالفتح: مصدر قولك لبست عليه الأمر ألبس خلطت .

وألبست الأرض: غطاها النبت. وألبست الشئ، بالألف، إذا غطيته

واللبس: اختلاط الظلام. وفي الحديث: ذهب ولم يتلبس منها بشئ يعني من

---

[1] طبقات الصوفية ص ٤٦٥

[2] طبقات الصوفية ص ٤٨١

[3] الموسوعة الصوفية ص ٨٧٠

[4] الغنية ٢٢٩/١

الدنيا)[1]

ويجئ التلبيس بمعنى لَبّسه وألبسه ولبّس عليه الأمر: خلطه عليه حتّى لا يعرف حقيقته. وفي التنزيل العزيز: ﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل﴾

ومِنه قوله تعالى: ﴿ وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾[2]

وفي الْأَمْرِ (لُبْسَةٌ) بالضّم أي شُبهَة يعني ليس بواضِحٍ .

وفي المصطلح الصوفي :

التلبيس : هو الاختلاط والتباس الإحساس فيعتقد الانسان انه يعمل الطاعات ويؤدي الواجبات ، ولكنه في الواقع يتبع هوى النفس ويساير مطالب الهوى[3]

(والتلبيس هو ارادة شيء للخلق بخلاف حقيقة ذلك الشيء . وقيل هو تجلي الشيء بنعت ضده ، كأن يلتبس على الفرد أمره ، فيظهر بمظهر الإيمان وهو في حقيقته كافر ، فيظن انه قد وصل الى مقام القرب ، وقد تظهر له خوارق فيظن انها فتح وكشف ، وهو في الحقيقة تلبيس ليمعن في الضلال ، ولذلك قيل : ان للأنبياء معجزات وللأولياء كرامات وللأعداء مخادعات ، أي يخدعون عن واقع احوالهم .فاذا اراد ان يخفي صفته الحميدة فيه تحت حال قبيح قيل هو يُظهر التلبيس ، فأما المنافق والمرائي فسلوكه هو التلبيس فعلاً)[4]

(يقول الشيخ ابو بكر الواسطي : التلبيس : عين الربوبية [5]

ويقول الشيخ السراج معلقاً على قول الواسطي : معناه ان المؤمن يظهر في زي الكافر والكافر في زي المؤمن ، قال تعالى : وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ[1]

---

[1] انظر لسان العرب ٦/٢٠٢ – ٢٠٤

[2] الأنعام: ٩

[3] معجم الفاظ الصوفية ص ٨٢

[4] الموسوعة الصوفية ص ٨٧٣

[5] اللمع ص ٣٧١

ويضيف الشيخ السراج : التلبيس هو تحلي الشيء بنعت ضده) [٢]

۞ التلف :

التَّلَفُ الهَلاكُ والعَطَبُ في كل شيء. و تَلِف: هَلَكَ . تَلِفَ الشيءُ وأَتْلَفَه غيره وذهَبت نفسُ فلانٍ تَلَفاً وظَلَفاً بمعنى واحد أَي هَدَراً [٣]

وقولنا اصاب الزرع التلف : اي الهلاك ، وتلف المال أي ذهابه هدراً وهباء .

وفي المصطلح الصوفي :

(هو الهلاك والفساد ، وهو الحتف والتلف والحتف ما يُنتظر منه الهلاك في حينه ، فاذا دخل القلب الافتتان او الحسد او الغيرة او السخط او النقمة يقال ان الصوفي قد انتكس وتلف) [٤]

وهو : (الخروج عن طريق التصوف ، هو انتكاس وهلاك وهو يحدث اذا دخل قلب السالك الإفتتان والغرور ومَلَكَه العُجُبْ وأحبَّ ان يمتدحه الناس ، ويتحدثوا عن تقواه وورعه وزهده وكراماته وقربه من الله) [٥]

ويقول الشيخ عمر السهروردي :

التلف : هو الإنحناء تحت صدمات العز وخطفات الغيرة ، ولمعان أنوار الكبرياء والقدس ، وهو ثمرة الاطلاع على الغيب والحوم حول أسرار الأزل [٦]

۞ التَلَقّي :

التلقّي: الاستقبال بمواجهة [١]، وتلقّى الدرس : تلقّنه

---

[١] الانعام ٩

[٢] اللُّمَع ص ٣٧١

[٣] لسان العرب ص ٢٣٣

[٤] الموسوعة الصوفية ٦٨٩

[٥] معجم الفاظ الصوفية ص ٨٣

[٦] موسوعة الكسنزان ٥٢/٤

وفي الذكر الحكيم وردت كلمة التلقي كما في قوله تعالى :

﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ [٢]

وفي الهدي النبوي الحديث الذي نهى فيه النبيُّ ، ﷺ ، عن تَلَقِّي الرُّكْبان ؛ فقد روى أَبو هريرة، رضي الله عنه، قال:

(قال رسول الله ،ﷺ، لا تَتلقَّوُا الرُّكْبانَ أَو الأَجْلابَ فَمَن تَلقَّاه فاشتَرى منه شيئاً فصاحِبُه بالخِيار إذا أَتى السُّوقَ [٣])[٤]

وفي المصطلح الصوفي :

(التلقّي عند الصوفية هو الطاعة والاخلاص فيما يتلقاه المريد الصادق من الحق تعالى من أوامر ونواهي سواء كان ذلك في شكل رؤى يراها المؤمن او عن طريق الهامات وموارد تتوارد على القلب للقيام بعمل او تجنب فعل او السفر الى مكان او بملاقات انسان او بمصاحبة احد من الأئمة او الصالحين من الأولياء بطريق التوجيه او الالهام او كرؤية الرسول ﷺ مناماً او رؤية احد الاقطاب الموتى او الأحياء .

والمريد الصادق ينصاع بالتلقي لما يلقى في روعه وما يقذف في قلبه من نور الله تعالى فيعمل في ظاهره وباطنه بلا تردد او اعتراض ، ما دام لا يخالف شريعة

---

[١] معجم المعاني الجامع

[٢] البقرة ٣٧

[٣] يَقولُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عَليه وسلَّم: "لا تَلقَّوُا الجَلَبَ"، وهم الذين يحملون السلع من بلدٍ الى بلد فلا تَتلَقَّوهُم قَبلَ قُدومِهم ومعرفة سعر السلع بتلك البلد ،فمن تَلقَّاه فاشترى منه ، يعني : اشترى ولم يقف عند النهي ، فإذا أتى "سَيِّدَه"، أي: صاحبَ السِّلعَةِ، السوق فهو بالخِيارِ أن يُمضيَ البيع أو يستردَّ بضاعته، فلَربما كان أجحفَ في ثَمنها وفي تلك البلد سِعر السلعة اعلى بكثير .

وفي الحديث : الحثُّ على الصِّدقِ وَالبَيانِ، وتَجَنُّبِ الخديعة في المعاملات التجارية.

[٤] صحيح مسلم (١٥١٩) و صحيح ابن ماجة (١٧٨٥)

الدين ولا يعارض امر بمعروف ونهي عن منكر) [1]

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي :

التلقي : هو أخذك ما يرد من الحق عليك عند الترقي [2]

وفي الموسوعة الصوفية :

(التلقي هو استقبال الواردات والالهامات والخواطر ، او الأخذ عن الشيخ او الاستاذ) [3]

۞ التمكين :

تَمكين: (اسم) وهو مصدر مَكَّنَ ، ويعني إزالة الموانع . والتمكين من الشيء الاقدار عليه والإعانة عليه [4]

مكّن الله تعالى العبد: أي أعطاه آلة يقدر معها على الفعل، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيما إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾:أي خلياهم وأنظرناهم ليتفكروا .

وقيل: أي وسّعنا عليهم في الرزق وأعطيناهم آلة سليمة.

وقوله ﴿فِيما إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ قيل: أي في الذي لم نمكنكم فيه، في طول الأعمار وقوة الأبدان وكثرة الأموال.

ومكّن له في الأرض ومكّنه فيها، كقول الله تعالى: ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾: أي ولَّيناه، وقال تعالى: ﴿ما مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ [5]

والتمكين من الشيء الاقدار عليه والإعانة عليه . ومنها قوله تعالى :

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ ﴾ [1] ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ ﴾

---

[1] معجم الفاظ الصوفية ص ٨٧

[2] الفتوحات المكية ٢/ ١٣٠

[3] الموسوعة الصوفية ص ٨٧٣

[4] معجم المعاني الجامع

[5] شمس العلوم باب مكن

وفي السنّة الشريفة قول رسول الله ﷺ :

بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ ، وَالرِّفْعَةِ ، وَالنَّصْرِ ، وَالتَّمْكِينِ فِي الْأَرْضِ ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلَ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا ، لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ [٢]

وفي شعر العرب :

من يسقمْ يحرمْ مُناهُ ومن يزغْ ... يختص بالإسعافِ والتمكينِ

الحُبّ أوّلُ مَا يَكُونُ وَلَعْ، ... وَإذا تَمَكّنَ في الفُؤادِ صَرَعْ

وفي المصطلح الصوفي :

التمكين : هو مقام الرسوخ والاستقرار على الاستقامة وما دام العبد في الطريق فهو صاحب تمكين لأنه يرتقي من حال إلى حال وينتقل من وصف إلى وصف فإذا وصل واتصل فقد حصل التمكين [٣]

(والتمكين اقامة المحققين في محل الكمال والدرجات العليا .

والمتمكن لا يكون متردداً ولا يتحول من حال الى حال ولا يطرأ عليه تغيير ولا يجري بشأنه عمل بغير الحكم الظاهري فيه ولا يكون له حال بغير الحكم الباطني فيه) [٤]

ويقول الشيخ عبد الرحيم القنائي : (التمكين هو شهود العلم كشفاً ، ورجوع الأحوال عليه قهراً ، والتصرف بالقادم حتماً ، وكمال الأمر شرعاً .

ويقول رحمه الله تعالى : التمكين هو شهود العلم كشفاً ، ورجوع الأسرار في استغراق الأذكار)[٥]

---

[١] الكهف ٨٤

[٢] مجمع الزوائد ٢٢٠/١٠ و الترغيب والترهيب ٣١/١ برقم ٣١

[٣] التعريفات ص ٢٨

[٤] موسوعة التصوف ٦٩٠

[٥] موسوعة الكسنزان ٤٩٦/١٩

ويقول الشيخ عمر السهروردي :

ليس المعنى بالتمكين ان لا يكون للعبد تغير فإنه بشر ، وانما المعنى به : ان من كوشف به من الحقيقة لا يتوارى عنه أبداً ، ولا يتناقص بل يزيد [1]

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي :

التمكين عندنا هو التمكن في التكوين ، وعند الجماعة حال أهل الوصول [2]

ويقول الشيخ احمد الكمشخانوي النقشبندي :

التمكين هو مقام الاستقامة والثبات على صراط المستقيم .

والتمكين هو صفة اهل الحقائق ، فما دام العبد في الطريق فهو صاحب تلوين ، لأنه يترقى من حال الى حال وينتقل من وصف الى وصف ، فإذا وصل تمكن ، فصاحب التلوين أبداً في زيادة ، وصاحب التمكين وصل واتصل [3]

۞ التواضع

التواضع :تخاشَع، تذلَّل

و(تواضع الرجل ذلَّ وتواضعت الأرض انخفضت عما يليها) [4]

ولم ترد مفردة (تواضع) في القران الكريم ولكنها وردت بما يحمل معناه .

وفي الحديث النبوي ورد التواضع كما في حديث ابي هريرة ﷺ ان رسول الله ﷺ قال : (ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبداً بعفو الّا عزاً ، وما تواضع أحدٌ لله الا رفعه)[5]

وعن عياض بن حمار ﷺ ، قال : قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم خطيبا ،

---

[1] عوارف المعارف ص ٢٥١

[2] الفتوحات المكية ١٣١/٢

[3] جامع الأصول ٢٨٠/٢

[4] لسان العرب ٣٩٧/٨

[5] صحيح مسلم ٢٠٠١/٤ برقم ٢٥٥٨ و سنن البيهقي الكبرى ١٨٧/٤ برقم ٧٦٠٦

فقال : .. وإن الله أوحى إلي أن تواضعوا ، حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغ أحد على أحد ... [1]

التواضع فى الاصطلاح الصوفى :

التواضع فى الاصطلاح الصوفى ، ورد على المعنى اللغوى السابق ، متوافقا مع الأصول القرآنية والنبوية ، وجُل عباراتهم ، يدور حول الخضوع ، والانقياد ونفى الكبر ، وخشوع القلب ، وأثر ذلك فى الحياة ، روى عن الفضيل بن عياض لما سأل عن التواضع انه قال :

(أن تخضع للحق وتنقاد له وتقبل الحق من كل من تسمعه منه) [2]

وقريب منه ما روى عن أحمد بن عاصم الأنطاكى :

(أنفع التواضع ما نفى عنك الكبر ، وأمات عنك الغضب) [3]

وينسب لرويم بن أحمد البغدادى أنه قال :

(التواضع تذلل القلوب لعلام الغيوب) [4]

وربما جعل بعضهم التواضع أساس الخير كله فيروى عن يوسف بن حسين الرازى قال :

(الخير كله فى بيت ومفتاحه التواضع)[5]

والقشيرى يجعل كلامه عن التواضع شرحا لشاهد نبوى ، أو توضيح للقدوة من فعل النبى ﷺ ، فالتواضع عنده هو الاستسلام للحق ، وترك الاعتراض على الحكم ، ويعلل ذلك بما روى عن ابن مسعود رضي الله عنه ، عن النبى ﷺ قال : (لا

---

[1] مسلم ٢١٩٨/٤ برقم ٢٨٦٥ و سنن البيهقي الكبرى ٢٣٤/١٠ برقم ٢٠٨٧٢

[2] طبقات الصوفية ص١٢

[3] طبقات الصوفية ص١٣٨

[4] التعرف ص١١٥

[5] طبقات الصوفية ص١٨٩

يدخل الجنة من كان فى قلبه ، مثقال ذرة من كبر) [1]

التوبة :

اعتراف بالذنب، وندم عليه، وعزم على عدم العودة إليه "التوبة تذهب الحَوْبة: تزيل الإثم". [2]

(والتَّوْبةُ: الرجوع من الذنب. وفي الحديث: النَّدَمُ تَوْبةٌ. والتَّوْبُ مثلُه.

وقال الأَخفش: التَّوْبُ جمع تَوْبةٍ مثل عَزْمةٍ وعَزْمٍ) [3]

والتوبة فى الشرع :

(ترك الذنب لقبحه ، والندم على ما فرط منه ، والعزم على ترك المعاودة ، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة ، فمتى اجتمعت هذه الأربع ، فقد كمل شرائط التوبة ، قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴾ [4] ، وقال سبحانه :

﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ [5])[6]

وفي السنة النبوية : عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره ، وقد أضله في أرض فلاة [7]

وقوله عز وجل : ﴿ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾ [8]

---

[1] الرسالة ٣٨٠/١

[2] معجم اللغة العربية المعاصرة مادة توب

[3] لسان العرب ٢٣٣/١

[4] التحريم/٨

[5] التحريم/٤

[6] كتاب العين ١٣٨/٨

[7] البخارى كتاب الدعوات ١٠٥/١١ برقم ٦٣٠٩

[8] الفرقان/٧١

أى التوبة التامة ، وهو الجمع بين ترك القبيح ، وتحرى الجميل [١] ، وجميع الأيات القرآنية والأحاديث النبوية التى وردت فى التوبة على هذا المعنى .

التوبة في المصطلح الصوفي :

التوبة فى الاصطلاح الصوفى وردت فى أغلب ألفاظهم على المعنى القرآنى البسيط ، مؤيدة فى الغالب بالشواهد القرآنية والنبوية ، كما روى عن عمرو بن عثمان المكى انه قال :

(التوبة فرض على جميع المذنبين والعاصين صغر الذنب أو كبر ، وليس لأحد عذر فى ترك التوبة بعد ارتكاب المعصية لأن المعاصى كلها ، قد توعد الله عليها أهلها ، ولا يسقط عنهم الوعيد إلا بالتوبة وهذا مما يبين أن التوبة فرض) [٢] ، وربما كان لبعضهم فيها اجتهاد لا يخلو من الإيجابية ، كاختلافهم فى نسيان الذنب مع التوبة ، او عدمه فيروى عن سهل بن عبد الله التسترى أنه قال :

(التوبة ألّا تنسى ذنبك) [٣]

أما الجنيد بن مُحَمَّد فيقول : (التوبة نسيان الذنب) [٤]،

وورد عن الشيخ شقيق البلخي قوله :

التوبة : هي ان ترى جرأتك على الله ، وترى حلم الله عنك[٥]

وبيان ذلك عندهم ، كما ذكر الطوسى ، أن التوبة التى ذكرها سهل ، توبة المبتدئين والتى ذكرها الجنيد توبة المتحققين ، لأنه يخرج حلاوة ذلك الفعل من قلبه خروجا لا يبقى له فى سره أثر ، حتى يكون بمنزلة من لا يعرف ذلك قط[١]

---

[١] لسان العرب ٢٣٣/١

[٢] طبقات الصوفية ص٢٠٢

[٣] اللمع ص ٤٣

[٤] اللمع ص ٦٨

[٥] طبقات الصوفية ص ٦٥

والتوبة يجعلها أبو يعقوب السوسى بداية طريق الصادقين إلى الله ، فيروى عنه أنه قال : (التوبة أول مقام من مقامات المنقطعين إلى الله ومعناها الرجوع من كل شئ ذمة العلم إلى ما مدحه العلم) [٢]

ويذكر القشيرى رحمه الله تعالى أن التوبة أول منزل من منازل السالكين وأول مقام من مقامات الطالبين ، وحقيقة التوبة الرجوع عما كان مذموما فى الشرع إلى ما هو محمود فيه ، واستدل لذلك بقوله تعالى :

﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [٣]

كما استدل بأصول قرآنية ونبوية أخرى [٤] .

ويعلق الكاشانى التوبة على معنى الرجوع إلى الله تعالى ، ويجعل ذلك على مراتب بعضها يوافق الأصول القرآنية ، وبعضها يخالف ، فمنها : الرجوع من المخالفة إلى الموافقة ، ومن الطبع إلى الشرع ، ومن الظاهر إلى الباطن ، ومن الخلق إلى الحق ، بحيث يتوب العبد عن كل ما سوى الله ، بحيث لا يبقى فى قلبه ميل إلى غير ربه تعال ى، وهذا هو الذى يعبد الله لله ، لا لرغبة فى مثوبة أو رهبة فى عقوبة ، ثم يتوب بعد ذلك من علة التوبة ، أى من رؤيته بأن التوبة مما سوى الله ، إنما حصلت له من نفسه ، بل إنما هى فضل ربه ، ثم يتوب من رؤية توبته من تلك العلة ، بحيث لا يرى أنه رأى ذلك بنفسه إنما رآه بربه [٥]

التوحيد : التوحيد: الإيمان بالله تعالى وحده لا شريك له، والله الواحد الأحد ذو الوحدانية والتوحد [١]

---

[١] التعرف ص١١١

[٢] اللمع ص٦٨

[٣] النور/٣١

[٤] الرسالة القشيرية ٢٧٥/١

[٥] لطائف الاعلام ٣٥٣/١

(والتوحيد هو التفرد يقال : فلان واحد دهره ، أى لا نظير له) [٢] ،

وفي الاصطلاح : التوحيد هو الإيمان بالله وحده لا شريك له .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٣]

وفي السنة النبوية :

قال ابن عباس ﷺ : لما بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل ﷺ إلى نحو أهل اليمن قال له : (إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى ، فإذا عرفوا ذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم ..) [٤]

وفي الاصطلاح الصوفي :

والتوحيد هو شهادة المؤمن يقيناً ان الله تعالى هو الأول في كل شيء ، وأقرب من كل شيء ، وهو المعطي المانع ، لا معطي ولا مانع ولا ضار ولا نافع الا هو [٥] .

قال الامام الجنيد رحمه الله تعالى :

التوحيد إفراد القدم عن الحدث واحكام أصول العقائد بواضح الدلائل ولائح الشواهد [٦]

---

[١] العين ٢٨١/٣

[٢] لسان العرب ٧٠/٣ ، والقاموس المحيط ٤١٤/١

[٣] البقرة ١٦٣

[٤] أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد ٣٥٩/١٣ برقم ٧٣٧٢

[٥] معجم الفاظ الصوفية ص ٨٩

[٦] افراده سبحانه من الحدث أي الحدوث وذلك انما يتم بعد معرفة ما يجب له تعالى وما يجوز وما يستحيل

والمعنى من قوله : (التوحيد إفراد القديم عن الحدث) ، يعنى إفراد الموحد بتحقيق وحدانيته ، بكمال أحديته ، وأنه الواحد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، ينفى الأضداد والأنداد والأشباه بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير ولا تمثيل ، لقوله تعالى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)[1] .

اما ابو مُحَمَّد الجريري فيقول : من لم يقف على علم التوحيد بشاهد من شواهده زلت به قدم الغرور في مهواة من التلف [2]

روى عن ذى النون أنه سئل عن التوحيد ؟ فقال : (هو أن تعلم أن قدرة اللَّه تعالى فى الأشياء بلا مزاج ، وصنعه للأشياء بلا علاج ، وعلة كل شئ صنعه ، ولا علة لصنعه وليس فى السماوات العلى ولا فى الأرضين السفلى مدبر غير اللَّه تعالى ، ومهما تصور وهمك فاللَّه تعالى بخلاف ذلك) [3] .

يقول الحلاج رحمه الله تعالى :

(الحقّ هو المقصود اليه بالطاعات ، لا يُشهد بغيره ، ولا يُدرك بسواه ، بروائح مراعاته تقوم الصفات ، وبالجَمع اليه تُدرك الراحات .

وقال أيضاً : التوحيد هو معرفة وحدانيته الثابتة له في الأزل والأبد ، وذلك بأن لا يحضر في شهوده غير الواحد ﷻ .)[4]

وعند الجنيد :

(التوحيد ان يكون العبد شبحاً بين يدي الله ، يجري عليه تصاريف تدبيره في مجاري احكام قدرته في لجج بحار توحيده بالفناء عن نفسه[5]) [1]

---

[1] سورة الشورى ١١

[2] الرسالة القشيرية ص ٢٥

[3] اللمع ص٤٩

[4] مناقب الأبرار ٧٦/٢ وطبقات الصوفية ص ٢٣٨

[5] يعني ان الموحد لا ارادة خاصة له

۞ التوهم :

توهَّمَ يتوهَّم ، توهُّمًا ، فهو مُتوهِّم ، والمفعول مُتوهَّم

(الوَهْمُ: من خَطَراتِ القلب، والجمع أَوْهامٌ، وللقلب وَهْمٌ.

وتَوَهَّمَ الشيءَ: تخيَّله وتمثَّلَه، كان في الوجود أَو لم يكن)[٢]

وفي الاصطلاح الصوفي :

إدراك المعنى الجزئي المتعلق بالمحسوسات [٣]

ويقول الشيخ عبد الغني النابلسي : (التوهم هو اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه في الأمر نفسه ، بسبب قصور الإدراك بضعف في الآلة المدركة ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [٤]

وهو من منازل الكفر الخمسة : الجهل ، والشك ، والعناد ، والغرور) [٥]

وبين الوهم والتوهم فارق كبير ، فالوهم قوة غريزية من قوى النفس .

يقول الشيخ إبراهيم الخواص رحمه الله تعالى :

الوهم : هو قيام بين العقل والفهم ، لا منسوب الى العقل فيكون شيئاً من صفاته ولا منسوب الى الفهم فيكون شيئاً من صفاته ، وهو شبيه بضوء بين شمس وماء ، فلا ينسب الى الشمس ولا ينسب الى الماء ، وشبيه بوسن بين النوم واليقظة ، فلا نائم ولا يقظان ، فهذه صحوة ، وهو نفاذ العقل الى الفهم او العقل الى الفهم حتى لا يكون بينهما قيام [٦]

---

[١] الموسوعة الصوفية ص ٨٨٢

[٢] لسان العرب مادة وهم ٢٩٢/١٥

[٣] التعريفات ص ٣٠

[٤] البقرة ١٠

[٥] موسوعة الكسنزان ٣٢٦/٢١

[٦] اللُّمع ص ٢٢٧

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي :

الوهم : هو السلطان الأعظم في هذه الصورة الكاملة الإنسانية ، وبه جاءت الشرائع المنزلة فشبهت ونزهت ، شبهت في التنزيه بالوهم ، ونزهت في التشبيه بالعقل . فارتبط الكل بالكل ، فلم يتمكن ان يخلو تنزيه عن تشبيه ولا تشبيه عن تنزيه [1]

۞ الثقة

(الثقة : مصدر قولك وثق به يثق ، بالكسر فيهما ، وثاقة وثقة : ائتمنه ، وأنا واثق به وهو موثوق به)[2]

والثقة : السكون بالشئ والاعتماد عليه والاطمئنان به .

وقد وردت في احاديث النبي ﷺ كما حديث ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها :

قام رسول الله ﷺ خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال أما بعد ما بال رجال يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله ، ما كان من شرط ليس في كتاب الله وان كان مائة شرط قضاء الله أحق ، وشرط الله أوثق [3]

وحديث يعلى ابن أمية قال :

غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلّم جيش العسرة ، وكان من أوثق أعمالي في نفسي [4] .

والميثاق عقد مؤكد بيمين وعهد ، قال تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى

---

[1] فصوص الحكم ص ٨٢

[2] لسان العرب ١٥٢/١٥

[3] البخاري ٧٥٩/٢ برقم ٢٠٦٠ و صحيح ابن حبان ١٦٧/١٠ برقم ٤٣٢٥

[4] البخاري ٧٩٠/٢ برقم ٢١٤٦ و النسائي ٣١/٨ برقم ٤٧٦٩ ومسند احمد ٢٣٤/٤ برقم ١٧٩٩٥

ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [1]

والموثق العهد ، قال تعالى ﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِي مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُونَنِي بِهِ إِلا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ ﴾ [2]

الثقة فى الاصطلاح الصوفى :

واصطلاح الثقة عند الصوفية يعني ثقة العبد فى ربه وعهده والتصديق واطمئنان القلب لما جاء في كتابه الكريم وما ورد على لسان نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم .

(روى عن شقيق البلخى وقد سُئل بأى شئ يعرف بأن العبد واثق بربه ؟ ، قال : يعرف بأنه إذا فاته شئ من الدنيا ، يحسبه غنيمة وإذا أبطأ عليه شئ من الدنيا ، يكون أحب إليه من أن يأتيه) [3]

ويذكر لحاتم الأصم فى ثقة العبد في رزق الله ، أنه قال : (الواثق من رزقه من لا يفرح بالغنى ولا يهتم بالفقر ولا يبالى أصبح فى عسر أو يسر) [4] .

سوالثقة يجعلها يحى بن معاذ الرازى من صفات الأولياء ، فروى عنه أنه قال :

(الثقة بالله فى كل شئ ، من خصال الأولياء) [5]

ويقول الشيخ ابو سعيد ابن الأعرابي :

الثقة بالله : هي علمك أنه بك ، وبمصالحك ، أعلم منك بنفسك [6]

---

[1] الأحزاب/٧

[2] يوسف/٦٦

[3] طبقات الصوفية ص٦٥

[4] طبقات الصوفية ص ٩٤

[5] طبقات الصوفية ص ١١٠

[6] طبقات الصوفية ص ٤٢٩

ويقول الشيخ مُحَمَّد بن وفا الشاذلي :

الثقة : هي محض اليقين بحصول النجاة من مواطن الهلكة [1]

۞ جذبة ومجذوب :

(جذب : الجذب : مدك الشيء ، والجذب : المد . جذب الشيء يجذبه جذبا واجتذبه : مده .

وجذبه : حوله عن موضعه ، واجتذبه : استلبه . وقال ابن سيده : وجدت الإنسان ملقى بين الله وبين الشيطان ، فإن لم يجتذبه إليه جذبه الشيطان) [2]

وفي السنّة الشريفة وردت الجذبة ، ففي حديث رسول الله ﷺ:

أَرَانِي فِي الْمَنَامِ أَتَسَوَّكُ بِسِوَاكٍ ، فَجَذَبَنِي رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ ، فَنَاوَلْتُ السِّوَاكَ الْأَصْغَرَ مِنْهُمَا ، فَقِيلَ لِي : كَبِّرْ ، فَدَفَعْتُهُ إِلَى الْأَكْبَرِ [3]

ومنها قوله ﷺ :

أَنَّ أَجِيرًا لِيَعْلَى ابْنِ مُنْيَةَ عَضَّ رَجُلٌ ذِرَاعَهُ ، فَجَذَبَهَا فَسَقَطَتْ ثَنِيَّتُهُ ، فَرُفِعَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَبْطَلَهُ وَقَالَ : أَرَدْتَ أَنْ تَأْكُلَ لَحْمَهُ [4]

وفي شعر العرب :

طوعَ القيادِ كغصنِ البانِ يجذبُه ... مرُّ النسيمِ على ضعفٍ فينجذبُ [5]

والجَذْبُ في اصطلاح الصُّوفِيَّة :

حالٌ من أحوال النفس يغيب فيها القلبُ عن عِلْمِ ما يجري من أَحوال الخلق ، ويتصل فيها بالعالم العُلْوي [1]

---

[1] موسوعة الكسنزان ١٤٧/٢١

[2] لسان العرب مادة جذب ١٠٢/٣

[3] صحيح مسلم ١٧٧٩/٤ برقم ٢٢٧١ وسنن البيهقي الكبرى ٣٩/١ برقم ١٧٠

[4] مسند احمد ٤٢٨/٤ برقم ١٩٨٥٦

[5] لسان العرب مادة جذب ١٠٢/٣

وهو :

عبارة عن تقرب العبد بمقتضى عناية الله التي أعدت له كل شيء من جانب الله طمس المراحل شطر الحق ، بلا تعب وسعي منه [٢]

وعلى اساس هذا الفهم لمصطلح الجذب يكون المجذوب في اصطلاح الصوفية : من جذبه الحق إلى حضرته وأولاه ما شاء من المواهب بلا كلفة ولا مجاهدة ولا رياضة .

يقول الشيخ ابن عطاء الله السكندري :

(إن من الناس من حرك الله همته لطلب الوصول إليه فسار يطوي مهامة نفسه وبيداء طبعه ، إلى أن وصل إلى حضرة ربه ، يصدق على هذا قوله سبحانه وتعالى : والَّذينَ جاهَدوا فينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا .

ومن الناس من فاجأته عناية الله من غير طلب ولا استعداد ، ويشهد لذلك قوله تعالى : يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ

فالأول : حال السالكين ، والثاني : حال المجذوبين)[٣]

فيما يرى الشيخ أبو الحسن الشاذلي

المجذوب : هو من جذبه الله إليه ، ولذلك كان سيره من أول خطوة في الطريق بالله لا بنفسه ، وهذا جاء من باب القدرة : كن فيكون .

يقول الشيخ عبد الوهاب الشعراني

(المجاذيب : هم قوم سلب الله قلوبهم عن التعشق بشيء من الأكوان ، وجعلها عاكفة في حضرته ، لا يشهدون إلا إياه ، فإن شاء الله تعالى ردهم إلى عقل التكليف ، وان شاء خبأ عقولهم عنده .

---

[١] معجم اللغة العربية المعاصرة مادة جذب

[٢] معجم مصطلحات الصوفية ص ٦٢

[٣] غيث المواهب العلية ص ٣٢٠

ويقول : غالب المجاذيب ... غائبون عن شهود حكمة ظهور العالم وترتب الأسباب بعضها على بعض ، وعن حكم البدء والإعادة والختم والفتق والرتق ... ولا يعرفون كمالاً ولا نقصاً ولا خسةً ولا شرفاً إلى غير ذلك مما أحاط به علم الله عز وجل)[1]

يقول الشيخ إسماعيل حقي البروسوي :

المجذوب : هو من ذهل عقله لما شاهد من عظم قدرة الله تعالى ، فعقله مخبوء عند الحق منعم بشهوده ، عاكف بحضرته متنزه في جماله ، فهم أصحاب عقول بلا عقول .

والمؤرخ ابن خلدون يقول:

المجذوب : هو من لا وظيفة له ، فإنه عندهم (الصوفية) المختطف عند المطلع ، مثل بهلول وغيره من مجانين أهل السلوك ، وهو فاقد لعقل التكليف أبداً ولم تبق له وظيفة ، إذ الوصول قد حق ، والوظائف إنما هي وسائل للوصول ، وهذا المجذوب الذي قد وصل ، وشاهد الأنوار ، وجذب عن نفسه وعقله ، فهو لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان ، ولا النقل ، إنما هو سابح دائماً في بحر المعرفة والتوحيد ، مختطف عن الحس والمحسوس)[2]

وفي الموسوعة الصوفية :

(المجذوب من ارتضاه الحق تعالى لنفسه واصطفاه لحضرة أنسه وطهّره بماء قدسه ، فحاز من المنح والمواهب ما فاز به بجميع المقامات والمراتب بلا كلفة مكاسب ومتاعب)[3]

۞ الجلوة :

---

[1] المنن الكبرى ص ٤٥١

[2] موسوعة الكسنزان ١٨٧/٤

[3] الموسوعة الصوفية ص ١٢٤٣

جَلوة مصدر جلا وهي ما يعطيه الزوج عروسه وقت الزفاف .

وحضر الأهل والصحاب وقت الجلوة : الوقت الذي يعطي فيه العريس عروسه الْجِلْوَةَ .

(جَلا القومُ عن أَوطانهم يَجْلُون وأَجْلَوْا إذا خرجوا من بلد إلى بلد .

وفي حديث الحوض : يرد عليَّ رَهْط من أَصحابي فيُجْلَوْن عن الحوض ؛ هكذا روي في بعض الطرق أَي يُنْفَوْن ويُطْردون .

والجَلاءُ : الخروج عن البلد .

والجَالِيَة : الذين جَلَوْا عن أَوْطانهم .

وأَمرٌ جَلِيٌّ : واضح ؛ تقول : اجْلُ لي هذا الأَمرَ أَي أَوضحه .

والله تعالى يُجَلِّي الساعةَ أَي يظهرها .قال سبحانه : لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إلا هو .

والجَلِيُّ : نقيض الخَفِيِّ .

وفي التنزيل العزيز : والنهار إذا جَلاَّها ؛ قال الفراء : إذا جَلَّى الظُّلمةَ فجازت الكناية عن الظُّلْمة ولم تذكر في أَوله لأَن معناها معروف ، وقال الزجاج : إذا جلاَّها إذا بيَّنَ الشمسَ لأَنها تتَبين إذا انبسط النهار .

وفي شعر العرب : تُلَفِّفُها بِدِيباجٍ وخَزٍّ ... ليَجْلُوها فَتَأْتَلِقُ العُيونا) [1]

وفي الاصطلاح الصوفي :

خروج العبد من الخلوة بالنعوت الإلهية إذ عين العبد وأعضاؤه ممحوة عن الأنانية والأعضاء مضافة إلى الحق بلا عبد فهو يعطي الله كل شيء كقوله تعالى (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) [2] وقوله تعالى (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) [3]

---

[1] لسان العرب / باب جلو ١٤٩/١٤

[2] سورة الأنفال ١٧

[3] سورة الفتح ١

وهذه هي عطية العبد لله : ان لا يرى من الملك شيئا لنفسه وانما كله لله [1]

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي :

الجلوة : خروج العبد من الخلوة بنعوت الحق فيحرق ما أدركه بصره [2]

ويقول الشيخ عبد الغني النابلسي :

الجلوة هي حال يرد على الروح والعقل والنفس وجملة الانسان ، تكسوه اشراقاً وسراً روحياً ، فيتفرق بذلك في عالم الملك تفرقاً معنوياً ، فيشهد عالم الملكوت متجلياً في عالم الملك [3]

يقول الدكتور حسن الشرقاوي :

(الجلي في اللغة ضد الخفي والجلية ، الخبر اليقين والجلاء الجلي وجلى بمعنى أوضح وكشف ومجلوة فهي واضحة ، والتجلي هو الكشف والإظهار ، وتجلية هي كشف وإظهار ، وقد اشتق الصوفية من هذا اللفظ الجلوة من التجلي عن الآية الكريمة في قوله تعالى : ﴿فَلَمّا تَجَلّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً ﴾[4] ، أي : أن الله سبحانه وتعالى عندما ظهر ، وأما عن ظهوره تعالى فعلم ذلك عنده تعالى وحده .

فالجلوة : هي الكشف والجلاء والوضوح تأييدا لقوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ رَبّي لا يُجَلّيها لِوَقْتِها إِلّا هُوَ ﴾ [5]

---

[1] التعريفات ص ٣٢ والموسوعة الصوفية ص ٨٩٤

[2] الفتوحات المكية ١٣٠/٢

[3] موسوعة الكسنزان ٣١٨/٤

[4] الأعراف : ١٤٣

[5] الأعراف : ١٨٧

ويستخدم الصوفية لفظ الجلوة علامة على إشراق قلوب المريدين بنور الله ، ويرى الشيخ محيي الدين ، الجلوة إنما تبتدي بعد الخلوة ، ذلك أن الجلوة هي خروج العبد من الخلوة بالنعوت الإلهية .

ومن المعروف حديثا عند أعضاء الطرق الصوفية أن الجلوة تعبير عن نعم الله ، من الفتوح ، والكشوف ، وخوارق العادات ، والتجليات التي تظهر على قلوب المريدين ، والمعروف أيضاً أن الشيطان يظهر للمريد المبتدىء في الخلوة في صور متعددة كترغيب في محظور ، أو ترهيب في شكل حية رقطاء ، أو ثعبان ضخم ، يريد أن يفترسه ويقاوم المريد هذا الشيطان الماكر بالذكر والتأمل والصمت ومخالفة النفس والجوع ، والسهر ، والدعاء ، وقراءة الورد ، بشكل منتظم حتى ينتصر على أعداء الله ويغلب على حاله الرجاء بعد الخوف ، والأمن بعد الرهبة ، فإذا ظهر له الشيطان في أي صورة هزمه وصرعه ، لأنه يشعر بأن الله معه .

ثم إذا خرج من الخلوة يخرج متصفا بالكمالات الأخلاقية وهذا ما يقصد إليه الشيخ الأكبر من أن المريد يخرج من الخلوة متصفا بالنعوت الإلهية وهي جميعا من الله فيظهرها عليه ، وهذا ما نجده عند بعض أفراد الطريق من قدرات خارقة في الجلوات كخرق سلك في خد المريد وخروجه من الجانب الآخر دون تأثير مادي أو ترك اثر أو سقوط نقطة من دم ، ولا يجد العلم تفسيرا لهذه الظاهرة التي يجدها في الجلوات .

وكذلك نرى أن بعض مريدي الرفاعية ، لا يخافون الثعابين ، وفي رأينا أن الثعبان يمثل النفس الأمارة ، فإذا روض الثعبان فمعنى ذلك القدرة على ترويض وتأديب النفس والشيطان جميعا .

۞ جليس الحق :

جَليس: (اسم) والجمع منه : جُلساءُ و جُلاَّس

(والجِلّيسُ: المجالِسُ، ويقال: فلان جَلِيسِي وأَنا جَلِيسُه وفلانة جَلِيسَتي، وجالَسْتُه فهو جِلْسي وجَلِيسي)[1]

وهو صفة مشبَّهة تدلّ على الثبوت من جالس وجلَسَ كما في : مَثَلُ الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير [2]

وحديث رسول الله ﷺ : جليس المسجد على ثلاث خصال: أَخٍ مُسْتَفَادٍ ، أو كلمة مُحكمَةٍ ، أَو رَحمة مُنْتَظَرَةٍ [3]

وقول المتنبي : خير جليس في الزمان كتاب . أي خير رفيق ومصاحب .

أما الحق : فهو نقيض الباطل ، وجمعه حقوق وحِقاقٌ .

وفي حديث التلبية :

لَبَّيْكَ حَقًّا حَقًّا أَي غير باطلٍ، وهو مصدر مؤكد لغيره أي انه اكد به معنى : أَلْزَمُ طَاعَتَكَ الذي دلَّ عليه لَبَّيْكَ، كما تقول: هذا عبد الله حقاً فتؤكد به وتكرره لزيادة التأكيد .

ومنه الحديث: (أَتَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ ...)[4] أي ثوابهم الذي وعدهم به فهو واجب الإنجاز ثابت بوعده الحق .

(وفي الحديث : ليلة الضيف واجبة على كل مسلم فإن اصبح بفنائه محروماً كان ديناً له عليه ان شاء اقتضاه وان شاء تركه)[5]

جعلها حقاً من طريق المعروف والمروءة ولم يزل قِرى الضيف من شيَم الكرام ومنع القرى مذموم .

---

[1] لسان العرب ٣٩/٦

[2] صحيح ابن حبان ٢ / ٣٢١

[3] مسند احمد ٤١٨/٢ برقم ٩٤١٥

[4] مسند احمد ٥٢٥/٢ برقم ١٠٨٠٨

[5] سنن البيهقي الكبرى ١٩٧/٩ برقم ١٨٤٧٤ ومسند احمد ١٣٠/٤ برقم ١٧٢١١

ولكلمة الحق لغةً الكثير من المعاني في معاجم اللغة ومنها ما جاء في القاموس المحيط: يطلق الحق على المال والملك والموجود الثابت، ويُقال حق الأمر: أي وجب ووقع بلا شك.

وفي البلاغة: حق الله الأمر حقاً أي أثبته وأوجبه .

وفي المعجم الوسيط يطلق الحق على الصحة، والثبوت، والصدق.

هذا من ناحية اللغة أما الحق اصطلاحاً:

هو ما يختصّ به الشخص عن غيره مادةً ومعنى وله قيمة ممّا يخوّل الشخص بموجبه سلطة له أو تكليفًا عليه سواء كانت مادية او معنوية .

وفي الاصطلاح الصوفي :

تقول د سعاد الحكيم :

(الذاكر اذا تخطى بذكره صورته اللسانية ليعم (الذاكر) ، أوصل موضوعه الى حال حضور مع (المذكور) فالذاكر للحق يصل بذكره الى الحضور في حضرة الحق من حيث (الاسم المذكور) وعندما يصل الذاكر الى حضرة الحق يجلس معه مدة ذكره ، فهو جليس الحق .

يقول الشيخ ابن عربي رحمه الله تعالى (لأن اهل الذكر هم جلساء الحق .. فعلى قدر ذكره (الذاكر) يكون الحق دائم الجلوس معه فكل ذاكر لا يزيد علماً

في ذكره بمذكوره فليس بذاكر ، وان ذكر بلسانه في ذكره .)[1]

لأن الذاكر هو الذي يعمّه الذكر كله فلذلك هو جليس الحق) [2]

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي : (لما كان رسول الله يذكر الله على كل أحيانه

---

[1] المعجم الصوفي ص ٢٥٦

[2] الفتوحات المكية ٣ / ٤٧٤

، والله جليس من يذكره ، فلم يزل رسول الله جليس الحق دائماً) [1]

(إذاً الذاكر هو جليس الحق ، وحيث أن التنزيل العزيز أكد أن الحق يذكر من يذكره (فاذْكُروني أَذْكُرْكُمْ)[2] اصبح الحق كذلك جليس الذاكر)[3]

كما ويقول ابن عربي : (ما بأيدينا من الحق إلا الذكر ، ولذلك قال : أنا جليس من ذكرني) [4]

۞ الجمال :

جَمَال : اِسْمُ عَلَمٍ ، للذُّكُورِ وهو مصدر جَمُلَ ، جَمِلَ

(والجمال صفة تلحظ في الأشياء وتبعث في النُّفوس سرورًا أو إحساسًا بالانتظام والتّناغم ، وهو أحد المفاهيم الثلاثة التي تُنسب إليها أحكام القيم : الجمال والحقّ والخير ، والجمال عكسه القبح)[5]

وقد وردت لفظة (جمال) و(جميل) في القران الكريم في أكثر من موضع ومنها قوله تعالى : وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ [6]

وقوله تعالى :

﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾[7]

وقد ورد الجمال في السنّة الشريفة ، فمن حديث رسول الله ﷺ :

"إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ" [1]

---

[1] الفتوحات المكية ١٨٤/٤

[2] البقرة ١٥٢

[3] المعجم الصوفي ص ٢٥٦

[4] الفتوحات المكية ٤٤١/٤

[5] المعجم العربي الأساسي ٢٦٤

[6] النحل ٦

[7] يوسف ٨٣

وعن أبي هريرة قال: قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة مابناؤها ؟
قال: (لَبِنَةُ ذَهَبٍ وَلَبِنَةُ فِضَّةٍ، وَمِلاَطُهَا الْمِسْكُ الأَذْفَرُ، وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ، وَتُرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ، مَنْ يَدْخُلُهَا يَنْعَمُ وَلاَ يَبْأَسُ، وَيَخْلُدُ وَلاَ يَمُوتُ، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه)[٢]
وعن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: (إِنَّ للمؤمن فِي الجنة لَخَيْمَةً من لُؤْلُؤَةٍ واحدة مُجَوَّفَةٍ، طولها سِتُّون ميلاً، للمؤمن فيها أَهْلُونَ، يَطُوفُ عليهم المؤمن فلا يرى بَعضُهم بعضًا)[٣]
وتلك صورتان من صور الجمال وبأبهى أشكاله أبدعها رب العزة تبارك وتعالى لأحبائه الذين رضي عنهم .
ومن شعر العرب الذي تضمن مفردة الجمال :
جمالُ الخُلق أفضلُ من جَمالٍ ... يغطي قبحَ خلقٍ في مليحِ
إِنْ تَشْرَبِ الرَّاحَ فَاشْرَبْ مَعْ ذَوِي أَدَبٍ ... أَوْ ذِي جَمَالٍ صَقِيلِ الْخَدِّ مُبْتَسِمِ
جمال أخي النهى كرمٌ وفضلٌ ... وَلَيْسَ جمالهُ عرضٌ وطولٌ
وكانت رابعة العدوية رحمها الله تعالى السبّاقة إلى الحديث عن الحب الإلهي ينسب إليها قولها: "اللهم إن كنت أعبدك مخافة النار فأحرقني فيها، وإن كنت أعبدك رغبة في الجنة فأبعدني عنها، وإن كنت أعبدك لذاتك فلا تصرف عنّي جمالك السرمدي".

---

[١] مسلم: كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه (٩١)، وأحمد (٣٧٨٩)، وابن حبان (٥٤٦٦)، والحاكم (٦٨)
[٢] البخاري: كتاب التفسير، باب تفسير سورة الرحمن (٤٥٩٨)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، (٢٨٣٨)، واللفظ له
[٣] مسند أحمد (٨٠٣٠)، وقال شعيب الأرناءوط: صحيح بطرقه وشواهده

وفي المصطلح الصوفي :

لقد ربط الصوفية سائر الجمال بالجمال الإلهي، ولم يكن حبهم للجمال وعشقهم له عشقا للظواهر والماديات الحسية، ولكنه كان عشقا مجردا لما وراء الظواهر، لذلك كانت تجربة التذوق الجمالي عندهم تجربة تأملية هدفها الوصول إلى الجمال الأسمى والمطلق الذي تهفو إليه الأرواح، والذي هو علة الجمال في كل شيء موجود، وأدى بهم هذا الحب إلى السمو الروحاني والترقي. والاستغراق في الجمال يوصل الصوفية إلى درجة الوجد، والغيبة عن الوعي الحسي .

(والصوفية طلاب جمال ويهتز وجدانهم لمشاهدته .

واعلام الصوفية اما شعراء واما اصحاب فكر ، وسلوكهم في الحياة سلوك جمالي خالص ، والسبب انهم يطالعون في كل ما يكتبون او يقولون او ينشدون او يسلكون الجميل الذي هو الله)[1]

(والجمال مطلق ومقيد فالمطلق ما يستحقه الحق وينفرد به ، أما المقيّد فكلي وجزئي ، فالكلي يفيض من الله على العوالم والنفوس وسائر الأشياء فما من ذرة الا واشرق عليها هذا الجمال الالهي بقدر احتمالها وما قدّر لها مولاها ،ولا يخلو موجود من هذا الجمال الكلي ، ولا يدركه الا من كانت ذاته كليّة مثلما ان الجمال الجزئي يدركه من كانت ذاته جزئية) [2]

الشيخ الأكبر ابن عربي يقول: (الجمال: هو نعوت الرحمة والألطاف من الحضرة الإلهية باسمه الجميل، وهو الجمال الذي له الجلال المشهود في العالم)[3]

ويقول الغوث الأعظم عبد القادر الكيلاني :

---

[1] الموسوعة الصوفية ص ٨٩٦

[2] الموسوعة الصوفية ص ٨٩٥

[3] الفتوحات المكية ١٣٣/٢

(الجمال: هو تجلي القلوب بالأنوار، والسرور، والألطاف، والكلام اللذيذ، والحديث الأنيس، والبشارة بالمواهب الجسام، والمنازل العالية، والقرب منه عز وجل)[1]

ويقول الشيخ ابو حامد الغزالي :

(ثمَّ صِفَات الْجَلَال إِذا نسبت إِلَى البصيرة المدركة لَهَا سميت جمالا وَسمي المتصف بِهِ جميلا وَاسم الْجَمِيل فِي الأَصْل وضع للصورة الظَّاهِرَة المدركة بالبصر مهما كَانَت بِحَيْثُ تلائم الْبَصَر وتوافقه ثمَّ نقل إِلَى الصُّورَة الْبَاطِنَة الَّتِي تدْرك بالبصائر حَتَّى يُقَال سيرة حَسَنَة جميلَة وَيُقَال خلق جميل وَذَلِكَ يدْرك بالبصائر لَا بالأبصار[2]

ويقول الشيخ عبد الكريم الجيلي :

(جمال الله تعالى: هو عبارة عن أوصافه العليا وأسمائه الحسنى هذا على العموم، وأما على الخصوص: فصفة الرحمة وصفة العلم وصفة اللطف والنعم وصفة الجود والرزاقية والخلاقية وصفة النفع وأمثال ذلك كلها صفات جمال. وثم صفات مشتركة لها وجه إلى الجمال ووجه إلى الجلال، كاسمه الرب، فإنه باعتبار التربية والإنشاء اسم جمال، وباعتبار الربوبية والقدرة اسم جلال، ومثله اسم الله واسمه الرحمن، بخلاف اسمه الرحيم: فإنه اسم جمال، وقس على ذلك)[3]

ويقول الشيخ كمال الدين القاشاني :

الجمال: هو نور الوجه من دون الحجاب

ويقول : الجمال : هو تجلّية بوجهه لذاته فلجماله المطلق جلال هو قهاريته للكل عند تجليه بوجهه فلم يبق احد حتى يراه، وهو علو الجمال وله دنوّ يدنو

---

[1] موسوعة الكسنزان ٣٦١/٤

[2] المقصد الأسنى ص ١١٦

[3] الإنسان الكامل ٥٣/١

به منا، وهو ظهوره في الكل [1]

۞ جمع الجمع :

جمع : جمع الشيء عن تفرقة ، ويجمعه جمعا وجمعه وأجمعه فاجتمع .

وجمعت الشيء إذا جئت به من ههنا وههنا . وتجمع القوم : اجتمعوا أيضا من ههنا وههنا [2]

وقد وردت هذه المفردة بمشتقاتها في القران الكريم ١٤٨ مرة ، منها قوله تعالى :

﴿ إن النَّاس قد جمَعوا لكم فاخْشَوْهم ﴾[3]

وفي قوله تعالى :

﴿ فأجمعوا كيدكم ثُمَّ ائتوا صَفاً ﴾[4]

وفي الحديث: (من لم يُجمِع الصِّيَامَ من الليل، فلا صيام له)[5]

جمع الجمع في الاصطلاح الصوفي :

(شهود الحق بلا خلق، وجمع الجمع شهود الخلق قائماً بالحق، ويسمى الفرق بعد الجمع) [6]

ويرى القشيري أنَّ (جمع الجمع: الاستهلاك بالكلية، وفناء الإحساس بما سوى الله عز وجل عند غلبات الحقيقة... فالعبد يطالع نفسه في هذه الحالة في تصريف الحق سبحانه، يشهد مبدئ ذاته وعينه بقدرته، ومجري أفعاله وأحواله عليه بعلمه ومشيئته) [1]

---

[1] اصطلاحات الصوفية ص ٤٠

[2] انظر لسان العرب ١٩٧/٣

[3] آل عمران ١٧٣

[4] طه ٦٤

[5] أخرجه أبو داود (٢٤٥٤) – و البيهقي في معرفة السنن (٨٥٤٣)

[6] اصطلاحات الصوفية ص: ٤١

وقد جمع هذه المصطلحات الصوفية كلها عطاء الله الإسكندري في حكمه حيث قال: (وصاحب حقيقة غاب عن الخلق بشهود الملك الحق، وفني عن الأسباب بشهود مسبَب الأسباب، فهو عبد مواجه بالحقيقة، ظاهر عليه سناها، سالك للطريقة، قد استولى على مداها، غير أنه غريق الأنوار، مطموس الآثار، قد غاب سكره على صحوه, وجمعه على فرقه، وفناؤه على بقائه، وغيبته على حضوره) [٢]

مقام آخر أتم وأعلى من الجمع فالجمع شهود الأشياء بالله والتبري من الحول والقوة إلا بالله وجمع الجمع الاستهلاك بالكلية والفناء عما سوى الله وهو المرتبة الأحدية [٣]

ويرى الشيخ الأكبر ابن عربي أن :

جمع الجمع : (الاستهلاك بالكلية في الله عند رؤية الجمال) [٤]

۞الجنة

الجَنَّةُ: (الحَديقةُ ذات الشجر والنخل، وجمعها جِنان، وفيها تخصيص، ويقال للنخل وغيرها. وقال أَبو علي في التذكرة: لا تكون الجَنَّة في كلام العرب إلا وفيها نخلٌ وعنبٌ، فإن لم يكن فيها ذلك وكانت ذات شجر فهي حديقة وليست بجَنَّةٍ، وقد ورد ذكرُ الجَنَّة في القرآن العزيز والحديث الكريم في غير موضع.

---

[١] الرسالة القشيرية ١/٢٢٥, ٢٢٦

[٢] الحكم العطائية ص: ٢٠٨

[٣] التعريفات ص ٣٣

[٤] الفتوحات المكية ١٣٣/٢

والجَنَّةُ: هي دارُ النعيم في الدار الآخرة، من الاجْتنان، وهو السَّتْر لتَكاثُفِ أَشْجارِها وتظليلها بالتِفافِ أَغصانِها، قال: وسميت بالجَنَّة وهي المرَّة الواحدة من مَصْدر جَنَّة جَنّاً إذا ستَرَه، فكأَنها سترْةٌ واحدةٌ لشدَّةِ التِفافِها وإظْلالِها [1]

وقد وردت في قوله تعالى﴿ وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ [2]﴾ وقوله تعالى ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ [3]

وفي حديث رسول الله ﷺ :عن عبد الله بن قيس عن ابيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ان في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلاً في كل زاوية منها اهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمنون [4]

وعن عبد الله بن قيس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال :

(جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن) [5]

وقد تطلق لفظة الجنة على مجالس الذكر لأنها باب موصل الى الجنة او طريقاً اليها ،كما في قول رسول الله ﷺ :

(إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ، قالوا : وما رياض الجنة ؟ ، قال حلق الذكر) [1]

---

[1] لسان العرب ٩٢/١٣

[2] الكهف/٣٩

[3] البقرة/٢٦٦

[4] مسلم ٢١٨٢/٤ برقم٢٨٣٨

[5] البخاري ٤٩١/٨ برقم (٤٨٧٨)

الجنة فى الاصطلاح الصوفى :

نسب لرابعة العدوية (ت:١٨٥هـ) فى الكشف عن دافعها للعبودية والعبادة :

(ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً فى جنتك ولكن حباً لذاتك) [٢].

ولأبى يزيد البسطامى قوله :

(الجنة لا خطر لها عند أهل المحبة ، وأهل المحبة محجوبون بمحبتهم) [٣]

وينسب لأبى القاسم النصرباذى :

(إذا بدا لك شئ من بوادى الحق ، فلا تلتفت معه إلى جنة ولا إلى نار ، ولا تخطرهما ببالك ، وإذا رجعت عن ذلك الحال فعظم ما عظمه الله تعالى) [٤]

ويقول ايضاً : (الجنة باقية بإبقائه ، وذكره ورحمته لك باق ببقائه ، فشتان بين ما هو باق ببقائه ، وبين ما هو باق بإبقائه) [٥] .

ويقول الغوث الأعظم الشيخ عبد القادر الجيلاني :

الجنة هي فضل كلي ، خير كلي ، راحة كلية ، عطاء بلا حساب [٦]

۞ الجوع

(الجوع : اسم للمخمصة ، وهو نقيض الشبع .

وفي حديث الرضاع : إنما الرضاعة من المجاعة ; المجاعة مفعلة من الجوع ؛ أي : أن الذي يحرم من الرضاع إنما هو الذي يرضع من جوعه ، وهو الطفل يعني أن الكبير إذا رضع امرأة لا يحرم عليها بذلك الرضاع ; لأنه لم يرضعها من الجوع)[١]

---

[١] الحاكم في المستدرك ٦٧١/١ برقم (١٨٢٠).و الترمذي في كتاب الدعوات ٣٥١٠

[٢] صفة الصفوة ٢٤٩/٢

[٣] طبقات الصوفية ص٧٠

[٤] طبقات الصوفية ص ٤٨٥

[٥] الرسالة ٤١/١

[٦] الفتح الرباني ص ٢٧٤

وقد وردت في القران الكريم في قوله تعالى :

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[٢]

و(الجوع بمعنى القحط أقامه للمسبب مقام السبب ، قاله ابن عباس)[٣]

وفي قوله تعالى :

﴿وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾[٤]

وفي الآيتين كان الجوع بمعنى القحط وقلة الطعام .

وفي نفس المعنى ورد (الجوع) في الحديث النبوي الشريف (عن علي بن ابي طالب ﷺ قال رسول الله ﷺ :لا أعطيكم وأدع اهل الصفة تلوى بطونهم من الجوع)[٥] .

وفي حديث آخر :

(عن مالك انه بلغه ان رسول الله ﷺ دخل المسجد فوجد فيه ابا بكر الصديق وعمر بن الخطاب فسألهما فقالا اخرجنا الجوع فقال رسول الله ﷺ وان اخرجني الجوع فذهبوا الى الهيثم بن التيهان الأنصاري فأمر لهم بشعير عنده يعمل وقام يذبح لهم شاة فقال رسول الله ﷺ نكِّب عن ذات الدر فذبح لهم

---

[١] لسان العرب ٢٤١/٣

[٢] البقرة١٥٥

[٣] روح المعاني ٤٢٠/١

[٤] النحل١١٢

[٥] مسند احمد ٧٩/١ برقم ٥٩٦

شاة واستعذب لهم ماء فعلّق في نخلة ثم أتوا بذلك الطعام فأكلوا منه وشربوا من ذلك الماء فقال رسول الله ﷺ لتسألن عن نعيم هذا اليوم)[1]

وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال رأيت رسول الله ﷺ يلتوي في اليوم من الجوع ما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه [2]

الجوع فى الاصطلاح الصوفى :

والجوع فى اصطلاح الصوفية ورد على المعنى القرآنى كأدب من آدابهم يفضلونه على الشبع .

وليس الجوع مطلباً بحد ذاته فهم لا يسعون الى تجويع أنفسهم وأذيتها ، بل المقصود ان لا يكون الشبع شهوة يُسعى اليها وتُبتغى ، فالأكل بحدود المعقول واجب لحفظ البدن والإستقواء على العبادة .

وذاك مصداقاً لقول رسول الله ﷺ الذي رواه المقدام بن معدي كرب :

ما ملأ آدمي وعاء شر من بطن حسبك يا ابن آدم لقيمات يقمن صلبك ، فإن كان لا بد فثلث طعام وثلث شراب وثلث نفس [3]

وقد أطلق بعضهم علي الجوع الموت الأبيض [4]

روى عن يحى بن معاذ الرازى أنه قال :

(لو علمت أن الجوع يباع فى السوق ما كان ينبغى لطلاب الآخرة إذا دخلوا السوق أن يشتروا غيره) [5]

وقال ﷺ :

---

[1] موطأ مالك ٩٣٢/٢

[2] سنن ابن ماجة ١٣٨٨/٢ برقم ٤١٤٦

[3] صحيح ابن حبان ١٢/ ٤١ برقم ٥٢٣٦

[4] انظر طبقات الصوفية ص٩٣ والتعريفات ص٢٥٥ .

[5] اللمع ص٢٦٩

(الجوع على أربعة أوجه : للمريدين رياضة ، وللتائبين تجربة ، وللزهاد سياسة ، وللصديقين تكرمة)[1]

وقد استدل القشيري على أن الجوع والشهوة ، ابتلاء من الله ووجب على المرء أن يصبر في مواجهته بقوله تعالى : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ ثم قال في آخر الآية : (وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ) فبشرهم بجميل الثواب على الصبر على مقاساة الجوع ، ويقول في قوله تعالى : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[2]

(ولهذا كان الجوع من صفات القوم ، وهو أحد أركان المجاهدة ، فإن أرباب السلوك تدرجوا إلى اعتياد الجوع ، والإمساك عن الأكل ، ووجدوا ينابيع الحكمة في الجوع)[3]

ويقول الشيخ عبد الله الخراز الرازي :الجوع هو طعام الزاهدين [4]

وتقول السيدة رابعة العدوية رحمها الله تعالى :

الجوع : هو تنزيه النفس عن اللذة [5]

۞ الحادث :

(الْحَادِث مَا يجدّ وَيحدث وهو ضد الْقَدِيم .

وحادِث: (اسم) وهو فاعل من حَدَثَ وجمعه : حوادِثُ ، حادِثاتٌ

وفي شعر العرب :

إِلَى مَ اهْتِمَامِي فِي قَدِيمٍ وَحَادِثٍ ... وَسِيَّانَ بَعْدِي حَادِثٌ وَقَدِيمُ)[1]

---

[1] الرسالة ٣٧٢/١

[2] الحشر/٩

[3] . الرسالة ٣٧٢/١

[4] طبقات الصوفية ص ٢٨٩

[5] موسوعة الكسنزان ٤٨٢/٤

وفي الاصطلاح الصوفي :

الحادث : (مخاطَبة الحقّ للعارفين من عالم الملك والشّهادة ، كالنِّداء لموسى او ما يكون مسبوقا بالعدم ويسمى حدوثا زمانيا وقد يعبر عن الحدوث بالحاجة إلى الغير ويسمى حدوثا ذاتيا) [٢]

وقال الكفوي: (الحادث: ما كان وجوده طارئاً على عدمِه، أو عدمُه طارئاً على وجوده فهو حادث) [٣]

وقال: والحدوث: الخروج من العدم إلى الوجود، أو كون الوجود مسبوقاً بالعدم اللازم للوجود، أو كون الوجود خارجاً من العدم اللازم للموجود [٤]

وقال: وأظهر التعريفات للحدوث هو أنه حصول الشيء بعد أن لم يكن [٥]

وقال: والحادث القائم بذاته يسمى حادثاً، وما لا يقوم بذاته من الحوادث يسمى مُحْدَثاً لا حادثاً [٦]

قال الجرجاني: (الحادث: ما يكون مسبوقاً بمادة ومدة.

وقيل: ما كان لوجوده ابتداء)[٧]

وقال: وجميع الموجودات غير الواجب _ سبحانه _ محدث الذات [٨]

۞ الحال :

---

[١] لسان العرب باب حدث ٤/٥٣

[٢] التعريفات ص ٣٤

[٣] الكليات ص٣٥٩

[٤] الكليات ص٤٠٠

[٥] الكليات ص٤٠٠

[٦] الكليات ص٤٠٠

[٧] لتعريفات ص٢٠٦

[٨] التعريفات ص٤٠١

(الحال: لغة الصفة التي عليها الموصوف.

وقيل: الحال لغة نهاية الماضي وبداية المستبقل) [1]

والحالُ: جمعه أحوال وأحوله ، والحال تذكر وتؤنث ، والمشهور تأنيثها ،وهي صفة الشيء وهيئته وكيفيته .

ويكون الحال ما يلقى فى قلب الإنسان مما يصده عن مراده لحكمة تقتضى ذلك ، وقيل على ذلك :

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ ﴾[2]

وفي قوله تعالى : ﴿وحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ [3]﴾ أي : وحال بين نوح وابنه موج الماء

وفي الاصطلاح الصوفي :

الحال : (أن ينبعث من باطن العبد داعية للمراقبة أو المحاسبة أو الإنابة أو غير ذلك ، ثم تزول تلك الداعية لغلبة صفات النفس ثم تعود بعد زوالها ، ثم تعود بعد عودها فما دام العبد فى مراقبته أو فى محاسبته لذلك ، أو فى غير ذلك من الصفات بحيث لا تزال تلك الصفة ،تعود ثم تزول ثم تعود بلا استقرار وثبات)[4] وثبات)[4]

والحال ايضاً :

(معنى يرد على القلب من غير تصنع ولا اجتلاب ولا اكتساب من طرب أو حزن أو قبض أو بسط أو هيبة ويزول بظهور صفات النفس سواء يعقبه المثل

---

[1] التعريفات ص٤٠١

[2] سورة سبأ ٥٤

[3] هود ٤٣

[4] لطائف الإعلام ص ١٨٠

أولا فإذا دام وصار ملكاً يسمى مقاماً فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب والأحوال تأتي من عين الجود والمقامات تحصل ببذل المجهود) [١]

وقيل الحال : ما يرد على القلب من طرب او حزن او بسط او قبض وتسمى الحال بالوارد ايضا [٢]

روى عن الجنيد رحمه الله تعالى أنه قال : (الحال نازلة تنزل بالعبد فى الحين ،فيحل بالقلب من وجود الرضا والتفويض وغير ذلك ، فيصفو له فى الوقت في حاله ووقته ويزول)[٣] .

وقال القشيرى : (الحال عند القوم معنى يرد على القلب من غير تعمد منهم ولا اجتلاب ولا اكتساب لهم ، من طرب أوحزن أو بسط أو قبض أو شوق أو انزعاج أو هبة أو احتياج)[٤]

يقول الحلاج رحمه الله تعالى :

(ان الانبياء عليهم السلام سُلِّطوا على الاحوال فملكوها ، فهم يُصَرّفونها ، لا الاحوال تُصرّفهم ، وغيرهم سُلِّطت عليهم الاحوال ، فالأحوال تُصَرّفهم ، لا هم يُصرفون الاحوال) [٥]

(والأحوال هي المواهب الفائضة على العبد من ربه ، اما واردة عليه ميراثاً للعمل الصالح المزكي للنفس المصفّي للقلب ، واما نازلة من الحق تعالى امتناناً محضاً . وانما سميت الأحوال احوالاً لحلول العبد بها من الرسوم الخلقية ودركات البعد الى الصفات الحقية ودرجات القرب وذلك هو معنى الترقي .

---

[١] التعريفات ص ٣٤

[٢] معجم مصطلحات الصوفية ص ٧٣

[٣] اللمع ص٤١١

[٤] الرسالة القشيرية ٢٠٧/١

[٥] طبقات الصوفية ص ٢٣٨ ومناقب الأبرار ٧٦/٢

وقيل الحال ما يحل بالقلوب من صفاء الأذكار .

وقيل الحال هو الذكر الخفي) [1]

۞ الحال والمقام :

الحال نازلة تنزل بالقلوب فلا تدوم، والفرق بين المقام والحال أن المقام يكتسب بطريق المجاهدات والعبادات والرياضات، وأما الحال فيأتي من فيض الله،

وفي معجم الفاظ الصوفية :

(الاحوال مواهب والمقامات مكاسب .

ومعنى ذلك ان كل ما يرد على القلب من غير اكتساب هو من الأحوال .

اما المقامات فيصل اليها السالك بالصبر والمجاهدة بل بالجوع والزهد والورع والقناعة واسقاط التدبير ... وغيرها) [2]

(المقام عند الصوفية معناه: مقام العبد بين يدي الله عز وجل فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات، والرياضات، والانقطاع إلى الله تباركت أسماؤه، ومنه قول الله تعالى: ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ)[3]

أما الحال فنازلة تنزل بالقلوب فلا تدوم .

والفرق بين الحال والمقام ان المقام يكتسب بطريق المجاهدات والعبادات والرياضات ، وان الحال يأتي من فيض الله .

عدد المقامات والأحوال لدى الصوفية:

اختلفت أقوال الصوفية في عدد المقامات والأحوال وترتيبها، فقد جعلها الطوسي في اللمع سبعة مقامات :

---

[1] الموسوعة الصوفية ص ٩٠٣

[2] معجم الفاظ الصوفية ص ١١٠

[3] اللمع ص٤١

التوبة، والورع، والزهد، والفقر، والصبر، والتوكل، والرضا،
والأحوال عشرة : المراقبة، والقرب، والمحبة، والخوف، والرجاء، والشوق، والأنس، والطمأنينة، والمشاهدة واليقين [1]

ومنهم من جعلها منازل دون أن يقسمها بالمقامات كما فعل القشيري في رسالته، ولا يعني هذا العدد شيئا من ناحية تحديد المقامات والأحوال .

ويقول السهروردي رحمه الله:

(الحال سُمِّي حالا لتحوله، والمقام مقاما لثبوته واستقراره. وقد يكون الشيء بعينه حالا ثم يصير مقاما،مثل أن ينبعث من باطن العبد أي من دواعيه الداخلية داعي المحاسبة، ثم يزول الداعي بغلبة صفات النفس ثم يعود ثم يزول، فلا يزال العبد حال المحاسبة بتعاهد الحال، ثم يتحوّل الحال بظهور صفات النفس إلى أن تتداركه المعونة من الله الكريم ويغلب حال المحاسبة وتنقهر النفس وتنضبط وتتملّكها المحاسبة فتصير المحاسبة وطنه ومستقره ومقامه، فيصير مقام المحاسبة بعد أن كان له حال المحاسبة، ثم ينازله حال المراقبة، فمن كانت المحاسبة مقامه يصير له من المراقبة حال، ثم يتحوّل حال المراقبة لتناوب السهر والغفلة في باطن العبد إلى أن ينقشع ضباب السهو والغفلة ويتدارك الله عبده بالمعونة، فتصير المراقبة مقاما، بعد أن كانت حالا، ولا يستقر مقام المراقبة إلا بنازل حال المشاهدة، فإذا منح العبد بنازل حال المشاهدة استقرت مراقبته وصارت مقامه، ونازل المشاهدة أيضا يكون حالا يحول بالاستتار ويظهر بالتجلي، ثم يصير مقاما وتتخلّص شمسه عن كسوف الاستتار، ثم مقام المشاهدة أحوال وزيادات وترقيات من حال إلى حال أعلى منه كالتحقق بالفناء والتخلّص إلى البقاء،

[1] اللمع في التصوف ٦٨ -١٠٤

والترقي من عين اليقين إلى حقّ اليقين، وحق اليقين نازل يخرق شغاف القلب وذلك أعلى فروع المشاهدة)[1]

يظهر من التعريفات السابقة أن المقامات هي مراحل الطريق إلى الله التي يقطعها السالك في رحلته نتيجة مجاهدته لنفسه، أما الأحوال فهي ما يعرض للسالك دون كسب منه من المعاني الإلهية والأحوال الربانية التي ترد على القلب من غير تعمد من السالك ولا اجتلاب ولا اكتساب، كالطرب والحزن والقبض والبسط والشوق والانزعاج والهيبة.

۞ الحب :

(الحب : نقيض البغض . والحب : الوداد والمحبة ، وكذلك الحِب بالكسر)[2]

وكلمة الحب وردت في القرآن الكريم ثلاث وثمانون مرة ، على اختلاف مشتقاتها ، منها قوله تعالى :

فسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلى الْمُؤْمِنينَ أَعِزَّةٍ عَلى الْكافِرِينَ [3]

كما وردت في السنة النبوية المطهرة : عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : ذَا أَحَبَّ اللَّهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فأَحْبِبْهُ، فيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فيُنَادِي جِبْرِيلُ في أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فأَحِبُّوهُ، فيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ له القَبُولُ في الأَرْضِ [4]

وفي الاصطلاح الصوفي :

والحب عند المتصوفة ، لا يمكن تحديده ولا تعريفه ، ولا شرح حقائقه ، وإنما

---

[1] عوارف المعارف الباب ٥٨

[2] لسان العرب ٧/٤

[3] المائدة ٥٤

[4] أخرجه البخاري (٦٠٤٠)، ومسلم (٢٦٣٧)

يحد باللفظ فقط ، ويعرف بالعرف والاصطلاح ، أو كما يقول محيي الدين بن عربي (من حد الحب ما عرفه ؟ ومن لم يذقه شرباً ما عرفه ؟ ومن قال رويت منه ما عرفه ؟) [1]

فالحب شرب بلا ارتواء ، بل ربما يزيد الشارب عطشاً ، قال بعض المحجوبين شربت شربة فلم اظمأ بعدها أبدا ، فقال أبا يزيد : الرجل من يحسو البحار ولسانه خارج على صدره من العطش .

فالشوق يتجدد ويزيد ولا يسكن إلا بلقاء الحبيب او وصاله ، وكيف اللقاء ونداء الحبيب لعبده ونبيه موسى (لَن تَراني) يؤرق المحبين، فصار حتماً ان يزيد الشوق حتى يملك على الصوفي نفسه وقلبه وكل جوارحه ، وأن تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، ويجافي النوم عيونهم ، ففي غمرة حبهم وفي غمرة غرقهم في عوالم الجلال والجمال ، نَسوا كل ما سوى الله ، بل لم يشعروا بوجوده ، فربما نسوا ان يأكلوا او يشربوا ، فقد شُغِلوا بما أنساهم أنفسهم .

صعبٌ ان يُحدد الشوق وان يُعرَّفُ الوجد ... وكيف يوصف شعور الصوفي حين يخلو مع الله سبحانه ، لكنها محاولات لرسم حدود الحب او بعض آثاره .

(الحب : تعلق خاص من تعليقات الارادة لا يكون الا بمعدوم ، ينتقل المحب بهذا التعلق الى صفة المحبوب وهو سارٍ في جميع المقامات والأحوال لأنه كان في الأصل) [2]

والصوفية يشترطون في الحب أن يتصل بأدب النفس، وكانت رابعة العدوية من المحبين واشتهرت بتلك المحبة ولها أبيات تتحدث بها عن حبها لله وتصف حالها تقول فيها :

(أحبــك حبــين حب الهوى وحـــبًا لأنك أهـل لـذاك

---

[1] الفتوحات المكية ١٦١/٣

[2] الفتوحات المكية ٢ / ٣٢٧ والمعجم ص ٣٠٢

فـأمـا الذي هو حبُّ الهوى فشغـلي بذكـرك عمن سواك
وأمـــا الذي أنت أهـل لـــه فكشفك للحجب حتى أراك
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاك

وفي هذه الأبيات تميز رابعة بين حبين : هما حب الهوى ، والحب لله تعالى .

ومعنى حب الهوى اني رأيتك فأحببتك عن مشاهدة اليقين لا من خبر وسمع وتصديق ، من طريق النِعَم والإحسان فتختلف محبتي اذا تغيرت الأفعال لاختلاف ذلك عليّ ، ومع ذلك فاني بمحبتك وهرويي قد اشتغلت اشتغلت بك لمّا تفرغت لك .

واما الحب الثاني الذي هو أهل له : فهو حب التعظيم والإجلال لوجهه العظيم ذي الجلال ، أي الحب الذي ليس باعثه نعمة بل باعثه المحبوب بذاته ولذاته ، وهو سر من اسرار الله .

وذو النون المصري يرى ان الحب خاص بالعارفين ، ولا يجب ان يذاع بين العامة ، ومعروف الكرخي يقول فيه انه منحة الهية وليس اكتساباً بالتعلم)[1]

قيل لمعروف الكرخي : أخبرنا عن المحبة أي شيءٍ هي ؟ قال: يا أخي ليس المحبة من تعليم الناس، المحبة من تعليم الحبيب .

ويقول أبو يزيد البسطامي: توهمت أني أذكره وأعرفه وأحبه وأطلبه، فلما انتهيت رأيت ذكره سبق ذكري، ومعرفته سبقت معرفتي، ومحبته أقدم من محبتي، وطلبه لي أولًا حتى طلبته [2]

ويقول الإمام الغزالي: إن لله تعالى شرابًا يسقيه في الليل قلوب أحبائه، فإذا شربوا طارت قلوبهم في الملكوت الأعلى، حبًّا لله تعالى، وشوقًا إليه [3]

---

[1] الموسوعة الصوفية ص ٩٠٤

[2] الرسالة القشيرية، ص١٨٩

[3] إحياء علوم الدين، باب المحبة

وسُئل أبو سعيد الخراز عن المحبة، فقال: طوبى لمن شرب كأسًا من محبته، وذاق نعيمًا من مناجاة الجليل وقربه، بما وجد من اللذات بحبه، فمُلئ قلبه حبًّا، وطار بالله طربًا، وهام به اشتياقًا، فيا له من رامقٍ، أسف بربه، كلف دنفٍ، ليس له سكنٌ غيره، ولا مألوفٌ سواه [1]

ويقول أبو القاسم الجنيد: «سألني السري السقطي يومًا عن المحبة؟ فقلت: هي الموافقة، وقال قومٌ: الإيثار، فأخذ السري جلدة ذراعه ومدها فلم تمتد ، ثم قال: وعزته تعالى لو قلت: إن هذه الجلدة يبست على هذا العظم من محبته لصدقت ، ثم غُشي عليه »[2]

ويقول جلال الدين الرومي عن الحب: هو الكحل الذي تكتحل به عين القلب فينجلي بصرها [3]

۞ حُجُب :

الحجب والحجاب ، المنع من الوصول ، يقال : حجبه حجباً وحجابا [4]

قال تعالى ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلا بِسِيمَاهُمْ ﴾[5] ، أى فاصل بين أهل الجنة وأهل النار .

وقوله تعالى ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾[6] والحجاب هنا الستر والفاصل .

وقوله تعالى :

---

[1] الحسين بن منصور الحلاج: شهيد التصوف الإسلامي ص ١٤٣

[2] وفيات الأعيان ٢/ ٣٥٨ و الحسين ابن منصور ص ١٤٤

[3] الحسين بن منصور الحلاج: شهيد التصوف الإسلامي ص ١٤٤

[4] لسان العرب ٢٩٨/١

[5] سورة الاعراف ٤٦

[6] سورة الاسراء ٤٥

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [1] ، أى من حيث لا يراه مكلمه ومبلغه ، وقوله : ﴿ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ [2] يعنى الشمس إذا استقرت بالمغيب [3] ، وقال سلمة بن الأكوع ﷺ : "كنا نصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم المغرب إذا توارت بالحجاب " [4]

والحجاب يرد على معنيين :

١- الستر المعنوى : فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾ [5] وهو الختم والطبع يفسره قوله تعالى بعده : ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ [6]

٢- الستر الحسى : كقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : (قلت : يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب) [7]، فاستعمالات الكلمة فى القرآن والسنة تدور على معنى معنى الستر والمنع ، سواء كان هذا الستر حسيا أو معنويا .

وفي الاصطلاح الصوفي :

يتنوع مدلول الحجاب فى عرف الصوفية بين عدة معان ، منها ما هوقائم على الأصول القرآنية والنبوية ، ومنها مايخالفها ، فمن ذلك :

---

[1] الشورى/٥١

[2] ص/٣٢

[3] المفردات ص ١٠٨

[4] أخرجه البخارى فى كتاب مواقيت الصلاة ٤٩/٢ برقم ٥٦١

[5] الإسراء/٤٥

[6] الإسراء/٤٦

[7] اخرجه البخاري في باب تفسير القران ١٨/٨ برقم ٤٤٨٣

الحجاب حجاب الأسباب ، إذ أنها حائل موضوع للابتلاء ، يقول أبو طالب المكي : (احتجب عن العموم بالأسباب فهم يرونها وحجب الأسباب بنفسه عن الخصوص فهم يرونه ، ولا يرونها) [١]

أى أن العامة لضعف توكلهم وإيمانهم ، يعاينون النتائج والأحداث بالأسباب فقط بينما لا يخدع الموحدون والمتوكلون بالأسباب ، لقوة إيمانهم بالله ومعرفتهم بصفاته ، فينظرون إلى من خلفها ، ويعتمدون عليه ويستعينون به .

ويوضح أبو طالب المكى احتجاب صفات الأفعال بقوله : (وكذلك أيضا تدخل الشبهة على الغافلين ، من ضعف اليقين لشهود المانعين والمنفقين ، أوائل فى الفعل ، من قبل أن الله تعالى أظهر العطاء والمنع بأيديهم ، فشهدوهم معطين مانعين لنقصان توحيدهم ، فأشركوا فى أسماء الله) [٢]

والسري السقطي يتكلم عن الحجاب فى دعاءين مختلفين فنسب إليه أنه مرة يقول : (اللَّهم مهما عذبتنى بشئ ، فلا تعذبنى بذل الحجاب) [٣] ومرة أخرى يقول : (اللَّهم الطف بنا واسترنا بلطف الحجاب)[٤]

اما ما ذهب اليه رحمه الله في الحجاب الأول ينعم بشهود انوار الربوبية ويد القدرة في كل ما حوله ، وأما الآخر فيسأل الله التخفيف ، حتى يستمر في حياته ويؤدي ما تستدعيه معيشته ، فهو لو ظل على الحال الأولى ورأى يد القدرة في كل شيء لكان انشغل عن أي شيء .

وعليه فالحجب تسدل رحمة للخلق او تسدل عقوبة او اختبار .

ويكون الحجاب حجاب المعاصى ، فحجاب النفس الشهوات واللذات

---

[١] قوت القلوب ١٢٦/١

[٢] قوت القلوب ١١/٢

[٣] طبقات الصوفية ص٣٠٣

[٤] حلية الأولياء ١٢٠/١٠

والأهوية وحجاب القلب الملاحظة فى غير الحق ، وجملة الصفات الذميمة بصفة عامة حجاب بين العبد وربه ، ويذكر القشيرى فى قوله تعالى : كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ [1] ، أن المعاصى التى كانوا يكسبون ، حجبتهم عن ربهم وغطت على قلوبهم ، وكما أنهم اليوم محجوبون عن معرفته ، فهم غداً محجوبون عن رؤيته ، ودليل الخطاب يوجب أن يكون المؤمنون يرونه غدا كما يعرفونه اليوم وهذا المعنى قرآنى أيضا .

ويكون الحجاب احتجاب الوحدة بالكثرة ، يقول ابن عربى :

(الحجاب هو كل ما ستر مطلوبك عن عينك ، وهو عند أهل الحق انطباع الصور الكونية فى القلب ، المانعة لقبول تجلى الحق) [2]،

ويظهر معنى ذلك على التفصيل من تفسير الكاشانى لقوله تعالى : وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا [3] ، فيذكر أن الله جعل بين نبيه وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة لقصور نظرهم عن إدراك الروحانيات وقصر هممهم على الجسمانيات حجابا ، مستورا من الجهل وعمى القلب ، فلا يرون حقيقة القارئ ولا آمنوا بالوحدة ، وإنما لا يبصرونك ، لأنهم لا يحسبونك إلا هذه الصورة البشرية لكونهم بدنيين منغمسين فى بحر الهيولى ، محجوبين بالغواشى الطبيعية ، وملابس الصفات النفسانية عن الحق وصفاته وأفعاله ، إذ لو عرفوا الحق لعرفوك ، ولو عرفوا صفاته لعرفوا كلامه ، ولم يكن على قلوبهم أكنة من الغشاوات الطبيعية والهيئات البدنية أن يفقهوه ، ولو عرفوا أفعاله لعلموا القراءة لمن ، ولم يكن فى آذانهم وقر لرسوخ أوساخ التعلقات ، وَلوا على أدبارهم نفورا

---

[1] المطففين/١٥

[2] معجم اصطلاحات الصوفية ص١٦ ، ص١٨ والتعريفات ص٨٦

[3] الإسراء/٤٥:٤٦

لتشتت أهوائهم وتفرق هممهم فى عبادة متعبداتهم من أصنام الجسمانيات والشهوات ، فلا يناسب بواطنهم معنى الوحدة ، لتألفها بالكثرة واحتجابها بها[1]

ومن اقوال الحسين بن منصور الحلّاج رحمه الله (حجبهم بالإسم فعاشوا ،ولو ابرز لهم علوم القدرة لطاشوا ، ولو كشف لهم الحجاب عن الحقيقة لماتوا.

ويقول رحمه الله تعالى :

مَن لاحظ الاعمال حُجب عن المعمول له ، ومن لاحظ المعمول له حُجب عن رؤية الاعمال)[2]

(والصوفية يستخدمون كلمة الحجاب بمعاني متعددة حسب الحال الذي يتكلمون فيه ، فيقال مثلاً :

ان هذا السالك او المريد الصادق قد كشف عنه الحجاب ، اي رفع عنه حجاب الدنيا وبدت التجليات والمنن والعطايا تتوارد على قلبه ، واصبح من اصحاب المكاشفات والفتوحات اي وصل الى مقام الولاية أي من اصحاب الأسرار .

كما يستخدم الحجاب بمعنى الحجب فعندما يسقط الولي ويقع في الالتباس فينتكس ويتلف ، ويقال عنه حينئذ انه قد حُجِب أي يرجع الى نظره وبصره وحسه ومدركاته الحسية وفقد المنن الربانية والفيوضات الرحمانية والعلوم الاشراقية التي تقذف في قلب الأولياء واهل الحق والعارفون بالله .

وقد يستعمل الحجاب بمعنى الستر ، اي لا يعرف حال العبد الصالح فهو مستور عن الخلق معروف لله ... فلا يعرف مقامه عند الناس وما افاض الله به

---

[1] انظر أيضا للمقارنة بمعنى الحجاب عند ابن عربى فصوص الحكم ٥٤/١

[2] طبقات الصوفية ص ٢٣٧

عليه من النعم والرحمات والمنن ، ولهذا العبد في هذه الحالة حجاب من نفسه على نفسه ، فلا تعلم يده ما ذاقه قلبه من ثمرات المجاهدة)[1]

۞ الحرص:

(حرَصَ على يَحرِص، حِرْصًا وحَرْصًا، فهو حارص

الحِرْصُ: شدّةُ الإرادة والشَّرَه إلى المطلوب .

كما في قول الله تعالى :

(وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ)[2]

وفي قول أَبي ذؤيب:

ولقد حَرِصْت بأَن أُدافعَ عنهمُ فإِذا المِنيّةُ أَقْبَلَتْ لا تُدْفَعُ

يكون الحرص بمعنى هَمَمْتُ، والمعروف حَرَصْتُ عليه .

وقول العرب حَرِيصٌ عليك معناه حَرِيصٌ على نَفْعِك)[3]

والحرص يكون محموداً حين يكون بمعنى أشفق عليه ورغب في نفعه وهدايته وإرشاده ،كما في قوله تعالى :

(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) [4]

وفي قوله تعالى :

﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾[5]

وتكون بمعنى بذل الجهد :

---

[1] معجم الفاظ الصوفية ص ١١٧ ـ ١١٨

[2] (البقرة/٩٦)

[3] لسان العرب ١١/٧

[4] التوبة/١٢٨

[5] يوسف١٠٣

في قوله تعالى :

﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ [1]

وفي الحديث النبوي الشريف وردت كلمة الحرص بنفس المعنى الذي جاءت به في القران الكريم .

فمن حديث عائشة رضي الله عنها قالت : (رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه ، وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد ، حتى أكون أنا التي أسأم ، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللَّهو)[2]

وهناك الحرص المذموم والمعبر عن الجشع والطمع عبر عنه القران الكريم :

وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ

وبنفس المعنى في الحديث الشريف :

عن كعب بن مالك ان رسول الله ﷺ قال :

ما ذئبان جائعان ارسلا في غنمٍ ، أفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه [3]

وعن أنس ﷺ قال رسول الله : يهرم ابن آدم وتشب منه اثنتان الحرص على المال ، والحرص على العمر " [4]

ويكون شدة الإرادة وطلب الشيء ، كما في قوله ﷺ :

(عن ابي موسى ﷺ قال دخلت على رسول الله ﷺ انا ورجلان من قومي فقال احد الرجلين أمّرنا يا رسول الله ، وقال الآخر مثله .

فقال رسول الله ﷺ إنا لا نولّي هذا من سأله ولا من حرص عليه)[1]

---

[1] النساء١٢٩

[2] أخرجه البخارى فى كتاب النكاح ٢٤٨/٩ برقم ٥٢٣٦

[3] البخاري ٢٦١٤/٦ برقم ١٥٨٢٢

[4] أخرجه مسلم فى كتاب الزكاة ٧٢٤/٢ برقم ١٠٤٧ وأحمد فى المسند (١٣٧١٩)

وقوله عليه الصلاة والسلام :

(إنكم ستحرصون على الإمارة ، وستكون ندامة يوم القيامة ، فنعم المرضعة وبئست الفاطمة)[٢]

وهي بمعنى الرغبة والاهتمام بتحقيق الشيء كما في حديث :

عن عبد الرزاق عن معمر قال بلغني ان رسول الله ﷺ كان اراد فراق سودة ، فكلمته في ذلك فقالت يا رسول الله ما بي حرص الأزواج ولك احب ان يبعثني الله يوم القيامة زوجاً لك)[٣]

الحرص فى الاصطلاح الصوفى :

الحرص في ألفاظ الصوفية يدور على المعنى القرآن السابق ، ويعنى عندهم طلب الشيء باجتهاد في إصابته [٤]

ويرتبط اللفظ بالمذمة ، لاقترانه بطلب الدنيا ، وهى عندهم في موضع العداء ، روى عن حاتم الأصم أنه قال :

(المنافق ما أخذ من الدنيا ، يأخذ بالحرص ويمنع بالشك وينفق بالرياء والمؤمن يأخذ بالخوف ويمسك بالسنة وينفق لله خالصا في الطاعة)[٥]

ويذكر أبو حامد الغزالى : أن شدة الحرص على فضول الدنيا من الأوصاف الردية والأخلاق المذمومة التى توقع فى الغضب وتؤدى إلى الكذب وطلب الجاه

---

[١] مسند احمد ٤٥٦/٣ برقم٦٧٣٠

[٢] البخارى ١٣٣/١٣ برقم ٧١٤٨

[٣] مصنف عبد الرزاق ٢٣٩/٦ برقم١٠٦٥٨

[٤] التعريفات للجرجانى ص٩٠

[٥] طبقات الصوفية ص٩٥

والعجب[1]

ويذكر القشيرى فى شرحه لقوله جل ذكره : (وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ)[2] ،

أن حب الحياة فى الدنيا نتيجة الغفلة عن الله ، وأشد منه غفلة أحبّهم للبقاء فى الدنيا ، وحال المؤمن من هذا على الضد وأما أهل الغفلة وأصحاب التهتك فإنما حرصهم على الحياة لعلمهم بما فقدوا فيها من طاعتهم ، فالعبد الآبق لا يريد رجوعاً إلى سيده ، والانقلاب إلى من هو خيره مرجو خير للمؤمنين من البقاء مع من شره غير مأمون)[3]

۞ الحروف :

الحروف ، حروف جمع حَرْف وحرف الشيء : طرفه وجمعه أحرف وحروف ، وحروف الهجاء أطراف الكلمات الرابطة بعضها ببعض)[4]

وفي التنزيل :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ﴾ [5]

اي يعبد الله على تردده، كالذي يقف على طرف جبل أو حائط لا يتماسك في وقفته .

وفي السنّة الشريفة قول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : ان القران نزل على نبيكم من سبعة ابواب على سبعة أحرف او قال حروف ، وان الكتاب قبله

---

[1] إحياء علوم الدين ١٧٨/٣

[2] البقرة/٩٦

[3] لطائف الإشارات ١٠٧/١

[4] المفردات ص ١١٤

[5] الحج ١١

كان ينزل من باب واحد على حرف واحد [1]

وفي الاصطلاح الصوفي :

الحروف : هي الحقائق البسيطة من الأعيان عند مشايخ الصوفية [2]

(وعلم الحروف عند اهل الكشف موضوعه حروف الالفاظ والارقام ، ويقولون ان الحروف حيّة ناطقة تلقي بأسرارها مكاشفة .

وعلم الحروف في اعتقادهم هو علم الاولياء ، فيتعلمون ما اودع الله في الحروف والأسماء من الخواص التي تنقلها لهم الأشياء من عالم الحقيقة والخيال .

والحروف كالطبائع والعقاقير لها خواص بانفرادها ولها خواص بتركيبها ، وفِعلها ليس لأعيانها بل لأحدية جمعية ، فالفاعل هو الواحد وهو الله ، وخاصيتها المفردة خلاف خاصيتها التركيبية مع غيرها .

يقول الحلاج : في القران علم كل شيء ، وعلم القران في الأحرف التي في آخر السور ، وعلم الأحرف في لام ألف ، وعلم لام ألف في الألف في النقطة ، وعلم النقطة في المعرفة الأصلية ، والألف عنده هو الله) [3]

وعند الشيخ الأكبر ابن عربي :

الحرف . . . ما يخاطبك به الحق من العبارات [4]

ويقول : فتسمى (كلمات العالم – حقائق العالم) في الانسان حروفا من حيث آحادها وكلمات من حيث تركيبها ، كذلك أعيان الموجودات حروف من حيث آحادها وكلمات من حيث امتزاجها [5]

---

[1] مسند احمد ١/٤٤٥ برقم ٤٢٥٢ ومجمع الزوائد ٤/١٩٠٩

[2] التعريفات ص ٣٦

[3] الموسوعة الصوفية ص ٩١٠

[4] الفتوحات ٢/١٣٠

[5] فتوحات ٢ / ٣٩٢

۞ الحرية:

الحر خلاف العبد ، والحرية ضربان [١] :

الأول : من لم يجر عليه أحكام الرق ، نحو قوله تعالى :

﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾ [٢]، والتحرير جعل الإنسان حرا ومنه قول الله تعالى : فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ [٣]، وعن أبي هريرة ﷺ ، عن النبي قال : " قال اللَّه ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ، رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع حرا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعط أجره " [٤] .

الثانى : من لم تتملكه الصفات الذميمة ، من الحرص والشر من المقتنيات الدنيوية ، وإلى العبودية التى تضاد ذلك ما روى عن أبي هريرة ﷺ عن النبي قال : " تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ، إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش " [٥] .

وقوله تعالى ﴿إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [٦]، (قيل : هو أنها جعلت وليدها بحيث لا ينتفع به الانتفاع الدنيوى ، بل جعلته مخلصا للعبادة ، وقيل : معتقا من أمر الدنيا وكل ذلك إشارة إلى معنى واحد) [٧]

وفي الإصطلاح الصوفي :

---

[١] المفردات ص١١١ ، ولسان العرب ١٨١/٤

[٢] البقرة/١٧٨

[٣] النساء/٩٢

[٤] أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد والسير ٩٥/٦ برقم ٢٨٨٧

[٥] أخرجه البخارى فى كتاب البيوع ٤٨٧/٤ برقم ٢٢٢٧

[٦] آل عمران/٣٥

[٧] المفردات ص١١١

والحرية ترد عند أوائل الصوفية ، على معنى تجيزه الأصول القرآنية والنبوية فيعنى عندهم إتمام العبودية لله والتحرر مما سواه ، فمقدار الحرية فى الإنسان يتحدد بمقدار العبودية لله ، والخروج من عبودية ما سواه ، كما أن أوائل الصوفية رسموا طريقا للحرية من خلال المقامات ، والمجاهدات التى تزيد الإيمان شيئا فشيئا حتى يصل إلى الكمال فيه ، ويبدأ الطريق بمقام التوبة ثم الورع والزهد والصبر والتوكل والرضا وينتهى بالحرية ، فالحرية عندهم آخر مقام للعارف .

روي عن بشر الحافى أنه قال للسرى السقطى :

(إن الله تعالى خلقك حرا ، فكن كما خلقك ، لا تراء أهلك فى الحضر ، ولا رفقتك فى السفر ، اعمل لله ودع عنك الناس) [1]،

ويقول أيضا : (من أراد أن يذوق طعم الحرية ويستريح من العبودية لغير الله ، فليطهر السريرة بينه وبين الله تعالى) [2].

وينسب لأحمد بن خضرويه أنه قال : (فى الحرية تمام العبودية وفى تحقيق العبودية تمام الحرية) [3]،

وربما جعل الجنيد بن مُحَمَّد الحرية آخر ما يصل إليه العارف من المجاهدة ، فيروى عنه أنه قال : الحرية آخر مقام للعارف ، وسئل عمن لم يبق عليه من الدنيا إلا مقدار مص نواة ، أيكون حرا ؟ فقال : المكاتب عبد ما بقى عليه درهم وانشد يقول :

أتمنى على الزمان محالا أن ترى مقلتاى طلعة حر [4]

---

[1] اللمع للسراج الطوسى ص٤٥٠

[2] الرسالة القشيرية ٢/٢٦٢

[3] اللمع ص ٤٤٨ وطبقات الصوفية ص١٠٤

[4] الرسالة ٢/٤٦١

وينسب لإبرهيم بن شيبان أنه قال : (من أراد أن يكون حرا من الكون ، فليخلص فى عبادة ربه ، فمن تحقق فى عبادة ربه ، صار حرا مما سواه) [١]

وربما ركز بعضهم على أن التحرر الحقيقى يكمن فى القلب على اعتبار ، أن صلاح القلب يؤدى باللزوم إلى صلاح البدن وسائر الجوارح فروى عن أبى بكر الشبلى أنه قال :

(الحرية هى حرية القلب لا غير) [٢]

وقال السراج الطوسى : (الحرية إشارة إلى نهاية التحقق بالعبودية لله تعالى ، وهو أن لا يملكك شئ من المكونات وغيرها ، فتكون حرا إذا كنت لله عبدا ، فلا يكون العبد عبداً حقا ، ويكون لما سواه مسترقا) [٣].

ويروى عن أبى على الدقاق أنه قال : (أنت عبد من أنت فى رقه وأسره ، فإن كنت فى أسر نفسك ، فأنت عبد نفسك ، وإن كنت فى أسر دنياك فأنت عبد دنياك) [٤].

ويستند القشيرى إلى الأصول القرآنية فى بيان معنى الحرية عند الصوفية فيبين أن المحرر هو الذى ليس فى رق شئ من المخلوقات ، حرره الحق سبحانه فى سابق حكمه عن رق الاشتغال بجميع الوجوه والأحوال ، قال تعالى: إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [٥]

واستدل على معنى الحرية بقوله تعالى: وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ

---

[١] طبقات الصوفية ص ٤٠٤

[٢] طبقات الصوفية ص٣٤٣

[٣] اللمع ص٤٥٠

[٤] الرسالة ٤٣٠/٢

[٥] آل عمران/٣٥

خَصَاصَةٌ [1]

، وذلك أنهم إنما آثروا على أنفسهم لتجردهم عما خرجوا منه وآثروا به ، فالحرية ألا يكون العبد تحت رق المخلوقات ، ولا يجرى عليه سلطان المكونات وعلامة صحة سقوط التميز بين الأشياء ، فيتساوى عنده أخطار الأعراض حتى يستوى حجرها وذهبها [2] .

وكما عودنا الكاشانى في ذكر معانى المصطلح وتخصيصه على الوجهة الدلالية لاعتبارات الصوفية ، جعل الحرية فى الاصطلاح الصوفى على ثلاثة أنواع :

١- حرية العامة : وهى التى تقدمت وتعنى الخروج عن رق اتباع الشهوات [3]

٢- حرية الخاصة : وهى الخروج عن رق المرادات ، لاقتصارهم على ما يريده الحق بهم ، وهو ما عناه القشيرى ، بقوله : (إن الذى أشار إليه القوم من الحرية ، هو ألا يكون العبد تحت رق شئ من المخلوقات ، لا من أعراض الدنيا ولا من أعراض الآخرة فيعبده فرداً لفرد

٣- حرية خاصة الخاصة : وهى خروجهم عن رق الرسوم والآثار ، لانمحاق ظلمة كونهم فى تجلى نور الأنوار)[4]

وما ذكره ابن عربى : (الحرية من ظلمات أهل الغيب المكتنفين خلف الحجب الظلمانية ، لقوله تعالى : وَلا تَزِدْ الظَّالِمِينَ إِلا تَبَارًا [5] أي هلاكا فى الحق ،

---

[1] الحشر/٩

[2] الرسالة ٢/٤٦٠

[3] معجم الكاشانى ص٨٢

[4] الرسالة ٢/٤٦١

[5] نوح/٢٨

فلا يعرفون نفوسهم لشهودهم وجه الحق دونهم) [1]

والحرية عند بعض رجال التصوف تعني : الخروج عن رق الكائنات وقطع جميع العلائق والأغيار وهي على مراتب حرية العامة عن رق الشهوات ، وحرية الخاصة عن رق المرادات لفناء إرادتهم من إرادة الحق وحرية خاصة الخاصة عن رق الرسوم والآثار لانمحاقهم في تجلي نور الأنوار)[2]

(الحرية انقطاع الخاطر من تعلق ما سوى الله بالكلية ، وهي أعلى مراتب حرية العامة عن رق الشهوات ، وحرية الخاصة عن رق المرادات ، لفناء ارادتهم في ارادة الحق ، وحرية الخاصة عن الخاصة عن رق الرسوم والاثار لانمحاقهم في تجلي نور الأنوار .

وعند الجنيد : الحرية اخر مقام العارف)[3]

۞ الحق

أصل الحق المطابقة والموافقة ، والحق يقال على أوجه منها [4] :

١- الحق : اسم من أسماء الله عز وجل ، لقوله تعالى :

﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمْ الْحَقِّ﴾ [5]، وقوله : ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلا الضَّلالُ فَأَنَّا تُصْرَفُونَ﴾ [6] وعن ابن عباس رضي الله عنهما : " كان من دعاء النبي ﷺ فى التهجد : اللَّهم أنت الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق وقولك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، ومُحَمَّد

---

[1] فصوص الحكم ص٧١:٧٣

[2] التعريفات ص ٣٦

[3] الموسوعة الصوفية ص ٩١٣

[4] لسان العرب ٤٩/١٠ ، والمفردات ص١٢٥، ص١٢٤

[5] الأنعام/٦٢

[6] يونس/٣٢

حق والساعة حق لك " [1] .

٢- الحق : يقال لفعل الله تعالى ، لأن المفعولات توجد بحسب مقتضى الحكمة وقال تعالى :﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلا بِالْحَقِّ ﴾[2].

٣- الحق : يقال للاعتقاد المطابق للحقيقة كقوله تعالى ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[3]، وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت : "جاءت أم سليم إلى رسول الله فقالت : يا رسول الله إن الله لا يستحيي من الحق ، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت ؟ قال النبي : إذا رأت الماء " [4] .

٤- الحق : يطلق على التوحيد والشريعة ، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : (دخل النبي مكة ، وحول الكعبة ثلاث مائة وستون نصبا فجعل يطعنها بعود في يده وجعل يقول : جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ [5])[6]وقال تعالى : هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ [7] ، ويطلق على الشريعة الشريعة ، لقوله تعالى : يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ [8] ، [8] ، وروى عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (

---

[1] أخرجه البخارى ٣/٥ برقم ١١٢٠

[2] يونس/٥

[3] البقرة/٢١٣

[4] أخرجه البخارى فى كتاب العلم ١/٢٧٦ برقم ١٣٠

[5] الإسراء/٨١

[6] أخرجه البخارى فى كتاب المظالم والغصب ٥/١٠٠ برقم ٢٤٧٨

[7] التوبة/٣٣

[8] النساء/١٧٠

(لا حسد إلا في اثنتين ، رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة ، فهو يقضي بها ويعلمها) [1] .

٥- الحق يطلق على صفة النبى صلى الله عليه وسلم كقول الله تعالى ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [2]

٦- الحق يطلق على الدَّيْن كقوله تعالى ﴿وَلْيُمْلِلْ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾ [3]

الحق فى الاصطلاح الصوفى :

والحق فى عرف الصوفية ، يطلق غالبا فى إطار المعنى القرآنى السابق ، فربما أطلقها بعضهم ويعنى بها اتباع الشرع أو المعرفة أو الإيمان أو التوحيد أو الله تعالى ، كما روى عن أحمد بن خضروية أنه قال : (القلوب أوعية ، فإذا امتلأت من الحق ، أظهرت زيادة أنوارها على الجوارح ، وإذا امتلأت من الباطل ، أظهرت زيادة ظلمتها على الجوارح) [4]،

وعن ذى النون المصرى قال : (كل مدع ، محجوب بدعواه عن شهود الحق لأن الحق شاهد لأهل الحق ، ولأن الله هو الحق ، وقوله الحق ، ولا يحتاج أن يدعى ، إذا كان الحق شاهدا له ، فأما إذا كان غائبا فحينئذ يدعى ، وإنما تقع الدعوى للمحجوبين) [5]، ويذكر لأبى سعيد الخراز فى بعض كلامه : (عبد

---

[1] أخرجه البخارى فى كتاب العلم ١٩٩/١ برقم ٧٣

[2] البقرة/١٤٦

[3] البقرة/٢٨٢

[4] طبقات الصوفية ص١٠٥

[5] طبقات الصوفية ص٢٢

موقوف مع الحق بالحق للحق) ، ويعنى بذلك أنه موقوف مع الله بالله لله [١] ، ويروى أن يوسف بن حسين الرازى حين سُئل : دلنى على طريق المعرفة ؟ ، قال : أرِ اللَّهَ الصدقَ منك فى جميع أحوالك ، بعد أن تكون موافقا للحق ، ولا ترقَ إلى حيث لم يرقَ بك ، فتزل قدمك ، فإنك إذا رقيت سقطت ، وإذا رقى بك لم تسقط ، وإياك أن تترك اليقين لما ترجوه ظنا [٢]

ويذكر السراج الطوسى أن الحق فى عرف الصوفية هو الله عز وجل ، لقوله : وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ [٣]والحقوق معناه الأحوال والمقامات ، والمعارف والإرادات ، والعقود والمعاملات والعبادات) [٤]

وقال أبو الحسن على بن عثمان الهجويرى: (مرادهم من الحق الله ، لأن هذا اسم من أسماء الله ، لقوله تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ﴾[٥]

والحق فى عرف ابن عربى يطلق على عدة معان ، أولها له أصول نبوية ويعنى به ما وجب على العبد من جانب الله ، وما أوجبه الحق على نفسه [٦]، وهذا المعنى يشهد له ما ثبت عن معاذ بن جبل ﷺ قال : "كنت ردف النبي على حمار ، فقال : يا معاذ ، هل تدري حق الله على عباده ، وما حق العباد على الله ؟ قلت : الله ورسوله أعلم قال : فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا " [٧]

---

[١] اللمع ص ٤١٣

[٢] طبقات الصوفية ص١٨٨

[٣] النور/٢٥

[٤] اللمع ص٤١٣

[٥] الحج/٦٢

[٦] اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص١٥

[٧] أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد والسير ٦٩/٦ برقم ٢٨٥٦

أما بقية المعانى فإنها تدور على فلسفته في تجلي قدرة الله وانواره سبحانه وتعالى في كل الموجودات كقوله (الحق هو الله الذى له التجلى فى صور الأشياء كلها ، مشهوداً فى أعين الخلق فإن الأشياء ما ظهرت إلا به سبحانه وتعالى ، فالعارف يعلم أن كل شئ يراه ليس إلا الحق) [١]

وربما اعتبر الحق ، هو الوجود والخير فى مقابل الباطل الذى هو العدم والشر ، فيقول : (فما أخرج الله العالم من العدم ، الذى هو الشر إلا للخير الذى أراده به ، ليس إلا الوجود ، فإن الدار الدنيا لها وجه إلى الحق بما هى موجودة ، ولها وجه لغير الحق بما ينعدم فيها وينتقل عنها) [٢]

و(الباطل عدم ولا عين له فى الوجود ، ولو كان له وجود لكان حقا) [٣]، وكذلك الحق يعتبره ابن عربى أحد وجهى الحقيقة الوجودية فإنها واحدة بذاتها ثنوية بوجهيها ، فيقال : حق خلق ، على اعتبار أن الحقيقة الوجودية واحدة ، وكذلك رب عبد ، واحد كثير ، قديم حادث ، إلى غير ذلك من الثنائيات التى هى واحد عنده من الوجهين ، فالحق فى أحد الوجهين هو الجامع لكل صفات القدم فى مقابل الخلق الوجه الآخر للحق ، الجامع لكل صفات الحدوث ، فالخلق فى الواقع ليس إلا مظهرا ومجلى وتعينا للحق ، يقول الشيخ محى الدين بن عربى : (فالحق مصرف العالم ، والعالم مصرف الحق ، ألا تراه يقول : أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ [٤] ، أليست الإجابة تصريفا) [٥]،

(فالكون كله جسم وروح بهما قامت نشأت الوجود ، فالعالم للحق كالجسم

---

[١] الفتوحات المكية ١٨٤/٤ وانظر التعريفات للجرجانى ص٩٤

[٢] الفتوحات المكية ٣٧٧/٣

[٣] الفتوحات ٤٠٢/٤

[٤] البقرة/١٨٦

[٥] الفتوحات ٥٤٥/٣

للروح) [1].

وربما أراد بالحق : العدل والإنصاف ، وهو صفة الإنسان الكامل ، يقول الشيخ الأكبر ابن عربى : (فأعطى الإنسان الكامل كل ذى حق حقه كما أن الله : أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ [2] ، فالذى انفرد به الحق ، إنما هو الخلق ، والذى انفرد به من العالم الكامل إنما هو الحق ، فيعلم ما يستحقه كل موجود ، فيعطيه حقه وهو المسمى بالإنصاف) [3].

۞ الحقيقة

الحقيقة: الصدق وهي عكس الوهم والشك والظن ،

والحقِيقَةُ : الشيءُ الثابتُ يقينًا ، وقد ورد قوله تعالى :

﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إلا الْحَقَّ ﴾[4] على معنى الصدق فى البلاغ [5]

وقال ابن عمر ﷺ : " لا يبلغ العبد حقيقة التقوى ، حتى يدع ما حاك في الصدر " [6]، وعن أبي حفصة ﷺ قال : " قال عبادة بن الصامت ﷺ لابنه : يا بني إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان ، حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك " [7]

---

[1] الفتوحات ٣/٣١٥

[2] طه/٥٠

[3] الفتوحات ٣/٣٩٨

[4] الأعراف/١٠٥

[5] تفسير روح المعاني ٤/٥ والمفردات ص١٢٦

[6] أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان ١/٦٠

[7] أخرجه أبو داود فى كتاب السنة ٤٧٠٠ وقال الألبانى : صحيح ٤/٢٢٥ ، وأخرجه البيهقى فى سننه ١٠/٢٠٤ برقم ٢٠٦٦٤

وعن أبي الدرداء ﷺ عن النبي قال : " لكل شيء حقيقة ، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان ، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يك ليصيبه " [١] ، وقال مسروق ﷺ :" كفى بالمرء علما ، أن يخشى الله وكفى بالمرء جهلا ، أن يعجب بعلمه ، وحقيق أن يكون له مجالس يخلو فيها فيذكر ذنوبه ، فيستغفر الله تعالى منها " [٢] .

الحقيقة فى الاصطلاح الصوفى :

وقد ورد مصطلح الحقيقة فى ألفاظ الصوفية على عدة معان ، تدور أغلبها حول الصدق فى الإيمان ، وبلوغ درجة الإحسان ، وكمال المراقبة ، والمداومة على النظر فى أفعال الله .

روى عن أبى الحسين النورى أنه قال : (أعز الأشياء فى زماننا شيئان : عالم يعمل بعلمه ، وعارف ينطق عن حقيقته) [٣]،

ويروى عن رويم بن أحمد البغدادى: (قعودك مع كل طبقة من الناس أسلم ، من قعودك مع الصوفية ، فإن كل الخلق قعدوا على الرسوم ، وقعدت هذه الطائفة على الحقائق ، وطالب الخلق كلهم أنفسهم بظواهر الشرع وطالبوا هم أنفسهم بحقيقة الورع ومداومة الصدق ، فمن قعد معهم وخالفهم فى شئ مما

يتحققون فيه نزع الله نور الإيمان من قلبه) [٤].

---

[١] أحمد فى المسند (٢٦٩٤٤) واللفظ له ، وأخرجه بمعناه أبو داود فى السنة (٤٦٩٩) وصححه الألبانى ٢٢٥/٤ ، وابن ماجة فى المقدمة ٢٩/١ برقم ٧٧

[٢] أخرجه الدارمى فى المقدمة ١٠٤/١ برقم ٣١٤

[٣] طبقات الصوفية ص١٦٩

[٤] طبقات الصوفية ص١٨٢

وهذا الكلام فيه نظر لأن الله لاينزع نور الإيمان من القلب ، إلا إذا خالف العبد شرعه وعصى أمره ، أما مخالفة أذواق الصوفية فلا توجب ذلك ، ولذا أحسن أبو بكر بن طاهر الأبهرى ، عندما سئل عن الحقيقة ؟ فقال : الحقيقة كلها علم وسئل عن العلم ؟ فقال : العلم كله حقيقة [1] ، فرد الحقيقة إلى اتباع العلم ، ومثله أيضا ما ذكره السراج الطوسى حيث قال :

(الحقيقة وقوف القلب بدوام الانتصاب بين يدى من آمن به ، فلو داخل القلوب شك أو مخيلة ، فيما آمنت به حتى لا تكون به واقفة وبين يديه منتصبة ، لبطل الإيمان ، وهو قول النبى ﷺ لحارثة : " لكل شئ حقيقة ، فما حقيقة إيمانك ؟ ، فقال : عزفت نفسى عن الدنيا ، فأسهرت ليلي ، وأظمأت نهارى ، وكأنى أنظر إلى عرش ربى بارزا " [2] .

وكأنه يعبر عن مشاهدة قلبه ، ودوام وقوفه وانتصابه بين يدى ربه ، لما آمن به حتى عبده كأنه رأى العين [3] ، ومن أجود ما قيل فى ذلك ، ما روى عن أبى على الدقاق انه قال : (قوله تعالى : إِيَّاكَ نَعْبُدُ [1] حفظ للشريعة ، وقوله :

---

[1] طبقات الصوفية ص ٣٩٤

[2] أخرجه الطبرانى فى الكبير عن حارثة أنه " مر برسول الله فقال له : كيف أصبحت يا حارث ؟ قال : أصبحت مؤمنا حقا ، فقال : انظر ما تقول فإن لكل شيء حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟ فقال : قد عزفت نفسي عن الدنيا وأسهرت لذلك ليلي وأظمأن نهاري ، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزا ، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها ، فقال : يا حارث عرفت فالزم ثلاثا " انظر معجم الطبرانى الكبير لأبى القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبرانى ، مراجعة حمدى بن عبد المجيد ، نشر مكتبة العلوم والحكم ، الموصل سنة ١٩٨٣م ، (٣٣٦٧) ٣/ ٢٦٦ وانظر المنتخب من مسند عبد بن حميد ، مراجعه صبحى البدرى السامرائى ومحمود مُحَمَّد خليل الصعيدى ، نشر مكتبة السنة ، القاهرة سنة ١٩٨٨م (٤٤٥) ص١٦٥ .

[3] اللمع ص٤١٣

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ [2] إقرار بالحقيقة) [3] .

ويبين القشيرى أن الحقيقة فى اصطلاح الصوفية ، ما يقابل الشريعة ، فالشريعة أمر بالتزام العبودية ، والحقيقة مشاهدة الربوبية ، وكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبولة ، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة ، فغير مقبولة فالشريعة جاءت بتكليف الخلق ، والحقيقة إنباء عن تصريف الحق فالشريعة أن تعبده ، والحقيقة أن تشهده ، والشريعة قيام بما أمر ، والحقيقة شهود لما قضى وقدر ، وأخفى وأظهر ، والشريعة حقيقة من حيث أنها وجبت بأمره ، والحقيقة أيضا شريعة ، من حيث إن المعارف به سبحانه أيضا وجبت بأمره [4] .

وإذا عدنا إلى الحقيقة فى فلسفة محى الدين بن عربى نجد أنها تأخذ معنى آخر عما تقدم ، إذ تعنى (ظهور ذات الحق ، من غير حجاب التعينات ، ومحو الكثرات الموهومة فى نور الذات ، وذلك يكون بسلب آثار أوصافك عنك بأوصافه ، بأنه الفاعل بك فيك منك لا أنت ، كما قال تعالى : مَا مِنْ دَابَّة إِلا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا [5])[6]

۞ حق اليقين :

حَق : مصدر حَقيَ ... والجمع : حُقوق ، و حِقاق

الحَقّ : اسمٌ من أسمائه تعالى .. والحَقّ : الثابت بلا شَكٍّ

---

[1] الفاتحة/٥

[2] الفاتحة/٥

[3] الرسالة القشيرية ٢٦١/١

[4] الرسالة القشيرية ٢٦١/١

[5] هود/٥٦

[6] اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص٧

حَقَّ عَلَيْهِ العَذَابُ : وَجَبَ كما في قوله تعالى﴿ لَقَدْ حَقَّ القَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ ﴾[1]

اما اليَقِينُ : فهو العِلْمُ الذي لا شكَّ معه .

و اليَقِينُ في الفلسفة : اطمئنانُ النَّفس إلى حكمٍ مع الاعتقاد بصحَّته .

ومنه القول : عَلِمَه يقيناً وعِلْمُ اليقينِ ، وعلمٌ يَقينٌ : ليس فيه شكٌّ .

وربما عبَّروا بالظنّ عن اليقين ، وباليقين عن الظنَّ .

لو تعلمون عِلم اليقين ، لوْ تعلمون مآلكم عِلما يَقينا لَمَا ألهاكم التّكاثر

وفي الذكر الحكيم : ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [2]

وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِين﴾[3]

وفي الاصطلاح الصوفي :

حق اليقين عبارة عن فناء العبد في الحق والبقاء به علماً وشهوداً وحالاً لا علماً فقط فعلم كل عاقل الموت علم اليقين فإذا عاين الملائكة فهو عين اليقين فإذا أذاق الموت فهو حق اليقين وقيل علم اليقين ظاهر الشريعة وعين اليقين الإخلاص فيها وحق اليقين المشاهدة فيها [4]

وقال الشيخ القشيري في رسالته :

اليقين هو العلم الذى لا يتداخل صاحبه ريب على مطلق العرف ، ولا يطلق فى وصف الحق سبحانه ، لعدم التوقيف . فعلم اليقين هو اليقين، وكذلك عين اليقن نفس اليقين ، وحق اليقين نفس اليقين ، فعلم اليقين على موجب اصطلاحهم ما كان بشرط البرهان . وعين اليقين ما كان بحكم البيان –أى

---

[1] يس آية ٧

[2] الواقعة ٩٥

[3] الحاقة ٥١

[4] التعريفات ص ٣٨

بطريق الكشف- وحق اليقين ما كان بنعت العيان . فعلم اليقين لأرباب العقول ، وعين اليقين لأصحاب العلوم ، وحق اليقين لأصحاب المعارف[1]

۞ الحكمـــة

الحكمة مصدر من الإحكام وهو الإتقان في القول والفعل

والحكمة : وضع الشئ فى موضعه ، وتطلق على إصابة الحق بالعلم والعقل وقد تنوع معناها ومدلولها على ما يأتى [2] :

١- الحكمة صفة اللَّه التى تضمنها اسمه الحكيم ، قال تعالى : ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

والحكمة من اللَّه تعالى معرفة الأشياء ، وإيجادها على غاية الإحكام ، وهى صفة تليق به سبحانه ، وليس كمثله شئ فيها ، كما قال الله تعالى :

أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ [3]

٢- الحكمة وصف الإنسان ، عند معرفته علل الأشياء ومعلولاتها ، والأسباب المؤدية إلى تحصيل الخيرات فى الدنيا والآخرة ، وهو ما وصف الله به لقمان فى قوله ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [4]

٣- الحكمة وصف القرآن الحكيم ، وذلك لتضمنه الدلالة على جميع الخيرات فى الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ [5]

وقال أيضا : ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ الأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ﴾[1].

---

[1] الرسالة ١/٧٤

[2] القاموس المحيط ١/٤١٥

[3] التين/ ٨

[4] البقرة/٢٦٩

[5] يونس/١

٤- الحكمة وصف السُنّة ، لأنها توضح مراد الله وتفسره كقوله : ﴿ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [٢]، وقال تعالى : ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ [٣] وقال قتادة : الحكمة السنّة[٤]

٥- الحكمة كل قول بليغ موزون بالنقل ، وقال ابن عباس ﷺ :

ضمني النبي صلى الله عايه وسلم إلى صدره وقال : اللَّهم علمه الحكمة " [٥] ، وفى رواية قال : " اللَّهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب

٦- الحكمة : كل قول بليغ موزون بالعقل ، فعن أبي بن كعب ﷺ أن رسول الله صلى الله عايه وسلم قال : " إن من الشعر حكمة " [٦]

٧- الحكمة ، تعلم العلم وتعليمه والعمل به ، لما روى عن ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال : لا حسد إلا في اثنتين ، رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة ، فهو يقضي بها ويعلمها [٧]

الحكمة فى الاصطلاح الصوفى :

((الحكمة فى عرف الصوفية ، هى الاطلاع على أسرار الأشياء ومعرفة ارتباط

---

[١] القمر/٥

[٢] الجمعة/٢

[٣] الأحزاب/٣٤

[٤] صحيح البخارى كتاب تفسير القرآن ٨/ ٣٧٦

[٥] صحيح البخارى كتاب المناقب ١٢٦/٧ برقم ٣٧٥٦ والترمذى كتاب المناقب ٦٨٠/٥ برقم ٣٨٢٤

[٦] صحيح البخارى كتاب الأدب ٥٥٣/١٠ برقم ٦١٤٥

[٧] صحيح البخارى كتاب العلم ١٩٩/١برقم ٧٣

الأسباب بمسبباتها ، ومعرفة ما ينبغى بالشروط التى تنبغى ، فمن عرف الحكمة ويسر للعمل بها ، فذلك الحكيم الذى أتاه الله الحكمة ، فأحكم وضع الأشياء فى مواضعها ، كما قال تعالى :

وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا [1]))[2]

وقد تنوعت أقوالهم فيها ولكنها فى الأغلب تدور فى إطار هذا المعنى ، فجعلها بعضهم بمعنى السنة كما روى عن الفضيل بن عياض أنه قال : (من جلس مع صاحب بدعة ، لم يعط الحكمة) [3]، وبعضهم جعل الزهد وترك فضول الكلام وتصغير الشأن سبباً فى الحكمة ، فلأبى سليمان الدارانى :

(إذا ترك الحكيم الدنيا ، فقد استنار بنور الحكمة) [4].

وينسب لأبى بكر الوراق أنه قال : (الحكماء خلف الأنبياء ، وليس بعد النبوة إلا الحكمة ، وهى إحكام الأمور ، وأول علامات الحكمة ، طول الصمت ، والكلام على قدر الحاجة) [5]،

وروى عن شاه الكرمانى قوله : علامة الحكمة معرفة أقدار الناس [6]

ويذكر لأبى مُحَمَّد الجريرى أنه قال : (لكل شئ عند الله حق وإن أعظم الحقوق عند الله حق الحكمة ، فمن جعل الحكمة فى غير أهلها ، طالبه الله بحقها ومن طالبه بحقها خصم)[7]

---

[1] البقرة/٢٦٩

[2] انظر معجم الكاشانى ص٧٧

[3] طبقات الصوفية ص١٠

[4] طبقات الصوفية ص٨١

[5] طبقات الصوفية ص٢٢٦

[6] طبقات الصوفية ص٢٦١

[7] طبقات الصوفية ص١٩٣

وربما عنى بعضهم بالحكمة سماع الحق أو النطق به ، مثل ما يروى عن الحكيم الترمذى أنه قال : (الناس فى استماع الحكمة رجلان : عاقل وعامل ، فالعاقل يتعجب وهو لما يسمعه يشتهى ، والعامل يتقلب كأن قلبه منه حية تلتوى) [1]، ولعلي بن الكاتب قوله : (إن الرجل إذا سمع الحكمة فلم يقبلها فهو مذنب ، وإذا سمعها ولم يعمل بها فهو منافق) [2]ويذكر لأبى عثمان المغربى قوله (الحكمة هى النطق بالحق)[3]

كما ورد تعريف الحكمة في الموسوعة الصوفية :

(هي معرفة آفات النفس والشيطان والرياضات .

وقيل الحكمة هي : معرفة الحق لذاته ، والخير لأجل العمل به .

ويقال الحكمة صواب الأمور .

والحكمة : ألا تحكم عليك رعونات البشرية ، ومن لا حُكم له على نفسه ، لا حُكم له على غيره .

والحكمة موافقة أمر الله ، والسفه مخالفة أمره ، والحكمة : شهود الحق ، والسفه شهود الغير .

والحكمة الإصابة في العقل والعقد والظن ، ومتابعة الطريق من حيث توفيق الحق لا من حيث همة النفس.

والحكمة ان لا تكون تحت سلطان الهوى .

وهي الكون بحكم من بيده الحكم ، ومعرفة قدر نفسك حتى لا تمد رجليك خارجاً عن كسائك .

والحكمة الإلهية : هي العلم بحقائق الأشياء وأحوال الموجودات الخارجية .

---

[1] طبقات الصوفية ص٢١٨

[2] طبقات الصوفية ص٣٨٧

[3] طبقات الصوفية ص٤٨٣

والحكمة المنطوق بها : هي علوم الشريعة والطريقة .

والحكمة المسكوت عنها : هي أسرار الحقيقة التي لا يطلع عليها علماء الرسوم والعوام على ما ينبغي ، فيضر بهم او يهلكهم كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يختار بعض سكك المدينة ومعه أصحابه ، فأقسمت عليه امرأة ان يدخلوا منزلها فدخلوا ، فرأوا ناراً مضرمة وأولاد المرأة يلعبون حولها ، فقالت المرأة يا نبي الله ، ألله ارحم أم انا بأولادي ؟ فقال : بل الله أرحم ، فإنه هو أرحم الراحمين . فقالت : أتراني يا رسول الله أُحبُّ ان أُلقي أولادي في النار ؟

فقال : لا فقالت : كيف يلقي عباده فيها وهو أرحم بهم ؟

... ويقول الراوي : فبكى رسول الله ﷺ وقال : هكذا أوحى الله تعالى إليَّ [1]

والحكمة المجهولة : هي ما خفي وجه الحكمة في إيجاده ، كإيلام بعض العباد ، وموت الأطفال ، والخلود في النار ، فيجب الإيمان به .

والحكمة الجامعة : هي معرفة الحق والعمل به ، ومعرفة الباطل واجتنابه ، كما قال ﷺ أللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الاطل باطلاً وارزقنا اجتنابه .

والحكمة تنطق في قلوب العارفين بلسان التصديق ، بينما نُطقها في قلوب الزاهدين بلسان التفضيل ، وفي قلوب العباد بلسان التوفيق ، وفي قلوب المريدين بلسان التفكر ، وفي قلوب العلماء بلسان التذكّر .

وأول علامات الحكمة طول الصمت والكلام على قدر الحاجة .

والحكماء خلف الأنبياء ، وليس بعد النبوة الا الحكمة : وهي إحكام الأمور .

والحكمة في الدين : هي الفقه فيه ، والورع ، والتفكر في أمر الله واتّباعه وطاعته وخشيته ، والفهم في القران ، وكتاب الله حكمة ، وسُنّة نبيه حكمة .

ويقال للعلم حكمة لأنه يُمتنع به ، وبه يُعلم الأمتناع من السّفَه الذي هو كل فعل قبيح ، وفي الاية : يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ

[1] التعريفات ص ٩٢

خَيْرًا كَثِيرًا [1] وقد كرر الله تعالى لفظ الحكمة في الآية ولم يضمرها ، اعتناءاً بها ، وتنبيهاً على شرفها وفضلها) [2]

۞ الحيرة

حَيْرة: (اسم) وهي مصدر حارَ ، والجمع : حِيرات

والحِيرَةُ : التردُّد والاضطراب

وقد وردت فى القرآن والسنة على معنى التردد فى الأمر ، وبمعنى التائه والذي لا يدري ما يصنع [3]

قال تعالى :

﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ ﴾[4]

(والحائر الموضع الذى يتحير به الماء)[5] .

وقال مجاهد : كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ [6] أنكحناهم حورا عينا يحار فيها الطرف [7] ، وفى الحديث القدسى عن ابن عمر ﷺ ، عن النبي صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى قال " لقد خلقت خلقا ، ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمرّ من الصبر ، فبي حلفت لأتيحنهم فتنة تدع الحليم منهم حيرانا ، فبي يغترون أم عليَّ يجترئون[8] ، وروى عن الحسن بن على قال : (إن الجد قد مضت سنته

---

[1] البقرة ٢٦٩

[2] الموسوعة الصوفية ص ٩٢٠ – ٩٢١

[3] روح المعاني ٤ / ١٧٨

[4] سورة الأنعام ٧١

[5] المفردات ص١٣٥ ، ولسان العرب ٢٢٣/٤

[6] الدخان/٥٤

[7] أخرجه البخارى فى كتاب التفسير سورة الدخان ٤٣٣/٨

[8] أخرجه الترمذى فى كتاب الزهد (٢٤٠٥) وقال الألبانى : ضعيف ٦٠٤/٤

، وإن أبا بكر جعل الجد أبا ، ولكن الناس تحيروا) [1].

الحيرة فى الاصطلاح الصوفى :

والحيرة فى الاصطلاح الصوفي ، يعنون بها التردد بين أداء الطاعة ورؤيتهم صغارها وحقارتها إلى ما يجب من الشكر فى حق الله ، وهذا يصح على معنى أن العبد ينال فضل الله برحمته ، لا فيما يقابل طاعته ، إذ الطاعة سبب فى النعم ولكن لا تزنها ، كما ثبت فى حديث أبى هريرة ﷺ ، قال : سمعت رسول الله يقول : لن يدخل أحدا عمله الجنة قالوا : ولا أنت يا رسول الله قال لا ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة [2]

وروى عن أبى بكر الواسطى أنه قال :

(حيرة البديهة أجل من سكون التولى عن الحيرة) [3]

(ويراها المتصوفون موقف بين اليأس في الله والطمع في الله ، بين الرضا والخوف ، بين التوكل والرجاء . والحيرة بهذا المعنى لا ترد الا على قلوب العارفين . يقول بعض العارفين ان التحير يليه موقف الاتصال ثم الافتقار ثم الحيرة) [4]

ويقسم الكلاباذى الحيرة إلى نوعين [5]:

أ- الحيرة الأولى : وتكون فى أفعاله به ونعمه عنده ، فلا يرى شكره نعمة يجب عليه شكرها ، ولا يرى أفعاله أهلا أن يقابله بها استحقاراً لها ، ويراها واجبة عليه ، لا يجوز له التخلف عنها ، ومثالها أن أبا بكر الشبلى ، قام يوما يصلى فبقى طويلا ثم صلى ، فلما انفتل عن صلاته ، قال : يا ويلاه إن صليت

---

[1] أخرجه الدارمى فى كتاب الفرائض ٤٥١/٢ برقم ٢٩١٢

[2] أخرجه البخارى فى كتاب المرضى ١٣٢/١٠ برقم ٥٦٧٣

[3] اللمع ص٤٢١

[4] معجم الفاظ الصوفية ص ١٢١

[5] التعرف لمذهب أهل التصوف ص١٣٧

جحدت ، وإن لم أصل كفرت ، أى جحدت عظم النعمة ، وكمال الفضل حيث قابلت ذلك بفعلى شكرا له مع حقارته ، ثم أنشد :

الحمد لله على أننى كضفدع يسكن فى اليم

إن هى فاهت ملأت فمها أو سكتت ماتت من الغم

ب- الحيرة الأخيرة : أن يتحير فى متاهات التوحيد ، فيضلُّ فهمه ويخنس عقله فى عظم قدرة الله تعالى ، وهيبته وجلاله ، كما قيل : دون التوحيد متاهات تضل فيها الأفكار .

وقال أبو نصر السراج الطوسى : (الحيرة بديهة ترد على قلوب العارفين ، عند تأملهم وحضورهم وتفكرهم ، تحجبهم عن التأمل والفكرة) [1] .

والحيرة عند ابن عربى يعنى بها حيرة النظر فى وحدة الوجود ، والحائر هو الذى يرى عين الحق متجليا فى صورة الممكنات ، ويعلم أن الله قابل لكل معتقد كان ، فمن باب الحيرة عنده ما ورد فى قوله تعالى : وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ [2] وقوله : وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ [3] وكذلك قوله سبحانه : فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ [4] والقتل ما شوهد إلا من المخلوق ، وهذا يعنى أن الصوفى حيرتة نبعت من اجتماع الأضداد فيرى الحق خلقا ويرى الخلق حقا ، ويظل حائرا فى حال الوجود ، لا يدرك حقا وحده أو خلقا وحدة ، بل حقا فى خلق ، وخلقا فى حق فيتحير ، فالوصول إلى الحيرة فى الحق هو عين الوصول إلى الله ، والحيرة أعظم ما تكون لأهل التجلى لاختلاف الصور عليهم فى العين

---

[1] اللمع ص٤٢١

[2] الصافات/٩٦

[3] الأنفال/١٧

[4] الأنفال/١٧

الواحدة [1] ، وبهذا يفسر قوله تعالى : وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا [2] أى أضل قوم نوح كثيرا من أهل العلم وحيروهم فى تعداد الواحد بالوجوه والنسب

وَلا تَزِدْ الظَّالِمِينَ [3] لأنفسهم إلا ضَلالا [4]

والتحيّر : منازلة تتولى قلوب العارفين فترديهم بين اليأس والطمع في الأصول ، فلا هم يصلون حقاً فيرتجوا ، ولا فشلهم يؤيسهم عن السعي فيستريحوا ، فعند ذلك يتحيرون .

وعند هؤلاء العارفين فإن المعرفة تحيّر ، ثم اتصال ، ثم افتقار ، ثم حيرة ومنها قول الشيخ الشبلي

قد تحيرتُ فيك خُذ بيدي يا دليلاً لمن تحير فيك

ومنها قول الشيخ عمر ابن الفارض :

زدني بفرط الحب فيك تحيُّرا وارحم حشى بلظى هواك تسعَّرا

الخاصة :

خاصّ : متفرّد ، مُتميّز ومتفوّق على غيره وجمعه خواص

خصه بالشيء يخصه إذا أفرده به دون غيره ، والخاصة ضد العامة [5] ، قال تعالى : (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً)[6] أي تعمكم ومن حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : " وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة " [1]

---

[1] انظر فى معنى الحيرة عند ابن عربى الفتوحات المكية ١/٢٧٠ ، ٣/٤٩٠

[2] نوح/٢٤

[3] نوح/٢٤

[4] نوح/٢٤

[5] لسان العرب ٧/٢٤

[6] الأنفال/٢٥

والخص بيت من قصب أو شجر وذلك لما يرى فيه من الخصاصة وروى عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال : " مرَّ علي رسول الله ﷺ ، ونحن نعالج خصاً لنا وهى ، فقال : ما هذا ؟ فقلنا : خص لنا وهى ، فنحن نصلحه ، فقال رسول الله ﷺ : ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك [٢]

وقد خصَّه بكذا يخصه ميَّزه بالأمر دون غيره ، كقوله تعالى :

﴿ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [٣]

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : " لا تختصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي ، ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام ، إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم " [٤] .

وقال سلمة بن الأكوع ﷺ : " ما استغفر رسول الله ﷺ لإنسان يخصه إلا استشهد [٥]

الخاصة في المصطلح الصوفي :

الخاصة فى الاصطلاح الصوفى ضد العامة ، وهم أعلى فى المقام والمنزله وربما تتنوع دلالة الخصوص من مفهوم لآخر .

والخاصة منزلة يتصف بها أصحاب الدرجات الإيمانية العليا ، المتحققون فى تقواهم وإخلاصهم لله ، كما روى عن أبى بكر الوراق قال :

(الخاصة هم الذين فقهت قلوبهم ، وحسنت أخلاقهم ، وكانوا أئمة يدعون الناس إلى الخير والعمل به وسالموا السلطان على الأمر بالمعروف والنهى عن

---

[١] البخارى ٥١٩/١ برقم ٣٣٥

[٢] أبو داود فى الأدب (٥٢٣٥) وصححه الألبانى ٣٦٠/٤

[٣] البقرة/١٠٥

[٤] مسلم فى كتاب الصيام ٨٠١/٢ برقم ١١٤٤

[٥] مسلم فى كتاب الجهاد ١٤٣٣/٣ برقم ١٨٠٧

المنكر ، والعلماء على صدق الخبر ، والعامة على ظاهر الأمور ، فإذا خلو من ذلك فهم المفترون ، وإذا فسدت الخاصة غلبت الكذبة على الصادقين والكهنة على الموقنين والموسوسون على المخلصين) [١] .

والخاصة ايضاً هم الصوفية دون غيرهم من العامة أو سائر الطوائف ، فيذكر السراج الطوسى : أن الصوفية هم الخاصة ، لأنهم يختصون عن غيرهم بالارتقاء إلى الدرجات العالية ، والتعلق بالأحوال الشريفة ، والمنازل الرفيعة من أنواع العبادات ، وحقائق الطاعات والأخلاق الجميلة ، ولهم فى معانى ذلك تخصيص لغيرهم من العلماء والفقهاء ، وأصحاب الحديث ثم يبين على حد زعمه بعض الأنواع التى تفردوا بها ، فأول شئ من التخصيصات التى للصوفية وما تفردوا بها عن غيرهم ، ترك ما لا يعنيهم ، وقطع كل علاقة تحول بينهم وبين مطلوبهم ومقصودهم ، إذ ليس لهم مطلوب ولا مقصود غير الله تبارك وتعالى . [٢]

وذات المعنى ونفس التحديد نجده عند الكاشانى حيث قال في معجم اصطلاحات الصوفية :

(الخاصة هم علماء الطريقة وخاصة الخاصة هم علماء الحقيقة) [٣]

والخاصة وفق ما وردت في كتاب التعريفات :

(الخاصة كلية مقولة على أفراد حقيقة واحدة فقط قولا عرضيا سواء وجد جميع أفراده كالكاتب بالقوة بالنسبة إلى الإنسان أو في بعض أفراده كالكاتب بالفعل بالنسبة إليه فالكلية مستدركة وقولنا فقط يخرج الجنس والعرض العام لأنهما مقولان على حقائق وقولنا قولا عرضيا يخرج النوع والفصل لأن قولهما على ما تحتهما ذاتي لا عرضي خاصة الشيء ما لا يوجد بدون الشيء والشيء قد

---

[١] طبقات الصوفية ص٢٢٦

[٢] اللمع ص٢٨

[٣] لطائف الإعلام ٤٤١/١

يوجد بدونها مثل الألف واللام لا يوجدان بدون الاسم والاسم يوجد بدونهما كما في زيد) [1]

والشيخ ابو العباس التجاني يقول ان :الخاصة : هم الذين انكشفت لهم صفات الله تعالى من وراء سبحات الجلال ، فأذاقتهم لذة تلك المشاهدة أن حملوا ما لا تطيقه الجبال من البلايا والمحن ، فهم خاصة الله من خلقه ، وهم أهل الدرجة العليا [2]

۞ الخاطر :

الخاطِرُ : ما يَخْطُرُ بالقلب من أمر ، أَو رأْي ، أَو معنًى .

و الخاطِرُ القلب أو النفس (على المجاز) . والجمع : خواطِرُ [3]

والخاطر ما يرد على القلب من الخطاب أو الوارد الذي لا عمل للعبد فيه .

والخاطر لم يرد فى القرآن ، ولكنه ورد فى السنة على عدة معان [4] :

١- القدر والمكانة : ومنه ما روى عن مالك بن ربيعة ﷺ ، أنه سمع رسول الله وهو يقول : " اللَّهم اغفر للمحلقين ، اللَّهم اغفر للمحلقين ، فقال رجل من القوم : والمقصرين ؟ فقال رسول الله في الثالثة أو في الرابعة : " والمقصرين ثم ، قال : وأنا يومئذ محلوق الرأس ، فما يسرني بحلق رأسي حمر النعم ، أو خاطراً عظيما " [5] .

٢- الاضطراب والحركة : كقول ابن عباس ﷺ : " قام نبي الله يوما يصلي فخطر خطرة ، فقال المنافقون الذين يصلون معه : " ألا ترى أن له قلبين ،

---

[1] التعريفات ٤١

[2] جواهر المعاني وبلوغ الأماني ٩٤/١

[3] المعجم الوسيط مادة (خَطَرَ)

[4] لسان العرب لابن منظور ٢٤٩/٤

[5] أخرجه أحمد فى المسند(١٧١٤٥) واللفظ له ، والبخارى بمعناه ٦١٦/٣ (١٦٤٠)

قلبا معكم ، وقلبا معهم فأنزل الله عز وجل : مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ [1] " [2] .

٣- ما يرد على القلب بسرعة لا لبث فيها ولا بطء ، فعن أبي هريرة ﷺ قال قال النبي صلى الله عَليه وسلم : إذا نودي بالصلاة ، أدبر الشيطان وله ضراط ، فإذا قضي أقبل فإذا ثوب بها أدبر ، فإذا قضي أقبل ، حتى يخطر بين الإنسان ، وقلبه فيقول : اذكر كذا وكذا ، حتى لا يدري أثلاثا صلى أم أربعا [3]

وعنه أيضا أن رسول الله قال : (قال الله أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فاقرءوا إن شئتم : فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ [4]) [5] .

الخاطر فى الاصطلاح الصوفى

الخاطر فى الاصطلاح الصوفى ، خطاب يرد على الضمائر ، قد يكون بإلقاء ملك ، وقد يكون بإلقاء شيطان ، ويكون بأحاديث النفس ، أو يكون من قبل الحق سبحانه ، فإذا كان من الملك فهو الإلهام ، وإذا كان من قبل النفس ، قيل له الهواجس ، وإذا كان من قبل الشيطان ، فهو الوسواس ، وإذا كان من قبل الله سبحانه وإلقائه فى القلب فهو خاطر حق ، وجملة ذلك من قبيل

---

[1] الأحزاب/٤

[2] أخرجه الترمذى في كتاب تفسير القرآن (٣١٩٩) وقال : حديث حسن ، وأحمد فى المسند (٢٤١٠)

[3] أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق ٣٨٨/٦ (٣٢٨٥)

[4] السجدة/١٧

[5] أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق ٦/ ٣٦٦ (٣٢٤٤) ، ومسلم فى كتاب الجنة ٢١٧٤/٤ (٢٨٢٤)

الكلام النفسى [1]

ويذكر لسهل بن عبد الله التسترى تفصيل دقيق فى التعرف على الخواطر ومصادرها ، وكيف أنها ابتلاء من الله ، فيرى أن الخواطر إذا كانت عن أواسط الهداية ، وهى الملك والروح ، قدحت فى قلب العبد نورا أدركه الحفظة ، وهم أملاك اليمين فأثبتوها حسنات ، وكانت تقوى وهدى ورشداً من خزائن الخير ومفتاح الرحمة ، وإن كانت الخواطر عن أواسط الغواة وهم العدو والنفس ، قدحت فى القلب ظلمة ونتناً ، أدرك ذلك الحفظة من أملاك الشمال ، فكتبوها سيآت ، وكانت فجورا وضلالا ، وهى من خزائن الشر ومعالق الأعراض ، وكل هذا إلقاء من خالق النفس ومسويها ، وجبار القلوب ومقلبها ، حكمة منه وعدلا لمن شاء ، ومنة وفضلا لمن أحب[2] .

وقد أجاد أبو طالب المكي حين استقصى كل ما يتعلق بالخواطر فى النفوس ، ثم بعد ذلك قسمها تقسيما دقيقا أحسب أنه لم يسبق إليه فى عصره فجعلها عدة أقسام [3] :

١- خاطر النفس وخاطر العدو ، وهذان لا يعدمهما عموم المؤمنين ، وهما مذمومان محكوم لهما بالسوء ، ولا يردان إلا بالهوى وضد العلم .

٢- خاطر الروح وخاطر الملك ، وهذان لا يعدمهما خصوص المؤمنين ، وهما محمودان لا يردان إلا بحق ، وبما دل عليه العلم .

٣- خاطر العقل وهو متوسط بين هذه الأربعة ، وهو على نوعين :

أ - يصلح للمذمومين ، فيكون حجة على العبد لما كان من تمييز العقل وتقسيم المعقول ، لأن العبد يدخل فى هواه بشهوة جعلت له ، واختيار لا

---

[1] اللمع ص٢٦٣

[2] انظر قوت القلوب ١/ ١٢٣

[3] انظر قوت القلوب ١/ ١١٤ ، ١١٥

يعسر عليه من حيث لا يعقل ولا إجبار .

ب – ويصلح أيضا للمحمودين ، فيكون شاهدا للملك ، ومؤيدا لخاطر الروح ، ويثات العبد على حسن النية وصدق المقصد ، ويبن المكى أن خاطر العقل ، إنما كان مع النفس تارة ، ومع الملك تارة أخرى حكمه منالله تعالى وإتقانا لصنعه ، ليدخل العبد فى الخير والشر بوجود معقول وصحة شهود وتمييز ، فيكون عاقبة ذلك من الجزاء والعقاب عائدا له وعليه ، فالله سبحانه وتعالى جعل الإنسان مكانا لجريان أحكامه ، ومحلا لنفاذ مشيئته فى مبانى حكمته .

٤– خاطر اليقين وهو روح الإيمان ، والعمل الذى يحرك الإرادة على الطاعة والاستجابة ، كمحصلة للخواطر الإيمانية المتقدمة .

وهذا التقسيم تقسيم نفيس يتوافق مع الأصول القرآنية والنبوية .

ويعرض المكى أيضا ، كيف يمكن للإنسان أن يفرق بين أنواع الخواطر ومصادرها ، والسلوك الأمثل حيالها ، فيحدد ذلك فيما يلى [١] :

١ – ما كان من لائح يلوح فى القلب ، من معصية ثم يتقلب فلا يثبت فهذا نزغ من قبل العدو .

٢ – ما كان فى القلب من هوى ثابت ، أو حال مزعج دائم لابث ، فهو من قبل النفس الأمارة بطبعها ، أو مطالبة منها بسوء عادتها .

٣ – ما ورد على العبد من همَّه بخطيئة ، ووجد العبد فيها كراهيتها فالخاطر مركب :

أ – الورود من قبل العدو .

ب – والكراهية من قبل الروح والإيمان .

---

[١] انظر قوت القلوب ١٢٧/١

٤ – ما وجد من هوى أو معصية ، ثم ورد عليه المنع من ذلك ، فالخاطر مركب أيضا :

أ – الهوى من قبل النفس .

ب – المنع من قبل الملك .

٥– ما وجده عن خوف أو حياء ، أو ورع أو زهد ، وما شهده من تعظيم وهيبة وإجلال فهذا كله من إرادة اليقين ، وهو من مزيد الإيمان [(١)] .

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي :

الخاطر : هو ما يرد على القلب والضمير من الخطاب ، ربانياً كان أو ملكياً او نفسياً او شيطانياً من غير إقامة [١]

ويقول : الخاطر هو كل أمر إلهي ينزل ، فهو اسم إلهي عقلي نفسي عرشي كرسي .. الى ان ينتهي الى الأرض ، فيتجلى لقلوب الخلق ، فتقبله بحسب استعداداتها وقبولها [٢]

۞ الخشوع :

قريب من الخضوع ، إلا أن الخضوع في البدن ، والخشوع في البدن والصوت والبصر ، ويعنى الانخفاض والذل والسكون ، ومنه وصف الأرض بالخشوع وهو يبسها وانخفاضها ، وعدم ارتفاعها بالرى والنبات ، قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ [٣] ﴾[٤]

ويطلق الخشوع على شدة الخضوع والتذلل المصحوب بالرجفة ، قال تعالى :

---

[١] اصطلاح الصوفية ص ٧

[٢] الفتوحات المكية ٣٠/٣

[٣] سورة فصلت ٣٩

[٤] لسان العرب ٢٧/٢

﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [1]

ويطلق الخشوع أيضا على التواضع بالمسكنة ، كما قال ابن عباس ﷺ في الاستسقاء:(خرج رسول الله متواضعا ، متبذلا متخشعا متضرعا، فصلى ركعتين كما يصلي في العيدين ، ولم يخطب خطبتكم هذه)[2]

ويستعمل الخشوع فى القلب والجوارح ، وإن كان خشوع الجوارح لازم لخشوع القلب لأنها تتبعه ، فقوله تعالى :

﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾[3]

الخشوع في الاصطلاح الصوفي :

البعض يرى ان الخشوع والخضوع يحملان ذات المعنى وذات الصفة (والخضوع والتواضع بمعنى واحد وفي اصطلاح أهل الحقيقة الخشوع والانقياد للحق وقيل هو الخوف الدائم في القلب وقيل من علامات الخشوع أن العبد إذا غضب أو خولف أو رد عليه استقبل ذلك بالقبول) [4]

(الخشوع قيام القلب بين يدى الرب بالخضوع والذل والانقياد للحق ، واتفقوا على أن الخشوع محله القلب ، وقد استدلوا له بقوله تعالى : قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ[5])[6]

والجنيد لما سئل عن الخشوع ؟ قال : (تذلل القلوب لعلام الغيوب)[7]

---

[1] سورة الإسراء ١٠٩

[2] أخرجه النسائي ١٦٣/٣ برقم ١٥٢١

[3] سورة البقرة ٤٥

[4] التعريفات ص ٤٢

[5] سورة المؤمنون ٢

[6] الرسالة القشيرية ٣٨٠/١

[7] الرسالة القشيرية ٣٨٢/١

(وروى ان الفضيل بن عياض: كان يكره أن يرى على الرجل من الخشوع ، أكثر مما فى قلبه .

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى الخشوع هو الخوف الدائم اللازم للقلب) [1]

وقيل ان من علامات الخشوع ان صاحبه اذا أُغضِب او خُوِّف او رُدَّ عليه فإنه يستقبل ذلك بالقبول .

والخشوع من اسباب الخشية : ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾[2] فلأنه يخشى الله فإنه يظهر الخضوع والخشوع ، ثم ان الخشوع علامة الفلاح عند المؤمنين : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[3]

وينسب للحكيم الترمذى أنه قال : (الخاشع من خمدت نيران شهوته ، وسكن دخان صدره ، وأشرق نور التعظيم فى قلبه ، فماتت شهوته ، وحى قلبه ، فخشعت جوارحه) [4]

وروى عن أبى على الدقاق أنه قال فى قوله تعالى : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا﴾ [5] معناه : متواضعين متخاشعين[6]

ويذكر الكاشانى أن الخشوع فى اصطلاح الطائفة ، عبارة عن خمود النفس وهمود الطباع ، لمتعاظم أو مفزع ، والمراد بخمود النفس موتها ، وبهمود الطباع سكونها ، والمراد بالطباع هنا قوى النفس ، والمتعاظم من له عظمة ومهابة فى

---

[1] الرسالة القشيرية ٣٨٣/١

[2] الحشر ٢١

[3] المؤمنون ١ ـ ٢

[4] الرسالة القشيرية ٣٨٢/١

[5] الفرقان/٦٣

[6] الرسالة القشيرية ٣٨٢/١

القلوب ، والمفزع من له سطوة تخشى ، ونقمة تتقى ، ويقسم الخشوع إلى نوعين :

خشوع العامة : بسبب الرهبة من الوعيد ، والخوف من التهديد

وخشوع الخاصة : بسبب دواعى الحقيقة ، إلى حفظ الحرمة مع الحق ، وتجريد القصد له وحده من دون الخلق [١]

۞ الخشية :

(الخشية خوف يشوبه تعظيم ، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه ، ولذلك خص العلماء بها فى قوله تعالى :

إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ [٢]) [٣]

وعن أبي هريرة ﷺ ،عن النبي ﷺ قال :

(أسرف رجل على نفسه ، فلما حضره الموت أوصى بنيه ، فقال : إذا أنا مت فأحرقوني .. فإذا هو قائم ، فقال له ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : خشيتك يا رب ، أو قال : مخافتك فغفر له بذلك) [٤]

والخشية ترد على نوعين :

١ – خشية المخلوق وهى باعتبار المدح والذم نوعان :

أ– الخشية الممدوحة ومنها قوله تعالى : وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ [٥]، وقوله تعالى : فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا [١]

---

[١] لطائف الإعلام ١/٤٤٣

[٢] فاطر/٢٨

[٣] لسان العرب ١٤/٢٢٨

[٤] مسلم ٤/٢١٠٩ برقم ٢٧٥٦

[٥] النساء/٩

وعن ابن عمر ﷺ أن رجلا سأل رسول الله ﷺ عن صلاةالليل ؟ فقال رسول الله ﷺ : " صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى [٢]

ب- ومن الخشية المذمومة ، قول الله تعالى : إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي [٣] وقوله تعالى : ﴿ذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾[٤]

ومن حديث أبي سعيد الخدرى ﷺ قال ﷺ : لا يحقر أحدكم نفسه ، قالوا : يا رسول الله كيف يحقر أحدنا نفسه ؟ قال : يرى أمراً لله عليه فيه مقال ، ثم لا يقول فيه ، فيقول الله عز وجل له يوم القيامة : ما منعك أن تقول في كذا وكذا ، فيقول : خشية الناس ، فيقول : فإياي كنت أحق أن تخشى [٥]

٢ - خشية الخالق ، وغالبا ما تقترن بالدمع والبكاء ، قال تعالى :

﴿ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴾ [٦]،

وقوله تعالى : ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيب ﴾[٧]

وعن أبي هريرة ﷺ ، قال رسول الله ﷺ:

" لا يلج النار ، رجل بكى من خشية الله ، حتى يعود اللبن في الضرع " [٨]

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال ﷺ :

---

[١] الكهف/٨٠

[٢] البخارى ٢/٥٥٤ برقم ٩٩١

[٣] البقرة/١٥٠

[٤] النساء/٧٧

[٥] أخرجه ابن ماجة فى الفتن(٤٠٠٨)

[٦] عبس/٩

[٧] ق/٣٣

[٨] الترمذى فى فضائل الجهاد (١٦٣٣)

" عينان لا تمسهما النار ، عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله " [1].

الخشية فى الاصطلاح الصوفى :

الخشية فى الاصطلاح الصوفى ، وردت على المعنى السابق غير أنها درجة أقل من درجة الخوف ، فالخشية عندهم ترتبط بالعلم ، والخوف يرتبط بالمشاهدة كما ذكر عن أبى بكر الوراق قال :

(من صحت معرفته باللَّه ظهرت عليه الهيبة والخشية) [2]

ويذكر للجنيد بن مُحَمَّد قوله : أن صاحب الخشية ، من كبحه لجام العلم ، وقام بحق الشرع ، والتجأ إلى الله عز وجل [3]

ويذكر أبو نصر السراج الطوسى ، أن الله عز وجل حثَّ المؤمنين على المسارعة إلى الخيرات ، فقال ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لا يَشْعُرُونَ﴾ [4]

فاستفاد أهل الفهم من هذه الآية ، أن أول المسارعة إلى الخيرات هو التقلل من الدنيا ، وترك الاهتمام بالرزق ، والتباعد والفرار من الجمع والمنع ، باختيار القلة على الكثرة والزهد فى الدنيا على الرغبة فيها ، ثم ذكر الذين يسارع لهم فى الخيرات ووصفهم فقال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾[5]

فوصفهم بالإشفاق من الخشية ، والخشية والإشفاق اسمان باطنان ، وهما عملان من أعمال القلب ، فالخشية سر فى القلب خفى ، والإشفاق من

---

[1] الترمذى فى فضائل الجهاد (١٦٣٩)

[2] طبقات الصوفية ص٢٢٦

[3] الرسالة القشيرية ٣٤٤/١

[4] المؤمنون/٥٥:٥٦

[5] المعارج/٢٧

الخشية أخفى من الخشية ، وهو الذى ذكر الله تعالى ، فقال : ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [1]

(والخشية تألم القلب بسبب توقع مكروه في المستقبل ، تارة يكون بكثرة الجناية من العبد ، وتارة يكون بمعرفة جلال الله وهيبته ، وخشية الصوفية من هذا القبيل)[2]

ويروى عن أبى على الدقاق أنه قال : (الخشية من شرط العلم ، لقوله تعالى : إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ [3])[4]

ويذكر القشيرى (أن الحجارة منها ما تظهر عليه آثار خشية الله ، أما القلوب إذا منيت بإعراض الحق عنها ، وخصت بانتزاع الخيرات منها فهى كالحجارة أو أشد قسوة ، قال تعالى :

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ[5])[6]

وقال أبو حامد الغزالى فى بيان العلاقة بين البكاء والخشية : البكاء ثمرة الخشية ، وكل ما ورد فى فضل البكاء من خشية الله ، فهو إظهار لفضيلة الخشية ، قال تعالى : وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا [7])[8]

---

[1] طه/٧

[2] الموسوعة الصوفية ص ٩٤١

[3] فاطر/٢٨

[4] اللمع ص١١٦:١١٧

[5] البقرة/٧٤

[6] الرسالة القشيرية ٣٤٤/١

[7] الإسراء/١٠٩

[8] إحياء علوم الدين ١٧١/٤

(ويقول الشيخ سهيل بن عبد الله التستري :
الخشية : هي انكسار القلب من دوام الانتصاب بين يديه .
ويقول الشيخ ابو طالب المكي :
الخشية : هي انقباض القلب تحت هيبة الرب)[1]

۞ الخلـــة

الخلة : خالص المودة ، لأنها تتخلل النفس أي تتوسطها ، وإما لأنها تخلُّ النفس فتؤثر فيها تأثير السهم في الرمية ، وإما لفرط الحاجة اليها [2]

يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمْ الظَّالِمُونَ ﴾ [3]

وقوله تعالى : ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا ﴾[4]

(أى جعله صفوة له ، وخصَّه بكراماته ، حيث تخللت المعرفة جميع اجزاءه من حيث ماهو مركب فلم يبق جوهر فرد الا وحلّت فيه معرفة ربه عز وجل فهو عارف به بكل جزء منه ، ومن هنا قيل ان دم الحلاج لما وقع على الأرض انكتب بكل قطرة منه الله ، وأنشد :

ما قدَّ لي عضو ولا مفصل الا و فيــه لكــم ذِكـر)[5]

والخلة ثابتة فى القرآن والسنّة لنبيين اثنين ، هما إبراهيم ومُحَمَّد عليهما الصلاة والسلام ، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال : (لو كنت متخذا خليلاً ، لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكنه أخي وصاحبي ، وقد اتخذ الله

---

[1] موسوعة الكسنزان ١١٠/٧
[2] المفردات ص ١٥٣
[3] البقرة/٢٥٤
[4] النساء/١٢٥
[5] روح المعاني ١٥٢/٣

عز وجل صاحبكم خليلاً) [1] ،

وعن جندب ﷺ قال سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس ، وهو يقول : (إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل ، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلا ، كما اتخذ إبراهيم خليلا ، ولو كنت متخذا من أمتي خليلا ، لاتخذت أبا بكر خليلا ، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك) [2] .

الخلة فى الاصطلاح الصوفى :

والخلة ترد عند أغلب الصوفية حول المعنى القرآنى السابق ، فإما يقصدون بالخلة أن تمتلأ جميع الأعضاء بحب المحبوب ، أو يعنون تخلية القلب عما سوى المحبوب ، أو تخلل مودة فى القلب لا تدع فيه خلاء إلا ملأته [3] .

ويذكر القشيرى (أن الخلة لبسة يُلبسها الحق لمن شاء ، لا صفة يكتسبها العبد وأن الخليل هو المحتاج بالكلية إلى الحق فى كل نفَس ، ليس له شئ منه ، بل هو بالله لله فى جميع أنفاسه وأحواله ، اشتقاقاً من الخلة التى هى الخصاصة وهى الحاجة ويقال : إنه من الخلة التى هى المحبة ، والخلة أن تباشر المحبة جميع أجزائه ، وتتخلل سره حتى لا يكون فيه مساغ للغير ، قال تعالى : وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا [4]، فلما صفاه الله سبحانه عنه وأخلاه منه ، نصبه للقيام بحقه ، بعد امتحائه عن كل شئ إلا الله سبحانه) [5]

---

[1] صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة ٤ / ١٨٥٥برقم ٢٣٨٣

[2] صحيح البخارى كتاب الصلاة ٦٦٥/١ برقم ٤٦٦ ، وصحيح مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة ٣٧٧/١ برقم ٥٣٢ واللفظ له

[3] الكشاف ص٢٣٢

[4] النساء/١٢٥

[5] لطائف الإشارات ٣٦٧/١ ، ٣٦٨

يقول ابن عربي :

(اذا تخللت المعرفة بالله اجزاء العارف ... فلا يبقى فيه جوهر فرد الا وقد حلت فيه معرفة ربه فهو عارف به بكل جزء فيه ، ولولا ذلك ما انتظمت اجزاؤه ولا ظهر تركيبه ... فبه تعالى انتظمت الأمور معنى وحساً وخيالاً .. فإذا أحس الانسان بما ذكرناه وتحقق به وجوداً وشهوداً كان خليلاً ،ومن حصل هذا المقام كان حاله في العالم نعت الحق) [1]

(من اراد تحصيل هذا المقام وان يكون خليلاً للرحمن .. فينبغي ان يحسن عامة لجميع خلق الله كافرهم ومؤمنهم طائعهم وعاصيهم ، وان يقوم في العالم مع قوته مقام الحق فيهم ، من شمول الرحمة وعموم لطائفه من حيث لا يشعرهم ان ذلك الإحسان هو منه ، فاذا كان العبد بهذه المثابة صحت له الخلة، وهكذا تكون حال الخليل فهو رحمة كله ... فابحث عن صفات ابراهيم عليه السلام وقم بها عسى ان يرزقك بركته فانه بالخلة قام بها ما هي اوجبت له الخلة) [2]

ويقول الشيخ الأكبر : (إنما سمى الخليل خليلا ، لتخلله وحصره جميع ما اتصف به الذات الإلهية ، قال الشاعر :

قد تخللت مسلك الروح مني وبذا سمى الخليل خليلا

كما يتخلل اللون المتلون ، فيكون العرض بحيث جوهره ، ما هو المكان المتمكن ، أو لتخلل الحق وجود صورة إبرهيم) [3]

وقد ورد تعريف الخلة في الموسوعة الصوفية بأن (معناها تخلل شمائل المحبوب روحانية المحب حتى تتكيف بها النفس والروح وسائر الجملة الانسانية ، فتتحرك

---

[1] الفتوحات ٣٦٢/٢

[2] الفتوحات ٣٦٣/٢

[3] الفتوحات ٣٦٢/٢

اعضاء المحب عن ارادة المحبوب المتحرك بها القلب فتستحيل المخالفة ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : المرء على دين خليله .

يعني ان الذي أشرق في هذا من النور الإلهي هو الذي أشرق في الآخر لاتحاد محلهما ، فكان دينهما واحداً ، أي مطلوبهما وفهمهما الذي يدركان به الحقائق واحداً ، ولا يكون هذا التخلل الا تابعاً للصفاء والخلوص ، اللذين معناهما زوال العوارض الزائدة عن الذوات ، حتى تبقى مجردة واحدة فتنطبع فيها صورة الوجود كله)[1]

وقيل الخلة : (تخلية القلب عما سوى المحبوب . واختلفوا في ان مقام المحبة أرفع ام مقام الخلة ؟ فقال قوم : المحبة أرفع ، لخبر البيهقي انه تعالى قال ليلة الإسراء : يا مُحَمَّد سَلْ تُعْطَ فقال يارب انك اتخذت ابراهيم خليلاً ، وكلمت موسى تكليماً ، فقال : ألم اعطك خيراً من هذا ؟ ... الى قوله واتخذتك حبيباً .

لأن الحبيب يصل بلا واسطة ، بخلاف الخليل ، قال تعالى في نبينا ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنىٰ ﴾ [2] وقال في ابراهيم ﴿ وَكَذٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾[3] فكما ترى نبينا الأرفع مقاماً .

ومن ناحية اخرى قال قوم : الخلة أرفع ورجحه جماعة متأخرون ، لأن الخلة أخص من المحبة ، اذ هي توحيد الأخلّاء فهي نهاية ، ومن ثم أخبر نبينا صلى الله عليه وسلم بأن الله اتخذه خليلاً ، ونفى النبي ان يكون له خليل غير ربه ، وقال : لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت ابا بكر خليلاً .

وذلك إخبار بمحبة أبي بكر ، ومع ذلك تكون الخلة أخص بمعنى تخلية القلب عما سوى الله)[1]

---

[1] الموسوعة الصوفية ص ٩٤٩

[2] النجم ٩

[3] الأنعام ٧٥

(والخلة مرتبة من مراتب المحبة ، وهي أعلاها جميعاً ، والخلة مع الله ، والعشق مع العباد ، وقد تقع الخلة من الله للعابد كما في قوله تعالى : ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلا﴾ [٢]

والخلة من العابد لله تكون بأن تتخلل محبته القلب فلا تدع فيه خللاً إلا ملأته ، كقول الشاعر :

قد تخللتَ مسلكَ الروح مني وبه سُمّيَ الخليل خليلاً)[٣]

وحين سُئل الشيخ الجنيد عن مقام الخلة قال :

(هو غاية الحبّ وهو مقام عزيز يستغرق العقول وينسي النفوس، وهو من أعلى علم المعرفة بالله تعالى، وقال: في هذا المقام يعلم العبد أنّ الله عزّ وجلّ يحبه ويقول العبد: بحقي عليك وبجاهي عندك ويقول: بحبك لي، قال: وهؤلاء هم المدلون على الله تبارك وتعالى، والمستأنسون بالله تعالي، وهم جلساء الله تعالى، قد رفع الحشمة بينه وبينهم وزالت الوحشة بينهم وبينه، فهم يتكلمون بأشياء هي عند العامة كفر بالله لما قد علموا أن الله تعالى يحبهم، وأنّ لهم عند الله جاهاً ومنزلة، ثم قال عن بعض العلماء: أما أهل الأنس بالله تعالى فليس إلى معرفتهم سبل) [٤]

ويقول الشيخ ابو طالب المكي :

(الخلة مأخوذة من تخلل الأسرار، ومعها تكون حقيقة الحب والإيثار، فكل خليل حبيب، وليس كل حبيب خليلاً، لأن الخلة تحتاج إلى فضل عقل، ومزيد علم، وقوّة تمكين، وقد لا يوجد ذلك في كل محبوب، فلذلك عزّ طلبه وجلّ

---

[١] الموسوعة الصوفية ص ٩٥٠

[٢] النساء ١٢٥

[٣] الموسوعة الصوفية ص ٩٥٠

[٤] قوت القلوب ٧٧/٢

وصفه، وقد رفع الله عزّ وجلّ نبيه محمّداً ﷺ في مقام المحبة، فأعطاه الخلة ليلحقه بمقام إبراهيم، فكانت الخلة مزيد المحبة، ومنه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: لو كنت متخذاً من الخلق خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله عزّ وجلّ، فلما أتخذه خليلاً لم يصلح أنْ يشرك في خلة الخالق خلة الخلق، ثم قال: ولكن أخوّة الإسلام فأوقفه مع الأخوّة، لأن فيها مشاركة في الحال كما فعل بعليّ عليه السلام، وعدل به عن النبوّة كما عدل بأبي بكر عن الخلة)[1]

۞ الخلوة :

خَلوة: (اسم) ، والجمع : خَلَوات و خَلْوات

خلا فلان بفلان صار معه فى خلاء ، ويرد على عدة معان [2] :

١- خلا بمعنى انفرد وانتهى إلي خلوة كقوله تعالى : وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ [3]

وقال سعد بن معاذ ﷺ لأمية بن خلف : انظر لي ساعة خلوة ، لعلي أن أطوف بالبيت ، فخرج به قريبا من نصف النهار [4]

وقال النبي ﷺ ، لعمر بن الخطاب ﷺ : " يا عمر إنك رجل قوي ، لا تزاحم على الحجر ، فتؤذي الضعيف ، إن وجدت خلوة فاستلمه ، وإلا فاستقبله فهلل وكبر " [5]

٢- خلا بمعنى سبق ومضى ، ومنه قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ

---

[1] ؤقوت القلوب ٢/٢٣١

[2] لسان العرب ١١/٢١٨

[3] سورة البقرة ١٤

[4] أخرجه البخارى ٧/٣٢٩ برقم (٣٩٥٠)

[5] أخرجه أحمد فى المسند (١٩١) ، والبيهقى فى السنن الكبرى ٥/٨٠ برقم ٩٠٤٣

وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾[1]

٣- خلا من الأمر برء منه ولم يصبه ، قال ابن عمر ﷺ : " مر النبي بامرأة ، وهي تبكي عند قبر ، فقال : اتقي الله واصبري ، فقالت : إليك عني ، فإنك خلو من مصيبتي [2]

٤- وخلّيت فلانا تركته ، يقال لكل ترك تخلية ، نحو قوله تعالى : ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [3]

وفي الاصطلاح الصوفي :

والخلوة فى الاصطلاح الصوفى ، تأتى على معنى الانفراد والوحدة والتخلى لذكر الله ، فاللفظ باق عندهم على معناه اللغوى ، روى عن بشر بن الحافى أنه قال فيمن يتفرد ويختار الخلوة : (ليتق الله تعالى عند خلوته وليلزم بيته ، وليكن أنيسه الله عز وجل وكلامه) [4]

وينسب ليحى بن معاذ الرازى أن المسلم فى خلوة دائمة لأن الخلوة ، إنما تكون فى الأنس بالله ، فقال : (أنظر أنسك بالخلوة ، أو أنسك معه فى الخلوة ، فإن كان أنسك بالخلوة ، ذهب أنسك إذا خرجت منها ، وإن كان أنسك به فى الخلوة ، استوت لك الأماكن فى الصحارى والبرارى) [5]

يروى عن ذى النون المصرى أنه قال : (لم أر شيئا أبعث لطلب الإخلاص من الوحدة ، لأنه إذا خلا لم ير غير الله تعالى ، فإذا لم ير غيره لم يحركه إلا حكم الله ، ومن أحب الخلوة ، فقد تعلق بعمود الإخلاص واستمسك بركن كبير من

---

[1] سورة البقرة/٢١٤

[2] أخرجه البخارى فى كتاب الأحكام ١٤٢/١٣ برقم ٧١٥٤

[3] سورة التوبة / ٥

[4] اللمع ص٢٧٧

[5] الرسالة القشيرية ص٣٠١

أركان الصدق) [1]

ويعبر الكاشانى عن هذه المعانى السابقة بقوله : (الخلوة عند الصوفية ، محادثة السر مع الحق بحيث لا يرى غيره ، هذا حقيقة الخلوة ومعناها ، وأما صورتها فهى ما يتوصل به إلى هذا المعنى من التبتل إلى الله والانقطاع عن الغير) [2]

وفي الموسوعة الصوفية : (الخلوة : هي العزلة عن بعضهم ، وغير العزلة عند البعض الآخر ، فالخلوة من الأغيار والعزلة من النفس وما تدعو اليه وما يشغل عن الله)[3]

وقال بعضهم : (ان الخلوة والعزلة تعنيان الانفراد ، وذلك شيء لا يقوى عليه الا الأقوياء .

وعند ابن عربي الخلوة اختلاء بالله حيث لا ملك ولا أحد ، والمناجاة أسرار)[4]

وقيل للحارث المحاسبي :

ما علامة الأنس بالله ؟ قال : التوحش من الخلق، قيل له : فما علامة التوحش من الخلق ؟ قال : الفرار إلى مواطن الخلوات ، والتفرد بعذوبة الذكر، فعلى قدر ما يدخل القلب من الأنس بذكر الله يخرج التوحش [5]

وعن أبي القاسم الجنيد أنه قال : من أراد أن يسلم له دينه، ويستريح بدنه وقلبه، فليعتزل الناس، فإن هذا زمان وحشة، والعاقل من اختار فيه الوحدة[6]

وذكر أن مما انفرد به الصوفي : الخروج عن الأوطان، وقطع الصحاب، وترك ما

---

[1] طبقات الصوفية ص٢١

[2] معجم مصطلحات الصوفية ص ٤٤

[3] الموسوعة الصوفية ص ٩٥٣

[4] الموسوعة الصوفية ص ٩٥٣

[5] حلية الأولياء، ١٠٧/١٠

[6] الرسالة القشيرية ص٥٠

علم وجهل [1]

وعن الشلبي أنه قال : ألزم الوحدة، وامح اسمك عن القوم، واستقبل الجدار حتى تموت [2]

وعن يحيى بن معاذ أنه قال: الصبر على الخلوة من علامات الإخلاص [3]

وذكر سهل بن عبد الله التستري أن الخير اجتمع في أربع خصال، منها اعتزال الناس [4]

وقال أبو الحسن علي بن إبراهيم الحصري البغدادي : أصولنا في التوحيد خمسة أشياء: رفع الحدث وإفراد القدم، وهجر الإخوان، ومفارقة الأوطان، ونسيان ما علم وجهل [5]

وعن شقيق البلخي أنه قال: العبادة حرفة، وحانوتها الخلوة، وآلائها الجوع [6]

وقال أبو طالب المكي: الخلوة أفضل المعاني، وفيها يجد لذة الوجود وحلاوة المعاملة، ويقبل على نفسه ويشتغل بحاله ولا يهتم بحال غيره فيحمل حاله على حال غيره فيقصر، أو يقوم بحكم آخر فيعجز، ويعال شيطانا آخر مع شيطانه، وتنضم نفس أخرى إلى نفس، وله في مجاهدة نفسه، ومصابرة هواه وعدوه أكبر الأشغال[7]

---

[1] الرسالة القشيرية ص١٣٦

[2] تاريخ دمشق ١٢١/٦٦

[3] طبقات الصوفية ص٤٥

[4] قوت القلوب ١٣٦/١

[5] الرسالة القشيرية ص ١٣٥

[6] عوارف المعارف ١٤٤/٢

[7] قوت القلوب ٢٠٩/٢

۞ الخليفة

الخليفة : الخلافة النيابة عن الغير ، وهى على نوعين [١] :

١- الخلافة لعجز المنوب عنه أو غيبتة أو موته ، كقوله تعالى :

(وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي) [٢]

وقوله تعالى :

(هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُه) [٣]

وورد (الخليفة) في حديث رسول الله ﷺ .

فعن ابن عمر ﷺ ، كان من دعائه ﷺ فى السفر : (اللَّهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل) [٤]

وعن النواس بن سمعان ﷺ ، قال : ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة ، فخفض فيه ورفع ، فقال : (غير الدجال أخوفني عليكم ، إن يخرج وأنا فيكم ، فأنا حجيجه دونكم ، وإن يخرج ولست فيكم ، فامرؤ حجيج نفسه ، والله خليفتي على كل مسلم) [٥]

٢- الخلافة لتشريف المستخلف أو ابتلائه ، وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله آدم وذريته فى الأرض ، فقال سبحانه :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [٦]على وجه الابتلاء .. كما قال : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ ﴾[١] ،

---

[١] لسان العرب ٨٩/٩ والمفردات ص ١٥٦

[٢] الأعراف/١٤٢

[٣] فاطر/٣٩

[٤] صحيح مسلم كتاب الحج ٩٧٨/٢ برقم ١٣٤٢

[٥] صحيح مسلم كتاب الفتن ٢٢٥٠/٤ برقم ٢٩٣٧

[٦] البقرة/٣٠

وقال أيضا : ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ﴾[٢]

كما وردت في الحديث النبوي الشريف وبنفس المعنى .

فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال رسول الله ﷺ :

(ما استخلف خليفة إلا له بطانتان بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصم الله)[٣]

الخليفة فى الاصطلاح الصوفى :

والخليفة فى الاصطلاح الصوفى ، يتوافق فى الأغلب مع ما سبق ، فالأوائل يعنون بالخليفة آدم وذريته ، حيث استخلفهم الله فى الأرض ، وابتلاهم فيها واستأمنهم على ملكه .

ويذكر القشيرى (أن ابتداء ظهور السر فى آدم وذريته حين قال : وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً فلما ركب صورته لم يكونوا رأوا مثلها فى بديع الصنعة وعجيب الحكمة ،فعندها ترجمت الظنون وتقسمت القلوب وتجنت الأقاويل ، وإنما قال للملائكة ذلك تشريفا وتخصيصا لآدم بالخلافة)[٤]

ولابن عربى قول يشرح فيه المعنى السابق الذى يوافق الأصول القرآنية فيقول: (إن الخلافة مدرجة فى جميع النوع الإنسانى ، كما نبه عليه سبحانه وتعالى فى قوله ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيه ﴾[٥]

---

[١] الإنسان/٢

[٢] ص/٢٦

[٣] صحيح البخارى كتاب القدر ٥٨/١١ برقم ٦٦١١

[٤] لطائف الإشارات ٧٤/١- ٧٥

[٥] الحديد/٧

فهذا النوع الإنسانى مستخلف من قبل الحق بقدر وسعه ، فأدناهم المستخلف على نفسه ، وأكملهم المستخلف على العالم بأسره .

ويقول أيضا : (وكما أن الخليفة قد استخلف من استخلفه فى ماله ، وجميع أحواله لما اتخذه وكيلا ، فاستخلاف العبد ربه ، لما اتخذه وكيلا خلافة مطلقة ، واستخلاف الرب عبده خلافة مقيدة ،

بحسب ما تعطيه ذاته ونشأته)[1] .

وربما يعنى ابن عربى بالخليفة فى فلسفته أمرا آخر ينبعث من فلسفته وفهمه للتصوف وعلاقة الإنسان بربه تعالى، فمن ذلك قوله :

الخليفة هو الذى يتلقى الأمر من الله مباشرة بلا واسطة كما يتلقى الخلفاء الأمر من الرسل فى ظاهر الشرع ، فيقول : (لله فى الأرض خلائف عن الله وهم الرسل ، وأما الخلافة اليوم ، يقصد الخلافة الظاهرة ، فعن الرسل لا عن الله فإنهم ما يحكمون إلا بما شرع لهم الرسول لا يخرجون عن ذلك) [2]

ويقول فى الخلافة الباطنة عند الصوفية : (الخليفة الحق هو القطب القائم بورثة النبوة فالرسول ﷺ مات وما نص بخلافة عنه إلى أحد ولا عينه لعلمه أن فى أمته من يأخذ الخلافة عن ربه ، فيكون خليفة عن الله مع الموافقة فى الحكم المشروع) [3]

ومن كلامه أيضا : (وإنما كانت الخلافة لآدم عليه السلام دون غيره من أجناس العالم ، لكون الله تعالى خلقه على صورته) [4]

---

[1] . الفتوحات المكية ٢٩٩/٣

[2] فصوص الحكم ١٦٢/١

[3] الفتوحات المكية ١٤٨/٤

[4] الفتوحات المكية٢٦٣/١

ويقول : (إن الإنسان هو العين المقصودة لله من العالم ، وإنه الخليفة حقا وإنه محل ظهور الأسماء الإلهية وهو الجامع لحقائق العالم كله)[1]

(ويذكر الشيخ حيدر بن علي الآملي أن :الخليفة عبارة عن شخص يخلف هذا الرسول والنبي بالاستحقاق . وعلى الجملة يجب ان يكون الخليفة على صفة المستخلف عنه .

والباحث حسين الخالدي يقول :

الخليفة في عرف أهل الطريق : من يخلف الشيخ ويخلف عنه في إداء بعض وظائف مرشده) [2]

۞ الخـــوف

الخوف : ضد الأمن ، وهو توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة كما أن الرجاء والطمع ، توقع محبوب عن أمارة مظنونة أو معلومة ، قال الله تعالى : ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ ﴾ [3]

ويستعمل الخوف في الأمور الدنيوية والأخروية [4] :

١- فمن الخوف المتعلق بالأمور الدنيوية قوله تعالى عن موسى : ﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ [5] وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ ﴾ [6] .

---

[1] الفتوحات المكية ١٢٥/١

[2] موسوعة الكسنزان ٢٧٢/٧

[3] الأنعام/٨١

[4] المفردات ص١٦٢ ، ولسان العرب ٩٩/٩

[5] القصص/١٨

[6] النساء/٣

وقد ورد في السنة كقوله ﷺ في الحديث : عن أبي سعيد الخدري قال ﷺ: " أخوف ما أخاف عليكم ، ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا ، قالوا : وما زهرة الدنيا يا رسول الله ؟ ، قال : بركات الأرض " [1]

وعن جابر رضي الله عَنه قال ﷺ : إن أخوف ما أخاف على أمتي ، عمل قوم لوط [2]

٢- ومن الخوف المتعلق بالأمور الأخروية ، قوله تعالى : تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا [3]، وعن أبي هريرة رضي الله عَنه ، عن النبي ﷺ قال : " سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، وذكر منهم .. ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال ، فقال : إني أخاف الله " [4]

والخوف يطلق كاصطلاح شرعي على صلاة المحارب ، فعن ابن عباس رضي الله عَنه قال : (فرض الله الصلاة على لسان نبيكم ﷺ ، في الحضر أربعا ، وفي السفر ركعتين ، وفي الخوف ركعة) [5]

الخوف في الاصطلاح الصوفي :

والخوف في الاصطلاح الصوفي ، اسم جامع لحقيقة الإيمان ، وهو علم الوجود والإيقان ، وهو سبب اجتناب كل نهى ، ومفتاح كل أمر ، وليس شيء يحرق شهوات النفوس ، فيزيل آثار آفاتها إلا مقام الخوف [6]

---

[1] أخرجه مسلم في كتاب الزكاة ٧٢٨/٢ برقم ١٠٥٢

[2] أخرجه الترمذي في كتاب الحدود (١٤٥٧) ٥٨/٤ وابن ماجه في سننه (٢٥٦٣) ٨٥٦/٢

[3] السجدة/١٦

[4] أخرجه البخاري في كتاب الزكاة ٣٤٤/٣ برقم ١٤٢٣

[5] أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين ٤٧٩/١ برقم ٦٨٧

[6] قوت القلوب ٢٢٥/٢

والخوف عندهم معنى يتعلق بالمستقبل ، وهو ما يحذر من المكروه في المستأنف ، لأنه إنما يخاف أن يحل به مكروه ، أو يفوته محبوب ، ولا يكون هذا إلا لشيء يحصل في المستقبل ، فأما ما يكون في الحال موجودا ، فالخوف لا يتعلق به ، والخوف من الله تعالى ، هو أن يخاف أن يعاقبه الله ، إما في الدنيا وإما في الآخرة ، وقد فرض الله سبحانه على العباد أن يخافوه فقال تعالى وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [1] ومدح المؤمنين بالخوف ، فقال : يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ .

وينقسم الخوف إلى نوعين [2] :

أ – الخوف الواجب وهو ما يمنع من المحرمات ويحمل على القيام بالواجبات .

ب – الخوف المندوب وهو ما يمنع عن كل مكروه وعن تعاطى الشبهات .

روى عن أبي سليمان الدارانى: أنه قال (إذا سكن الخوف القلب أحرق الشهوات) [3]

وينسب إلى شقيق البلخى قوله : (من لم يكن معه ثلاثة أشياء ، لا ينجو من النار ، الأمن والخوف والاضطراب) [4]

ولذي النون المصري قوله : (إذا صح اليقين في القلب صح الخوف فيه ، فالخوف رقيب العمل والرجاء شفيع المحن) [5]

ويقول الشيخ ابو بكر الواسطي :

---

[1] آل عمران/١٧٥

[2] الرسالة القشيرية ٣٤٢/١

[3] طبقات الصوفية ص٨١

[4] طبقات الصوفية ص٦٦

[5] طبقات الصوفية ص٢١ ، ص٢٤

الخوف حجاب بين الله تعالى وبين العبد ، إذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها فضلة لرجاء ولا خوف [١]

ويروى عن يحي بن معاذ الرازي أنه قال : (مسكين ابن آدم لو خاف من النار ، كما يخاف من الفقر لدخل الجنة) [٢]

ويذكر أن الجنيد بن مُحَمَّد سئل عن الخوف ؟ فقال : (هو توقع العقوبة مع مجارى الأنفاس) [٣]

ويروى عن أبى على الدقاق قال : (الخوف من شرط الإيمان وقضيته لقوله تعالى : ﴿وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [٤] ﴾[٥]

ويقول الشيخ ابو مُحَمَّد الجريري : الخوف هو سلوك البطال [٦]

ويجتهد المكي في تفصيل مقامات الخوف دون دليل ، فيقول : الخوف اسم جامع لمقامات الخائفين ، ثم يشتمل على خمس طبقات في كل طبقة ثلاث مقامات [٧] :

فالمقام الأول من الخوف : هو التقوى ، وفى هذا المقام المتقون والصالحون والعاملون .

والمقام الثاني من الخوف : هو الحذر ، وفى هذا المقام الزاهدون والورعون والخاشعون .

---

[١] إحياء علوم الدين ٤/١٤٧

[٢] الرسالة القشيرية ١/ ٣٤٥

[٣] الرسالة القشيرية ١/ ٣٤٦

[٤] آل عمران/١٧٥

[٥] الرسالة القشيرية ١/ ٣٤٣

[٦] طبقات الصوفية ٢٦٤

[٧] قوت القلوب ٢/٢٤١

والمقام الثالث : هو الخشية وفى هذا طبقات العالمين والعابدين والمحسنين .

والمقام الرابع : هو الوجل ، وهذا للذاكرين والمخبتين والعافين .

والمقام الخامس :هو الإشفاق وهو للصديقين ، وهم الشهداء والمحبون وخصوص المقربين ، وخوف هؤلاء عن معرفة الصفات لأجل الموصوف لا عن مشاهدة الاكتساب لأجل العقوبات .

ويذكر الكاشانى أن الخائفين من الله سبحانه ، منهم من يبلغ الخوف به إلى حد الانخلاع عن طمأنينة الأمن خوفا من العقوبة أو من المكر أو الهيبة ، ويقسم الخوف إلى أنواع [1] :

١. خوف العامة : من العقوبة تصديقا بالوعيد .

٢. خوف أرباب المراقبة : من المكر في جريان الأنفاس .

٣. خوف الخاصة : إجلال وهيبة ، إذ ليس في مقام الخصوص وحشة الخوف فالهيبة والإجلال هو أقصى درجة يشار إليها في غاية الخوف ، فإن الخوف من الإعراض ، إنما يكون على قدر الإقبال وحيثما كان الإقبال أتم كان الخوف من الإعراض أشد وحيث لا أتم من إقبال الله على عبده ، فكذا لا خوف أشد من الإجلال والهيبة .

۞ الدنيا

الدُّنْيا : مؤَنَّث الأدنى وجمعها دُنْيات و دُنًى

الدُّنيا: الحياة الحاضرة، عكسها الآخرة .

الدنيا : الدنو القرب ويستعمل فى الزمان والمكان والمنزلة [2] :

قرب الزمان : ومنه سميت الدنيا لقرب انتهائها ،كقوله تعالى عن إبراهيم :

﴿ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنْ الصَّالِحِينَ ﴾[1]

---

[1] لطائف الإعلام ١/٤٥٦:٤٥٨

[2] المفردات ص١٧٢

والدنيا معاش الإنسان ، ووسيلته إلى الآخرة ، فمهما طال زمان المرء فيها فهو منصرم .

وفي حديث رسول الله ﷺ وردت (الدنيا) فعن سهل بن سعد ﷺ قال:

قال النبي ﷺ :(لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ)[٢]

وعن أبي هريرة ﷺ ،كان ﷺ يقول : " اللَّهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري ، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي)[٣]

وعن أبي هريرة ﷺ قال :

قال رسول الله ﷺ :(الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلاَّ ذِكْرَ اللَّهِ وَمَا وَالاَهُ وَعَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا)[٤]

قرب المكان : كقوله تعالى : ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾[٥]

وقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾ [٦]

وفي حديث رسول الله ﷺ ما رواه أبو سعيد الخدري ﷺ ، قال أسيد بن حضير : فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح فخرجت

---

[١] النحل/١٢٢

[٢] الترمذي كتاب الزهد، باب: هوان الدنيا على الله ٥٦٠/٤ برقم: ٢٣٢٠ والبيهقي في الشعب٣٢٥/٧

[٣] صحيح مسلم كتاب الذكر ٢٠٨٧/٤ برقم ٢٧٢٠

[٤] الترمذي كتاب الزهد، باب هوان الدنيا على الله ٥٦١/٤ برقم ٢٣٢٢ وابن ماجه كتاب الزهد، باب: مثل الدنيا(١٣٧٧/٢برقم:٤١١٢)، والبيهقي في الشعب(٢ / ٢٦٥)

[٥] الحاقة/٢٣

[٦] الأنعام/٩٩

حتى لا أراها : قال رسول الله : وتدري ما ذاك ؟ تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم) [1]

قرب المنزلة والمكانه : بمعنى الأصغر وهو عكس الأكبر كما في قوله تعالى :

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ ﴾[2]

﴿ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ ﴾ [3]

وعبر بالأدنى عن الأرذل والأحقر ، فيقابل بالخير والأبقى نحو قوله تعالى :

﴿بلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [4]

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴾[5]

الدنيا فى الاصطلاح الصوفى :

استحوذت الدنيا على القدر الأكبر في فكر وكتابات المتصوفين .

وقد أجمعوا على ذمّها والزهد بما فيها وعدم الإنشغال بزخرفها ، وانها دار فتنة واختبار .

كما اتفقوا على ان الدنيا يجب ان تكون بوابة للقرب من الله والوصول الى رضاه سبحانه وتعالى . قال الله عز وجل ﴿فَلا تَغُرَّنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ [6] وقال تعالى : ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [7]

---

[1] صحيح البخارى كتاب فضائل القرآن ٦٨٠/٨ برقم ٥٠١٨

[2] السجدة/٢١

[3] المجادلة/٧

[4] الأعلى/ ١٧:١٦

[5] البقرة/٦١

[6] فاطر/٥

[7] آل عمران/١٨٥

ورد عن أبى سليمان الدرانى ، أنه قال : لكل شئ مهر ومهر الجنة ، ترك الدنيا بما فيها) [1]

وينسب أيضا لأحمد بن أبى الحوارى أنه قال : الدنيا مزبلة ومجمع الكلاب ، وأقل من الكلاب من عكف عليها ، فإن الكلب يأخذ منها حاجته ، وينصرف والمحب لها ، لا يزايلها بحال) [2]

ويذكر لشقيق البلخى:

(عملت فى القرآن عشرين سنة ، حتى ميزت الدنيا من الآخرة ، فأصبته في حرفين ، وهو قوله تعالى : ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى [3] ﴾ [4]

ويروى أن أحمد بن خضرويه استقرض من رجل مائة ألف درهم ، فقال له الرجل : أليس أنتم الزهاد فى الدنيا ؟ ما تصنع بهذه الدراهم ؟ قال : أشترى بها لقمة ، فأضعها فى فم مؤمن ولا أجترئ ، أن أسأل ثوابه من الله تعالى ، قال : لم ؟ ، قال : لأن الدنيا كلها لا تزن عند الله جناح بعوضة ، وما مائة ألف درهم فى الدنيا من جناح بعوضة ؟ لو أخذتها فطلبت بها شيئا ما الذى تعطى بها ؟ والدنيا كلها لها هذا القدر ؟ [5]

ولأبى على الثقفى: (أف من أشغال الدنيا إذا أقبلت ، وأف من حسراتها إذا أدبرت ، والعاقل من لا يركن إلى شئ ، إذا أقبل كان شغلا ، وإذا أدبر كان حسرة) [1]

---

[1] طبقات الصوفية ص٨١

[2] طبقات الصوفية ص ١٠٢

[3] القصص/٦٠

[4] طبقات الصوفية ص ٦٤

[5] طبقات الصوفية ص ١٠٤

۞ الذِكْر

(الذِّكْرُ: الحِفْظُ للشيء تَذْكُرُه. والذِّكْرُ أَيضاً: الشيء يجري على اللسان. والذكر والذِكرى : نقيض النسيان ، وقوله تعالى: واذكروا ما فيه؛ قال أَبو إِسحق: معناه ادْرُسُوا ما فيه. والذكر نوعان :) [٢]

١- ذكر بالقلب ، ويراد به هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة ، وهو كالحفظ إلا أن الحفظ يقال اعتباراً بإحرازه ، والذكر يقال اعتبارا باستحضاره ، وحضور الشئ فى القلب ذكره وتذكره ، بإرادة أو بغير إرادة وضده نسيانه وتناسيه ، بإرادة أيضا أو بغير إرادة ، قال تعالى :

﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾ [٣]، وقال سبحانه : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ [٤]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : " إن أم الفضل سمعته وهو يقرأ ، والمرسلات عرفا فقالت : يا بني ، والله لقد ذكرتني بقراءتك هذه السورة ، إنها لآخر ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقرأ بها في المغرب " [٥] .

٢- ذكر باللسان سواء باستحضار القلب أو غيره ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا ﴾ [٦]

وعن كعب بن عجرة رَضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : " معقبات لا

---

[١] طبقات الصوفية ص ٣٦٤

[٢] لسان العرب ٣٠٨/٤ والمفردات ص١٧٩

[٣] الكهف/٦٣

[٤] البقرة/٢٠٠

[٥] أخرجه البخارى فى كتاب الأذان ٢٨٧/٢ برقم ٧٦٣

[٦] الأحزاب/٤١:٤٢

يخيب قائلهن أو فاعلهن دبر كل صلاة مكتوبة ، ثلاث وثلاثون تسبيحة ، وثلاث وثلاثون تحميدة ، وأربع وثلاثون تكبيرة " [١]

وعن أبي هريرة رَضي الله عنه ، قال رسول اللَّه صَلى الله عليه وسلم : " رغم أنف رجل ذكرت عنده ، فلم يصل علي " [٢] .

والذكر قد يطلق على بعض المعانى الاصطلاحية الواردة فى الأصول القرآنية والنبوية منها : القرآن سماه الله ذكرا لقوله تعالى ﴿ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴾ [٣]وقوله : ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾[٤] ، ويطلق أيضا على اللوح المحفوظ : لما روى عن عمران بن حصين ﷺ ، قال : "كان اللَّه ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء ، وخلق السموات والأرض " [٥] ، وعن أبي هريرة ﷺ ، قال: " لقي آدم موسى فقال : أنت آدم الذي خلقك اللَّه بيده ، وأسجد لك ملائكته ، وأسكنك الجنة ، ثم فعلت ؟ ، فقال : أنت موسى الذي كلمك اللَّه ، واصطفاك برسالته ، وأنزل عليك التوراة ، ثم أنا أقدم أم الذكر ؟ قال : لا بل الذكر ، فحج آدم موسى ، فحج آدم موسى عليهما السلام " [٦] .

---

[١] أخرجه مسلم فى كتاب المساجد ٤١٨/١ برقم ٥٩٦

[٢] أخرجه الترمذى فى كتاب الدعوات (٣٥٤٥) وابن حبان فى صحيحه (٩٠٨) ١٨٩/٣

[٣] طه/٩٩:١٠٠

[٤] الأنبياء/٥٠

[٥] . أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق ٣٣١/٦ برقم ٣١٩٢

[٦] أخرجه أحمد فى المسند (٩٦٦٤) واللفظ له ، وأخرجه البخارى فى كتاب أحاديث الأنبياء (٣٤٠٩)

الذكر فى الاصطلاح الصوفى :

الذكر عند الصوفية يحمل نفس المعنى الذي جاء في القران .

كما أنه يمثل ركنا قويا فى طريق الحق سبحانه وتعالى ، بل هو عمدة الأمر ، فلا يصل أحد إلى الله عندهم إلا بدوام الذكر ، لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾[1] ولحديث رسول الله ﷺ والذي رواه أبو الدرداء رضي الله عنه : أَلَا أُنَبِّئُكم بِخَيْرِ أعمالِكُم ، وأَزْكاها عِندَ مَلِيكِكُم ، وأَرفعِها في دَرَجاتِكُم ، وخيرٌ لكم من إِنْفاقِ الذَّهَب والوَرِقِ ، وخيرٌ لكم من أن تَلْقَوا عَدُوَّكم ، فتَضْرِبوا أعناقَهُم ، ويَضْرِبوا أعْناقكُم ؟ قالوا : بَلَى ، قال : ذِكْرُ اللهِ [2]

وقد انعكست أهمية الذكر في كتابات وفكر وسلوك كبار ألمتصوفين .

والذكر عندهم على ضربين : ذكر اللسان وذكر القلب ، فذكر اللسان به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب والتأثير لذكر القلب ، فإذا كان العبد ذاكرا بلسانه وقلبه فهو الكامل فى وصفه وفى كل سلوكه [3]

ومما ورد فى معنى الذكر ، ما روى عن أحمد بن الحوارى أنه قال : (إنما كره الأنبياء الموت ، لانقطاع الذكر عنهم ، وعلامة حب الله حب ذكر الله ، فإذا أحب الله العبد أحبه ، ولا يستطيع العبد أن يحب الله حتى يكون الابتداء من الله بالحب له ، وذلك حين عرف منه الاجتهاد فى مرضاته) [4]

وينسب إلى ذى النون المصرى أنه قال : (من ذكر الله تعالى ذكراً على الحقيقة نسى فى جنب ذكره كل شئ ، وحفظ الله تعالى عليه كل شئ وكان له عوضا

---

[1] الأحزاب/٤١

[2] الترمذي (٣٣٧٧) واللفظ له، وابن ماجه (٣٧٩٠)، وأحمد (٦/ ٤٤٧)

[3] انظر الرسالة القشيرية ٢/٤٦٤:٤٦٨

[4] طبقات الصوفية ص١٠١

عن كل شئ) [1]

ويذكر لأبى عثمان النيسابورى أنه قال: (الذكر الكثير ، أن تذكره فى ذكرك له ، أنك لم تصل إلى ذكره إلا به وبفضله) [2]

وعن أبى مُحَمَّد الجريرى أنه قال : (ذكرك منوط بك إلى أن يتصل ذكرك بذكره ، إذ ذاك يرفع ويخلص من العلل ، فما قارن حدث قدماً ، إلا تلاشى وبقى الأصل وذهبت الفروع ، كأن لم تكن) [3]

ويروى أن أبا بكر الواسطى سئل عن الذكر فقال : الخروج من ميدان الغفلة إلى فضاء المشاهد ، على غلبة الخوف وشدة الحب له) [4]

وعنه أيضا : الذاكرون فى ذكره أكثر غفلة من الناسين لذكره لأن ذكره سواه [5]

وينسب لأبى العباس الدينورى : (اعلم أن أدنى الذكر أن ينسى ما دونه ، ونهاية الذكر أن يغيب الذاكر فى الذكر عن الذكر ، ويستغرق بمذكوره عن الرجوع إلى مقام الذكر ، وهذا حال فناء الفناء) [6]

ويذكر الكلاباذى أن حقيقة الذكر أن تنسى ما سوى المذكور فى الذكر ، لقوله تعالى : وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيت [7] يعنى إذا نسيت ما دون الله ، فقد ذكرت الله [8] [8]

وينقل لنا الامام الغزالي عن ابي هريرة قوله :

---

[1] الرسالة ٤٦٦/٢

[2] طبقات الصوفية ص١٧٤

[3] طبقات الصوفية ص٢٦٣

[4] الرسالة ٤٦٦/٢

[5] طبقات الصوفية ص ٤٤٧

[6] طبقات الصوفية ص٣٠٥

[7] الكهف/٢٤

[8] التعرف ص١٠٣

(ان اهل السماء ليتراؤن بيوت أهل الأرض التي يذكر فيها اسم الله تعالى ، كما تتراءى النجوم) [1]

ويرى بعض الصوفية ان ذكر اللسان حسنة بعشر حسنات ، أما ذكر القلب فحسنة بسبعمائة حسنة ، ويرون ان الذكر الجماعي يقوي العزائم)) [2]

أما الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي ﷺ فيرى ان الذكر : المقام الذي اذا وصل اليه الصوفي انكشف له الحق ، وانمحى كل أثر بين الواحد والكثير ، أي بين الحق والخلق ، والذكر والمذكور ، وتحققت وحدة الإثنين ويعتبره الهياً يبعثه الخلق للحق ، ليفسره بأنه (نعت الهي ، وهو نفسي وملقى في الحق وفي الخلق ، ومع كونه الهياً ، فهو جزاء ذكر الخلق) [3]

۞ ذو العقل :

(العقل : الحجر والنهى وهو ضد الحمق ، رجل عاقل ، وهو الجامع لأمره ورأيه ، مأخوذ من عقلت البعير إذا جمعت قوائمه ، وقيل : العاقل الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها ، أخذ من قولهم قد اعتقل لسانه إذا حبس ومنع الكلام) [4]

عن ام المؤمنين عائشة ان رسول الله ﷺ قال :

الدنيا دار من لا دار له ، ولها يجمع من لا عقل له [5]

والعقل هنا هو القوة المتهيئة لقبول العلم ، وهى الغريزة التى وضعها اللَّه في قلوب الممتحنين من عباده .

وقوله ﷺ : يا ابا ذر لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن

---

[1] احياء علوم الدين ٣/٣٥٦

[2] انظر معجم الفاظ الصوفية ص ١٤٣ – ١٤٦

[3] الفاظ المتصوفة ص ١٧٦

[4] لسان العرب ١٠/٢٣٣

[5] مسند احمد ٦ / ٧١ برقم ٢٤٤٦٤

الخلق [1]

والعقل يعبر في هذا الحديث عن العلم الذى يستفيده الإنسان من تلك الغريزة أو القوة والمسماة عقل .

ومثله حديث ام المؤمنين عائشة ﵂ :عن أبي هريرة ﵁ أنه قال قضى رسول الله ﷺ في جنين امرأة من بني لحيان سقط ميتا ، بغرة عبد أو أمة ، ثم إن المرأة التي قضى لها بالغرة توفيت فقضى رسول الله صَلى الله عليه وسلم بأن ميراثها لبنيها وزوجها وأن العقل على عصبتها [2]

والعقل هنا هو الديّة المدفوعة .

وفي الاصطلاح الصوفي :

العاقل عند أوائل الصوفية هو من أطاع الله واهتدى بهديه ، يقول الحارث بن أسد المحاسبى : (ألا فمن رغب منكم فى العقل ، وأراد السبيل إلى اكتسابه فإن أفضل ما تستفيد بالعقل أن تطيع الله فيما افترض عليك ، وتتجنب ما حرم الله عليك ، فمتى فعلت ذلك أخذت من العقل بنصيب ، فبذلك جاءت الأخبار أن العاقل ، من أطاع الله ولا عقل لمن عصاه)[3]

ويبين المحاسبى أن الله دعا العقول إلى النظر فى آياته ، والفكر فى عجائب صنعه ، لأن فى ذلك سبيلا لهم إلى معرفته ، وإلى العلم بأنه الخالق الرازق الإله الواحد سبحانه وأن من دونه خلق له ، وأن الخلق كلهم مألوهون مستعبدون لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا ويستدل لذلك ، بقوله تعالى :(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ

---

[1] صحيح ابن حبان ٢ / ٧٩

[2] البخارى فى كتاب الفرائض ٢٥/١٢ برقم (٦٧٤٠)

[3] طبقات الصوفية ص ٧٥

السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)[1]
وقيل ان العقل هو الذي يرى الخلق ظاهرا ويرى الحق باطنا فيكون الحق عنده مرآة الخلق لاحتجاب المرآة بالصور الظاهرة [2]

ويقول الشيخ السري السقطي :العقل ما قامت به الحجة على مأمور ومنهي [3]
فيما يرى سهل التستري أنَّ :العقل حسن النظر لنفسك في عاقبة أمرك " [4]
(أما الغوث الأعظم عبد القادر الكيلاني فيقول :
العقل : هو نور تألق بارقه من أفق العناية ، من وراء حدود غايات الفكر ، وقابل شعاعه صقال مرآة الهداية ، فيستضيء صاحبه في ظلم الأمور ، وغياهب الأكوان ...
العقل : طائر غيبي لا يصاد إلا بشباك عناية القدم ، ووارد إلهي لا يرد إلا من جناب مفيض النعم . جوهري الصفات ، نوراني الذات ، ملكوتي السماوات . وهو روح قدس روحك ، وجبريل قلبك ، يهبط بالوحي من سماء أعاليك إلى رسل سرك، وينزل بتحف الغيوب عليك من ربك ، فيلطف كثيف صفتك ، ويجوهر صدق علمك . وهو ميزان العدل ، ولسان الفضل ، وشرع الكرم ، ومعدن الحكم ، ومقر النعم ، وعمود الفكر ، ودليل الفهم ، وترجمان السر) [5]
ويقول الشيخ كمال الدين القاشاني :
ذو العقل : يعني به من يرى الخلق ظاهراً ويتعقل وجود الحق سبحانه باطناً فهو

---

[1] آل عمران/١٩٠:١٩١
[2] التعريفات ص٤٦
[3] طبقات الصوفية ص ٥١
[4] طبقات الصوفية ص ١١٥
[5] موسوعة الكسنزان ١٦/٥٤

يرى الخلق في مرآة الحق [1]

۞ ذو العقل والعين :

هو الذي يرى الحق في الخلق وهذا قرب النوافل ويرى الخلق في الحق وهذا قرب الفرائض ولا يحتجب بأحدهما عن الآخر بل يرى الوجود الواحد بعينه حقا من وجه وخلقا من وجه فلا يحتجب بالكثرة عن شهود الوجه الواحد الأحد كما لا ينحجب بكثرة المرائي عن شهود الواحد الرائي ولا تزاحم في شهود الكثرة الخلقية وكذا لا تزاحم في شهود أحدية الذات المتجلية في المجالي كثرة و إلى المراتب الثلاثة أشار الشيخ محيي الدين بن العربي قدس الله سره بقوله ... وفي الخلق عين إن كنت ذا عين ... وفي الحق عين الخلق إن كنت ذا عقل ... وإن كنت ذا عين وعقل فما ترى ... سوى عين شيء واحد فيه بالشكل [2]

۞ الذوق :

الذوق : مصدر ذاق الشيء يذوقه ذوقا ، والمذاق طعم الشيء والذوق يقال فى المحسوسات والمعنويات [3]

((الذوق : وجود الطعم في الفم واصله فيما يقل من تناوله دون ما يكثر والذوق فى المحسوسات هو وجود الطعم بالفم ، وأصله فيما يقل تناوله دون ما يكثر ، فإن ما يكثر منه يقال له الأكل ، واختير في القران لفظ الذوق في : العذاب لأن ذلك وان كان في المتعارف للقليل فهو يصلح للكثير فخصه بالذكر ليعم الأمرين وكثر استعماله في العذاب نحو ﴿ ليذوقوا العذاب – وقيل لهم ذوقوا عذاب النار – فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون – ذق انك انت العزيز الحكيم – انكم لذائقوا العذاب الأليم ..... ﴾

---

[1] لطائف الإعلام ص ٢٨٣

[2] التعريفات ص ٤٦

[3] كتاب العين ٢٠١/٥

كما جاء في الرحمة نحو﴿ولئن اذقنا الإنسان منا رحمة – ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسَّتهُ ..... ﴾

ويعبر عنه في الاختبار فيقال أذقته كذا فذاق))[1]

والذوق في المعنويات استشعار الطعم من باب التشبيه ، وتأتي في تذوق سكرات الموت وتذوق الألم وغيرها مما يكون التذوق ومعرفة طعم الشيء معنوياً كقوله تعالى ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ﴾ [2] ، وقوله عز وجل﴿ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُون ﴾[3]

وقوله تبارك وتعالى : ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَر إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَر﴾[4]

وفي الاصطلاح الصوفي :

والذوق عند اهل التصوف يراد به حلاوة الايمان ، وتذوق علوم لا تذاق الا لأهل القرب ممن خلت قلوبهم الا من الله تعالى وتخلصوا من عوائق وعلائق الحياة وتركوا الأغيار وتعلّقوا بالواحد القهار .

يرى القصيرى ان الذوق : (ما يجده العالم على سبيل الوجدان والكشف لا البرهان والكسب ولا على طريق الأخذ بالإيمان والتقليد) [5] .

ولأن الذوق هو ذوق ايماني صار طبيعياً ان يختلف المذاق بين أحدهم وغيره ، كلٌ وإيمانه وقربه وحاله .

(وتقرير ذلك عندهم أنه لما استحال على القوة الذائقة أن تدرك شيئا من

---

[1] المفردات ص ١٨٢

[2] هود/٩

[3] النحل/١١٢

[4] القمر/٤٨:٤٩

[5] طبقات الصوفية للسلمى ص ١٨١

الطعوم ، ما لم تكن خالية عن التكيف بجميعها ، لكون الرطوبة اللعابية المنبعثة من آلة اللعاب ، إذا لم تكن عديمة الطعم ، فإنه لا يمكن لها أن تؤدى المطعوم على وجهه ، كما يشاهد ذلك من حال المرضى ، إذا تكيفت قوتهم الذائقة بكيفية طعم الخلط الغالب ، فإن طعم الأشياء المأكولة والمشروبة ، لا تتأدى إلا مشوبة بطعم ذلك الخلط الغالب فكذا حال القوة المدركة للحقائق من الإنسان ، فإنها ما لم تكن خالية عن التكيف بشئ من العقائد والآراء المترسخة فيها ، فإنها لا محالة يستحيل عليها أن تؤدى إلى نفس كيفية تلك الحقائق على ما هى عليه فى أنفسها ، ليمكن النفس من الاطلاع على وجه الحق فيها) [1] .

وبعضهم كالطوسي يرى الذوق عبارة عن نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره [2]

وقال أبو القاسم القشيرى (ومن جملة ما يجرى فى كلامهم ، الذوق والشرب ، ويعبرون بذلك عما يجدونه من ثمرات التجلى ونتائج الكشوفات وبوادة الواردات ، وأول ذلك الذوق ثم الشرب ثم الرى فصفاء معاملاتهم يوجب لهم ذوق المعانى ، ووفاء منازلتهم يوجب لهم الشرب ودوام مواصلاتهم يقتضى لهم الرى ، فصاحب الذوق متساكر وصاحب الشرب سكران وصاحب الري صاح)[3]

و مما روى عن ذى النون المصرى أنه قال : (لما أراد أن يسقيهم من كأس

---

[1] لطائف الإعلام ٤٧١/١ ،

[2] التعريفات ص ٤٦

[3] الرسالة ٢٣٩/١

محبته ، ذوقهم من لذاذته وألعقهم من حلاوته)[1]

وينسب لأحمد بن عطاء الروذبارى : (الذوق لأهل المواجيد فأهل الغيبة إذا شربوا طاشوا وأهل الحضور إذا شربوا عاشوا) [2]،

ويذكر السراج الطوسى أن الذوق عندهم هو ابتداء الشرب[3]

۞ الران :

الرَّنّةُ: الصَّيْحةُ الحَزِينةُ، يُقالُ: عُودٌ ذو رنّةٍ. والرَّنينُ: الصِّياحُ عند البُكاء.

والإرْنانُ: الصَّوْتُ الشَّديد [4]

(والران الصدأ في المرآة مما يحول بينهم وبين معرفة الحق ، والرين : الصدأ يقال ران عليه الذنب وغان عليه رين اً وغيناً ، ويقال : ران في النوم اذا رسخ فيه ، وفي البحر اصل الرين الغلبة يقال رانت الخمر على عقل شاربها اي غلبت ، وران الغشي على عقل المريض أي غلبت ،

عن ابي هريرة عن رسول الله ﷺ انه قال : ان العبد اذا اذنب ذنباً نكتت في قلبه نكتة سوداء ، فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه ، وان عاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الران الذي ذكر الله تعالى في القران كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [5]

وقد ورد الران مرة واحدة في القران الكريم : ﴿كَلَّاۖ بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[6]

---

[1] اللمع ص٤٤٩

[2] طبقات الصوفية ص٤٩٨

[3] اللمع ص٤٤٩

[4] كتاب العين ٨ / ٢٥٤

[5] انظر روح المعاني ١٥ / ٢٧٩

[6] المطففين / ١٤

في الاصطلاح الصوفي :

الران فى عرف الصوفية ، حجاب حائل بين القلب ، وبين تجلى الحقائق فيه فصاحبه ممنوع من الرؤية بعين البصيرة ، وسببه كثرة الذنوب ، ويذكر الكاشانى (أن الرين ينشأ من تراكم الذنب على الذنب ، فتصدأ القلوب بالرسوخ في الذنوب وتتغير جواهرها ، وعندها ينغلق باب المغفرة ، ولذلك قال الله تعالى : كَلا بَل رَانَ عَلى قُلوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ، أى ارتدعوا عن الرين ، وحده عنده هو الحجاب الحائل بين القلب ، وبين عالم القدس باستيلاء الهيآت النفسانية عليه ، ورسوخ الظلمات الجسمانية فيه بحيث يحتجب عن أنوار الربوبية بالكلية) [١]

(والران : هو الحجاب الحائل بين القلب وعالم القدس وباستيلاء الهيئات النفسانية ورسوخ الظلمات الجسمانية فيه بحيث ينحجب عن أنوار الربوبية بالكلية [٢]

(يقال : الران ، والمراد بذلك انطباع الصور الكونية فى القلب ، على سبيل الاستيعاب له والرسوخ فيه ، بحيث لا يبقى مع ذلك مطمع لتجلى الحقائق فيه لعدم نورانيته بتراكم ظلم الحجب المختلفة عليه ، فلهذا يسمى عموم حصول صور الأكوان فى القلب ورسوخها فيها ، حجابا ورينا عليه)[٣]

يقول الشيخ الحسن البصري : الران هو الذنب على الذنب حتى يموت ويسود القلب [٤]

---

[١] معجم اصطلاحات الصوفية ١٤٣

[٢] معجم مصطلحات الصوفية ص ١١

[٣] لطائف الإعلام ٤٧٧/١

[٤] موسوعة الكسنزان ٢٣٥/١٠

۞ الرجاء

الرجاء : ظن يقتضى حصول ما فيه مسرة وهو يضاد الخوف ويلازمه [١] كقوله تعالى :

﴿أُوْلئِكَ الذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلى رَبِّهِمْ الوَسِيلةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ [٢] وقوله عز وجل : ﴿ وَتَرْجُونَ مِنْ اللهِ مَا لا يَرْجُونَ ﴾ [٣]

(وتطمعون من الله تعالى ما لا يخطر لهم ببال من ظهور دينكم الحق على سائر الأديان الباطلة ، ومن الثواب الجزيل والنعيم المقيم في الآخرة .

وجوز الرجاء على الخوف فالمعنى ان الألم لا ينبغي ان يمنعكم لأن لكم خوفاً من الله تعال ينبغي ان يحترز عنه فوق الاحتراز عن الألم وليس لهم خوف يُلجئهم الى الألم وهم يختارونه لإعلاء دينهم الباطل فمالكم والوهن)[٤]

وكما في الحديث النبوي الذي رواه أنس ﷺ أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت ، فقال : كيف تجدك ؟ قال : أرجو الله يا رسول الله ، وأخاف ذنوبي . فقال رسول الله ﷺ : لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن ، إلا أعطاه الله ما يرجو ، وآمنه مما يخاف [٥]

وعن سهل بن سعد ﷺ ، أنه سمع النبي ﷺ يقول يوم خيبر (لأعطين الراية رجلا يفتح الله على يديه ، فقاموا يرجون لذلك ، أيهم يعطى ؟ فغدوا وكلهم يرجو أن يعطى ، فقال : أين علي ؟) [٦]

---

[١] المفردات ص ١٩٠

[٢] الإسراء/٥٧

[٣] النساء/١٠٤

[٤] روح المعاني ٣ / ١٣٣

[٥] ابن ماجة كتاب الزهد (٤٢٦١) والترمذى ٣١١/٣ برقم ٩٨٣

[٦] أخرجه البخارى كتاب الجهاد ١٢٩/٦برقم ٢٩٤٢

الرجاء فى الاصطلاح الصوفى :

(الرجاء هو اسكان القلب بحُسن الوعد ، وهو من جملة مقامات الطالبين واحوالهم .

والرجاء على ثلاثة اقسام : رجاء في الله ، ورجاء في سعة رحمة الله ، ورجاء في ثواب الله .

والرجاء ثلاثة : رجلٌ عمل حسنة فهو يرجو ثوابها ، ورجل عمل سيئة ثم تاب فهو يرجو المغفرة ، والثالث الرجل الكاذب يتمادى في الذنوب ويقول أرجو المغفرة .. ومن عَرَفَ نفسه بالاساءة ينبغي ان يكون خوفه غالباً على رجائه)[1]

والرجاء يرتبط بالخوف عند الصوفية فالخوف من الله والرجاء في الله ان يمد في عمر العبد حتى تكتمل عبادته ويكون عبداً ربانياً .

والرجاء من جملة امارات السالكين الى الله تعالى وله أحوال عظيمة وبه يستقر الطالبين في أحوالهم اذا اجاب الله رجاءهم ، فاذا ثبت الحال في الرجاء صار مقاماً .

(فالرجاء يتم بعلم وحال وعمل ، فاذا عرفت حقيقة الرجاء وفطنت اليه وعلمت انها حال أثمرها العلم بجريان الأسباب، فقد علمت ان هذه الحال يثمر الجهد والقوة للقيام ببقية الأسباب على حسب ما يمتلك من الامكانيات.

والرجاء محمود لأنه باعث على التفكير في الحق تعالى، أما الغافل فهو مذموم لأنه ضد الراجي، لأنه منصرف عن العمل بعيد عن التفكير في الذات العلية .

وليس الخوف بضد الرجاء ، ولكنه باعث للرهبة ، والرجاء باعث لطريق الرغبة)[2]

---

[1] الموسوعة الصوفية ص ٩٨٦

[2] معجم الفاظ الصوفية ص ١٥١

والرجاء فى الاصطلاح الصوفى من أعمال القلوب التى تتعلق بحصول محبوب فى المستقبل ، وسكون القلب بحسن الوعد ، والثقة بالجود من الكريم الودود فهو عندهم قوت الخائفين وفاكهة المحرومين ، ومن جملة مقامات الطالبين وأحوالهم وأغلب عبارات الصوفية ، تدور حول هذا المعنى ، روى عن الحارث المحاسبى وقد سئل عن الرجاء ؟ قوله : (الطمع فى فضل الله تعالى ورحمته ، وصدق حسن الظن عند نزول الموت) [١]

وحكى عن ذى النون المصرى أنه كان يدعو ويقول : اللهم إن سعة رحمتك أرجأ لنا من أعمالنا عندنا ، واعتمادنا على عفوك أرجأ عندنا من عقابك لنا [٢]

وينسب لأبى مُحَمَّد الجريرى قوله : (الرجاء طريق الزهاد والخوف سلوك الأبطال) [٣]

ولأبى على الروذبارى: (الخوف والرجاء هما كجناحى الطائر ، إذا استويا استوى الطير ، وتم طيرانه ، وإذا نقض أحدهما وقع فيه النقض ، وإذا ذهبا صار الطائر فى حد الموت) [٤]

ويروى عن عبد الله بن خفيف الشيرازى ، أنه قال : (الرجاء استبشار بوجود فضله) [٥]

وقال أبو القاسم القشيرى : (الرجاء تعلق القلب بمحبوب سيحصل فى المستقبل ، وكما أن الخوف يقع فى مستقبل الزمان ، فكذلك الرجاء يحصل لما يؤمل فى الاستقبال ، وبالرجاء عيش القلوب واستقلالها والفرق بين الرجاء وبين

---

[١] طبقات الصوفية ص٥٩

[٢] اللمع ص٩٢

[٣] طبقات الصوفية ص٢٦٤

[٤] الرسالة القشيرية ٣٥٧/١

[٥] الرسالة القشيرية ٣٥٧/١

التمنى ، أن التمنى يورث صاحبه الكسل ، ولا يسلك طريق الجهد والجد وبعكسه صاحب الرجاء فالرجاء محمود والتمنّي معلول) [1]

ان التجربة الصوفية تندرج في مجاهداتها ورياضاتها بين حدين : الخوف والرجاء وهما مطلوبان لتكاملهما وليس لتقابلهما ، لأن الخوف يقابله الأمن والرجاء يقابله اليأس .

(حدود اربعة : الخوف – الأمن ، الرجاء – اليأس ، تتحرك بين قطبيهمانفس الصوفي فلا يأخذه حد يعوق حركة سيره ، بل يظل سلوكه حياً بفضل هذه الحركة .

وقد لا تظهر هذه الحركة في كتابات الصوفية التي غالباً ما تطغى عليها صفة حال قائلها ، ففي القرنين الأول والثاني الهجري ظهر الخوف محتلاً مكاناً بارزاً عند الحسن البصري ، ثم لم تلبث ان خفت حدته مع تطور التجربة الصوفية الى الطمأنينة في القرنين الثالث والرابع للهجرة ، واحتلت الفاظ المحبة والشوق نصوص الصوفية بدل الخوف .

ومع اكتمال التجربة الصوفية في القرنين الخامس والسادس الهجري توازن الخوف والرجاء ، جناحي المريد بهما يقطع الطريق الى الحق ، ويلازمان الانسان الى ما بعد الموت ، الى ان يضع اول قدم في الجنة) [2]

۞ الرسم :

الرَّسْمُ: الأَثَرُ، وقيل: بَقِيَّةُ الأَثَر، وقيل: هو ما ليس له شخص من الآثار، وقيل: هو ما لَصِقَ بالأَرض منها. ورَسْمُ الدار: ما كان من آثارها لاصقاً بالأرض، والجمع أَرْسُمٌ ورُسومٌ [3]

---

[1] الرسالة القشيرية ٣٥٧/١

[2] المعجم الصوفي ص ٧٢٦

[3] لسان العرب ٢٤١/١٢

وفي الاصطلاح الصوفي :

هو نعت يجري في الأبد بما جرى في الأزل أي في سابق علمه تعالى [١]

والرسم : (هو الخلق وصفاته ، لأن الرسوم هي الاثار ، وكل ما سوى الله آثاره الناشئة من افعاله .

واياه عنى من قال : الرسم نعتي يجري في الأبد بما جرى في الأزل .

ورسوم العلوم هي مشاعر الانسان لأنها رسوم الأشياء الالهية كالعليم والسميع والبصير ، ظهرت على ستور الهياكل البدنية المرخاة على باب دار القرار بين الحق والخلق .

فمن عرف نفسه وصفاتها كلها بأنها اثار الحق وصفاته ورسوم اسمائه وصورها فقد عرف نفسه) [٢]

(ويرى صاحب اللمع ان الرسم هو ما رسم به ظاهر الخلق برسم أي بالمظهر الذي عليه المخلوقات علماً وشكلاً وذلك بظهور سلطان الحق تعالى عليه .

ويرى بعض ائمة الصوفية ان من استولى عليه سلطان الحقيقة لم يشهد من الأغيار عيناً ولا أثراً ولا رسماً ولا طللاً ويقال انه فني عن الخلق وبقي بالحق .

فالعبد الصالح اذا فني في جلال الله غاب عن اسمه وذهب وصفه ولم يبقى له رسماً ... وذلك بمشاهدته قيام الحق له بنفسه في ملكه)[٣]

ويقول الشيخ السراج الطوسي :

الرسم : ما رسم به ظاهر الخلق برسم العلم ورسم الخلق ، فيمتحي بإظهار سلطان الحق عليه [٤]

---

[١] التعريفات ص ٤٧

[٢] معجم مصطلحات الصوفية ص ١١٢

[٣] معجم الفاظ الصوفية ص ١٤٤

[٤] اللمع ص ٣٥٢

ويقول الشيخ القاشاني :

الرسم : هو الخلق وصفاته ، لأن الرسوم من الآثار ، وكل ما سوى الله آثاره الناتجة من أفعاله [1]

۞ الرضا :

الرضا يرد على معنى القناعة والاختيار والتسليم[2]

كقوله تعالى ﴿قَدْ نَرَى تَقَلبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَل وَجْهَكَ شَطْرَ المسْجِدِ الحَرَام﴾[3]

وقول رسول الله ﷺ (من التمس رضا الله بسخط الناس ﷻ وأرضى الناس عنه ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس)[4]

و (سودة بنت زمعة وهبت يومها وليلتها لعائشة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم تبتغي بذلك رضا رسول الله ﷺ)[5]

والرضا يرد عكس السخط والغضب .

ومن ذلك قول رسول الله ﷺ من حديث أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : عِظَمُ الجزاءِ من عِظَمِ البلاءِ ، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط [6]

في الاصطلاح الصوفي :

والرضا في العرف الصوفي يعبر عن الخضوع والقبول بالقدر لأنه من الله وكل ما

---

[1] اصطلاحات الصوفية ص ١٥٠

[2] كتاب العين ٥٧/٧ و المفردات ص ١٩٧

[3] البقرة ١٤٤

[4] صحيح ابن حبان ١ / ٥١٠ برقم ٦٧٢

[5] أخرجه البخاري ٢ / ٩٥٥ برقم ٢٥٤٢

[6] أخرجه ابن ماجة فى الفتن (٤٠٣١) ، وقال الألبانى : حسن ١٣٣٨/٢

كان من الله مقبول ومحبوب .

يقول ابو علي الدقاق رحمه الله تعالى : ليس الرضا ان لا تحس بالبلاء انما الرضا ان لا تعترض على الحكم والقضاء [1].

انه التسليم والقبول ... انه القبول بالقدر الذي يعبر عن محبة الله تعالى التي تقود الى تطابق أهواء النفس مع إرادة الله فكل ماجاء من الله مقبول ، انه تطويع النفس لتطابق القضاء والقدر لأنه بيد الله ومن الله .

اما مُحَمَّد بن الخفيف فيقول : الرضا على قسمين : رضا به ورضا عنه ، فالرضا به ان ترضاه مُدبِّراً ، والرضا عنه فبما يقضي[2]

ويروى أن ذى النون المصرى سئل عن الرضا ؟ فقال : سرور القلب بمرِّ القضاء[3] .

وروى عن الجنيد أنه سئل عن الرضا ؟ فقال : الرضا رفع الاختيار[4] .

وجميلٌ قول أبى القاسم النصرباذى : (من أراد أن يبلغ محل الرضا فليزم ما جعل الله رضاه فيه)[5]

ويضع أبو طالب المكى شرطاً وحداً واطاراً للرضا حين قال : (ولا ينقص الراضى من مقام الرضا مسألة مولاه ومزيد الآخرة وصلاح الدنيا تعبداً بذلك وافتقاراً إليه فى كل شئ ، لأن فى ذلك رضاه ، ومقتضى تمدّحه بمسئلة الخلائق له ، فإن صرف مسائله إلى طلب النصيب من المولى ، وابتغاء القرب منه حباً له ، وآثره على ما سواه ، كان فاضلا فى ذلك ، لأنه قد رد قلبه إليه

---

[1] الرسالة القشيرية ٤٢٢/٢

[2] الرسالة القشيرية ص ٣٣٩

[3] اللمع ص٨٠

[4] اللمع ص٨٠

[5] الرسالة القشيرية ٤٢٢/٢

وجمع همه بذلك ، وهذا على قدر مشاهدة الراضى عن معرفته وهو مقام المقربين ، وهذا أصل فاعرفه فهو طريق الصوفيين وعليه عمل العارفين من السلف فلم يكن يضرهم عندهم خلاف من خالف)[1]

وهناك نوع آخر من الرضا : وهو القبول بالشرع ، القبول بالنهي والسماح التي وردت في الشرع والالتزام به مع التسليم ... فيذم ما ذمه الله ويكره ما كرهه ، لموافقته رضاه فى كل شئ شرعه ، على تفصيل العلم وترتيب الأحكام ، فما كان من خير وبر أمر الله به أو ندب إليه ، رضى به العبد وأحبه .

يقول الشيخ بشر الحافي :

الرضا عن الله : هو اذا ابتلاه في بدنه لم يحب العافية ، فإن عافاه لم يحب ان ينقله حتى يكون هو الذي يحوله ، وإن أغناه لم يحب ان يفقره ، وان افقره لم يحب ان يغنيه ، وان يرضى ما يرضاه ويهوى ما يهواه [2]

۞ الرعاية :

الرعاية مصدر رَعْى

والرعي فى الأصل حفظ الحيوان والاهتمام به وحراسته ، إما بغذائه الحافظ لحياته ، وإما بذب العدو عنه ، يقال رعيته أى حفظته وأرعيته جعلت له ما يرعى ، والمرعى موضع الرعي [3]

وبهذا المعنى وردت في القران الكريم كما في قوله تعالى :

﴿ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾[4]

وقال تعالى : ﴿ كُلوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ ﴾ [1].

---

[1] الرسالة القشيرية ٢ / ٤٢٥

[2] موسوعة الكسنزان ٣٠١/٩

[3] المفردات ص١٩٨

[4] النازعات/٣٠:٣١

وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه ، قال : (كنا مع رسول الله ﷺ ، خدام أنفسنا نتناوب الرعاية ، رعاية إبلنا ، فكانت علي رعاية الإبل ، فروحتها بالعشي ، فأدركت رسول الله يخطب الناس ، فسمعته يقول : مامنكم من أحد يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يقوم فيركع ركعتين ، يقبل عليهما بقلبه ووجهه إلا قد أوجب ، فقلت : بخ بخ ما أجود هذه) [٢]

واستعمل الرعى بمعنى الحفظ والسياسة ، كقوله تعالى : (فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا) [٣]

أى ما حافظوا عليها حق المحافظة [٤] ،

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ [٥]

وبنفس المعنى الثاني حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : (كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راعٍ ومسئول عن رعيّته والرجل راعٍ في أهله ، وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت

زوجها ومسئولة عن رعيّتها ، والخادم راعٍ في مال سيده ومسئول عن رعيته) [٦]

الرعاية فى الاصطلاح الصوفى :

الرعاية فى الاصطلاح الصوفى ، يقصد بها الرعاية لحقوق الله عز وجل والقيام بها وهى عندهم أمر عظيم ، تولى الله تعالى عليه أنبياءه وأحباءه ، لأنهم رعوا عهده

---

[١] طه/٥٤

[٢] أبو داود كتاب الطهارة برقم (١٦٩) وابن خزيمة فى صحيحه ١/١١٠برقم ٢٢٢

[٣] الحديد/٢٧

[٤] روح المعاني ١٤/ ١٩٠

[٥] المؤمنون ٨

[٦] البخارى كتاب الجمعة برقم (٨٩٣) .٢/٤٤١ برقم ٨٩٣

وحفظوا وصيته ، وكل ما أمر الله عز وجل بالقيام به ، قد أمر برعايته ورعاية حقوقه ، من واجب مضيق أو موسع ، أو معين أو مخير ، أو مقدم أو مؤخر .

روي عن عمرو بن عثمان المكى أنه قال : (اعلم أن الرعاية مصحوبة لك فى كل الأحوال ، من العبادة إلى أن تلقى ربك ، كذلك التقوى واعلم أن العلم قائد ، والخوف سائق ، والنفس حَرون بين ذلك ، جموح خداعة روّاغة ، فاحذرها وراعها بسياسة العلم ، وسُقها بتهديد الخوف يتم لك ما تريد) [1]

و(الراعي في الفهم الصوفي :هو المتحقق بمعرفة العلوم السياسية ، المتمكن من تدبير النظام الموجب لصلاح نظام العالم) [2]

ويذكر الكاشانى أن الرعاية هى صون بالعناية ، لأنه فى الدعاء يقال :

(رعاك الله ، أى اعتنى بصونك عما فيه شينك ، وقسمها إلى عدة أنواع :

أ- رعاية الأعمال : وهى سلامتها من النقص ، وذلك يكون بتحقيرها إذا كان فيه توقيرها ، فإنك إن لم تستحضر عملك بالنسبة إلى ما يجب عليك وألا يداخلك من التيه ما تفسد به نيتك ، ومن العجب ما يحبط مزيدك ، ولهذا لا ينبغى لك عند القيام بوظائف العبادات ، أن تنظر إليها بإعجاب أو تتزين بها بين الناس ، بل ينبغى أن يكون نظرك إليها مقصورا على النظر فى أدائها وعلى تصحيحه بمقتضى العلم الشرعى الموجب للإخلاص .

ب- رعاية الأحوال : وهى سلامتها عن الاستحسان لها ، وذلك بأن تقدر أن الغالب عليك منها دعوى كاذبة ، لتطهّر نفسك بذلك من الرعونة ويخلص القلب من نصيب الشيطان .

ج- رعاية الأوقات : بأن تقف مع كل خطرة بتصحيحها بالشروط المعتبرة فى تصحيح خطرات الحق والخطوات إليه ، وذلك بأن تغيب عن حظك من كدر

---

[1] طبقات الصوفية ص ٢٠٣

[2] الموسوعة الصوفية ص ٩٨١

رسمك الذى هو نفسك ، وإنما تصفو من ذلك ، إذا لم تر تقدمك بنفسك بل بربك ، ثم تغيب عن شهودك لصفوك)[1]

ويقول الشيخ عبد الله الهروي : الرعاية هي صَونٌ بالعناية [2]

ويقول الشيخ ابو البركات بن صخر :

الرعاية هي مراعات حقوق الله عزَّ وجلَّ بالسرائر ، وبذلك يصل العبد الى درجات المحبة . وميزاته : الحيرة والهيبة [3]

۞ الرقيقة :

الرقيقة: اسم وجمعها : رقائق و رقيقات

والرّقيقُ نقيض الغليظ والثّخين ، والرّقة ضد الغِلظ رَقَّ يَرِقُّ رِقّة فهو رَقِيقٌ ورَققه والأُنثى رَقيقةٌ ورُقاقة ، ورققه جعله رقيقاً واسْترقَّ الشيء نقيض استغلظ [4]

والرقيق : دقيق ولطيف [5]

وفي الاصطلاح الصوفي :

الرقيقة : هي اللطيفة الروحانية وقد تطلق على الواسطة اللطيفة الرابطة بين الشيئين كالمدد الواصل من الحق إلى العبد ويقال لها رقيقة النزول وكالوسيلة التي يتقرب بها العبد إلى الحق من العلوم والأعمال والأخلاق السنية والمقامات الرفيعة ويقال لها رقيقة الرجوع ورقيقة الارتقاء وقد تطلق الرقائق على علوم الطريقة والسلوك وكل ما يتلطف به سر العبد وتزول به كثافات النفس[6]

---

[1] معجم اصطلاحات الصوفية ص ١٦٦

[2] منازل السائرين ص ٣٧

[3] موسوعة الكسنزان ٣٣٠/٩

[4] لسان العرب ١٢١/١٠

[5] المعجم العربي الأساسي ص ٥٤٣

[6] التعريفات ص ٤٨ ومعجم مصطلحات الصوفية ص ١١٣

(ويقول الشيخ موسى بن ماهينا لزولي : الرقائق هي ارواح في الدقائق ، وهي مقدمة الحكمة الأزلية ، فتحيط الأعيان بالأعيان)[1]

۞ الروح الأعظم :

الذي هو الروح الإنساني مظهر الذات الإلهية من حيث ربوبيتها ولذلك لا يمكن أن يحوم حولها حائم ولا يروم وصلها رائم لا يعلم كنهها إلا الله تعالى ولا ينال هذه البغية سواه وهو العقل الأول والحقيقة المحمدية والنفس الواحدة والحقيقة الأسمائية وهو أول موجود خلقه الله على صورته وهو الخليفة الأكبر وهو الجوهر النوراني جوهريته مظهر الذات ونورانيته مظهر علمها ويسمى باعتبار الجوهرية نفسا واحدة وباعتبار النورانية عقلا أولاً وكما أن له في العالم الكبير مظاهر وأسماء من العقل الأول والقلم الأعلى والنور والنفس الكلية واللوح المحفوظ وغير ذلك له في العالم الصغير الإنساني مظاهر وأسماء بحسب ظهوراته ومراتبه في اصطلاح أهل الله وغيرهم وهي السر والخفاء والروح والقلب والكلمة والروع والفؤاد والصدر والعقل والنفس [2]

(يقول الشيخ قاسم الخاني الحلبي :الروح الأعظم هو الروح الإنساني الذي هو من أمر ربي سر عظيم ولطيفة ربانية لا يعلم كنهها إلا الله تعالى ، وله في العالم الكبير أسماء ومظاهر ايضاً ،فأسماؤه ومظاهره في العالم الكبير : العقل الأول والقلم المدبر ، واللوح ، والحقيقة المحمدية ، والروح المحمدي ، والنور ، والنفس الكلية ... واسماؤه ومظاهره في العالم الصغير : الأخفى والخفي ، وسر السر ، والروح ، والقلب ، والنفس الناطقة ، واللطيفة الإنسانية ... وهو الخليفة الأكبر ، والسر الأعظم .

أما الشيخ ابو العباس التجاني فيقول :

---

[1] موسوعة الكسنزان ٤١/١٠

[2] التعريفات ص ٤٨

الروح الأعظم : هو الذي يسمع كلام الرب سبحانه وتعالى ، ويتلقى عنه الأمر والنهي ، ويلقيه الى الملائكة ، فهو الواسطة بين الله وبين الملائكة .

ويقول أيضاً :

الروح الأعظم : مظهر من مظاهر الحقيقة المحمدية ، وهي باطنه ، وهو واحد من مائة ألف ذات وأربعة وعشرين ألف ذات) [1]

۞ الرياء :

الرياء : تظاهر بخلاف ما في الباطن .

وقد وردت هذه اللفظة في القران الكريم خمس مرات بصيغ مختلفة منها قوله تعالى :

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلا ﴾[2]

وهو بمعنى قول الخير أو فعله ،مع عدم وجود الإخلاص.

وبنفس المعنى ورد في السنة المطهّرة كما في قول رسول الله ﷺ : (يكشف ربنا عن ساقه ، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة فيبقى كل من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة ، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا) [3]

وحين جاء رجل الى رسول الله ﷺ يسأله : عن الرجل يقاتل حميّة ويقاتل شجاعة ويقاتل رياء فأي ذلك في سبيل الله ؟ فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله [4]

والرياء شرك أصغر ، كما ورد فى حديث محمود بن لبيد ﷺ أن رسول الله

---

[1] موسوعة الكسنزان ١٣٢/١٠

[2] النساء ١٤٢

[3] أخرجه البخارى ٥٣١/٨ برقم (٤٩١٩) و صحيح ابن حبان ١٦ / ٣٧٨

[4] صحيح مسلم ٣ / ١٥١٣ برقم ١٩٠٤ و صحيح ابن حبان ٤٩٣/١٠ برقم ٤٦٣٦

ﷺ قال :(إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الرياء ، يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء ؟) [1]

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن يسير الرياء شرك[2]

في الاصطلاح الصوفي :

والرياء في العرف الصوفي يحمل نفس المعنى الذي ورد في الكتاب والسنة .

والرياء مذموم عند أئمة المتصوفين .

قال الفضيل رحمه الله تعالى : ترك العمل لأجل الناس رياء ، والعمل لأجل الناس شرك [3]

وروى عن بشر بن الحارث الحافى أنه قال للسرى السقطى (إن الله تعالى خلقك حراً فكن كما خلقك لا ترائى أهلك فى الحضر ولا رفقتك فى السفر اعمل لله ودع عنك الناس)[4]

وقال الشيخ عبد القادر الجيلانى رضي الله عنه :

(المرائى ثوبه نظيف وقلبه نجس يزهد فى المباحات ، ويكسل عن الاكتساب ، ويأكل بدينه ولا يتورع جملة ويأكل الحرام الصريح ، ويخفى أمره على العوام ، ولا يخفى على الخواص ، كل زهده وطاعته على ظاهره ، ظاهره عامر وباطنه

---

[1] . أخرجه أحمد فى المسند برقم (٢٣١١٩) والطبرانى فى الكبير برقم (٤٣٠١)

[2] أخرجه ابن ماجة فى كتاب الفتن برقم (٣٩٨٩) وصححه الحاكم فى المستدرك ٤٤/١ برقم ٤

[3] الرسالة القشيرية ص ٤٨

[4] اللمع ص ٤٥٠

خراب)[1]

ويذكر لحاتم الأصم قوله : (المنافق ما أخذ من الدنيا يأخذ بالحرص ، و يمنع بالشك وينفق بالرياء ، والمؤمن يأخذ بالخوف ويمسك بالسنة ، وينفق لله خالصا فى الطاعة)[2]

وفي معجم مصطلحات الصوفية : الرياء ترك الإخلاص في العمل بملاحظة غير الله [3]

ويقول الشيخ احمد الرفاعي رَضي الله عنه ، الرياء هو الاستبشار برؤية الأغيار [4]

۞ الزهد :

هو بغض الدنيا والإعراض عنها ، و ترك راحة الدنيا طلبا لراحة الآخرة .

(والزهد والزهيد الشئ القليل ، والزاهد فى الشئ الراغب عنه ، والراضى منه بالزهيد أى القليل ، وقد ورد الزهد فى قوله تعالى عن يوسف ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنْ الزَّاهِدِينَ[5] ﴾ ، أى ارتضوا فى بيعه بالقليل[6]

وفي السنّة الشريفة ورد الزهد بمعنى ترك الزيادة والرضا بالقليل .

((عن سهل بن سعد ﷺ ان رسول الله ﷺ قال : ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد في ما في ايدي الناس يحبوك)) [7]

أي لا تجعل الدنيا في قلبك ولا منتهى همّك .

---

[1] الفتح الربانى والفيض الرحمانى لعبد القادر الجيلانى ص٣١

[2] الطبقات ص٩٥

[3] معجم مصطلحات الصوفية ص ١١٦

[4] البرهان المؤيد ص ٧١

[5] يوسف/٢٠

[6] لسان العرب ١٩٦/٣

[7] سنن ابن ماجة ٢ / ١٣٧٣ برقم ٤١٠٢ والترغيب والترهيب ٤ / ٧٤ برقم ٤٨٥٥

ومنها ما روى عن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ قال : الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال ، ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يديك ، أوثق مما في يدي الله ، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها ، أرغب فيها لو أنها أبقيت لك [1]

والزهد فى الاصطلاح الصوفى :

الزهد مقام شريف ، وهو عندهم (أساس الأحوال الرضية والمراتب السنية ، وهو أول قدم القاصدين إلى الله عز وجل ، والمنقطعين إلى الله ، والراضين عن الله ، والمتوكلين على الله تعالى ، فمن لم يحكم أساسه فى الزهد ، لم يصح له شئ مما بعده لأن حب الدنيا رأس كل خطيئة ، والزهد فى الدنيا رأس كل خير وطاعة) [2]

يقول الإمام علي عليه السلام :

الزهد : هو ان لا تبالي من أكل الدنيا من مؤمن او كافر [3]

ويذكر للجنيد بن مُحَمَّد أنه سئل عن الزهد ؟ فقال : (تخلى الأيدى من الأملاك ، وتخلى القلوب من الطمع)[4]

يقول الشيخ ابو أيوب السخستاني :

(إن من أدنى الزهد أن يقعد أحدكم في منزله فإن كان قعوده لله وإلا خرج ويخرج فإن كان خروجه لله رضي وإلا رجع فإن كان رجوعه لله رضي وإلا ساح ويخرج درهمه فإن كان إخراجه لله رضي وإلا حبسه ويحبسه فإن كان حبسه لله

---

[1] أخرجه الترمذى فى كتاب الزهد برقم (٢٣٤٠) وابن ماجة فى كتاب الزهد ١٣٧٣/٢ برقم ٤١٠٠

[2] اللمع ص٧٢

[3] التعرف لمذهب اهل التصوف ص ٩٣

[4] الرسالة القشيرية٣٢٨/١

رضي وإلا رمى به ويتكلم فإن كان كلامه لله رضي وإلا سكت ويسكت فإن كان سكوته لله رضي وإلا تكلم فقيل له: هذا صعب؟ فقال: هذا الطريق إلى الله عز وجل وإلا فلا تتعبوا) [1]

ونقل عن أحمد بن أبى الحوارى أنه قال : (من نظر إلى الدنيا نظر إرادة وحب لها ، أخرج الله نور اليقين والزهد من قلبه ، فمن عرف الدنيا ، زهد فيها ، ومن عرف الآخرة رغب فيها ومن عرف الله آثر رضاه ، و إذا رأيت من قلبك قسوة ، فجالس الذاكرين واصحب الزاهدين ، وأقلل مطعمك ، واجتنب مرادك ، وروض نفسك عن المكاره)[2]

وقيل ان الزهد : هو ان يخلو قلبك مما خلت منه يدك [3]

۞ السالك

السلوك النفاذ فى الطريق والذهاب فيه ،ويقال فى المحسوسات الدنيوية وغيرها [4]

أ– فالسلوك في المحسوسات الدنيويةكما في قوله تعالى :

﴿وَاللهُ جَعَل لكُمْ الأَرْضَ بِسَاطًا لتَسْلكُوا مِنْهَا سُبُلا فِجَاجًا ﴾[5]

وقوله تعالى :

﴿ الذِي جَعَل لكُمْ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلكَ لكُمْ فِيهَا سُبُلا ﴾ [6]

وعن أنس ﷺ ، أن النبي ﷺ كان في غزاة ، فقال :

(إن أقواما بالمدينة خلفنا ، ما سلكنا شعبا ولا واديا ، إلا وهم معنا فيه ،

---

[1] قوت القلوب ٢٨٦/١

[2] طبقات الصوفية ص١٠٠

[3] معجم مصطلحات الصوفية ص ٤٩

[4] المفردات ٢٣٩

[5] نوح/١٩:٢٠

[6] طه/٥٣

حبسهم العذر) [1]

وعن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ :

(لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناس واديا ، وسلكت الأنصار واديا أو شعبا ، لسلكت وادي الأنصار ، أو شعب الأنصار) [2]

ب – ومن الثانى قوله تعالى :

كُل نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلا أَصْحَابَ اليَمِينِ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلونَ عَنْ المجْرِمِينَ مَا سَلكَكُمْ فِي سَقَرَ [3]

وقوله سبحانه وتعالى عن الشرك : كَذَلكَ نَسْلكُهُ فِي قُلوبِ المجْرِمِينَ [4]

كما وردت بنفس المعنى في الحديث النبوي الشريف .

فعن أبي سعيد ﷺ ، أن النبي ﷺ قال :

(لتتبعن سنن من قبلكم ، شبرا بشبر وذراعا بذراع ، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه ، قلنا : يا رسول الله اليهود والنصارى؟ ، قال : فمن ؟) [5]

وقال ﷺ ، لأبى هريرة ﷺ (اقعد فاشرب ، فقعدت فشربت ، فقال : اشرب ، فشربت ، فما زال يقول : اشرب حتى قلت : لا والذي بعثك بالحق ، ما أجد له مسلكا) [6]

السالك فى الاصطلاح الصوفى :

وحين يكون مفهوم السالك مستمد من مفردة سلك وسلوكاً كسلك الطريق أي

---

[1] البخارى كتاب الجهاد برقم ١٠١/٦. برقم ٢٨٣٩

[2] البخارى كتاب التمنى ٢٣٨/١٣ برقم ٧٢٤٤

[3] المدثر/٣٨:٤٢

[4] الحجر/١٢

[5] البخارى كتاب أحاديث الأنبياء ٥٧١/٦ برقم ٣٤٥٦

[6] البخارى كتاب الرقاق ٢٨٧/١١ برقم ٦٤٥٢

دخل وذهب فيها ، فإن الصوفية استعاروا هذا المعنى ووظفوه في الحديث عن السلوك الى الله سبحانه وتعالى ، لأنه يسلك الطريق الى الحق تصديقاً لقوله تعالى : ﴿ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلا فِجَاجًا ﴾[1]

(فالسالك في الطريق الصوفي ، هو العبد الذي تاب عن هوى نفسه وشهوتها ، واستقام في طريق الحق ، بالمجاهدة والطاعة والاخلاص ، وكما يقول الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي : هو الذي مشى على المقامات بحاله ، لا بعلمه فكان العلم له عيناً ، أي أسقط التدبير مع الله وتوكل عليه بالكلية ، فقذف الله نوراً في قلبه ، وعلماً الهامياً فصار من أصحاب المقامات لمواهبه وصفاء سريرته وليس عن طريق التحصيل والنظر والدراسة ، حتى أصبح علمه كشفاً وفتحاً)[2]

و(السالك عند الصوفية ، هو السائر إلى الله المتنقل شيئا فشيئا فى مدارج الإيمان ومقامات اليقين ، وهو المتوسط بين المريد والمنتهى ، مادام فى السير)[3] من باب تشبيه المعنويات بالمحسوسات .

والسالك الى الله هو المتصوف الذي تاب الى الله عن هوى نفسه ، واستقام في طريق الحق ، وهو الماشي على المقامات بحاله .

(والسالكون اربعة : سالك مجرد لا يؤهَل للمشيخة ولا يبلغها ، لبقاء صفات نفسية عليه ، فيقف عند حظه من رحمة الله تعالى في مقام المعاملة والرياضة ، لا يرتقي الى حال يروح بها عن وهج المكابدة .

ومجذوب مجرَّد : أي مجرد من السلوك الذي يرفع عن قلبه بعض الحجب .

وسالك متدارك بالجذبة : أي تُدورك بالجذبة ، فكانت بدايته بالمجاهدة والوفاء بالشروط ، ثم أُخرِجَ الى روح الحال ، ومن الضيق الى المساهلة ، وأُونس بالقرب

---

[1] نوح ٢٠

[2] معجم الفاظ الصوفية ص ١٧١

[3] معجم اصطلاحات الصوفية ص١١٩

والمشاهدة ، فصدرت منه الحكمة ومالت اليه القلوب ويؤهَل مثل هذا للمشيخة وان يكون له اتباع ، وقد يحبس نفسه في حاله ويقف عند حظه .
ومجذوب متدارك بالسلوك : وله المقام الأكمل ، ويبادئه الحق بالكشوف وانوار اليقين ، ويرفع عن قلبه الحجاب ، فيصير قلبه بطبع الروح ، ونفسه بطبع القلب)[1]

والسالك هو الذي مشى على المقامات بحاله لا بعلمه وتصوره ، فكان العلم الحاصل له عيناً يأتي من ورود الشبهة المضلة له [2]

وقد ورد مصطلح السالك فى معظم كتابات الصوفية وألفاظهم فى مواضع عديدة منها ، قول الكلاباذى فى سبب تأليفه لكتابه التعرف :

(فدعانى ذلك إلى أن رسمت فى كتابى هذا وصف طريقتهم ، وبيان نحلتهم وسيرتهم ، من القول فى التوحيد والصفات ، وسائر ما يتصل به ، مما وقعت فيه الشبهة عند من لم يعرف مذاهبهم .. ويكون بيانا لمن أراد سلوك طريقه ، مفتقرا إلى الله تعالى فى بلوغ تحقيقه) [3]

وقال أبو القاسم القشيرى (وعلى الشيخ أن يتلمذ لمن سلك طريق الله تعالى .. والتلمذة لمن سلك طريق الله سبحانه وتعالى تجعل السلوك فى طريق الله أقوى وأسرع ، أما من تتلمذ لمن لا يوثق فى علمه بهذا الطريق فقد تحجب ..

وبعد ذلك يورد وردا آخر ، وخير وصف له أن من ذاقه من سالكى هذه الطريقة على سبيل الوهلة ، فإنه يموت ، وذلك من هيبة الحق سبحانه وعند هذا الورود يفنى العبد ولا يبقى منه شئ)

أما ابن عربي ﷺ فيرى ان السلوك هو النهج الذي يتبعه السالك في طريق الله

---

[1] الموسوعة الصوفية ص ١٠٢٤

[2] التعريفات

[3] التعرف لمذهب أهل التصوف ص٢٨

تعالى ، وهو دائم التغير والتبدل ، فالسالك ينتقل من حال الى حال ، ومن مقام الى مقام ، وذلك بفعل وترك ، أو ترك و ترك ، أو ترك وفعل ، ويعرف بأنه (انتقال من منزل عبادة الى منزل عبادة بالمعنى ، وانتقال بالصورة من عمل مشروع على طريق القربة الى الله الى عمل مشروع بطريق القربة الى الله بفعل وترك ، فمن فعل الى فعل ، فمن ترك الى ترك ، او من فعل الى ترك ، او من فعل الى ترك) [١]

ويستعرض مجموعة من السالكين لكل منهم طريق ومنهج فمنهم :

السالك بنفسه اذ يرى انه (المتقرب الى الله ابتداء بالفرائض ونوافل الخيرات الموجبين لمحبة الحق ، من أتى بهما لتحصيل المحبتين ، فهو يجهد فيما يكلفه الحق ، ويبذل استطاعته فيما أمره ربه ونهاه ، من عبادة ربه) [٢]

والسالك الذي يسلك بربه :هو الذي يكون الحق سمعه وبصره وجميع قواه ، فإن عينه ثابتة [٣]

والسالك بالمجموع : هو السالك بعد أن ذاق كون الحق سمعه وبصره ، وعلم سلوكه اولاً بنفسه على الجملة من غير شهود نفسه على التعيين [٤]

(وأما سالك لا سالك فهو : انه رأى نفسه لم تستقل بالسلوك ، ولم يكن الحق صفة لها ، ولا تستقل الصفة بالسلوك ما لم تكن نفس المكلف موجودة ، ويكون كالمحل لها ، فيبدو انه سالك بالمجموع وينتقل الى السالك منه اليه : وهو المتنقل من تجلٍّ الى تجل .

والسالك اليه منه فيه : هو السالك من اسم الهي الى اسم الهي في اسم الهي

---

[١] الفتوحات المكية ٣ / ١٦

[٢] الفتوحات المكية ٣ / ١٧

[٣] الفتوحات المكية ٢ / ١٦

[٤] الفتوحات المكية ٢ / ١٨

والسالك منه اليه فيه به : هو السالك من اسم الهي ، من اسم الى اسم في اسم

بينما يرى ان السالك منه لا فيه ولا اليه : الذي خرج من عند الله في الكون الى الكون ويتبع الأنواع السابقة بنوع آخر يسميه السالك اليه لا منه ولا منه وهو الفار اليه في الكون من الكون ، كفرار موسى عليه السلام .

ويختم هذه الأصناف بالسالك لا منه ولا فيه ولا اليه فيقول هو المتنقل في الأعمال الصالحة من الدنيا الى الآخرة ، وهم الزهاد غير العارفين)[1]

وهكذا فالسالك عند ابن عربي أمامه مشوار طويل كي يصل الى مقام العارفين ، فهو في اوضاع كثيرة متنوعة ومتفرعة ، لكل منهما نوع خاص من السلوك الذي يؤدي الى اكتساب صفة من الصفات ، فمن خروج من الكون الى دخول فيه ، ومن استسلام الى فرار، ومن التمسك باسم إلهي الى التنقل بالأعمال [2]

۞ الستر :

تغطية الشئ وإخفاؤه ، والستر والسترة هو الغطاء وما يستتر به ، ويستخدم الستر فى المحسوسات وغيرها [3]

واستخدم الستر بالمحسوسات في القران الكريم كما في قوله تعالى :

﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلَعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَل لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ﴾[4]

وكما في حديث رسول الله ﷺ المروي عن أبي سعيد الخدري ﷺ ، الذي قال:

---

[1] الفتوحات المكية ٢ / ١٨

[2] الفاظ الصوفية ص ١٨٩ – ١٩٠

[3] لسان العرب ٣٤٣/٤ والقاموس المحيط ص ٧٤٥

[4] الكهف/٩٠

(اعتكف رسول الله ﷺ ، في المسجد فسمعهم يجهروا بالقراءة وهو في قبة له ، فكشف الستور ، وقال : ألا كلكم مناج ربه ، فلا يؤذين بعضكم بعضا ، ولا يرفعن بعضكم على بعض في القراءة) [1]

ومما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ ، يقول : إذا أراد أن يمر بينك وبين سترتك أحد فاردده ، فإن أبى فادفعه ، فإن أبى فقاتله ، فإنما هو شيطان [2]

ومن الثانى ، قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ [3] وقوله تعالى ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلودُكُمْ ﴾ [4]

وفي الحديث الشريف عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله يدني المؤمن ، فيضع عليه كنفه ويستره ، فيقول : أتعرف ذنب كذا ؟ ، أتعرف ذنب كذا ؟ يقول : نعم أي رب ، حتى إذا قرره بذنوبه ، ورأى في نفسه أنه هلك قال : سترتها عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم ، فيعطى كتاب حسناته [5]

الستر فى الاصطلاح الصوفى :

الستر فى الاصطلاح الصوفى يساوى الحجاب فى المعنى ، والستر فى عرفهم

---

[1] . مسند الامام أحمد برقم ١١٤٨٦ واللفظ له ، وأبو داود فى الصلاة ٣٨/٢ برقم ١٣٣٢

[2] مسند الامام أحمد برقم ١١١٤٦ واللفظ له ، وأخرجه البخارى فى كتاب الصلاة برقم ٥٠٩

[3] الإسراء/٤٥

[4] فصلت/٢٢

[5] البخارى كتاب المظالم والغصب ٥٥٠/٦ برقم ٢٤٤١

يضاد التجلى ، (فالعوام فى غطاء الستر ، والخواص فى دوام التجلى ، وصاحب الستر بوصف شهوده ، وصاحب التجلى أبداً بنعت خشوعه ، والستر للعوام عقوبة ، وللخواص رحمة ، إذ لولا أنه يستر عليهم ما يكاشفهم به ، لتلاشوا عند سلطان الحقيقة ، ولكنه كما يظهر لهم يستر عليهم) [1]

ونرى للسرى السقطى موقفا متقابلا ، من استتار الفاعلية الإلهية بحجاب الأسباب ، فمرة يقول فى دعائه (اللهم الطف بنا واسترنا بلطف الحجاب)

ومرة أخرى يقول : (اللهم مهما عذبتنى بشئ ، فلا تعذبنى بذل الحجاب) [2]

وليس هذا من قبيل التناقض ، ولكنه يقصد بالأمرين أن ينعم مرة بشهود الربوبية ، ومرة يسأل الله التخفيف بستر الأسباب حتى يستمر في حياته ليرعى شئون نفسه ، لأنه لو ظل مشاهداً له وراء كل شىء يسبح الله حقيقة ، استحال عليه أن يفعل الضروريات ، أو يفكر فى صلاح معيشته .

وقال الكلاباذى : (الاستتار أن تكون البشرية حائلة بينك وبين شهود الغيب ، والاستتار الذى يعقب التجلى ، هو أن تستتر الأشياء عنك فلا تشاهدها ، كقول عبد الله بن عمر الذى سلم عليه وهو فى الطواف فلم يرد عليه فشكاه ، فقال : إنا كنا نتراءى الله فى ذلك المكان ، أخبر عن تجلى الحق له بقوله : كنا نتراءى الله واخبر عن الاستتار بغيبته عن التسليم عليه) [3]

وللقشيرى معنى يقرب من رأى أبى بكر الكلاباذى فيقول : (إنما قال الحق تعالى لموسى عليه السلام : ﴿ وَمَا تِلكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى﴾[4] ليستر عليه ما يعلل به بعض ما أثر فيه من المكاشفة بفجأة السماع .

---

[1] الرسالة القشيرية ٢٤٤/١

[2] طبقات الصوفية ص٣٠٣

[3] التعرف ص١٤٧

[4] طه/١٧

وقال ﷺ : (إنه ليغان على قلبى ، حتى أستغفر الله فى اليوم سبعين مرة) [1]

والاستغفار طلب الستر لأن الغفر هو الستر ، ومنه غفر الثوب والمغفرة وغيره ، فكأنه أخبر أنه يطلب الستر على قلبه عند سطوات الحقيقة ، إذ الخلق لا بقاء لهم مع وجود الحق [2]

ويذكر الكاشانى أن الستر كل ما سترك عما يفنيك ، ويطلق ويراد به غطاء الكون ، وقد يراد به الوقوف مع العادات ، وقد يراد به نتائج الأعمال ، وهناك اصطلاحان آخران حول معنى الستر ، الأول الستائر : وهى صور سرائر الآثار وسميت بالستائر ، لأن معانى الأسماء الذاتية تفهم من خلفها ، والثانى الستور : وهى الهياكل البدنية ، سميت بذلك لكونها مرخاة بين العوالم الغيبية الحقية والشهادية الخلقية [3]

وعند الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي ﷺ فإن الستر هو الحجاب بما يحويه من مقومات ، حيث انه دليل على المستور به .

فالستر حجاب ودليل ، يقول ابن عربي :

(ان الأمور كلها ستور بعضها على بعض ... كون القلب وسع الحق فهو ستر عليه ، فإن القلب محل الصور الإلهية التي أنشأتها الاعتقادات بنظرها وأدلتها فهي (الاعتقادات) ستور عليها (الصور الإلهية) ، لذلك تبصر الشخص ولا تبصر ما اعتقده ، الا ان يُرفع لك الستر بستر آخر وهو عبارة عن معتقده في ربه .

فالعبارة وان دلتك عليه فهي ستر بالنظر الى عين ما تدل عليه . الأسماء الإلهية وان دلت على ذات المسمى ، فهي أعيان الستور عليها ، فالستور وان كانت

---

[1] مسلم كتاب الذكر والدعاء برقم ٣٧٠٢

[2] الرسالة القشيرية ١/ ٢٤٤

[3] معجم اصطلاحات الصوفية ص ١١٩

دلائل فهي دلائل اجمالية ، فالعالم بل الوجود كله ستر ومستور وساتر ... فإن الستر برزخ أبداً بين المستور والمستور عنه ، فهو مشهود لهما ...

قوله : وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب وهو الستر ، او يرسل رسولاً وهو ستر أيضاً ... وليس الستر هنا سوى عين الصورة التي يتجلى فيها للعبد ... فهذه كلها صور حجابية)[1]

وهكذا الستر هو الحجاب الدال على الحق ، فهو مجلى الحق .

۞ سر السر :

السر: بكسر السين ، وجمعه أسرار ، الحديث المكتّم في النفس [2]

وجاء السر في محكم التنزيل بقول الله تعالى :

﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [3]

وقوله تعالى : ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾[4]

ومما ورد في شعر العرب :

إذا ما جعلْتَ السِّرَّ عند مُضَيَّعٍ ... فإنكَ ممن ضَيَّعَ السِّرَّ أذنبُ

السرُّ عنديَ في بيتٍ له غلقٌ ... ضلتْ مفاتيحُه والبابُ مَردومُ

وسر السر في الاصطلاح الصوفي :

((ما تفرد به الحق عن العبد كالعلم بتفصيل الحقائق في إجمال الأحدية وجمعها واشتمالها على ما هي عليه (وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ)) [5]

(والسر لطيفة مودعة في القلب كالروح في البدن ، ونور روحاني هو آلة النفس

---

[1] معجم اصطلاحات الصوفية ص ٥٦١ – ٥٦٢

[2] المفردات ص ٢٢٨

[3] طه ٧

[4] البقرة ٧٧

[5] التعريفات ص ٥٠

... وبدون السر تعجز النفس عن العمل ... والسر ينفرد به الاولياء والعارفون بالله بما خصّهم الله به من الاسرار الالهية والحقائق الربانية .

ولما افشى الحلاج السرَّ قال فيه الجنيد :

لقد فَضَحنا الحلاج لأنه أفشى سراً كان يجب ان يكتمه .

وبسبب افشاء السر قتل السهروردي الذي قال :

وارحمتا للعـاشقيـن تكلّفـوا ستر المحبة ، والهوى فضّاح

بالسرِّ ان باحوا تباح دماؤهم وكذا دمـاء العاشقين تباح)[1]

(أما سر السر فهو ما لا يجوز ان يعلمه غير الله او يطلع عليه غيره ، لأنه سبحانه انفرد به دون الخلق)[2]

ويقول الشيخ السراج : سر السر هو ما لا يحس به السر ، فإن أحس به فلا يقال له سر [3]

ويقول الشيخ القاشاني : سر السر : هو ما انفرد به الحق سبحانه ، بحيث لا يكون لغير الله تعالى إطّلاعاً عليه [4]

۞ السكر :

(السَّكْرَانُ) ضِدُّ الصَّاحِي وَالْجَمْعُ (سَكْرَى) وَ (سَكَارَى) بِفَتْحِ السِّينِ وَضَمِّهَا وَالْمَرْأَةُ (سَكْرَى) و (سَكْرَانَةٌ)

والسكر : (حالة تذهب عقل الإنسان ، فلا يستطيع التمييز فيها بين الأشياء ، وأكثر ما يستعمل السكر فى الشراب)[5]

---

[1] الموسوعة الصوفية ص ١٠٢٩

[2] معجم الفاظ الصوفية ص ١٤٤

[3] اللمع ص ٣٥٤

[4] لطائف الإعلام ص ٣٢٠

[5] المفردات ص٢٢٦ ، ولسان العرب ٣٧٢/٤

ومنه قول الله تعالى﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ [1]
وقوله تبارك وتعالى : ﴿وَتَضَعُ كُل ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾ [2]

وفي السنّة قول رسول الله ﷺ : اذا سكر فاجلدوه ثم ان سكر فاجلدوه ثم ان سكر فاجلدوه ثم ان عاد الرابعة فاضربوا عنقه [3]

ومن حديث أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه ، قال رسول الله ﷺ : كل ما أسكر عن الصلاة ، فهو حرام [4]

وقد يكون السكر ذهاب العقل ، من غضب أو ألم أو فرط محبة ، كقوله تعالى : ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بِالحَقِّ ذَلكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ [5]

وكما روى عن أبي سعيد الخدري رَضي الله عنه ، عن النبي صَلى الله عليه وسلم قال : (يقول الله تعالى : يا آدم فيقول : لبيك وسعديك والخير في يديك ، فيقول : أخرج بعث النار ؟ قال : وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين ، فعنده يشيب الصغير ، ﴿ وَتَضَعُ كُل ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ [6]﴾) [7]

والسكر فى الاصطلاح الصوفى :

غيبةٌ بواردٍ قوي .

---

[1] النساء/٤٣

[2] الحج/٢

[3] سنن احمد ٥٠٤/٢ برقم ١٠٥٥٤ و سنن ابي داود ١٦٤/٤ برقم ٤٤٨٤

[4] . مسلم فى كتاب الأشربة ١٥٨٦/٣ برقم (١٧٣٣)

[5] ق/١٩

[6] الحج / ٢

[7] أخرجه البخارى فى كتاب أحاديث الأنبياء برقم ٤٤٠/٦ برقم ٣٣٤٨

(والسكر زيادة عن الغيبة من وجه ، وذلك أن صاحب السكر ، قد يكون مبسوطا إذا لم يكن مستوفى فى حال سكره ، وقد يسقط إخطار الأشياء عن قلبه فى حال سكره ، وتلك حال المتساكر الذى لم يستوفه الوارد ، فيكون للإحساس فيه مساغ ، وقد يقوى سكره حتى يزيد على الغيبة ، فربما يكون صاحب السكر أشد غيبة من صاحب الغيبة إذ قوى سكره ، وربما يكون صاحب الغيبة أتم فى الغيبة من صاحب السكر إذا كان متساكرا غير مستوف ، والغيبة قد تكون للعباد بما يغلب على قلوبهم من موجب الرغبة والرهبة ، ومقتضيات الخوف والرجاء ، والسكر عندهم لا يكون إلا لأصحاب المواجيد)[1]

روى عن أبى بكر الواسطى أنه قال :

(مقامات الوجد أربعة ، الذهول ثم الحيرة ثم السكر ثم الصحو ، كمن سمع بالبحر ثم دنا منه ثم دخل فيه ثم أخذته الأمواج)[2]

وعند أهل الحق السكر هو غيبة بوارد قوي وهو يعطي الطرب والالتذاذ وهو أقوى من الغيبة وأتم منها [3]

ويذكر الكلاباذى أن السكر هو أن يغيب عنه تميز الأشياء ولا يغيب عن الأشياء ، وهو أن لا يميز بين مرافقه وملاذه ، وبين أضدادها فى مرافقة الحق ، فإن غايات وجود الحق تسقطه عن التميز بين ما يؤلمه ويلذه والصاحى الذى نعته قبل نعت السكر ، ربما يختار الآلام على الملاذ ، لرؤية ثواب أو مطالعة عوض ، وهو متألم فى الآلام ، ومتلذذ فى الملاذ ، فهو نعت الصحو والسكر[4]

---

[1] الرسالة القشيرية ٢٣/١

[2] عوارف المعارف للسهروردى ص٥٢٧

[3] معجم مصطلحات الصوفية ص ٥١

[4] التعرف ص١١٦

كما يقولون: (السكر هو أن يغيب الإنسان عن تمييز الأشياء) [١]

ويقول الطوسي: (السكر معناها قريب من معنى الغيبة غير أن السكر أقوى من الغيبة) [٢]

ويقول شهاب الدين يحيى السهروردي المقتول: (السكر سانح قدسي للنفس يؤدي إلى إبطال النظام عن الحركات) [٣]

ويقول الحلاج رحمه الله تعالى :

(مَن أسكرته انوار التوحيد ، حجبته عن عبارة التجريد ، بل مَن اسكرته انوار التجريد ، نطق عن حقائق التوحيد ، لان السكران هو الذي ينطق بكل مكتوم)[٤]

۞ السكينة :

سَكِينة : مصدر سَكَنَ وهي (اسم)

(السَّكينة: الوَدَاعة والوَقار. وقوله عز وجل: فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ ؛ قال الزجاج: معناه فيه ما تَسْكُنُون به إذا أَتاكم .

والسُّكُونُ: ضدّ الحركة. سَكَنَ الشيءُ يَسْكُنُ سُكوناً إذا ذهبت حركته،

وسَكَنَ : هَدَأَ بعد تَحَرُّك) [٥]

والسكينة لها استعمالات [٦]

الهدوء والاطمئنان : ومنها قول رسول الله ﷺ الذي اورده ابي هريرة رضي الله عنه (لا

---

[١] التعرف ص: ١٣٨

[٢] اللمع ص: ٤١٦

[٣] كلمة التصوف للسهروردي ص: ١٢٥

[٤] الطبقات للشعراني ٩٣/١

[٥] لسان العرب ٢٢١/٧

[٦] لسان العرب ٢١١/١٣

تأتوا الصلاة وانتم تسعون وأتوها وعليكم السكينة فما ادركتم فصلّوا وما فاتكم فأتموا)[1]

وعن ابن عباس ﷺ قال شهدت الافاضتين مع رسول الله ﷺ فأفاض وعليه السكينة وهو كاف بعيره [2]

وتكون السكينة بمعنى الرحمة التى تنزل بها الملائكة : فعن ابي هريرة ﷺ ان رسول الله ﷺ قال : ما جلس قوم في مسجد من مساجد الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة

وذكرهم الله فيمن عنده [3]

وعن البراء بن عازب ﷺ ، قرأ رجل الكهف ، وفي الدار الدابة ، فجعلت تنفر ، فسلم ، فإذا ضبابة أو سحابة غشيته فذكره للنبي ﷺ ، فقال : (اقرأ فلان فإنها السكينة نزلت للقرآن او تنزلت للقران) [4]

والسكينة فى الاصطلاح الصوفى :

اطمئنان القلب وسكون النفس والروح بسبب الواردات الربانية والانوار والنفحات الالهية .

والسكينة ايضاً (هي ما يجده القلب من الطمأنينة عند تنزل الغيب وهي نور في القلب يسكن إلى شاهده ويطمئن وهو مبادي عين اليقين) [5]

قال أبو القاسم القشيرى فى تعريفها : (السكينة ما يسكن إليه القلب من

---

[1] مسند احمد ٢٣٧/٢ برقم ٧٢٢٩

[2] مسند احمد ٢١١/١ برقم ١٨٠٢

[3] صحيح ابن حبان ٣/ ٤٥ برقم ٧٦٨ و سنن ابن ماجة ٨٢/١ برقم ٢٢٥

[4] البخاري ٧١٩/٦ برقم ٣٦١٤

[5] التعريفات ص ٥١

البصائر والحجج ، فيرتقى القلب بوجودها عن حد الفكرة إلى روح اليقين وثلج الفؤاد ، فتصير العلوم ضرورية ، وهذا للخواص فأما عوام المسلمين ، فالمراد منها السكون والطمأنينة واليقين ، قال تعالى : هُوَ الذِي أَنْزَل السَّكِينَةَ فِي قُلوبِ المؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ [1]) [2]

ويقول الشيخ القشيري :

(السكينةُ ما يسكن إليه القلبُ من البصائر والحُجَج، فيرتقي القلبُ بوجودِها عن حدِّ الفكرة إلى رَوْحِ اليقين وثَلَج الفؤاد، فتصير العلومُ ضروريةٌ... وهذا للخواصَّ.

فأمّا عوامُّ المسلمين فالمرادُ منها: السكون والطمأنينةُ واليقين.

وقال آخر السكينة : السكينة هي ثلج القلب عند جريان حكم الرب بنعت الطمأنينة، وخمود آثار البشرية بالكلية، والرضاء بالبادي من الغيب من غير معارضة اختيار.. ويقال السكينة القرار على بساط الشهود بشواهد الصحو، والتأدب بإقامة صفات العبودية من غير لحوق مشقة وبلا تحرك عِرقٍ لمعارضة حكم)[3]

وقال آخر: (السكون هو هدوء القلب، والاستبشار بوجود ما سكن إليه، والاضطراب والوحشة والحزن عند فقد المسكون إليه، ومن كان على هذا الحال مع غير الله تعالى وُكِّلَ إلى ما سكن إليه وهلاكه محقق لا محالة، ولا مطمع له في درك الفلاح الكامل. ومن كان سكونه إلى الله تعالى وإنسه به دون شيء سواه وكلّه الله تعالى إلى تدبير ألوهيته واختياره، وتولاه بالعناية الأزلية ومنحه ما لا

---

[1] الفتح/٤

[2] الرسالة القشيرية ٩٠/١

[3] موسوعة الكسنزان ٢١٣/١١

نهاية له من الأحوال العلية والمقامات السنية والأخلاق الزكية)[1]

۞ الشاهد :

(الشاهد : المراقب للحدث بحضوره ... وشَهِدَ الرَّجُلُ فهو شاهد .

وقد وردت في الكتاب والسنّة بمعانٍ منها [2]:

الذي حضر ورأى أو سمع ، ومنه قول الله تعالى :

﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾[3] وقوله عزَّ من قائلٍ: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ [4]

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ عن النبي ﷺ قال :

(إذا إدّعت المرأة طلاق زوجها ، فجاءت على ذلك بشاهد عدل ، استحلف زوجها ، فإن حلف بطلت شهادة الشاهد ، وإن نكل فنكوله بمنزلة شاهد آخر وجاز طلاقه)[5]

كما يعبر بالشهادة عن الحكم ، كما في قوله تعالى :

وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا [6]

وتأتي بمعنى الإقرار ، نحو قوله تعالى :

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهِ﴾ [7]

---

[1] موسوعة الكسنزان ٢١٣/١١

[2] انظر مفردات ص ٢٨٥ – ٢٨٦

[3] البقرة ٢٨٢

[4] البقرة ٢٨٢

[5] أخرجه ابن ماجة فى الطلاق برقم (٢٠٣٨) والدارقطنى فى سننه برقم ٦٤/٤ برقم ١٥٥

[6] يوسف ٢٦

[7] النور/٦

ان كان ذلك شهادة لنفسه ، وقوله تعالى ﴿شَاهِدِينَ عَلى أَنفُسِهِمْ بِالكُفْرِ﴾ [1] أي مقرّين .

وعن أنس بن مالك ﷺ قال : " كنا عند رسول الله ﷺ فضحك ، فقال : هل تدرون مم أضحك ؟ قال : قلنا الله ورسوله أعلم ، قال : من مخاطبة العبد ربه ، يقول : يا رب ألم تجرني من الظلم ؟ قال يقول : بلى ، قال فيقول : فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني ، قال فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا ، قال : فيختم على فيه ، فيقال : لأركانه انطقي ، قال : فتنطق بأعماله ، قال : ثم يخلى بينه وبين الكلام ، قال : فيقول : بُعداً لكن وسحقا ، فعنكن كنت أناضل "[2]

الشاهد بمعنى الكوكب ، فعن أبي بصرة الغفاري قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في واد من أوديتهم ، يقال له المخمص ، صلاة العصر ، فقال : إن هذه الصلاة صلاة العصر ، عرضت على الذين من قبلكم فضيَّعوها، ألا ومن صلاها ضعف له أجره مرتين ، ألا ولا صلاة بعدها حتى تروا الشاهد ، قلت لابن لهيعة ما الشاهد ؟ قال : الكوكب ، الأعراب يسمون الكوكب شاهد الليل)[3]

وفي الاصطلاح الصوفي :

الشاهد : (هو التجلي وقيل هو الحاضر ، فكل ما هو حاضر في القلب وغلب عليه ذكره حتى كأنه يراه ويبصره وان كان غائباً عنه فهو شاهد ، فإن

---

[1] التوبة ١٧

[2] أخرجه مسلم فى كتاب الزهد ٤/٢٢٨٠ برقم ٢٩٦٩

[3] بمعناه أحمد فى المسند برقم (٢٦٦٨٥) واللفظ له ، ومسلم فى كتاب صلاة المسافرين وقصرها برقم (٨٣٠)

كان الغالب عليه العلم فهو شاهد العين وان كان الغالب عليه الوجد فهو شاهد الوجد ، وان كان الغالب عليه الحق فهو شاهد الحق .

وشواهد الحق :هي حقائق الأكوان فانها تشهد بالمكون)[1]

وقال السراج الطوسى: (الشاهد ما يشهدك ، بما غاب عنك ، فيحضر قلبك لوجوده) [2]

وقال أبو القاسم القشيرى فى تعريف الشاهد : (الشاهد ما يكون حاضر قلب الإنسان ، وهو ما كان الغالب عليه ذكره ، حتى كأنه يراه ويبصره ، وإن كان غائبا عنه فكل ما يستولى على قلب صاحبه ذكره فهو يشاهده) [3]

❁ الشجرة :

الشَّجَرَة الواحدة تجمع على الشَّجَر والشَّجَرَات والأَشْجارِ

والمجْتَمِعُ الكثيرُ منه في مَنْبِتِه: شَجْرَاءُ.

وقيل: الشَّجَر كل ما سما بنفسه، دَقَّ أَو جلَّ، قاوَمَ الشِّتاءَ أَو عَجَزَ عنه، والواحدة من كل ذلك شَجَرَة [4]

وبهذا المعنى جاءت مفردة الشجرة في القران الكريم عدة مرات كما في قوله تعالى ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾[5]

وفي قوله سبحانه :

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾[6]

---

[1] الموسوعة الصوفية ص ١٠٤٩

[2] اللمع ص٤١٥

[3] الرسالة ٢٦٨/١

[4] لسان العرب ٣٩٤/٣

[5] الفتح ١٨

[6] يس٨٠

كما وردت بمعنى الاختلاف والنزاع وهي مِنَ الشِجار كما في قوله تعالى :

﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾[1]

واستعملت كلمة الشجرة للتشبيه في موضع آخر من المصحف الشريف كما في قوله سبحانه :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء ﴾[2]

وفي الاصطلاح الصوفي :

يقول الشيخ الأكبر ابن عربي :

الشجرة : هي الإنسان الكامل [3]

(استفاد ابن عربي من صفة التشاجر والارتفاع في الشجرة ليكني بها عن الانسان الكامل .

ونذهب ابعد من هذا فنقول ان الشجرة بما تتمتع به من كونها وحدة ذاتية لاحظها ابن عربي دفعته الى تشبيه الانسان الكامل بها .

فالشجرة هي وحدة متكاملة في نوعها : فيها الجذر والساق والاغصان والاوراق والزهر والثمر ، بل اكثر من ذلك فيها بذر شجرة يتولد منها .

اذن هي كاملة في نوعها النباتي وهذا على الارجح ما دفع ابن عربي الى تشبيه الانسان الكامل بها)[4]

يقول ابن عربي : (الا ترى انه ما وقع التحجير على آدم الا في الشجرة ، أي لا تقرب التشاجر والزم انسانيتك .. ولا تزاحم احداً في حقيقته) [1]

---

[1] النساء٦٥

[2] إبراهيم ٢٤

[3] اصطلاح الصوفية ص ٢٩٣

[4] المعجم الصوفي ص ٦٤٤

(فظهرت هذه الصورة المحمدية والشجرة الانسانية الجامعة الكلية ، وقال لسان حالها : غرستني يد الأحد ، في بستان الأبد ... انا شجرة النور والكلام وقرة عين موسى عليه السلام .

لي من الجهات اليمين الأنفس ، ومن الأمكنة الوادي المقدس ، ولي من الزمان الآن ، ومن المسالك خط الاستواء ، واعتدال الأركان .. فأنا الظل الممدود ، وكلمة الوجود .. جوامع الكلم .. معدن الأسرار والحكم)[٢]

وقد استخدم الشيخ الأكبر رمز الشجرة للدلالة على الكون :

(فإني نظرت الى الكون وتكوينه والى المكنون وتدوينه فرأيت الكون كله شجر وأصل نورها في حبة (كن) قد لقحت كاف الكونية بلقاح حبة (نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ﴾[٣] فانعقد من ذلك البزر ثمرة ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[٤] وظهر من هذا غصنان مختلفان أصلهما واحد وهو الارادة وفرعها القدرة ، فظهر عن جوهر الكاف معنيان مختلفان : كاف الكمالية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[٥] وكاف الكفرية ﴿فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ﴾[٦] وظهر جوهر النون .. فنون النكرة ، ونون المعرفة ، فلما ابرزهم من العدم على حكم القِدَم ، ورشَّ عليهم نوره ، فأما من اصابه ذلك النور فحدّق الى تمثال ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[٧] واتضح له في شرح نونها ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ

---

[١] الفتوحات المكية ٢/٢١٨

[٢] المعجم الصوفي ص ١١٤ عن تذكرة الخواص فقرة ٥٧

[٣] الواقعة ٥٧

[٤] القمر ٤٩

[٥] المائدة٣

[٦] البقرة ٢٥٣

[٧] آل عمران ١١٠

فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾[1] وكان حظ كل مخلوق من كلمة كن ما علم من هجاء حروفها)[2]

و(الإنسان الكامل مدبر هيكل الجسم الكلي فإنه جامع الحقيقة منتشر الدقائق إلى كل شيء فهو شجرة وسطية لا شرقية وجوبية ولا غربية إمكانية بل أمر بين الأمرين أصلها ثابت في الأرض السفلى وفرعها في السموات العليا أبعاضها الجسمية عروقها وحقائقها الروحانية فروعها والتجلي الذاتي المخصوص بأحدية جمع حقيقتها الناتج فيها بسر إني أنا الله رب العالمين ثمرتها) [3]

ويقول الشيخ كمال الدين القاشاني :

(الشجرة : يعنون بها في اصطلاحهم الإنسان الكامل المار اليها بقوله تعالى : شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ [4] لاعتدالها بين طرفي الإفراط والتفريط في الأقوال والأفعال والأحوال .

ويطلقون الشجرة على الأسماء الإلهية لتشاجرها وتقابلها كالغفور والمنتقم ، والضار والنافع ، والمعطي والمانع)[5]

۞ الشك :

شَكّ: (اسم) والجمع : شُكوك

والشَّكُّ حالة نفسية يتردد معها الذهن بين الاثبات والنفي ويتوقف عن الحكم[6] الحكم[6]

---

[1] الزمر ٢٢

[2] المعجم الصوفي ص ٦٤٤ عن شجرة الكون ص ٢

[3] التعريفات ص ٥٣ و معجم مصطلحات الصوفية ص ١٣٩ – ١٤٠

[4] النور ٣٥

[5] لطائف الإعلام ص ٣٣٨

[6] القاموس المحيط

و(الشَّكُّ: الْتِبَاس وَارْتِيَاب ، نَقِيضَ اليَقِين ، وجمعه شُكُوك)[1]

وجاء الشك في القرآن بمعناه اللغوي، وهو: التردد في أمرين لا مزية لأحدهما على الآخر، أو اعتدال النقيضين في النفس وتساويهما .

(وأَصْلُ الشَّكِّ أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِي تَساوِي الطَّرَفَيْنِ، وقَدْ يُسْتَعْمَلُ فِي لازِمِ مَعْناهُ، وهو التَّرَدُّدُ مُطْلَقًا، وإنْ لَمْ يَتَرَجَّحْ أحَدُ طَرَفَيْهِ)[2]

وقد وردت مفردة شك في القران (١٥) مرة

كما في قوله تعالى :

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ﴾ [3]

وفي قوله تعالى :

﴿وإنهم لفي شك منه مريب﴾[4] وقوله تعالى ﴿بل هم في شك يلعبون﴾ [5]

وفي السنّة النبوية وردت كلمة (شك) بذات المعنى كما في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا شَكّ أحدكم في صلاته ، فَلْيُلقِ الشَّكّ ، وَليبنِ على الْيَقِين ، وَلْيُصَلِّ سجدتين ، فإن كانت خَمْسًا شَفَع بهما ، وإن كان صَلَّى أربعًا ، كانتا ترغيمًا للشيطان [6]

وقوله ﷺ :نحن أولى بالشك من ابراهيم اذ قال ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي[7] ﴾[8]

---

[1] لسان العرب ١١٩/٨

[2] روح المعاني / تفسير سورة النساء

[3] النساء ١٥٧

[4] هود ١١٠

[5] الدخان ٩

[6] مسند احمد ٨٧/٣ برقم ١١٨٤٨

[7] البقرة ٢٦٠

[8] صحيح مسلم ١٨٣٩/٤ برقم ١٥١

وفي الاصطلاح الصوفي :

(والشك هو التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشاك وقيل الشك ما استوى طرفاه وهو الوقوف بين الشيئين لا يميل القلب إلى أحدهما فإذا ترجح أحدهما ولم يطرح الآخر فهو ظن فإذا طرحه فهو غالب الظن وهو بمنزلة اليقين) [1]

أما الجويني [2]: فذكر في تعريف الشك فحوى التعريفين السابقين وزاد عليها بقوله: الشك ما استوى فيه اعتقادان أو لم يستويا ولكن لم ينته أحدهما إلى درجة الظهور الذي يبنى عليه العاقل الأمور المعتبرة [3]

وعند الشيخ عبد الغني النابلسي :الشك هو التردد بين الحق والباطل ، بحيث استوى الطرفان ، وقد يطلق ذلك على الظن .

والشك من منازل الكفر الخمسة إضافة الى الجهل ، والعناد ، والتوهم ، والغرور.

أما الشك لدى الغزالي فهو طريق للوصول الى الحقيقة والى البحث الجاد عنها ، ثم ... بعد الوصول الى الحقيقة يصير اليقين هو الطريق الموصل الى الله تعالى ويصير الشك محرماً .

---

[1] التعريفات ص ٥٥

[2] أبو المعالي : عبدالملك بن عبدالله بن يوسف الجويني الملقب بـ " إمام الحرمين " ولد في جوين من نواحي نيسابور عام ٤١٩هـ وهو من أئمة الاشاعرة الكبار ، تتلمذ عليه الغزالي ، ودرس في المسجد الحرام والمسجد النبوي من أبرز مؤلفاته " الإرشاد الى قواطع الأدلة " و " الشامل في أصول الدين " .

انظر : طبقات الشافعية للسبكي (١٦٥/٥ تحقيق : محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو

[3] شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٥٣٠/٢

وعليه يمكن اعتبار الغزالي أعظم ممثل للشك المنهجي في الفكر الإسلامي وأكبر مؤسس لقواعده وأصوله الموصلة الى اليقين حيث رأى في كتابه (ميزان العمل): (ولو لم يكن في مجاري هذه الكلمات إلا ما يشكك في اعتقادك الموروث، لتنتدب للطلب، فناهيك به نفعا، إذ الشكوك هي الموصلة إلى الحق، فمن لم يشك لم ينظر، ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر بقي في العمى والضلال) [1] وهو بذلك على خطا سيدنا ابراهيم النبي عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام حين سأل ربه أن يريه كيف يحيي الموتى، قال له ربه : أو لم تؤمن، قال بلى ولكن ليطمئن قلبي، فأراه الله تعالى كيف يحيي الموتى .

وكانت رحلة الإمام الغزالي في دروب الشك على مراحل ابتدأها في :

الشك بالتقليد :

وقد أراد بهذه الخطوة التشكيك في المعارف التي تأتي عن طريق التقليد، وأول ما أثار انتباهه هو التقليد في العقيدة وفي ذلك يقول :

(انحلت عني رابطة التقليد، وانكسرت على العقائد الموروثة ، على قرب عهد سن الصبا ، إذ رأيت : صبيان النصارى لا يكون لهم نشوء إلا على التنصير ، وصبيان اليهود لا نشوء لهم إلا على التهود : وصبيان المسلمين لا نشوء لهم إلا على الإسلام ، وسمعت الحديث المروي عن رسول الله صلى االله عليه وسلم حيث يقول : كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه [2] فتحرك باطني إلى حقيقة الفطرة الأصلية ، وحقيقة العقائد العارضة بتقليد الوالدين والأستاذين ، والتمييز بين التقليدات ، وأوائلها تلقينات، وفي تميز الحق

---

[1] الغزالي ابو حامد ص ٣١

[2] صحيح مسلم كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين برقم ٤٨٠٣

منها عن الباطل اختلافات)[1]

فالغزالي ينفي صدق التلقينات لأنها قائمة على تقليد الأشخاص، وقد دله الحس على أن الأشخاص يختلفون فيما يقولون إنه الحق ، وإلا كيف نعلل وجود أشخاص على أديان مختلفة يعارض بعضها البعض الآخر ، ولو أن جميع الأشخاص وصلوا إلى الحق لما اختلفوا في الأديان .

... فأصبح التقليد الآن قضية، وأصبح الحس مقياساً للتقليد .

الشك في الحسيات :

وبعد أن هدم التقليد بالحس اتجه إلى الحس فيقول (فأقبلت بجد بليغ أتأمل في المحسوسات والضروريات ، وأنظر هل يمكن أن أشكك نفسي فيها ؟ فانتهى بي طول التشكك إلى أن لم تسمح نفسي بتسليم الأمان في المحسوسات أيضاً ، وأخذ يتسع الشك فيها) [2]

ويقول أيضاً مبرراً الشك في الحس " من أين الثقة بالحواس وأقواها حاسة البصر وهي تنظر إلى الظل ، فتراه واقفاً غير متحرك وتحكم بنفي الحركة ؟ ثم بالتجربة والمشاهدة بعد ساعة – تعرف أنه متحرك وأنه لم يتحرك دفعة بغته ، بل على التدريج ذرة، ذرة حتى لم تكن له حالة وقوف ... " [3]

وانتهى به الأمر إلى أن بطلت ثقته بالمحسوسات .

الشك في العقليات :

وبعد أن فقد الغزالي منهجين كانا محل ثقته واطمئنانه لم تتوقف شكوكه عند هذا الحد بل بادره الشك من جديد في العقليات وذلك عن طريق الحس ، ويصور ذلك بقوله (فقالت الحواس : بم تأمن أن تكون ثقتك بالعقليات :

---

[1] المنقذ من الضلال ص ٧٨

[2] المنقذ من الضلال ص ٨٩

[3] المنقذ من الضلال ص ٨٩

كثقتك بالمحسوسات وقد كنت واثقاً بي : فجاء حاكم العقل فكذبني ؟ ولولا حاكم العقل لكنت تستمر على تصديقي ، فلعل وراء إدراك العقل حاكماً آخر ، إذا تجلى كذّب العقلَ في حكمه، كما تجلى حاكم العقل فكذب الحس في حكمه ، وعدم تجلي ذلك الإدراك لا يدل على استحالته)[1]

وتعزز هذا الشك عنده بقضية النوم والرؤيا ويقول في ذلك: (أما تراك تعتقد في النوم أموراً وتتخيل أحوالاً ، وتعتقد لها ثباتاً واستقراراً ولا تشك في تلك الحالة فيها، ثم تستيقظ فتعلم أنه لم يكن لجميع متخيلاتك ومعتقداتك أصل وطائل ؟ فيم تأمن أن يكون جميع ما تعتقده في يقظتك ، بحس أو عقل ، هو حق بالإضافة إلى حالتك التي أنت فيها ، لكن يمكن أن تطرأ عليك حالة تكون نسبتهاإلى يقظتك : كنسبة يقظتك إلى منامك ، وتكون يقظتك نوماً بالإضافة إليها ، فإذا وردت تلك الحالة ، تيقنت أن جميع ما توهمت بعقلك خيالات لا حاصل لها)[2]

وهكذا كان الشك لدى الغزالي دليلاً وقائداً أوصله الى اليقين الذي جعل منه إماماً وعارفاً وعالماً ، يتحرك في عوالم اليقين وصار الشك حينها كفراً وحراما .

۞ الشكر :

(الشكر : الثناء على المحسن بما أولاكه من المعروف ، يقال شكرته وشكرت له وباللام أفصح)[3]

وهو تصور النعمة وإظهارها وعرفان الإحسان ونشره ، ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها ، وقيل أصله من عين شكرى ، أى ممتلئة .

(والشكر مقابلة النعمة بكفائها بالقلب . أو باللسان أو بالعمل .

---

[1] المنقذ من الضلال ص ٩٠

[2] المنقذ من الضلال ص ٩٠

[3] معجم القرطبي ٢/٢٣٦

(والشكر عرفان الإحسان ونشره ، وهو الشكور أيضا . والشكر لا يكون إلا عن يد ، والحمد يكون عن يد وعن غير يد ، فهذا الفرق بينهما . والشكر من الله : المجازاة والثناء الجميل وفي التنزيل العزيز : ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً) [1]

وفي الحديث : كان النبي ﷺ ليقوم ليصلي حتى ترم قدماه او ساقاه فيقال له فيقول : أفلا أكون عبدا شكورا ؟ [2]) [3]

والشكور : من صفات الله جل اسمه ، معناه : أنه يزكو عنده القليل من أعمال العباد فيضاعف لهم الجزاء . وشكره لعباده : مغفرته لهم .

والشكر يجب ان يكون بمقابل النعمة بالقول والفعل والنية فيثني على المنعم بلسانه ويذيب نفسه في طاعته ويعتقد أنه موليها . ففي الحديث النبوي : لا يشكر الله من لا يشكر الناس ; ومعناه أن الله لا يقبل شكر العبد على إحسانه إليه ، إذا كان العبد لا يشكر إحسان الناس ويكفر معروفهم لاتصال أحد الأمرين بالآخر .

وقد وردت لفظة الشكر في القران الكريم (٧٥) مرة بمشتقاتها .

ومنها قوله تعالى : ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [4]

وفي الحديث النبوي :

عن أبي هريرة رضى الله عنه ، قال النبي ﷺ : (لا يدخل أحد الجنة ، إلا أري مقعده من النار لو أساء ، ليزداد شكرا ، ولا يدخل النار أحد ، إلا أري مقعده من الجنة ، لو أحسن ليكون عليه حسرة) [5]

---

[1] الإسراء ٣

[2] صحيح البخاري ١/٣٨٠ برقم ١٠٧٨

[3] لسان العرب ٨/١١٦

[4] النحل ٧٨

[5] أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق ١١/٤٢٦ برقم ٦٥٦٩

والشكر في حق العبد على ثلاثة أشكال [1]:

شكر القلب : وهو تصور النعمة ، والاعتراف بها إلى المنعم ، والعزم على طاعته ، وعن صهيب الرومي رضي الله عَنه ، قال رسول الله ﷺ : عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر ، فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر ، فكان خيرا له [2]

وشكر اللسان : هو الثناء على المنعم بفضله ، وقال ابن عباس رضي الله عَنه : " مطر الناس على عهد النبي صَلى الله عليه وسلم ، فقال : أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر ، قالوا : هذه رحمة الله ، وقال بعضهم : لقد صدق نوء كذا وكذا " [3] .

وشكر سائر الجوارح : وهو مكافأة النعمة بفعل الجوارح ، من خلال خضوعها واستجابتها لأمره ونهيه ، قال تعالى : اعْمَلوا آل دَاوُودَ شُكْرًا وَقَليلٌ مِنْ عِبَادِ الشَّكُورُ [4] لينبه على التزام الأنواع الثلاثة من الشكر بالقلب واللسان وسائر الجوارح ، ومثله قوله تعالى : يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا كُلوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا للهِ إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ [5] ، فشكر النعمة إداء العبادة بالقلب واللسان واللسان والجوارح ، وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عَنه ، أن النبي ﷺ كان يقوم ليصلي حتى ترم قدماه أو ساقاه فيقال له فيقول : أفلا أكون عبدا شكورا) [6]، [6]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما : أن النبي ﷺ لما قدم المدينة وجدهم

---

[1] المفردات ص٢٦٦

[2] أخرجه مسلم فى كتاب الزهد ٤/٢٢٩٥ برقم ٢٩٩٩

[3] أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان ١/٨٤ برقم ٧٣

[4] سبأ/١٣

[5] البقرة/١٧٢

[6] أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة ٣/١٩ برقم ١١٣٠

يصومون يوماً يعني عاشوراء ، فقالوا : هذا يوم عظيم ، وهو يوم نجى الله فيه موسى ، وأغرق آل فرعون ، فصام موسى شكراً لله ، فقال : أنا أولى بموسى منهم ، فصامه وأمر بصيامه [1] ، وعن أبي هريرة ﷺ ، عن النبي قال : الطاعم الشاكر ، بمنزلة الصائم الصابر [2]

وفي الاصطلاح الصوفي :

الشكر عند رجال التصوف يستمد تفصيله ومحتواه من المعنى القرآني ومما ورد في السنّة النبوية .

فيكون الشكر على هذا الفهم (الاعتراف بِنِعَم المنعم على وجه الخضوع) [3]

ان (الشكر هو الاعتراف للمنعم والاقرار بالربوبية .

وهو ينقسم الى :

شكر باللسان : وهو اعترافه بالنعمة بنعت الاستكانة .

وشكر بالبدن والاركان : وهو اتصاف بالوفاق والخدمة .

وشكر بالقلب : وهو اعتكاف على بساط الشهود ، بإدامة حفظ الحُرمة .

والشكر نصف الايمان) [4]

ويقول الشيخ ابو بكر بن أبي السعدان : الشكر أن يشكر على البلاء شكره على النعماء [5]

ويقول الشيخ ابو حامد الغزالي : الشكر هو أن يستعمل النعمة في إتمام الحكمة التي أريدت بها ، وهي طاعة الله عزَّ وجلَّ [1]

---

[1] أخرجه البخارى فى كتاب أحاديث الأنبياء ٤٩٤/٦ برقم (٣٣٩٧)

[2] أخرجه الترمذى فى صفة القيامة برقم (٢٤٨٦) وقال الألبانى : صحيح ٦٥٣/٤

[3] الرسالة القشيرية ص ٣١١

[4] الموسوعة الصوفية ص ١٠٦٢

[5] طبقات الصوفية ص ٤٢١

ويرى الشيخ عبد الله الهروي أن معاني الشكر ثلاثة أشياء : معرفة النعمة ، ثم قبول النعمة ، ثم الثناء بها [٢]

فيما يرى الشبلي أن الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة .

وهو الخمود تحت نعمة المنة [٣]

۞ الشهود :

شُهُود: (اسم) وهو جمع شاهِد ومصدر شَهِدَ

(الشهود والشَّهادةُ : الحضور مع المشاهدة أما بالبصر او بالبصيرة لكن الشهود بالحضور المجرد أولى والشهادة مع المشاهدة أولى وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ [٤] لا يشهدون الزور أي لا يحضرونه بنفوسهم ولا بهممهم وإرادتهم والشهادة قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصرٍ ...

.. او بصيرة)[٥]

وكما في قوله تعالى : ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾[٦]

والشهيد من أسماء الله : ومعناه الأمين في شهادته .

(وقيل الشهيد الذي لا يغيب عن علمه شيء . والشهيد : الحاضر . وفعيل من أبنية المبالغة في فاعل ، فإذا اعتبر العلم مطلقا ، فهو العليم ، وإذا أضيف إلى الأمور الباطنة ، فهو الخبير ، وإذا أضيف إلى الأمور الظاهرة ، فهو الشهيد ، وقد يعتبر مع هذا أن يشهد على الخلق يوم القيامة .

---

[١] احياء علوم الدين ١١٨/٤

[٢] منازل السائرين ص ٥٣

[٣] الغنية لطالبي طريق الحق ٦١٢/١

[٤] الفرقان ٧٢

[٥] المفردات ص ٢٦٨

[٦] المائدة ١٠٦

والشاهد العالم الذي يبين ما علمه شهد شهادة ; ومنه قوله تعالى : شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان)[1]

وفي الاصطلاح الصوفي :

الشهود هو رؤية الحق بالحق [2]

(الشهود ان يرى العبد حظوظ نفسه وتقابله الغيبة وهي ان يغيب عن حظوظ نفسه فلا يراها)[3]

(الشاهد : ما يحضر القلب من أثر المشاهدة ، وهو الذي يشهد له بصحة كونه محيطاً من مشاهدة شهوده ، اما بعلم لدنيّ لم يكن له فكان ، او وجد ، او حال ، او تجلي او شهود)[4]

ويرى الشيخ عمر السهروردي أن الشهود :

هو الحضور وقتاً بنعت المراقبة ، ووقتاً بنعت المشاهدة ، فما دام العبد موصوفاً بالشهود والرعاية فهو حاضر [5]

(ويقول الشيخ ابو بكر الكلاباذي : الشهود أن يرى حظوظ نفسه) [6]

ومعنى ذلك : ان يأخذ ما يأخذ بحال العبودية وخضوع البشرية ، لا للذة ولا لشهوة .

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي : الشهود عند القوم هو فناء حكم لا فناء عين[1] عين[1]

---

[1] لسان العرب ١٥٢/٨

[2] معجم مصطلحات الصوفية ص ٣٩

[3] الموسوعة الصوفية ص ١٠٦٧

[4] اصطلاحات الصوفية ص ١٧

[5] عوارف المعارف ص ٢٥١

[6] التعرف لمذهب أهل التصوف ص ١١٨

ويقول الشيخ كمال الدين القاشاني : الشهود هو الحضور مع المشهود .
ويطلق أيضاً بمعنى : الإدراك الذي يجتمع فيه الحواس الظاهرة والباطنة ، وتتحد في إدراكها ، الموجب لاتحادها نور من جانب المشهود يمحو ظلمة حجابيتها ويقوم مقامها ، فيرى الحق بنوره ويفنى كل ما سواه بظهوره [٢]

۞ الصبر :

الصبر : الإمساك في ضيق ، وحبس النفس على ما يقتضضيه العقل والشرع [٣]
والصبر من أوصاف المؤمنين وخصالهم وقد رد الحث عليه فى الكتاب والسنة :
فمن الكتاب قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾[٤]، أى احبسوا أنفسكم على العبادة وجاهدوا أهواءكم ، وقال تعالى: ﴿ أُوْلئِكَ يُجْزَوْنَ الغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا ﴾[٥] ، أى بما تحملوا من الصبر فى الوصول إلى مرضاة الله
وفي السنّة المشرفة :
عن أبي أمامة ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : يقول الله سبحانه : " ابن آدم إن صبرت واحتسبت عند الصدمة الأولى ، لم أرض لك ثوابا دون الجنة " [٦]
والصبر لفظ عام ر بما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه :
– فإن كان حبس النفس لمصيبة سمى صبرا لا غيره ، ويضاده الجزع ، كما روى عن أنس بن مالك ﷺ ، قال : مرَّ النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر فقال :

---

[١] الفتوحات المكية ٤/٤١
[٢] لطائف الإعلام في اشارات اهل الإلهام ص ٣٤٣
[٣] المفردات ص ٢٧٤
[٤] آل عمران/٢٠٠
[٥] الفرقان/٧٥
[٦] أخرجه ابن ماجة فى الجنائز برقم (١٥٩٧) وقال الألبانى : حسن ١/٥٠٩

اتقي الله واصبري ، قالت : إليك عني ، فإنك لم تصب بمصيبتي ، ولم تعرفه فقيل لها : إنه النبي ﷺ ، فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين ، فقالت : لم أعرفك فقال : إنما الصبر عند الصدمة الأولى [1]

– وإن كان فى محاربة سمى شجاعة ، ويضاده الجبن ، كما روى عن أبي قتادة ﷺ ، أن رجلا قال يا رسول الله : أرأيت إن قتلت في سبيل الله ، تكفر عني خطاياي ؟ ، فقال له رسول الله ﷺ : نعم إن قتلت في سبيل الله ، وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر ، ثم قال رسول الله : كيف قلت ؟ ، قال : أرأيت إن قتلت في سبيل الله ، أتكفر عني خطاياي ؟ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم وأنت صابر محتسب ، مقبل غير مدبر إلا الدَين ، فإن جبريل عليه السلام ، قال لي ذلك)[2]

– وإن كان فى نائبة مضجرة سمى رحب الصدر ويضاده الضجر ، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ : " إن ناسا من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسَلم ، فأعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم ، حتى نفد ما عنده ، فقال : ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر [3]

– وإن كان فى إمساك الكلام سمى كتمانا ، كما قال عثمان بن عفان ﷺ يوم الدار : إن رسول الله قد عهد إلي عهداً ، فأنا صابر عليه [4]

وفي الاصطلاح الصوفي :

---

[1] أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز ١٧٧/٣ برقم (١٢٨٣)

[2] أخرجه مسلم فى كتاب الإمارة ١٥٠١/٣ برقم (١٨٨٥)

[3] أخرجه البخارى فى كتاب الزكاة ٣٩٢/٣ برقم (١٤٦٩)

[4] أخرجه الترمذى فى المناقب برقم (٣٧١١) وقال الألبانى : صحيح ٥/ ٦٣١

(يقول الامام الجنيد رحمه الله تعالى : الصبر تجرّع المرارة من غير تعبيس .
في حين يرى ابن عطاء رحمه الله تعالى ان الصبر : الوقوف مع البلاء بحسن الأدب)[1]

(والصبر اسم لمعانٍ ظاهرة وباطنةٍ ... والظاهرة ثلاث :
اولها : الصبر على اداء الفرائض .
وثانيها : الصبر على ما نهى الله عنه .
وثالثها : الصبر على قبول الحق ممن جاء به من الناس .
وهذه المعاني هي ظاهر الصبر الواجب على الخلق ، فأما حقائق الصبر :يقع لها مما تكره وان تأنف الجزع منه وتترك البث والشكوى ، وتكتم ما ينزل بها والصبر على المكاره من حسن اليقين ، والصبر نصف الإيمان ، واليقين الإيمان كله) [2]
ولأهل الصبر ثلاث مقامات : الأول : ترك الشكوى وهو درجة التائبين .
الثاني : الرضا بالمقدور وهو درجة الزاهدين .
والثالث : المحبة ، أي محبة ما يفعله المولى به وهو درجة الصديقين)[3]
ويرى الإمام علي رضيَ الله عنه أن :
الصبر : شجاعة ، وان الصبر : مطية لا تكبو[4]
ويقول الشيخ ذو النون المصري : الصبر هو التباعد عن المخالفات ، والسكون عند تجرع غصص البلية ، وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحة المعيشة [5]

---

[1] الرسالة القشيرية ص ٣٢٥
[2] الموسوعة الصوفية ص ١٠٧٧
[3] الموسوعة الصوفية ص ١٠٧٧
[4] الرسالة ص ١٤٥
[5] الغنية ٦١٥/٢

فيما يقول الشيخ ابراهيم الخواص : الصبر هو الثبات مع الله تعالى على احكام الكتاب والسنّة [1]

ويقول الشيخ سهل بن عبد الله التستري : الصبر هو تصديق الصدق .

ويقول الصبر : هو انتظار الفرج من الله ، وهو أفضل الخدمة وأعلاها [2]

ويقول الشيخ سري السقطي : الصبر أن تكون مثل الأرض ، تحمل الجبال وبني آدم ، وكل ما عليها ، لا تأبى ذلك ولا تسميه بلاء ، بل تسميه نعمة وموهبة من سيدها ، لا يراد فيها إداء حكم بها عليه [3]

۞ الصدق :

(الصِّدْقُ) : هو مطابقة القول والفعل فى الظاهر لما فى الضمير من قول أو فعل ، ويسرى ذلك فى نوعى الكلام الخبر والإنشاء فالصدق فى الخبر وقوعه على نحو يوافق حقيقة المخبر عنه ، والصدق فى الأمر تنفيذه على النحو المطلوب[4]

وقد ورد الصدق في القران الكريم (١٣٨) مرة بمشتقاته ، ومنها قوله تعالى :

﴿ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾

ووردت في الحديث النبوي ، كما في حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ، ذات يوم إذ طلع علينا رجل ، شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي ﷺ ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا مُحَمَّد أخبرني عن الإسلام ، فقال رسول الله : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن مُحَمَّدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج

---

[1] الغنية ٦١٥/٢

[2] عوارف المعارف ص ٢٣٤

[3] حلية الأولياء ١٢٠/١٠

[4] لسان العرب ١٩٣/١٠ ، وكتاب العين ٥٦/٥

البيت إن استطعت إليه سبيلا قال : صدقت ، قال فعجبنا له يسأله ويُصدّقه [1]

وقد ورد الصدق في القران الكريم على معانٍ :

فيكون خلاف الكذب ،كما في قوله تعالى : وَ﴿ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثاً﴾[2]

ويكون بمعنى الصدقة كما في قوله تبارك وتعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[3]

ويرد الصدق بمعنى صداق المرأة كقوله سبحانه : (وَآتُواْ النِّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً)[4]

وفي الاصطلاح الصوفي :

(قول الحق في مواطن الهلاك.

وقيل أن تصدق في موضع لا ينجيك منه إلا الكذب .

قال القشيري الصدق ألا يكون في أحوالك شوب ولا في اعتقادك ريب ولا في أعمالك عيب .

وقيل الصدق هو ضد الكذب وهو الإبانة عما يخبر به على ما كان) [5]

يقول عبد الله بن خبيق :(لا يستغني حال من الأحوال عن الصدق ، والصدق يستغني عن الأحوال كلها.

ولو صَدَقَ العبد فيما بينه وبين الله حقيقة الصدق : لاطلع على خزائن الغيب ، ولكان أميناً في السماوات والأرض)[6]

---

[1] أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان ٣٦/١ برقم (٨)

[2] النساء ٨٧

[3] التوبة ١٠٣

[4] النساء ٤

[5] التعريفات ص ٥٦

[6] طبقات الصوفية ص ١٤٤

فيما يرى ابو سليمان الداراني انه : لكل شيء صدق ، وصدق اليقين الخوف من الله تعالى [١]

(وأقل الصدق استواء السر والعلانية ، والصادق من صدق في قوله ، والصدّيق من صدق في جميع اقواله وافعاله وأحواله)[٢]

يقول ذا النون رحمه الله تعالى متحدثاً عن الصدق : (لم ار شيئاً ابعث لطلب الاخلاص من الوحدة ، لأنه اذا خلا لم ير غير الله تعالى ، فإذا لم ير غيره لم يحركه الا حكم الله ، ومن أحب الخلوة فقد تعلق بعمود الإخلاص واستمسك بركن كبير من اركان الصدق)[٣]

وحين سُئل الحارث المحاسبي عن الصدق قال :

(الصدق هو الذي لا يبالي لو خرج على قدر له في قلوب الخَلق من أجلِ صلاح قلبه ، ولا يحب اطلاع الناس على مثاقيل الذر من حُسنِ عمله ، فإن كراهته لذلك دليل على انه يحب الزيادة عندهم ، وليس هذا من اخلاق الصديقين)[٤]

ويقول الشيخ عبد الواحد بن زيد البصري : الصدق هو الوفاء لله عزَّ وجلَّ بالعمل [٥]

۞ الصعق :

(صُعق الإنسان: غشي عليه وذهب عقله من صوت يسمعه كالهدة الشديدة

---

[١] طبقات الصوفية ص ٨٢

[٢] الرسالة القشيرية ص ٩٧

[٣] طبقات الصوفية ص ٢١

[٤] الرسالة القشيرية ص ٩٧

[٥] الرسالة القشيرية ص ١٦٥

وصُعِق : مات ، وأصابته صاعقة والصاعقة الموت ، وقيل : الصاعقة العذاب ، والصعقة الغشية ، والصعق مثل الغشي يأخذ الإنسان من الحر وغيره ومثل الصاعقة الصوت الشديد من الرعدة يسقط معها قطعة نار) [1]

وقد وردت الصاعقة والصعق في الذكر الحكيم وحملتا اكثر من معنى :

حيث وردت بمعنى الوقع الشديد كما في قوله عز وجل : ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾[2]

وجاءت بمعنى الموت في قوله تعالى : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾[3]

وتحمل معنى الغشية كما في حال النبي موسى عليه السلام في قوله تعالى : ﴿وَخَرَّ موسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[4]

فإنما هو غشي لا موت لقوله تعالى : فلما أفاق ؛ ولم يقل : فلما نشر .

وفي الاصطلاح الصوفي :

وعند اهل التصوف الصعق هو الفناء في الحق عند التجلي الذاتي الوارد بسبحات يحترق ما سوى الله فيها [5]

(والصعق هو الغشية او الذهاب او الفناء وذلك من مطالعة انوار الحقائق ، فالصعق دهشة ، وسكر ناتج من تجلي اسرار الله على قلب العبد الصادق ،

---

[1] لسان العرب ٢٤٣/٨

[2] البقرة٥٥

[3] الزمر٦٨

[4] الأعراف١٤٣

[5] معجم مصطلحات الصوفية ص ٤١

وذلك في حال المشاهدة وذلك تصديقاً لقوله تعالى : ﴿وَخَرَّ موسَى صَعِقاً﴾[1] لهول ما رأى من انوار الله فعندما تتجلى الله للجبل جعله دكاً فخر موسى عليه السلام وهذه الغشية تسمى الصعق .

فالسالك الى طريق الله عندما يصل الى مقام الفناء وقبل ان يفنى عن نفسه وعن فنائه (فناء الفناء) يقال في هذه اللحظة التي انه قد صعق وذلك من مشاهدة الأنوار الربانية) [2]

و(الصاعقة هي الصوت مع النار وقيل هي صوت الرعد الشديد الذي حق للإنسان أن يغشى عليه منه أو يموت)[3]

ويقول الشيخ السراج : الصعق صفة من صفات الواجدين [4]

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي : الصعق هو الفناء عند التجلي الرباني ، وهو لأهل الرجاء ، لأهل الخوف [5]

۞ الصفاء

صفا يصفو صفاء : خلص من الكدر وراق

وصفّاه : أزال عنه القذى والكدر [6]

كما في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾

وأصل الصفاء خلوص الشئ من الشوب ، ومنه الصفا والصفوان للحجارة الصافية ، قال تعالى : ﴿ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ ﴾ [1]

---

[1] الأعراف١٤٣

[2] معجم الفاظ الصوفية ص ١٨٠

[3] التعريفات ص ٥٥

[4] اللمع ص ٣٠٢

[5] الفتوحات المكية ١٣٠/٢

[6] المعجم الوسيط ص ٥١٨

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ ﴾ [٢]

وذلك اسم لموضع مخصوص ،

والصفاء يقال فى المحسوسات وغيرها [٣] :

فمن المحسوسات في استعمال الصفاء ما جاء في الحديث النبوي الشريف .

فمن حديث أنس بن مالك رضى الله عنه ، قال رسول الله ﷺ :

إنما مثل المريض إذا برأ وصح ، كالبردة تقع من السماء في صفائها ولونها [٤]

والثاني : استعمال الصفاء في معنى الغير محسوس كما في الصفاء الإيمانى أو الاصطفاء ، كاصطفاء الله تعالى بعض عباده للرسالة والنبوة ، فالاصطفاء تناول صفو الشئ ، كما أن الاختيار تناول خيره قال تعالى : ﴿ اللهُ يَصْطَفِي مِنْ المِلائِكَةِ رُسُلا وَمِنْ النَّاسِ ﴾ [٥]

وقال سبحانه وتعالى :

﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآل إِبْرَاهِيمَ وَآل عِمْرَانَ عَلى العَالمِينَ ﴾ [٦]

وكما ورد في الحديث الشريف ، فعن حذيفة بن اليمان انه قال : سمعت رسول الله صَلى الله عليه وسلم يقول :

(تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عودا ، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء ، حتى تصير على قلبين ، أبيض مثل الصفا ، فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض والآخر أسود

---

[١] البقرة/٢٦٤

[٢] البقرة/١٥٨

[٣] المفردات ص٢٨٣

[٤] الترمذى كتاب الطب ٤/٤١١ برقم ٢٠٨٦

[٥] الحج/٧٥

[٦] آل عمران/٣٣

مربادا كالكوز مجخيا ، لا يعرف معروفا ، ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه) [1]

الصفاء فى الاصطلاح الصوفى :

والصفاء هو البعد عن المذمومات ، واماتة الشهوات ، فالصفاء مرآة القلب الطاهرة التي ترتسم عليها الحقائق بعد التخلص من آفات المادة والطبع الرديء

وهو فى الاصطلاح الصوفى أصل من الأصول التى يرد إليها مصطلح التصوف ، فمن المعلوم أن المسلك الصوفي ، مبنى على التخلص من الشوائب الحاجبة والتحرر مما سوى الله ، فالتصوف أسمى الطرق وأعلاها كمالاً وتحققاً .

(والصفاء عدم الركون لطلبات النفس من الفتوحات والكشوفات والتجليات ، وانما طهارة النفس بلا ملاحظة واهتمام .

وكما يقول الحريري : ملاحظة ما صفا بالصفاء جفاء ، أي انشغال العبد بصفائه واهنمامه بتنقية قلبه انما هو جفاء ، أي بُعد عن الصفاء ، لأنه في هذه الحال يكون مريداً للأحوال والمقامات ، راغباً في الكمالات ، وهذا انشغال برؤية العقل ، عن الطاعات والواجبات .

وبذلك يصل الى درجة عليا من الصفاء وهو صفاء الصفاء فتتضح له الأسرار ويكشف الحقائق بدون حجاب المحدثات والممكنات ، أي يشاهد الحق بالحق ، وليس هناك حاجزاً حسي أو مادي كما لا يوجد هناك علة وسبب في اتصال وايصال بالله لأنه هنا وصل بعد مفارقة الطبع والعادة والفعل والعمل)[2]

وروى عن ابن عطاء الأدمى أنه قال :

---

[1] مسلم كتاب الإيمان ١٢٨/١ برقم ١٤٤

[2] معجم الفاظ الصوفية ص ١٩٠

(لا تغتروا بصفاء العبودية ، فإن فيها نسيان الربوبية لأنها ممازجة الطبع ورؤية الفعل) [1]

وروى عن أبى بكر الكتانى أنه سئل عن الصفاء فقال : مزايلة المذمومات [2]

وقال السراج الطوسى : (الصفاء ما خلص من ممازجة الطبع ورؤية الفعل من الحقائق فى الحين) [3]

و(الصفاء ما خلص من ممازجة الطبع ورؤية الفعل من الحقائق في الحين .

قال الجريري : ملاحظة ما صفا بالصفاء جفاء ، لأن معه ممازجة الطبع ورؤية الفعل .

وقال ابن عطاء : لا تغتروا بصفاء العبودية فإن فيها نسيان الربوبية ، لأنها ممازجة بالطبع ورؤية الفعل .

وقال الكتاني : الصفاء مزايلة المذمومات او مزايلة الأحوال والمقامات والدخول الى النهايات ، وصفاء الصفاء إبانة الأسرار عن المحدثات لمشاهدة الحق بالحق على الاتصال) [4]

ويقول الشيخ كمال الدين القاشاني :

الصفاء : اسم للبراءة من الكدر عن قلب صفي من الصدأ وإنما يصفو القلب عند انطواء حظ العبودية في حق الربوبية وحينئذ يتبين له أن السلوك إنما كان عن حجابية خلقيته إلى كشف أنوار حقيقته بعد فنائه عن ظلمة الحدث في نور الأزل [5]

---

[1] اللمع ص١١٤

[2] اللمع ص١١٤

[3] اللمع ص١١٤

[4] الموسوعة الصوفية ص ١٠٨٤

[5] لطائف الإعلام ص ٣٥٦

۞ الضنائن :

ضَنين: (اسم) والجمع ضنينون و أضنّاءُ ، المؤنث : ضَنينة ، و الجمع للمؤنث : ضنينات و ضنائِنُ .

قال الله عز وجل : ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ [1] أي ماهو على الغيب ببخيل ، والضنّة هي البخل بالشيء النفيس ، وفلان ضنيٌّ بين أصحابي أي هو النفيس الذي أضنُّ به [2]

وفي الاصطلاح الصوفي :

(وعند اهل التصوف هم الخصائص من أهل الله الذين يضن بهم لنفاستهم عنده وعلوِّ شأنهم كما قال ﷺ :إن لله ضنائن من خلقه ألبسهم النور الساطع يحييهم في عافية ويميتهم في عافية) [3]

يقول الشيخ مُحَمَّد بن عبد الجبار النفري : (قال لي الحق : ما أدب الضنائن ؟ أن تحفظ معرفتك من العارفين ، لا يرجعونها نكرة بعد المعرفة) [4]

۞ الضياء :

الضياء وجمعه أضواء : وهو ما أضاء لك [5]

(والضوء والنور مترادفان ، والضوء اقوى من النور ولذا شبّه الله هُداه بالنور دون الضياء والا لما ضلَّ أحد .

والضياء هو فرع النور والشعاع المنتشر)[6]

---

[1] التكوير٢٤

[2] المفردات ص ٢٩٩

[3] التعريفات ص ٥٩ والموسوعة الصوفية ص ١١٠٨

[4] موسوعة الكسنزان ٤٠/١٤

[5] لسان العرب ٧١/٩

[6] تاج العروس مادة ضوء

وقد ورد الضياء في القران الكريم بمعنى النور الصادر من النار كما في قوله تعالى:
﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ ﴾[1]
وهو بمعنى النور الذي يُبصر بوجوده كقوله تعالى : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاء ﴾[2]
والضياء بمعنى الكتاب كما في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاء وَذِكْراً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [3]
وهو بمعنى تفريغ الشحنات من البرق والتي تسبب اللمعان والنور ، في قوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاء لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ﴾[4]
كما انه بمعنى النور الكامن في زيت الشجرة المباركة :
﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ ﴾[5]

وفي الاصطلاح الصوفي :

(الضّياء، رؤية الأغيار بعين الحق، فإن الحق بذاته نور لا يُدرَك، ولا يُدرَك به، ومن حيث أسماؤه نور يُدرَك، ويُدرَك به، فإذا تَجلى للقلب من حيث كونه يُدرَك به شاهدت البصيرة المنوَّرَة الأغيارَ بنوره، فإن الأنوار الأسمائية من حيث

---

[1] البقرة١٧
[2] القصص٧١
[3] الأنبياء٤٨
[4] البقرة٢٠
[5] النور٣٥

تعقلها بالكون مخالطة بسواده، ولذلك استتر انبهاره فأدركته وأدركت ، كما أن نور الشمس إذا حاذاه غيم رقيق يُدرك)[1]

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي : الضياء هو رؤية الأعيان بعين الحق [2]

ويرى الشيخ نور الدين القونوي أنَّ :

(الضياء هو امتزاج النور بالظلمة ، وليس في ذات القمر ما يمتزج بالشمس حتى يسمى الناتج بينهما ضياء ، ولهذا سمى الحق القمر : نوراً دون الشمس المشبهة بالسراج ، لكونه ممدوداً من الشجرة المباركة المنفي عنها الجهات ، وانها الحضرة الجامعة للأسماء والصفات

ويقول الشيخ عبد الحميد التبريزي : الضياء نوعان :

الأول : نور محسوس يكون ظاهراً بنفسه مظهراً لغيره .

والثاني : نور لطيف يكون مظهراً لأسرار الغيب في عالم المثال المطلق ثم المقيد)[3]

۞ الطريق :

طَريق: (اسم) والجمع منه : طُرُق ، طُرُقات وأطرُق

والطريق : السبيل الذي يُطرق بالأرجل أي يُضرب ، قال تعالى ﴿طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾ وعنه استعير كل مسلك يسلكه الإنسان في فعلٍ محموداً كان أو مذموماً قال تعالى ﴿بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴾ وقيل طريقة من النخل تشبيهاً بالطريق في الإمتداد)[4]

وفي السنّة المطهّرة ورد الطريق ، كما في الحديث انه ﷺ قال :

(اعطوا الطريق حقه قيل وما حق الطريق قال غض البصر وكف الأذى ورد

---

[1] الموسوعة الصوفية ص ١١٠٨ والتعريفات ص ٥٩

[2] اصطلاح الصوفية ص ١٤

[3] موسوعة الكسنزان ٤٤/١٤

[4] المفردات ٣٠٣

السلام وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر)[1]

والطَّرِيقُ تذكَّر وتؤنث ؛ تقول : الطَّريق الأَعظم والطَّريق العُظْمَى ،

والطريق في شعر العرب :

الجدُّ للمجدِ الطريفِ طريقُ ... والعلمُ إن سُد الطريقُ رفيقُ

وفي الاصطلاح الصوفي :

الطريق عبارة عن مراسم الله تعالى وأحكامه التكليفية المشروعة التي لا رخصة فيها فإن تتبع الرخص سبب لتنفيس الطبيعة المقتضية للوقفة والفترة في الطريق والطريق الأني هو ألا يكون الحد الأوسط علة للحكم بل هو عبارة عن إثبات المدعي بإبطال نقيضه كمن أثبت قدم العقل بإبطال حدوثه بقوله العقل قديم إذ لو كان حادثا لكان ماديا لأن كل حادث مسبوق بالمادة [2]

و(الطريق هي السيرة المختصة بالسالكين الى الله ، مع قطع المنازل والترقي في المقامات)[3]

(الطريق هو السنّة المباركة وفضائلها انما تكون في التقلل من الدنيا في كل شيء والقناعة من الله بأدنى شيء ، والتواضع لله في كل شيء ...

والطريق مخالفة النفس وترك حظوظها ، والالتجاء الى الله ظاهراً وباطناً ، حتى يمنّ عليه برحمته ويفاض عليه برضوانه ...

يقول الامام ابو الحسن الشاذلي ان الطريق : هو العقيدة الى الله تعالى ، أي الاسترسال مع الله .

ومن اجتاز طريق الله فهو من الصديقين المحققين .

والصديقية هي المرتبة الرابعة التي يسمي الامام الغزالي اصحابها بالأولياء الكُمَّل.

---

[1] صحيح البخاري ٢/٨٧٠ برقم ٢٣٣٣ وصحيح مسلم ٣/١٦٧٥ برقم ٢١٢١

[2] معجم مصطلحات الصوفية ص ٥٨

[3] اصطلاحات الصوفية ص ٨٥

ويتفق الإمام ابو الحسن مع الإمام الغزالي في عدد منازل الأولياء فيقول انها اربعة من حازها فهو من الصديقين ، ومن حاز على ثلاثة منها فهو من الأولياء المقربين ، ومن حاز على اثنين منها فهو من الشهداء الموقنين ،ومن حاز منها واحدة فهو من عباد الله الصالحين)[1]

ويقول (فالطريق الى الله أوله الذكر ، وبساطه العمل الصالح ، وثمرته النور .

وثانيه التفكير وبساطه الصبر وثمرته العلم .

والثالث الفقر في الله وبساطه الشكر وثمرته المزيد منه .

واما الرابع فهو الحب وبساطه بغض الدنيا والشهوات وثمرته الوصول الى المحبوب) [2]

ويقول الشيخ الجنيد البغدادي :

الطريق : هو توبة تحل الإصرار ، وخوف يزيل الغرة ، ورجاء مزعج الى طريق الخيرات ومراقبة الله في خواطر القلوب [3]

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي :

الطريق : هي معنى من الملكية يهدي الى حقيقة الشخصية والجبرائيلية [4]

والطريق : عبارة عن مراسم الحق المشروعة التي لا رخصة فيها[5]

۞ الطريقة:

هي الأسلوب في العمل .

وهي مسلك الطائفة من الصوفية .

---

[1] معجم الفاظ الصوفية ص ٢٠١

[2] معجم الفاظ الصوفية ص ٢٠١

[3] حلية الأولياء ٢٦٩/١٠

[4] الفتوحات المكية ١٣٣/٢

[5] الفتوحات المكية ١٣٤/٢

وتأتي الطَّريقَةُ : بمعنى الطَّرِيق والسِّيرَةُ . والمذهب [1]

وفي التنزيل العزيز في قصة فرعون : (وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ المُثْلَى[2]) [3]

وطريقة الرجل : مَذْهبه .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [4] ؛ أَراد لَوِ استقاموا على ملة الاسلام وطَرِيقة الهُدى [5]

(وقولُه تعالى : ويَذْهَبا بطَرِيقَتكُم المُثْلى جاء في تفسيره : بمذهبكم الذي هو افضل المذاهب .

كما ان الطَّرِيقة : الرجالُ الأَشراف ، فيكون المعنى بجَماعِتكم الأَشراف ، والعرب تقول للرجل الفاضل : هذا طَرِيقَة قومِه ، وطَرِيقَة القوم أَماثِلُهم وخِيارُهُم ، وهؤلاء طَرِيقةُ قومِهم ، وإِنَّما تأْويلُه هذا الدي يُبْتَغَى أَن يجعلَه قومُه قُدْوةً ويسلكوا طَرِيقَته .

وطَرائِقُ قومِهم أَيضاً : الرجالُ الأشراف [6]

و ﴿كُنَّا طَرائِقَ قِدَداً ﴾ أَي كُنَّا فِرَقاً مختلفة أَهْواؤنا [7]

والطَّرِيقة : العُمُد ، وكل عَمُود طَرِيقة .

كما وردت الطريقة في شعر العرب :

فَقلت لَهُ كَيفَ الإناخة بَعْدَمَا ... حد اللَّيْل عُرْيَان الطَّرِيقَة منجلي

---

[1] معجم المعاني الجامع

[2] طه آية ٦٣

[3] المعجم الوسيط

[4] الجن١٦

[5] روح المعاني ١٥/١٠٠

[6] انظر روح المعاني ٨ /٥٣٦

[7] التفسير الميسر

وَمِنَ الطّرِيقَةِ جائِزٌ، وَهُدًى ... قَصْدُ السّبِيلِ، وَمِنْهُ ذُو دَخْلِ

وفي الاصطلاح الصوفي :

الطريقة : هي السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى من قطع المنازل والترقي في المقامات [١]

قال الشيرازي : الطريقة معرفة احكام الالهام والسير في مدارج الاسلام [٢]

كما ان (الطريقة هي السيرة المختصة بالسالكين الى الله تعالى مع قطع المنازل والترقي في المقامات) [٣]

وهي عند الشريف الجرجاني :

الطريقة في اصطلاح اهل الحقيقة : عبارة عن مراسم الله تعالى وأحكامه التكليفية المشروعة التي لا رخصة فيها ، فإن تتبع الرخص سبب لتنفيس الطبيعة المقتضية للوقفة والفترة في الطريقة [٤]

و (الطريقة هي الطريق الموصل الى الله تعالى ، كما ان الشريعة موصل الى الجنة ، وهي اخص من الشريعة لاحتكامها على احكام الشريعة من الأعمال الصالحة البدنية ، والانتهاء عن المحارم والمكاره العامة ، وعلى احكام خاصة من الأعمال القلبية والرياضات والعقائد المختلفة بالسالكين الى الله تعالى)[٥]

ويقول الشيخ عبد الغني النابلسي :

(الطريقة : هي التخلق بالأخلاق المعلومة ، والتباعد عن الأخلاق المذمومة ، وذلك حظ النفوس البشرية .

---

[١] التعريفات ص ٥٩

[٢] مشرب الأرواح ص ٤٧

[٣] اصطلاحات الصوفية ص ٨٥

[٤] اصطلاحات الصوفية ص ٦٥

[٥] معجم مصطلحات الصوفية ص ٨٥

وقال أيضاً :

الطريقة : هي السيرة والحالة التي هم فيها في الباطن والظاهر محبة لله فقط ، وهي ميل القلب الى شهود الرب)[1]

۞ الطوالع :

طَوَالع: (اسم) وهو جمع طالِع وجمع طالعة

الطَّالِعُ : الفَجْرُ الكاذبُ

الطَّالِعُ : السهمُ الذي يقَعُ وراء الهدف

الطَّالِعُ في اصَطِلاحِ الفَلكِيينَ : ما تنبأ به المنجّمُ من الحوادث بطلوع كوكب معين [2]

ومن شعر العرب :

سرَوا ونجُومُ اللّيْلِ زُهْرٌ طَوَالِعٌ ... عَلى أنّهُم باللّيْلِ للنّاسِ أنجُمُ

لَها أَسْهُمٌ لَا قاصِراتٌ عَنِ الحَشَى ... وَلَا شاخِصاتٌ عَنْ فُؤادي طَوالِعُ

وفي الاصطلاح الصوفي :

(الطوالع اول ما يبدو من تجليات الأسماء الإلهية على باطن الصوفي العابد ، فتحسن اخلاقه وصفاته بتنوير باطنه .

وقيل الطوالع هي انوار التوحيد تطلع على قلوب اهل المعرفة (وهم الصوفية) فتطمس سائر الأنوار) [3]

(والمطلع النظر الى عالم الكون والناظر حجاب العزة هو العماء والحيرة)[4]

يقول الشيخ الأكبر ابن عربي رحمه الله تعالى :

---

[1] موسوعة الكسنزان ١٤/٨٢-٨٣

[2] معجم المعاني الجامع

[3] الموسوعة الصوفية ص ١١٢٥

[4] اصطلاحات الصوفية ص ١٠٦ عن اصطلاحات ابن عربي ص ٢٩٧

(اهل المطلع ... الناظر الى الكون بعين الحقيقة)[1]

وينشد الجيلي رحمه الله تعالى عن المطلع :

تجلى حبيبي في مرائي جماله ففي كل مرأى للحبيب طلايع

فلما بدى حسنه متنوعا تسمى بأسماء فهن مطالع [2]

(المطلع هو مقام شهود المتكلم عند تلاوة آيات كلامه متجلياً بالصفة التي هي مصدر تلك الآية كما قال الامام جعفر بن مُحَمَّد الصادق رضي الله عنهما :

(لقد تجلى الله لعباده في كلامه ، ولكن لا يبصرون) [3]

وكان ﷺ يوماً في الصلاة فخرَّ مغشياً عليه فسُئل عن ذلك فقال ﷺ :

(ما زلت اكرر اية حتى سمعتها من المتكلم) [4]

قال الشيخ شهاب الدين السهروردي : كان لسان جعفر الصادق ﷺ في ذلك الوقت كشجرة موسى عليه السلام عند ندائه منها (بأني انا الله) ولعمري ان المطلع أعم من ذلك [5]

يقول الشيخ القشيري : الطوالع هي أنوار التوحيد ، تطلع على قلوب أهل المعرفة بشعاعها ، فيطمس سلطان نورها سائر الأنوار كما ان سلطان الشمس يخفي الكواكب [6]

۞ الطهارة :

(الطهارة نقيض النجاسة

---

[1] المعجم الصوفي ص ٧٣٨ عن الفتوحات ١٢٩/٢

[2] المعجم الصوفي ص ٧٣٨ عن مخطوط المكتبة الوطنية باريس رقم ٣٤٣٠ ورقه ٣٧ ب

[3] اصطلاحات الصوفية ص ٧٦

[4] جامع الأصول ص ١٥٤

[5] اصطلاحات الصوفية ص ١٠٦

[6] موسوع الكسنزان ٢٣٤/١٤

والطهارة، اسم يقوم مقام التطهر بالماء: الاستنجاء والوضوء.
والطهارة: فضل ما تطهرت به. والتطهر: التنزه والكف عن الإثم وما لا يجمل. ورجل طاهر الثياب أي منزه، ومنه قول الله عز وجل في ذكر قوم لوط وقولهم في مؤمني قوم لوط: إنهم أناس يتطهرون، أي يتنزهون عن إتيان الذكور .
والتطهر: التنزه عما لا يحل، وهم قوم يتطهرون أي يتنزهون من الأدناس.
وفي الحديث: السواك مطهرة للفم)[1]
والطهارة نوعان : طهارة مادية محسوسة كطهارة الجسم الظاهر من النجاسات الحسية ومثاله ، ما ورد فى قول الله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ﴾ [2]
وقوله سبحانه : ﴿ وَيَسْأَلونَكَ عَنْ المحِيضِ قُل هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلوا النِّسَاءَ فِي المحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمْ اللهُ ﴾ [3]
وكما في الحديث النبوي الشريف ، فعن أبي هريرة ﷺ، قال رسول الله ﷺ : (طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب ، أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب) [4]
وعن ابن مسعود ﷺ قال:
كُنَّا نعدُّ الآيات بركة، وأَنْتُم تعدُّونها تخويفاً. كنَّا مع رسول الله ﷺ في سفر فقلَّ الماء فقال: اطلبوا فضلة من ماءٍ، فجاءوا بإناءٍ فيه ماء قليل، فأَدخل يده في الإناء ثم قال:حيّ على الطهور المبارك والبركة من اللهِ عز وجل، فلقد رأيتُ الماءَ

[1] . لسان العرب ٤/٥٠٤
[2] المائدة/٦
[3] البقرة/٢٢٢
[4] مسلم كتاب الطهارة ١/٣٤٦ برقم ٢٧٩

ينبع مِنْ بين أصابع رسولِ اللهِ ﷺ، ولقد كُنَّا نسمعُ تسبيح الطعام وهو يؤكل [١]

والنوع الثاني من الطهارة هي طهارة القلب فى الباطن من النجاسات المعنوية ، كالشرك وسائر الذنوب ومثاله ما ورد فى قوله تعالى : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾[٢]

وقوله عز وجل : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾[٣]

وقوله سبحانه وتعالى:﴿ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون﴾ [٤]

وقد تحتمل الآية الدلالة على الطهارة الحسية والمعنوية معا ، كقوله تعالى :

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾[٥]

وما ورد في حديث رسول الله ﷺ الذي رواه عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه :

اللَّهُمَّ لكَ الحَمْدُ مِلْءُ السَّماءِ، ومِلْءُ الأرْضِ، ومِلْءُ ما شِئْتَ مِن شيءٍ بَعْدُ اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي بالثَّلْجِ والْبَرَدِ، والْماءِ البارِدِ اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي مِنَ الذُّنُوبِ والْخَطايا، كما يُنَقَّى الثَّوْبُ الأبْيَضُ مِنَ الوَسَخ [٦]

الطهارة فى الاصطلاح الصوفى :

---

[١] البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام حديث رقم ٣٤١٧

[٢] التوبة/١٠٣

[٣] الأحزاب/٥٣

[٤] المائدة: ٦

[٥] الحج/٢٦

[٦] صحيح مسلم كِتَابُ الصَّلَاةِ بَابُ مَا يَقُولُ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ حديث رقم ٧٧٦ ومسند أحمد برقم ١٩١٤١ والترمذي برقم ٣٥٤٧ والنسائي ٤٠٢

الطهارة هي النظافة ، للصلاة ، وضوءاً او غسلاً او تيمماً .

وهي نوعان : نظافة الظاهر ، وتنظيف الباطن وكلاهما مترابطتان متكاملتان ... الأولى تستلزم وجود الماء لتطهير البدن والثوب ، والثانية تستلزم صحة الإعتقاد وتطهير القلب مما يُبعِدُ عن الله .

وهذا هو الفهم الصوفي للطهارة : تطهير الظاهر والباطن .

يقول الله تعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [1]

أي المتنزهين عن الفواحش والأقذار ..... وحَمْلُ التطهر على التنزه هو الذي تقتضيه البلاغة وهو مجاز على مافي الأساس [2]

يقول الشيخ كمال الدين القاشاني :

الطهارة يعني بها : التخلي عن رذائل الأخلاق ليصح التحلي بحميدها .

وتارة يعبر بالطهارة عن مجموع الأمرين [3]

فالصوفي كما يطهِّر جسمه وملابسه من النجاسة الظاهرة ينبغي ان يطهِّر باطنه من الحرام ، فيطهر يديه عن مسك الحرام ، ويطهر عينيه من النظر الى ما حرَّم الله ، وان يطهِّر قدميه من المشي الى ما لا يُرضي الله ، وأن يطهر قلبه من الخواطر الخبيثة والشرك ومن الغل والحسد وسوء الظن ، وأن يطهر عموم باطنه من نجاسة الحرام .

فالطهارة فى الاصطلاح الصوفى ترد على المعنى الظاهر فى الشرع ، وعلى معنى باطن يعنى التخلى عن رذائل الأخلاق ليصح التحلى بحميدها ، فمن الطهارة على المعنى الأول ، قول السراج الطوسى :

---

[1] البقرة ٢٢٢

[2] روح المعاني ١ / ٥١٧

[3] لطائف الإعلام ص ٣٧٥

(ومن آدابهم أيضا أن يكونوا دائما على الطهارة فى سفرهم ، وأصلهم فى ذلك ، أنهم لا يدرون متى تأتيهم المنية لقوله تعالى :

فَإِذَا جَاءَ أَجَلهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ [1]

يريدون بذلك إن جاءهم الموت بغتة ، يخرجوا من الدنيا على الطهارة) [2]

ويذكر السراج الطوسى أن طائفة من الصوفية ادعت الصفاء والطهارة على الكمال والدوام ، وأن ذلك لا يزول عنهم ، وزعموا أن العبد يصفوا من جميع الكدورات والعلل بمعنى البينونة منها ، وقد غلطوا فى ذلك ، لأن العبد لا يصفوا على الدوام من جميع العلل ، وإن وقعت له الطهارة وقتا ، فلا يخلو من العلل وإنما تصفو له وقتا دون وقت على مقدار أماكنهم ، فيذكر الله بنعت الصفاء

والطهارة تكون لقلب العبد من الغل والحسد والشرك والتهم [3]

(فأما الصفاء الذى لا يحتمل العلة ، والطهارة من جميع أوصاف البشرية على الدوام بلا تلوين ولا تغيير ، ليس ذلك من صفات الخلق ، لأن الله تعالى هو الذى لا تلحقه العلل ولا تقع عليه الأغيار ، والخلق مراد بالابتلاء ، أنى يخلون من العلل والأغيار وحكم العبد إذا كان ذلك كذلك ، أن يتوب إلى الله تعالى ، ويستغفر الله تعالى فى كل وقت ، لقول الله عز وجل :

وَتُوبُوا إِلى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا المؤْمِنُونَ لعَلكُمْ تُفْلحُونَ [4]) [5]

و(الطاهر : هو من عصمه الله عن المخالفات .

---

[1] الأعراف/٣٤

[2] اللمع ص١٩٧:١٩٨

[3] اللمع ص٥٤٧

[4] النور/٣١

[5] اللمع ص٥٤٧

وطاهر الظاهر : من عصمه الله عن المعاصي .

طاهر السر : من لا يذهل عن الله طرفة عين .

وطاهر السر والعلانية : من قام بتَوْفيَة حقوق الحق والخلق جميعاً لسعته برعاية الجانبين) [١]

فيما يقصر الشيخ عبد العزيز الدباغ الطهارة على داخل الإنسان لأن ذلك سيقود لتطهير خارجه ..يقول الشيخ عبد العزيز الدباغ :

(الطهارة : هي عبارة عن صفاء الروح ، الصفاء الذي خلقت عليه)[٢]

ويقول الشيخ أحمد الكمشخانوي النقشبندي : (عند الصوفية الطهارة : عصمة الله من المخالفات)[٣]

العارف

العارف : المعرفة إدراك الشئ بتفكر وتدبر لأثره [٤]

(والمعرفة والعرفان معرفة الشيء بتفكر في أثره فهو أخص من العلم ، وأصله من عرفت أي أصبت عرفه أي رائحته ويضاد المعرفة الإنكار ويضاد العلم الجهل) [٥]

قال تعالى : ﴿ وجاء أخوة يوسف فدخلوا فعرفهم وهم له منكرون﴾ [٦]

وقال تعالى :﴿ هَل عَلِمْتُمْ مَا فَعَلتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلونَ﴾ [٧]

---

[١] معجم اصطلاحات الصوفية ص ٨٥

[٢] الإبريز ص ٥١

[٣] جامع الأصول ١٢١/٢

[٤] لسان العرب ٢٣٦/٩

[٥] روح المعاني ٧ / ٩

[٦] يوسف / ٥٨

[٧] يوسف/٨٩

والمعرفة أخص من العلم لأنها تدل عليه باللزوم ، فكل معرفة لازمها العلم وليس العكس .

وقوله تعالى : (فعرفهم) لقوة فهم يوسف عليه السلام ولكون همته معقودة بهم وبمعرفة أحوالهم لا سيما زمن القحط ولعله عليه السلام كان مترقباً مجيئهم اليه لما يعلم من تأويل رؤياه .

وقوله تعالى : (وهم له منكرون) انهم منكرون له لمحض انه سبحانه لم يخلق العرفان في قلوبهم تحقيقا لما أخبر انه سينبئهم بأمرهم وهم لا يعلمون .

وإنكارهم له لا ينفى علمهم بوجود العزيز أمامهم ، إنما ينفى أنهم عجزوا عن إدراكه وتمييز أوصافه المحفوظة لديهم كأخ لهم .

وقد قال سبحانه وتعالى : ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾[1]

والعارف غير العالم ، فيقال عرفت الله ولا يقال علمت الله ، فالعلم يستخدم فيما يُدرك بطريق الكسب أي التحصيل والتعليم والتلقين ، أما صاحب المعرفة فمختص بمعرفة الله وبالله ، فيقال عارف بالله ، ومن هنا كان قوله سبحانه وتعالى : فدخلوا عليه فعرفهم [2] وقوله تعالى : تعرفهم بسيماهم [3]

وقوله سبحانه وتعالى : وعلى الأعراف رجال [4]

والمعرفة تقتضي وجود العلم السابق بالشيء محفوظا فى ذاكرة الإنسان ،

ومثاله من القرآن قوله : ﴿ الذِينَ آتَيْنَاهُمْ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [5]

---

[1] النحل/٨٣

[2] يوسف / ٥٨

[3] البقرة ٢٧٣

[4] الاعراف ٣٦

[5] البقرة/١٤٦

وقد استعملت المعرفة في الحديث النبوي الشريف .

فعن أنس ﷺ قال : مرَّ النبي ﷺ بإمرأة تبكي عند قبر ، فقال : (اتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي) فقالت : إليك عني ، فأنك لم تُصَب بمصيبتي ، ولم تعرفه .

فقيل لها : انه النبي ﷺ ، فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بَوَّابينَ، فقالت: لم أعرفك فقال عليه الصلاة والسلام :(إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى) [1]

وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما: أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ أي الإسلام خير؟

قال: تطعم الطعام، وتَقرأ السلام على من عرفت وعلى من لم تعرف [2]

العارف فى الاصطلاح الصوفى :

العارف من أشهده الرب عليه فظهرت الأحوال عن نفسه ، والمعرفة حاله .

(وكان ابو العباس المرسي عارفاً بالله ، يعني أشهده الله ذاته وأسماءه وصفاته وأفعاله ، فالمعرفة حالة تحدث عن شهود ، بينما القشيري والكلاباذي وغيرهم علماء بالله ، فما حصّلوه عن وجوده تعالى هو علم كالعلوم)[3]

(والمعرفة فى الاصطلاح الصوفى ، صفة من عرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته ثم صدق الله تعالى فى معاملاته ، ثم تنقى عن أخلاقه الرديئة وآفاته ، ثم طال بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكافه ، فحظى من الله تعالى بجميل إقباله ،

---

[1] رواه البخاري ١/٤٣٠، في باب (زيارة القبور)، برقم ١٢٢٣ورواه مسلم ٢/٦٣٧، في باب (الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى)، حديث ٩٢٦.

ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن أبي شيبة والبيهقي في السنن الكبرى

[2] البخاري كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها باب فضل المنيحة برقم ٢٦٣١ و مسلم كتاب الإيمان باب بيان تفاضل أمور الإسلام برقم ٨٥

[3] الموسوعة الصوفية ص ١١٣٠

وصدق الله فى جميع أحواله وانقطع عنه هواجس نفسه ، ولم يصغ بقلبه إلى خاطر يدعوه إلى غيره ، فإذا صار من الخلق أجنبياً ، ومن آفات نفسه برياً ، ومن المساكنات والملاحظات نقياً ، ودام فى السر مع الله تعالى مناجاته ، وحق فى كل لحظة إليه رجوعه ، وصار محدثا من قبل الحق سبحانه بتعريف أسراره فيما يجريه من تصاريف أقداره ، يسمى عند ذلك عارفا وتسمى حالته معرفة)[1]

ونادرا ما نجد صوفيا لم يتكلم فى المعرفة أو لم يسأل عنها ،

روى عن أبى يزيد البسطامى أنه سئل ما علامة العارف ؟ ، فقال : ألّا يفتر من ذكره ولا يمل من حقه ، ولا يستأنس بغيره [2]

وأجاب أيضا : (العارف لا يرى فى نومه غير الله ، ولا فى يقظته غير الله ، ولا يوافق غير الله ، ولا يطالع غير الله تعالى) [3]

وسئل عن درجة العارف ؟ فقال : ليس هناك درجة بل أعلى فائدة العارف وجود معروفه [4] .

ويذكر لذى النون المصرى أنه سئل عن نهاية العارف ؟ فأجاب قائلا : إذا كان كما كان حيث كان قبل أن يكون [5]

ويعنى بذلك موافقته للميثاق الغيبى الذى أقر فيه بالتوحيد ، وأجاب مرة بقوله : (هو رجل معهم باين عنهم) [6]

---

[1] الرسالة القشيرية ٢/٦٠١

[2] طبقات الصوفية ص٧٢

[3] الرسالة القشيرية٢/٦٠٦

[4] طبقات الصوفية ص٦٩

[5] التعرف ص١٣٦

[6] التعرف ص١٣٦

وأيضا سئل الجنيد ما العارف ؟ فقال : من لم يأسره لحظه ولا لفظه [١] .

وقال السراج الطوسى : سئل بعضهم ما المعرفة ؟

فقال : تحقيق القلب بإثبات وحدانيته بكمال صفاته وأسمائه ، فإنه المتفرد بالعز والقدرة والسلطان والعظمة ، الحى الدائم الذى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير بلا كيف ولا شبه ولا مثل ، بنفى الأضداد والأنداد والأسباب عن القلوب [٢] .

ويرى المتصوفون انه اذا تجلت انوار بهجة الحضرة ، أبت ان يطّلع عليها الا المؤمن الأمين على سرها ،لإتصافه بالأدب مع الكتمان فيسمى العارف الولهان.

ويعرف ابن سينا الفيلسوف المتصوف ، العرف بأنه (المتعرف بفكره الى قدس الجبروت مستديماً شروق نور الحق على سره) [٣]

اما السيد احمد الرفاعي ﷺ فيقول (ان العارف هو من لا يخلو ظاهره من بوارق الشريعة ، وباطنه من نيران المحبة ، يقف مع الأمر ، ولا ينحرف عن الطريق ، وقلبه يتقلب على جمر الوجد ، وجده ايمان ، ووقوفه اذعان)[٤]

اما ابو بكر الكلاباذي والذي كان دليل وجدانه ورود المعارف عليه ، فيعرفه بأنه (هو الذي بذل مجهوده فيما لله ، وتحققت معرفته بما منَّ الله ، وصح رجوعه من الأشياء لله)[٥]

---

[١] طبقات الصوفية ص١٥٩

[٢] اللمع ص٦٣

[٣] الفاظ المتصوفة عن ابن سينا الاشارات والتنبيهات ٣ /٢٢٥

[٤] البرهان المؤيد ص ٤٣

[٥] التعرف ص ١٣٨

اما الشيخ الأكبر ابن عربي فيتخطى الفهم السائد للعارف فيرى بأن العارف كل من كشف له عالم الملك والملكوت ، فيرى الله في كل شيء ، حيث يقول: (العارف من يرى الحق – أي الله تعالى – في كل شيء ، بل يراه عين كل شيء) [1]

فينقل ﷺ مفهوم العارف من المعنى العام والذي يدور حول العلم بالأمور الدنيوية ، الى العارف لحقيقة المعرفة والتي تقوم على انكشاف يوجب رفع الغطاء عن الذي استتر وتغطى .

(واولى الدرجات التي يرقاها العارف هي التحير ، ثم الافتقار ، ثم الاتصال ، ثم التحير . والحيرة الأولى في افعاله ونعمه عنده ، فلا يرى شكره يوازي نعمه .

والحيرة الثانية : ان يتحير في متاهات التوحيد ، فيضل فهمه في عظم قدرة الله وهيبته وجلاله .

ونهاية العارف تتحقق فقط اذا كان العارف كما كان حيث كان قبل ان يكون ، ومعنى ذلك ان يشاهد الله وافعاله دون شاهده وافعاله) [2]

(ووقت العارف تعبر عنه هذه اللطيفة : لون الماء هو لون الإناء ، يعني انه لا وقت له ، وانه ابن وقته ، وانه يكون في كل حال بما هو أولى ، ومن ثم تختلف احواله .

وقد سُئل ذو النون عن العارف فقال : كان هنا فذهب .. ، يعني انك لن تراه في وقتين بحالة واحدة ، لأن مُصَـرِّفَـه غيره .

والعارف اذا ترك أدبه عند معرفته فقد هلك مع الهالكين أي تلف ورجع .

والفرق بين المؤمن والعارف : ان المؤمن ينظر بنور الله ، والعارف ينظر بالله عز وجل .

---

[1] الفاظ المتصوفة ص ٢١١

[2] انظر الموسوعة الصوفية ص ١١٣١

وللمؤمن قلب ، وليس للعارف قلب .

وقلب المؤمن يطمئن بالذكر ، ولا يطمئن العارف بسواه .

والفرق بين المعرفة والإيمان : ان المعرفة للعارف موهبة ووجد ، والإيمان نور وعطاء) [1]

۞ العبادة والعبودية :

عِبادة: (اسم) والجمع : عبادات

(العبوديَّة: الخضوع والتذلل، العابد: الموحد. . . عبد اللَّه يَعْبُدُه عبادة ومعبدًا ومعبدة: تأله له، التعبُّد: التنسك. العِبَادة: الطاعة، طريق معبد: مذلل. . .، المِعَبدُ: المِكَرَّم المِعَظَّمُ) [2]

واصطلاحا ; العبادة هي كل ما يشترط فيه نية القربة ، كالصلاة والصوم والزكاة والحج .

فيقال بعير معبد أي مذلل ، وطريق معبد أي مذلل، ذللته الأقدام .

والعبادة أعلى مراتب الخضوع لله تعالى والتذلّل له على وجه التعظيم .

وعبادة الله سبحانه وتعالى هي الغاية التي من أجلها خُلِق الإنسان، والوسيلة التي من خلالها تستقيم حياته ، ويحصل على رضا الله والسعادة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [3]

وبها أرسل جميع الرسل كما قال نوح لقومه:

﴿ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [4]

---

[1] انظر الموسوعة الصوفية ص ١١٣١- ١١٣٣

[2] لسان العرب: مادة (عَبَدَ) ١٠/٩

[3] الذاريات: ٥٦

[4] الأعراف:٥٩

وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم لقومهم ، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ ﴾ [1] ، وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [2]

فعبادة الله تعالى هي جوهر الأديان وأساس كل الرسالات وبها أمر الله كل الرسل بتبليغها للناس .

وقال الراغب الأصفهاني:

(العبوديَّة: إظهار التذلَّل، والعبادة ضربان: عبادة بالتسخير، وعبادة بالاختيار، والعبد يقال على أربعة أضرب: الأول: عبد بحكم الشرع، وهو الإنسان الذي يصح بيعه وابتياعه، الثاني: عبد بالإيجاد، وذلك ليس إلَّا لله، الثالث: عبدٌ بالعبادة والخدمة، والناس في هذا ضربان: عبد لله مخلص، وعبدٌ للدنيا وأغراضها، وهو المعتكف على خدمتها ومراعاتها)[3]

وفي الاصطلاح الصوفي :

تتوافق العبادة والعبودية في الاصطلاح الصوفي مع الأصول القرآنية والنبوية فى أغلب عبارات القوم .

فيقول عنها اهل التصوف انها ذلة .. وخضوع .. ومسكنة [4]

وحينما يقول شيخ الطائفة الجنيد رحمه الله تعالى :

(التصوف بيت ، والشريعة بابه) [5] فأنه بذلك انما يؤكد العلاقة الوثيقة والمترابطة بين العبادة والتصوف بل التمازج بينهما فالباب جزء من البيت .

---

[1] النحل:٣٦

[2] الأنبياء:٢٥

[3] مفردات ألفاظ القرآن: مادة (عَبَد) ص ٣١٩

[4] معجم الفاظ الصوفية ص ٧٦٦

[5] الرسالة القشيرية ص ١٣٩

والعبودية بمعني الانقياد والاستسلام هي التي جاءت في قوله تعالى ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ﴾ [1]

وقد يكون لغير الله سبحانه كما في الحديث الشريف (تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة) [2]

ولرجال التصوف اقوال تدل في مجملها على أداء العبودية وتوحيد الله وكما دعا إليها الإسلام ، كقول ذي النون المصري : (الصوفية قوم آثروا الله تعالى عن كل شيء فآثرهم الله عن كل شيء)[3]

ويناظره قول الجنيد بن مُحَمَّد ، سيد الطائفة في عصره : (التصوف أن يميتك الحق عنك ويحييك به)[4]

وكذلك أيضا قول أبي بكر الشبلي في حد الصوفي وتعريفه : (هو من انقطع عن الخلق واتصل بالحق) [5]، والمعنى نفسه نجده عند أبى القاسم المقرئ الرازي: (التصوف استقامة الأحوال مع الحق) [6]

ويرى الشيخ الأكبر ابن عربي (العبادة من حيث هي ذاتية فليست سوى افتقار الممكن الى المرجح)[7]

وان (العبادة لا تصح من غير شهود وان صح العمل ، فالعمل غير العبادة . فإن العبادة ذاتية للخلق) [8]

---

[1] مريم٣٠

[2] سنن ابن ماجة ١٣٨٦/٢ برقم ٤١٣٦

[3] الرسالة ٥٥٥/٢

[4] الرسالة ٥٥١/٢

[5] الرسالة ٥٥٤/٢

[6] طبقات الصوفية ص٥١١

[7] المعجم الصوفي ص ٧٧٥ عن الفتوحات ٥٣٩/٢

[8] المعجم الصوفي ص ٧٧٥ عن الفتوحات ١١٩/٤

ويرى الشيخ الأكبر ان العبودية لله في كل الأحوال :

(ان الله هو المعبود في كل معبود من خلف حجاب الصورة) [١]

ويقول ايضاً :

العبادة : اسم حقيقي للعبد ، فهي ذاته وموطنه وحاله وعينه ونفسه وحقيقته ووجهه [٢]

ويرى الشيخ شقيق البلخي :

ان العبادة : حرفة حانوتها : الخلوة ، وآلتها : المجاعة [٣]

والعبودية عند الشيخ الجنيد البغدادي :

(العبودية : ان لا تشكو عن أحد ، ولا يشكو منك أحد ، وان لا تقصّر في خدمة الحق ، وان لا تدبّر بعد تقديره .

ويقول ايضاً : العبودية : ترك هذين الشيئين : السكون الى غير الله تعالى ، والاعتماد على الحركة ، فإذا فقد عنك هذان فقد أديت حق العبودية .

ويقول أيضاً : العبودية ترك الأشغال ، والاشتغال بالشغل) [٤]

۞ العَدْلُ :

العدل : (ما قام في النفوس أنه مستقيم وهو ضد الجور ، وفي أسماء الله سبحانه : العدل وهو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم .

والعدل : الحكم بالحق ، يقال : هو يقضي بالحق ويعدل ، وهو حكم عادل : ذو معدلة في حكمه ، والعدل من الناس : المرضي قوله وحكمه) [٥]

---

[١] المعجم الصوفي ص ٧٧٥ عن الفتوحات ٣٥٣/٢

[٢] الفتوحات المكية ١٥٣/٢

[٣] احياء علوم الدين ٨٢/٣

[٤] موسوعة الكسنزان ٣١/١٥

[٥] لسان العرب ٦٢/١٠

ويأتي العدل بمعانٍ فيكون بمعنى : الفدية كما في قوله تعالى :

﴿ وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [1]

(والعدل بمعنى الفدية : قاله ابن عباس رضي الله عنهما ، وروي ايضاً البدل أي رجل مكان رجل ، وأصل العدل بفتح العين (ما يساوي الشيء) قيمة وقدراً ، وان لم يكن من جنسه وذكر الواحدي ان (عدل) الشيء بالفتح والكسر بمعنى مثله ، وانشد قول كعب بن مالك :

صبرنا لا نرى لله عدلاً على ما نابنا متوكلينا

وقال الثعلبي : العدل الكفيل والرشوة)[2]

ويكون بمعنى الفقيه في الدين كما في قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾[3]

ويكون العدل بمعنى القسط وعدم الظلم كما في قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ ﴾ [4]

ويأتي العدل بمعنى الفطنة والمعرفة والتمييز كما في قو له تعالى :

﴿ فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ [5]

ذوا عدل منكم لهم فطنة يميزان بها أشبه الأشياء به

ويكون العدل بمعنى التسوية والمكافئة ، في قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ ﴾ [1]

---

[1] البقرة ٤٨

[2] روح المعاني ١/ ٢٥٣

[3] البقرة ٢٨٢

[4] النساء ٥٨

[5] المائدة ٩٥

وفي الاصطلاح الصوفي :

(العدل بين العوام هو بذل الإنصاف والعدل بين الخواص هو ترك الانتصاف . وقيل العدل تنزيه الباري تعالى وجماعة المؤمنين عن فعل القبيح والاخلال بالواجب)[٢]

و (المعنى الصوفي للعدل يرتفع عن مجرد احكام الميزان العقلي عن الشيء الى النفاذ في باطنه وهذا العدل هو العدالة فلكل حالة حكمها حسب ظاهرها وباطنها .

لأن العدل الظاهري يهتم بالمقاييس والأحكام الشكلية ، اما العدل الباطني فعلاوة على الشكل الظاهري فهناك القصد والنية ، والاخلاص ، والصدق ، والطاعة والتي على اساسها يكون تحقيق هذا النوع من العدل)[٣]

(والواقع ان الحكم الظاهري في لفظ العدل كثيراً ما يخطئ فكم من شخص مراء يتظاهر بالعدل ، اما العدل عند الصوفية فتحقيقه انما رهين بالصدق في الظاهر والباطن ، فتكون شريعة العبد هي حقيقته)[٤] وعند الشيخ ابن العربي رحمه الله تعالى فمفهوم العدل له دلالة خاصة (ان العدل هو الميل ، يقال : عدل عن الطريق إذا مال عنه ، وعدل اليه إذا مال اليه ،وسمي الميل إلى الحق عدلا ، كما سمي الميل عن الحق : جورا ، بمعنى ان الله خلق الخلق بالعدل ، اي ان الذات لها استحقاق من حيث هويتها ولها استحقاق من حيث مرتبتها وهي الألوهية ، فلما كان الميل مما تستحقه الذات لما تستحقه الألوهية التي تطلب

---

[١] الأنعام ١

[٢] الموسوعة الصوفية ص ١١٤٤

[٣] معجم الفاظ الصوفية ص ٢٠٨

[٤] معجم الفاظ الصوفية ص ٢٠٨

المظاهر لذاتها سمي ذلك : عدلا . اي ميلا من استحقاق ذاتي إلى استحقاق الهي ، لطلب المألوه ذلك الذي يستحقه)[1] وكذلك يقول الشيخ ابن عربي :

(ومن هذه الحضرة العجيبة (حضرة الحق) خلق الله العالم على صورته ومن هنا كان عادلاً ، لأنه تعالى عدل من حضرة الوجوب الذاتي الى الوجوب بالغير او الى حضرة الامكان ...وعدل ايضاً بالممكنات من حيث حضرة ثبوتها الى وجودها فلا يعقل في الوجود الا العدل ، فإنه ما ظهر الوجود الا بالعدل وهو الميل) [2]

ويقول الشيخ القشيري :

العدل عزَّ وجلَّ : من صفات ذاته ، بمعنى : أن له أن يفعل في ملكه ما يريد ، وجميع الخلائق ملكه فيفعل فيهم ما يريد [3]

ويقول الشيخ سهل بن عبد الله التستري :

العدل : قول لا اله إلا الله وان مُحَمَّداً رسول الله ، والاقتداء بسنّة نبيه صلى الله عَليه وسلم

۞ العنقاء :

عَنقاء: (اسم) والجمع للمذكر منه: عُنْق ، و الجمع للمؤنث : عنقاوات و عُنْق وهو صفة مشبَّهة تدلّ على الثبوت من عنِقَ .

والْعَنْقَاءُ : طائر وهمي لا وجود له الا في تصور الانسان وخياله .. وفي الاساطير ان العنقاء طائر عظيم يبعد في طيرانه ، وقيل إنّه طائر وهميّ يُضرَب به المثل في طلب المحال الذي لا يُنال وزعَم قُدماء المِصْريين أنَّه يُعَمَّر خمسة قرون وبعد أن يحرق نفسه ينبعث من رماده من جديد .

---

[1] المعجم الصوفي ص ٧٧٩ عن الفتوحات ٢ / ٦٠

[2] المعجم الصوفي ص ٧٨٠ عن الفتوحات ٤ / ٢٣٦

[3] لطائف الأعلام ص ٤١٦

والعُنُقُ : الرقبة ، وهي وصلةٌ بين الرأس والجسد ، يذكّر ويؤنّث .

والعُنُقُ من كل شيءٍ : أَوَّلُه

وفي التنزيل :﴿ فظلَّت أَعناقهم لها خاضعين﴾[1] ؛ أَي جماعاتهم ، على ما ذهب إليه أكثر المفسرين ، وقيل : أَراد بالأَعناق هنا الرِّقاب كقولك ذَلَّتْ له رقاب القوم وأَعْناقهم ، والله أَعلم بما أَراد .

وفي حديث أُم سلمة ، قالت : دخَلَتْ شاة فأَخذت قُرْصاً تحت دَنٍّ لنا فقمت فأَخذته من بين لَحْييها فقال ﷺ : ما كان ينبغي لكِ أَن تُعَنِّقِيها أَي تأخذي بعُنُقِها وتَعْصِريها[2]

وفي الحديث : الا ترى الناس مختلفةً أَعْناقُهم في طلب الدنيا[3] (أَي جماعات منهم) ، وقيل : أَراد بالأَعناق الرؤساء والكُبَرَاء كما تقدم ، ويقال : هم عُنُق عليه كقولك هم إِلْبٌ عليه ، وله عُنُق في الخير أَي سابقة .

وفي شعر العرب وردت في اقوالهم :

عَنْقاءُ مُغْنِقةٌ يَكُـــونُ أَنِيسُها ... وُرْقَ الحَمام جَميمُها لَمْ يُؤكل

إِذا اسْتُبْهِلَتْ أَو فَضَّها العَبْدُ حَلَّقَتْ ... بسَرْبك يوْم الوِرْدِ عَنْقاءُ مُغْرِب

فِي رَأْسِ خَلْقاءَ مِنْ عَنْقاءَ مُشْرِفَةٍ ... لَا يُبْتَغَى دُونَهَا سَهْلٌ وَلَا جَبَلُ

وفي الاصطلاح الصوفي :

يقول الشيخ الأكبر :

هو الهباء الذي فتح الله فيه أجساد العالم مع أنه لا عين له في الوجود إلا بالصورة التي فتحت فيه وإنما سمي بالعنقاء لأنه يسمع بذكره ويعقل ولا وجود له في عينه [1]

---

[1] الشعراء ٤

[2] القاموس المحيط ١١٧٩/١

[3] مسند احمد ١٣٩/٥ برقم ٢١٢٩٨

كما يقول أيضاً :

العنقاء : الهباء لا موجود ولا معدوم على انها تتمثل في الواقعة [٢]

(العنقاء يعبر عنها في اللغة بالداهية ، وأصل العنقاء طائر عظيم معروف الإسم مجهول الجسم .

ويقصد العرب بلفظ العنقاء الشيء المجهول او المستحيل ويستخدم أئمة الصوفية لفظ العنقاء بمعنى الهواء الذي فتح الله فيه اجساد العالم فهو بمثابة نفس العالم الذي يحيا ويتغذى به ، ولولاه ما تنفس العالم .

وهذا الاستخدام الصوفي لهذا اللفظ يعطي نفس المعنى اللغوي عن الشيء المعروف الأسم ، المجهول الجسم بطريقة مجازية) [٣]

وفي معجم مصطلحات الصوفية كان تعريف العنقاء على انها :

(الهباء الذي فتح الله الله فيه اجساد العالم ، مع انه لا عين له في الوجود الا بالصورة التي فتحت فيه .

وانما سمي بالعنقاء لأنه يسمع بذكره ويعقل ولا وجود له بعينه)[٤]

(وليس لهذا الجوهر الهبائي مثل هذا الوجود ، وهذا الاسم الذي اختص به منقول عن علي بن ابي طالب ﷺ ، واما نحن فنسميه العنقاء ، فانه يسمع بذكره ولا يعرف على الحقيقة الا بالأمثلة المضروبة)[٥]

ويقول الشيخ القاشاني :

---

[١] مشرب الأرواح ص ٤٨

[٢] الفتوحات المكية ٢/٣٢٠

[٣] معجم الفاظ الصوفية ص ٢١٤

[٤] معجم مصطلحات الصوفية ص ١٩٠ والتعريفات ص ٦٧

[٥] الفتوحات ٢ / ٤٣٢

العنقاء : عبارة عن الهيولي ، لأنها لا تُرى كالعنقاء ولا توجد إلا مع الصورة فهي معقولة وتسمى الهيولي المطلقة المشتركة بين الأجسام كلها وبالعنصر الأعظم[1]

۞ الغراب :

الغرب أقصى ما تنتهى إليه الشمس ، والغراب طائر معروف سمى بذلك لسواده ، وكونه مُبعدا في الذهاب وسمي الغراب غراباً لسواده

والعرب تقول : فلان أبصر من غراب ، وأشد سوادا من غراب . وإذا نعتوا أرضا بالخصب ، قالوا : وقع في أرض لا يطير غرابها . وطار غراب فلان إذا شاب رأسه[2]

ومنه قوله تعالى :

﴿وَمِنْ الْجِبَال جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُود﴾ [3]

واما الطائر فقد ورد ذكره في القران الكريم وبنفس المعنى المشار اليه كطائر اسود:﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ﴾[4]

وقوله تعالى:﴿قَالَ يَاوَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنْ النَّادِمِينَ﴾ [5]

وقد وردت كلمة الغراب في حديث رسول الله ﷺ :

فمن حديث عبد الله بن عمر قال رسول الله ﷺ (خمسُ فواسِقَ يُقتَلْنَ في الحِلِّ والحَرَمِ الفأرةُ والعَقْرَبُ والحِدَأَةُ والكَلبُ العَقورُ والغُرَابُ)[1]

---

[1] اصطلاحات الصوفية ص ١٣٣

[2] لسان العرب ٦٣٧/١

[3] فاطر/٢٧

[4] المائدة/٣١

[5] المائدة/٣١

وفي الاصطلاح الصوفي :

الغراب فى عرف الصوفية ، وضعوه على معنى الجسم الكلى لأنه يجمع بين البعد والسواد كالغراب ، قال ابن عربى :

(فقام الغراب ، وقال : أنا هيكل الأنوار ، ومحل الكيف والكم ، وأنا الرئيس المرؤوس ، ولى الحس والمحسوس ، بى ظهرت الرسوم ، أنا أصل الأشكال وبمراتب صورى تضرب الامثال ، أنا صورة الفلك ومحل الملك ، على صح الاستواء ، وعنى كنى بالمستوى ، وأنا اللاحق الذى لا ألحق كما العقاب ، والسابق الذى لا يسبق هو الأول وأنا الآخر ، وله الباطن ولى الظاهر ، قسم الوجود بينى وبينه وأنا أظهرت عزه وكونه) [٢]

يقول الجرجاني في التعريفات : (الغراب الجسم الكلي وهو أول صورة قبله الجوهر الهبائي وبه عم الخلاء وهو امتداد متوهم من غير جسم وحيث قبل الجسم الكلي من الأشكال الاستدارة علم أن الخلاء مستدير ولما كان هذا الجسم أصل الصورة الجسمية الغالب عليها غسق الإمكان وسواده فكان في غاية البعد من عالم القدس وحضرة الأحدية سمي بالغراب الذي هو مثل في البعد والسواد)[٣]

و(الغراب هو الجسم الكلي يسمى بذلك اشتقاقاً من الغربة ، فإنه موضع غربة النفوس عن عالمها القدسي ، والغراب مشهور بالبعد والغربة ، وهو ينعق بين ورق الحمام وهي النفوس) [٤]

و(يقصد بالغراب في اللغة الطائر الاسود ربما لكونه يبتعد في الذهاب او لأن

---

[١] البخاري (٣٣١٥)، ومسلم (١١٩٩) باختلاف يسير دون ذكر "في الحل"

[٢] المعجم الصوفي ص ٨٤٤

[٣] التعريفات ص ٦٨

[٤] المعجم الصوفي ص ٨٤٥ عن لطائف الأعلام ص ١٣٧

اسمه فيه معنى البعد كما فيه معنى السواد وذلك لقول بعضهم أغربه العرب أي السود منهم ، ولذلك شبهوا بالأغربة ، وقالوا ايضاً اسود غرابي أي شديد السواد .

ويرى الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي ان الغراب عند اهل الحق هو الجسم الكلي ، والعقاب هو العقل ، والورقاء هي النفس الكلية ، وفي رأينا ان الجسم الكلي يقصد به هذا البعيد في الذهاب عن الأصل التي هي الروح ، ومن حيث اللطافة ، اما الروح فهي لطيفة شفافة ، وقريبة من أصلها ، وهو الحق تعالى ، اما الغراب فهو جسم فيه حجاب حاجز بين الرقائق واللطائف والدقائق)[1]

۞ الغشاوة

غشاء : ستار ، ما يغطى به الشيء [2]

كما في قوله تعالى: ﴿عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [3]

﴿ ومن فَوْقهمْ غَواشٍ ﴾[4] : أغطية من النار جمع غاشية ،

وقوله تعالى : ﴿هل أَتاكَ حديث الغاشِيَة﴾[5] ؛ قيل : الغاشِيَة القيامة لأَنها تَغْشى الخَلْق بأَفْزاعِها [6] والغاشِيةُ : السُّؤَّالُ الذين يَغْشَوْنَكَ يَرْجُون فَضْلَكَ ومَعْرُوفَكَ .

---

[1] معجم الفاظ الصوفية ص ٢٠٤

[2] المفردات ٣٦١

[3] البقرة ٧

[4] الأعراف٤١

[5] الغاشية١

[6] في تفسير روح المعاني : خْرَجَ ابْنُ أَبِي حاتِمٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ قالَ: «مَرَّ النَّبِيُّ صَلّى اللَّهُ اللَّهُ تَعالى عَلَيْهِ وسَلَّمَ عَلى امْرَأةٍ تَقْرَأُ: ﴿هَلْ أتاكَ حَدِيثُ الغاشِيَةِ﴾ فَقامَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ

ومن حديث رسول الله ﷺ (كلما تصدق بصدقة انبسطت عنه حتى تغشى انامله.. الحديث)[1] وقوله ﷺ (من اكل من هذه الشجرة يريد الثوم فلا يغشِنا في مسجدنا)[2]

وحديث (فبينا هم كذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيباً .. الحديث)[3]

وتستعمل الغشاوة على نوعين [4] :

– الغشاوة فى المحسوسات كقوله تعالى :

﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنْ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ وَأَضَل فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ [5]

– الغشاوة فى المعنويات وهو الأغلب ، كقوله تعالى : ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمْ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّل عَلَيْكُمْ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ

والسَّلامُ يَسْتَمِعُ ويَقُولُ: «نَعَمْ قَدْ جاءَنِي».» و«الغاشِيَةُ» القِيامَةُ كَما قالَ سُفْيانُ والجُمْهُورُ وأُطْلِقَ عَلَيْها ذَلِكَ لِأنَّها تَغْشى النّاسَ بِشَدائِدِها وتَكْتَنِفُهم بِأهْوالِها. وقالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ وابْنُ جُبَيْرٍ:

هِيَ النّارُ مِن قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وتَغْشى وُجُوهَهُمُ النّارُ﴾ وقَوْلِهِ سُبْحانَهُ: ﴿ومِن فَوْقِهِمْ غَواشٍ﴾ ولَيْسَ بِذاكَ فَإنَّ ما سَيُرى مِن حَدِيثِها لَيْسَ مُخْتَصًّا بِالنّارِ وأهْلِها بَلْ ناطِقٌ بِأحْوالِ أهْلِ الجَنَّةِ أيْضًا.

[1] البخاري باب جيب القميص ٢١٨٥/٥ برقم ٥٤٦١

[2] مسلم باب نهي من اكل ثوماً ... ٣٩٥/١ برقم ٥٦٤

[3] صحيح ابن حبان ٤٦٧/١٦

[4] انظر المفردات ص ٣٦١

[5] طه/٧٨:٧٩

وَلِيَرْبِطَ عَلى قُلوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ ﴾[1] ، وقوله: ﴿ وَجَعَلنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ ﴾[2] قال مجاهد : سداً عن الحق يترددون في الضلالة [3]

وفي الاصطلاح الصوفي :

الغشاوة : ما يتركب على وجه مرآة القلب من الصدأ ، ويكل عين البصيرة ويعلو وجه مرآتها [4]

ويذكر القشيرى أن (غشاوة الأبصار تكون فى القلب بالجهالة والضلالة ولا يدخلها شئ من البصيرة والهداية ، فتسد المسامع وتحجب الأبصار عن إدراك خطاب الحق من حيث الإيمان ، فوساوس الشيطان وهواجس النفوس شغلتها عن استماع خواطر الحق ، فبصائر الأجانب عن الطريقة عليها غشاوة لا يشهدون ، لا ببصر العلوم ولا ببصيرة الحقائق ، قال تعالى : خَتَمَ اللهُ عَلى قُلوبِهِمْ وَعَلى سَمْعِهِمْ وَعَلى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ [5] وقال أيضا : أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلهُ اللهُ عَلى عِلمٍ وَخَتَمَ عَلى سَمْعِهِ وَقَلبِهِ وَجَعَل عَلى بَصَرِهِ غِشَاوَةً [6]) [7]

وقال الكاشانى : الغشاوة فى اصطلاح الصوفية كقول القائل :

أيا جسدى العواق لى عن مآربى أبن لست لى من جملة النصحاء

---

[1] الأنفال/١١

[2] يس/٩

[3] أخرجه البخارى فى القدر باب المعصوم من عصم الله ، فتح البارى ٥٠٢/١١

[4] التعريفات ص ٦٨

[5] البقرة/٧

[6] الجاثية/٢٣

[7] انظر لطائف الإشارات ٦٠/١

صحبتك إذ كانت لعينى غشاوة فلما أنجلت أفرغت منك وعاء [1]

الغوث :

غَوْث : مصدر غاثَ

(الغوث الإعانة والنصرة عند الشدة، و"ضُرب فلانٌ فغَوَّث تغويثاً أي قال: واغَوْثاه، أي من يغيثني. والغَوْث الاسم من ذلك)[2]

ولم يرد في القران الكريم بصيغة الاسم بل ورد بصيغة الفعل ، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾[3]

وقالت العرب في اشعارها :

أَتَاكَ عَلَى قُنُوطٍ مِنْكَ غَوْثٌ ... يَمُنُّ بِهِ اللَّطِيفُ الْمُسْتَجِيبُ

أَبِيتُ حَيْثُ تُسامِينِي أَوائِلُها ... أَنْزُو وأَخْلِطُ تَسبيحاً بتَغْوِيثِ

وفي الاصطلاح الصوفي :

هو القطب حينما يُلتجأ إليه ولا يسمى في غير ذلك الوقت غوثا [4]

و(القطب عند الصوفية عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله من العالم في كل زمان، وهو على قلب إسرافيل عليه السلام)[5]

(وفي الميثيلوجيا رواية تقول :

ان الغوث اسمه عبد الله وهو على رأس رجال الله .

واذا مات الغوث حلَّ محله واحد من العُمُد .

---

[1] لطائف الإعلام ١٨٠/٢

[2] العين ٤٤٠/٨

[3] الأنفال ٩

[4] معجم الفاظ الصوفية ص ٢٧

[5] اصطلاحات الشيخ محيي الدين العربي ص ٢٨٦، وانظر: اصطلاحات الصوفية ص٨٠

وقيل مسكن الغوث بمكة ، وقيل انه كان الشيخ الجيلاني غوثاً ولم يكن يسكن مكة بل بغداد)[1]

وقال الشيخ الجرجاني :

القطب، وقد يسمى غوثاً باعتبار التجاء الملهوف إليه، وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضوع نظر الله في كل زمان، أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه، وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة، والظاهرة، سريان الروح في الجسد، بيده قسطاس الفيض الأعم، وزنه يتبع علمه، وعلمه يتبع علم الحق، وعلم الحق يتبع الماهيات غير المجعولة فهو يفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل [2]

۞ الغَيْبَة :

الغَيْبَة وجمعها غَيْبات وهي مصدر غابَ/ يغيب

والغيبة بفتح فسكون ، البعد والتواري

(والغَيْبَة مأخوذة من الغيب : وهو كل ما غاب عنك .

وكل مكان لا يُدرى ما فيه ، فهو غيب ؛ وكذلك الموضع الذي لا يُدرى ، ما وراءه .

وقد ورد الغيب في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ أي يؤمنون بما غاب عنهم ، مما أخبرهم به النبي ﷺ من أمر البعث والجنة والنار . وكل ما غاب عنهم مما أنبأهم به ﷺ فهو غيب) [3]

وعلاّم الغيوب : الله سبحانه وتعالى، عالمٌ بما خَفِيَ وبِكلِّ الأَسرارِ وبما سَيَحْدُثُ ﴿ عالِمُ الغَيْبِ والشَّهادَة ﴾ [4]

---

[1] الموسوعة الصوفية ص ١١٧٣

[2] التعريفات ص٢٢٧

[3] لسان العرب ١٦٢/١١

[4] الانعام ٧٣

وقول الشاعر :

أتاني أخٌ من غَيْبةٍ كان غائبًا ... وكنتُ إذا ما غابَ أنشدهُ رَكْبا

وفي الاصطلاح الصوفي :

الغَيبَة : هي غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق بل من أحوال نفسه بما يرد عليه من الحق إذا عظم الوارد واستولى عليه سلطان الحقيقة فهو حاضر بالحق غائب عن نفسه وعن الخلق ومما يشهد على هذا قصة النسوة اللاتي قطعن أيديهن حين شاهدن يوسف فإذا كانت مشاهدة جمال يوسف تفعل مثل هذا فكيف تكون مشاهدة أنوار ذي الجلال [١]

والغيبة عند القوم : (أن يغيب عن حظوظ نفسه فلا يراها) [٢]

ويقول القشيري والكمشخانوي: (هي غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق بما يرد عليه، ثم قد يغيب عن غيره فقط، وقد يغيب عن غيره وعن نفسه أيضاً إذا عظم الوارد) [٣]

وينشد الكمشخانوي:

أيا من يرى الأسباب أعلى وجوده ويفرح بالتيه الدنيّ و بالأنس

فلو كنت من أهل الوجود حقيقة لغبت عن الأكوان والعرش والكرسي

وكنت بلا حال مع الله واقفاً خليّاً عن التذكار للجن والأنس [٤]

ويقول الطوسي: (المراد من الغيبة غيبة القلب عما دون الحق إلى حدّ أن يغيب عن نفسه، حتى أنه بغيبته عن نفسه لا يرى نفسه)[١]

---

[١] التعريفات ص ٦٩

[٢] التعرف لمذهب أهل التصوف ص: ١٤

[٣] الرسالة القشيرية (٢٣٢/١) , أيضاً جامع الأصول في الأولياء للكمشخانوي ص: ٢٥٤

[٤] جامع الأصول في الأولياء ص: ١٢٥

يحكون عن ذي النون المصري أنه: (بعث إنساناً من أصحابه إلى أبي يزيد، لينقل إليه صفة أبي يزيد. فلما جاء الرجل إلى بسطام سأل عن دار أبي يزيد ولما التقى بأبي يزيد سأله : ماذا تريد؟ فقال: أريد أبا يزيد.

فقال له أبو يزيد: من أبو يزيد ؟ وأين أبو يزيد ؟ أنا في طلب أبي يزيد ...

فخرج الرجل، وقال: هذا مجنون

ورجع الرجل إلى ذي النون فأخبره بما شاهد، فبكى ذو النون وقال، أخي أبو يزيد ذهب في الذاهبين إلى الله) [٢]

فهذه هي الغيبة الصوفية ، أن الإنسان ليستغرق في ذكر الله تعالى ومحبته حتى أنه ينسى نفسه .

هذا ويذكر القشيري صوفياً غاب فكره وذهنه وعقله وفهمه، وهو أبو علي الدقاق، فيحكي عن أبي نصر المؤذن بنيسابور أنه قال: (كنت أقرأ القرآن في مجلس الأستاذ أبي علي الدقاق بنيسابور، وقت كونه هناك وكان يتكلم في الحج كثيراً، فأثر في قلبي كلامه، فخرجت إلى الحج تلك السنة، وتركت الحانوت والحرفة، وكان الأستاذ أبو علي رحمه الله قد خرج إلى الحج أيضاً في تلك السنة، وكنت مدة كونه بنيسابور أخدمه وأواظب على القراءة في مجلسه، فرأيته يوماً في البادية: تطهَّر ونسي قمقمة كانت بيده، فحملتها، فلما عاد إلى رحله وضعتها عنده، فقال: جزاك الله خيراً. حيث حملت هذا.

ثم نظر إليَ طويلاً كأنه لم يرني قطَ، وقال: رأيتك مرة. فمن أنت؟ فقلت: المستغاث بالله، صحبتك مدة، وخرجت من مسكني ومالي بسببك, وتقطعت في المفازة بك، والساعة تقول: رأيتك مرة) [١]

---

[١] أنظر: كتاب اللمع ص: ٤١٦

[٢] الرسالة القشيرية ١/٢٣٤, ٢٣٥

وذلك لأنه كان غائباً عن نفسه: وحكى عن أبي عقال أنه (دخل عليه بعض الفقراء فقال له: سلام عليكم. فقال له أبو عقال: وعليكم السلام، فقال الرجل: أنا فلان فقال أبو عقال: أنت فلان، كيف أنت؟ وكيف حالك؟ وغاب عن حالته. قال هذا الرجل، فقلت له: سلام عليكم.

فقال: وعليكم السلام، وكأنه لم يرني قط.

ففعلت مثل هذا غير مرة، فعلمت أن الرجل غائب فتركته، وخرجت من عنده)[٢]

وحكاية أخرى حكاها كل من القشيري وابن الملقن وعماد الدين الأموي، وتبيَن حقيقة هذا المصطلح، فينقلون عن الجنيد أنه:

(كان قاعداً، وعنده امرأته، فدخل عليه الشبلي، فأرادت امرأته أن تستتر، فقال لها الجنيد: لا خبر للشبلي عنك، فاقعدي.

فلم يزل يكلَمه الجنيد، حتى بكى الشبلي، فلما أخذ الشبلي في البكاء قال الجنيد لامرأته: استتري، فقد أفاق الشبلي من غيبته) [٣]

فهذه هي الغيبة الصوفية ، وهي : أن الإنسان ليستغرق في ذكر الله تعالى ومحبته حتى أنه ينسى نفسه كما ينسى ما حوله لأنه مستغرق فيمن هو أعظم وأجلُّ .

۞ الْفَتى

فتى مصدر فتي

---

[١] الرسالة القشيرية ٢٣٤/١

[٢] الرسالة القشيرية ٢٢١/١

[٣] أنظر: الرسالة القشيرية ٢٣٣/١ , أيضاً طبقات الأولياء ٢١١

(الفتى :الطريُّ من الشباب والأنثى فتاة والمصدر فتاءٌ ، ويكنى بهما عن العبد والأمَة ، قال تعالى : امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ وجمع فتى فتية وفتيان ومنها قوله تعالى : إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى)[1]

والفتى : السخي الكريم ، وَذُو النجدة والمروءة ، والشجاع ، وَالْخَادِم وَفِي التَّنْزِيل ﴿ قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا ﴾ [2] وهو هنا التابع

قال عبد الرحمن بن عوف ﷺ : (إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت ، فإذا عن يميني وعن يساري فَتَيان حديثا السن ، فكأني لم آمَن بمكانهما ، إذ قال لي أحدهما سرا من صاحبه ، يا عم أرني أبا جهل ؟ فقلت : يا ابن أخي وما تصنع به ؟ قال : عاهدت اللَّه إن رأيته ، أن أقتله أو أموت دونه فقال لي الآخر سرا من صاحبه مثله قال : فما سرني أني بين رجلين مكانهما فأشرت لهما إليه، فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه وهما ابنا عفراء [3]

ويطلق الفتى على الكبير من الشباب ، كقوله تعالى عن أهل الكهف فى وصف قوة العقل والإيمان عندهم : ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [4]

وعن عثمان بن عفان ﷺ ، قال : خرج رسول اللَّه ﷺ على فتية من المهاجرين فقال : من كان منكم ذا طول فليتزوج ، فإنه أغض للطرف وأحصن للفرج ومن لا ، فإن الصوم له وجاء [5]

والفتى الذى يبادر عن غيره فى مشاق الأمور وسعيه إلى الأفضل ، ومن ذلك ما روى عن ابن عباس ﷺ ، قال رسول اللَّه ﷺ يوم بدر : (من فعل كذا وكذا

---

[1] المفردات ٣٧٣

[2] الكهف / ٦٠

[3] البخاري كتاب المغازي ٣٥٨/٧ برقم ٣٩٨٨

[4] الكهف/١٣

[5] النسائى فى صحيحه برقم ٩٣٣ وصححه الشيخ الألبانى : ١٤٦/٢

، فله من النفل كذا وكذا ، فتقدم الفتيان ولزم المشيخة الرايات ، فلم يبرحوها ، فلما فتح الله عليهم ، قال المشيخة : كنا ردءاً لكم ، لو انهزمتم لفئتم إلينا ، فلا تذهبوا بالمغنم ونبقى ، فأبى الفتيان ، وقالوا : جعله رسول الله ﷺ لنا فأنزل الله : يَسْأَلُونَكَ عَنْ الانْفَالِ قُلْ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ [1])[2]

الفتوة فى الاصطلاح الصوفى :

الفتوة في الاصطلاح الصوفي ان تؤثر الخلق على نفسك ، وان لا ترى لنفسك فضلاً على غيرك ، وان تكف الأذى وتبذل الندى وتترك الشكوى .

والفتوة اسم أطلقه المتصوفة على مجموعة من الفضائل ، أخصها الكرم والسخاء والمروءة والشجاعة تميز المتصف بها عن غيره من الناس وقوامها الإيثار .

ورأس الفتوة الإيمان ، فأصحاب الكهف وصفهم رب العزة بالفتية حين وصفهم بالإيمان بربهم ، فترادفت الصفتان فيهم .

ووردت صفة الفتى حين ذُكر نبي الله ابراهيم عليه السلام حين كسر الأصنام ، فكأن فتوته كانت بكسر الأصنام وهي رمز الشرك الحسي وبه دلالة على كسر الصنم النفسي المعنوي .

وقال بعضهم في تفسير قوله تعالى﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾[3] : إن الفتوة هنا هي كسر الصنم الوارد في القصة، وصنم كل إنسان نفسه؛ فمن خالف هواه فهو فتى على الحقيقة .

يقول الشيخ الجنيد ﷺ : الفتى من يبذل الندى ، ويكفَّ الأذى ، ويترك الشكوى [4]

---

[1] الأنفال/١

[2] أبو داود فى الجهاد ٢٧٣٧ وصححه الشيخ الألبانى : ٧٧/٣

[3] الأنبياء:٦٠

[4] الموسوعة الصوفية ص ١١٨١

يقول أبو بكر الأهوازي موضحًا معنى الفتوة لدى الصوفية: «إن أصل الفتوة ألا ترى لنفسك فضلًا واحدًا».

ويقول القشيري في الفصل الذي عقده عن الفتوة: «أصل الفتوة أن يكون العبد أبدًا في أمر غيره» [1]

ومما ورد عنهم فى الفتوة ، ما روي :

(أن مشايخ بغداد من الصوفية اجتمعوا عند أبى حفص النيسابورى وسألوه عن الفتوة ؟ ، فقال : تكلموا أنتم ، فإن لكم العبارة واللسان ، فقال الجنيد : الفتوة إسقاط الرؤية ، وترك النسبة ، فقال أبو حفص : ما أحسن ما قلت ، ولكن الفتوة عندى ، آداء الإنصاف ، وترك مطالبة الإنصاف ، ولما أراد أبو حفص الخروج من بغداد شيعه من بها من المشايخ والفتيان ، فلما أرادوا أن يرجعوا ، قال له بعضهم : دلنا على الفتوة ما هى ؟ فقال : الفتوة تؤخذ استعمالا ومعاملة لا نطقا فتعجبوا من كلامه ، وسئل أيضا : هل للفتى من علامة ؟ ، قال : نعم من يرى الفتيان ولا يستحى منهم فى شمائله وأفعاله فهو فتى)[2]

وعند الفيرزابادي : الفتوة من الفتاء بمعنى الشباب ، والفتى بمعنى الشاطر وهو الذي أعيا أعدائه ذكاءً ، وبمعنى العيّار وهو الذكي كثير التطواف ، والشطّار كانوا صوفية يبتصرون للفقراء .

وعند ابن الجوزي :

(العيّارون يسمون الفتيان ، وكان العرب يطلقون فتى الفتيان على بعضهم ، وفتى العشيرة على خالد بن الوليد ، وكان يقال فتى قريش لمصعب بن الزبير ، وفتى العسكر لأبي عبد الله مُحَمَّد بن منصور بن زياد الغساني ، وشيخ الفتيان للفضيل بن عياض ، وسيد الفتيان للحسن البصري .

---

[1] الرسالة القشرية ص١٧٦

[2] طبقات الصوفية ص ١١٨

ويقال ان الفتى هو من شرب ماء الفتوة وكان سعيد بن جبير من الفتيان .
والفتوة عند عثمان المكي هي حُسن الخُـلـُق .
وكان الفتى يرتدي ثوب الزعفران العـُصفر)[1]
ولإبن الرسول رسالة في الفتوة يبدؤها فيقول : (الحمد لله مُعزِّ الفتيان والفتوة ، وجاعلها إرث الإمامة والنبوة ، وجعل لأهلها أنساباً .
وروي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قوله عن علامات فتيان الصوفية : إن الفتوة والمروءة طعام موضوع ، ونائل مبذول ، واصطناع معروف ، وأذى مكفوف .
وقال الصوفي عمرو بن سلم النيسابوري : الفتوة إداء الإنصاف ، وحُسن أدب الظاهر والباطن ، وتؤخذ استعمالاً ومعاملة لا كلاماً .
وقال ابن عربي :الفتيان تلامذة الملامتية ، والملامتية شيوخهم ، لا تـُظهر ظواهرهم ما في بواطنهم ، ويتقلب تلامذتهم في أطوار الرجولية)[2]
وروى عن أبى عبد الله السجزى أنه قيل له : (لما لا تلبس المرقعة ؟ ، فقال : من النفاق أن تلبس لباس الفتيان ، ولا تدخل فى حمل أثقال الفتوة ، إنما يلبس لباس الفتيان من يصبر على حمل أثقال الفتوة ، فقيل له : ما الفتوة ؟ ، فقال : رؤية أعذار الخلق وتقصيرك وتمامهم ونقصانك والشفقة على الخلق كلهم برَّهم وفاجرهم ، وكمال الفتوة هو ألا يشغلك الخلق عن الله عز وجل) [3]
وحكى عن رويم بن أحمد البغدادى أنه سئل عن الفتوة ؟ فقال : (أن تعذر إخوانك فى زلاتهم ، ولا تعاملهم بما تحتاج أن تعتذر منه) [4]

---

[1] انظر الموسوعة الصوفية ص ١١٨١
[2] انظر الموسوعة الصوفية ص ١١٨٣
[3] طبقات الصوفية ص ٢٥٥
[4] طبقات الصوفية ص ١٨٣

وقد استدل أبو القاسم القشيرى للفتوة بقوله تعالى : إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى [1] وأصل الفتوة عنده أن يكون العبد ساعيا أبدا فى أمر غيره ، لقوله ﷺ : لا يزال الله تعالى فى حاجة العبد ما دام العبد فى حاجة أخيه [2])[3]

ويقول ابن عربى : (فالفتى من لا خصم له ، لأنه فيما عليه يؤديه وفيما له يتركه فليس له خصم ، والفتى من لا تصدر منه حركة عبثا جملة واحدة) [4]

فالفتى الصوفي:من كانت له دعوى يدافع عنها ويضحي بنفسه في سبيلها، ويعيش بين الناس حاملاً لواءها مثل :

(– «الفتوة: الصفح عن عثرات الإخوان».

– «الفتوة: ألَّا ترى لنفسك فضلًا على غيرك».

– «الفتوة: اتباع السنة».

– «الفتوة: الوفاء والحفاظ»؛ أي حفظ الحدود وعدم تعديها وغير ذلك) [5]

فالفتيان كانوا يؤثرون إخوانهم على أنفسهم، مع أخذ أنفسهم بالزهد الكامل.

۞ الفرار

الفرار الروغان والهروب [6]

قال الله تعالى : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [7] فحقيقة الفرار: الهرب من شيء إلى شيء. وهو نوعان:

---

[1] الكهف/١٣

[2] مسلم كتاب الذكر والدعاء ٤/٢٠٧٤ برقم ٢٦٩٩

[3] انظر الرسالة القشيرية ٢/٤٧٢

[4] الفتوحات المكية ٤/ ٤٦

[5] الرسالة القشيرية ص١٧٧

[6] لسان العرب ٥/٥٠

[7] الذاريات/٥٠

فرارالمؤمنين : الفرار إلى الله عز وجل . وفرار العصاة : الفرار منه لا إليه .

وأغلب أقوال المفسرين لا تخرج عن تلك المعاني السابقة في تفسير الآية، فكلها ترجع إلى معنى واحد في أن المقصود هو: الفرار من المعصية إلى الطاعة أي: الفرار من أسباب غضب الله تعالى إلى أسباب رحمته.

والفرار يقال فى المحسوسات وغيرها .

وقد ورد الفرار بالمعنى المحسوس في القران الكريم كما في قول الله تعالى عن موسى عليه السلام :

﴿ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُم﴾ [1] أي خرجت هارباً

وقوله تعالى : ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴾[2]

وفي الحديث النبوي الشريف استُعملت كلمة الفرار بهذا المعنى .

فعن أسامة بن زيد ﷺ انه سمع رسول الله ﷺ يقول :

الطاعون رجز أو عذاب أرسل على بني إسرائيل أو على من كان قبلكم فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه [3]

[3]

وقوله عليه الصلاة والسلام من حديث أبي هريرة ﷺ :

فر من المجذوم كما تفر من الأسد [4]

وأما استعمال الفرار في الهرب غير المحسوس او الملموس فكما في قوله تعالى :

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾[5] أي اتركوا ما سواه [1]

---

[1] الشعراء/٢١

[2] المدثر/٥١

[3] صحيح مسلم كتاب السلام باب الطاعون والطّيرةِ برقم ٤٢٢٦

[4] مسند أحمد بن حنبل ٤٤٣/٢ برقم ٩٤٢٩

[5] الذاريات/٥٠

وفي السُنـَّة الطاهرة :

من حديث أبي هريرة ﷺ ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم انه قال : يقول الله عز وجل للملائكة الطوافين في الطرق ، يلتمسون أهل الذكر : فمم يتعوذون ؟ يقولون : من النار ، يقول : وهل رأوها ؟ يقولون : لا والله يا رب ما رأوها ، يقول : فكيف لو رأوها ؟ يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فرارا ، وأشد لها مخافة [٢]

الفرار فى الاصطلاح الصوفى :

الفرار فى الاصطلاح الصوفى ، يطلق على سرعة انتقال الصوفى من حال مذموم إلى حال محمود ، فيفر عما يشغله عن طاعة الله ، ويبعثه على معصيته وعن دواعى القوى ، واستيلاء الهوى ، والميل إلى الدنيا ، ومقتضيات الطبيعة الجاذبة إلى الجهة السفلى ، وعن أغراض النفس المفسدة للأعمال ، كطلب الأعواض بها فى الدارين ، وعن إهمال شرائط الرعاية والحرمة ، وكل ما يشغله عن الحق فى البين ، وعن كل ما يزرى بالمروءة ، ويشين المرء فى طريق الفتوة وعن كل ما يفتر العزم فى السلوك [٣] .

(الفرار هو الهرب من الخلق ، وهو على مراتب :

الأولى : الفرار من الجهل الى العلم .

والثانية : الفرار مما دون الحق :

ويحكى عن ابراهيم الخواص أنه تاه في الصحراء ، وظل أحد عشر يوماً لا يأكل حتى تطلعت نفسه أن يأكل من حشيش البر ، فرأى الخضر مقبلاً عليه فهرب منه ، وسألوه لماذا هربت ؟ فقال : تشوّفت نفسي ان يغيثني .

---

[١] روح المعاني ١٤ / ٢٠

[٢] البخارى كتاب الدعوات ٢١٢/١١ برقم ٦٤٠٨

[٣] معجم اصطلاحات الصوفية ص٢٠٠

فهؤلاء هم الفرارون بدينهم الذين قال فيهم رسول الله ﷺ :أحبُّ شيء الى الله الغرباء ، قيل ومن الغرباء يا رسول الله ؟ قال : الفرّارون بدينهم) [1]

ويقول الشيخ القاشاني : الفرار هو الهرب مما يبعد عن الحق تعالى الى ما يقرب اليه [2]

ويقول الشيخ مُحَمَّد بن وفا الشاذلي : الفرار هو نفرة الإرادة المحكمة عن دواعي الإلهام [3]

۞ الفناء

الفناء : نقيض البقاء، والفعل فني يفنى فناء فهو فان، والفِناء سعة أمام الدار .

وتفانى القوم قتلاً، أفنى بعضهم بعضاً، وتفانوا أي أفنى بعضهم بعضاً في الحرب، وفني يفنى فناء هرم وأشرف على الموت هرماً [4]

ويرد الفناء بمعنى الموت والهلاك ، كقوله تعالى : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ ﴾[5]

وكما في قول رسول الله ﷺ : اللهم اجعل فناء امتي قتلاً في سبيلك بالطعن والطاعون [6]

وقد يرد الفناء بمعنى انتهاء الموجودات المحسوسة كما في قول ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها : توفي رسول الله ﷺ وترك عندنا شيئاً من شعير فما زلنا نأكل منه حتى كالته الجارية فلم يلبث ان فني ولو لم تكله لرجوت ان يبقى أكثر[1]

---

[1] الموسوعة الصوفية ص ١١٨٣

[2] لطائف الإعلام ص ٤٥٦

[3] موسوعة الكسنزان ٢٧٣/١٧

[4] لسان العرب ١٦٤/١٥ و العين ٣٧٦/٨

[5] الرحمن/٢٦:٢٧

[6] مسند احمد ٣٣٨/٤ برقم ١٨١٠٥ ومجمع الزوائد ٣١٢/٢

وقول سليمان بن يسار : فني علف حمار سعد بن ابي وقاص فقال لغلامه خذ من حنطة أهلك فابتع بها شعيراً ولا تأخذ الا مثله [٢]

ويكون الفناء انتهاء غير المحسوسات كما في الحديث الذي رواه أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : " أتدرون ما المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم ، فطرحت عليه ثم طرح في النار [٣]

وقد يراد بالفناء المساحة التي امام البناء كما في حديث ابي هريرة ﷺ رأيت رسول الله ﷺ قاعداً في فناء الكعبة بعضه في الظل وبعضه في الشمس واضعاً احدى يديه على الأخرى [٤]

ومارواه عوف بن يسار الأشجعي : اتيت رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وهو في خباء من أدم فجلست في فناء الخباء فسلمت فرد عليَّ فقال ادخل يا عوف [٥]

ويرد الفناء بمعنى الابتعاد والافتراق كما في حديث ابن عمر الذي يقول فيه : ان رسول الله ﷺ تزوج امرأة من بني غفار فلما ادخلت عليه رأى بكشحها بياضاً ، فناء عنها فقال ارخي عليك فخلى سبيلها ولم يأخذ منها شيئاً [١]

---

[١] صحيح ابن حبان ٣٢٥/١٤ برقم ٦٤١٥

[٢] الموطأ ٦٤٥/٢ برقم ١٣٢١

[٣] مسلم ١٩٩٧/٤ برقم ٢٥٨١ و مسند احمد ٣٧١/٢ برقم ٨٨٢٩ وصحيح ابن حبان ٢٥٩/١٠ برقم ٤٤١١

[٤] سنن البيهقي الكبرى ٢٣٧/٣ برقم ٥٧١٥

[٥] صحيح ابن حبان برقم ٦٦٧٥

وفي الاصطلاح الصوفي :

الفناء ، هو فناء رؤيا الأعمال ببقاء رؤيا العبد ، لقيام الحق للعبد بذلك ، وكذلك فناء الجهل بالعلم ، وفناء الغفلة بالذكر [٢]

يروى عن إبراهيم بن شيبان أنه قال :

(علم الفناء والبقاء يدور على إخلاص الوحدانية وصحة العبودية ، وما كان غير هذا فهو من المغاليط والزندقة) [٣]

وقال أبو بكر الكلاباذى :

(الفناء هو أن يفنى عنه الحظوظ فلا يكون له فى شئ من ذلك حظ ، ويسقط عنه التمييز ، فناء عن الأشياء كلها ، وشغلا بما فنى به ، والحق يتولى تصريفه ، فيصرفه فى وظائفه وموافقاته فيكون محفوظا فيما لله عليه ، مأخوذا عما له ، وعن جميع المخالفات ، فلا يكون له إليها سبيل وهو العصمة ، والبقاء الذى يعقبه ، هو أن يفنى عما له ويبقى بما لله) [٤]

ويذكر أبو القاسم القشيرى (أن القوم أشاروا بالفناء إلى سقوط الأوصاف المذمومة ، وقيام الأوصاف المحمودة ، فمن ترك مذموم أفعاله بلسان الشريعة ، يقال : إنه فنى عن شهواته ، فإذا فنى عن شهواته ، بقى بنيته وإخلاصه فى عبوديته ، ومن زهد فى دنياه بقلبه ، فنى فى رغبته ، فإذا فنى عن رغبته فيها ، بقى بصدق إنابته ، ومن عالج أخلاقه ، فنفى عن قلبه الحسد والحقد والبخل

---

[١] سنن البيهقي الكبرى ٢١٤/٧ برقم ١٣٩٩٩

[٢] اللمع ص٥٤٣

[٣] طبقات الصوفية ص٤٠٤

[٤] التعرف ص١٢٣

والشح والغضب والكبر ، وأمثال هذا من رعونات النفس يقال فى عرفهم : فنى عن سوء الخلق ، فإذا فنى عن سوء الخلق ، بقى بالصدق فى ضدها) [1].

وقال الشيخ عبد القادر الجيلانى : (افن عن الخلق بإذن الله تعالى ، وعن هواك بأمر الله تعالى ، وعن إرادتك بفعل الله تعالى ، وحينئذ تصلح أن تكون وعاءا لعلم الله تعالى ، فعلامة فنائك عن خلق الله تعالى ، انقطاعك عنهم وعن التردد إليهم واليأس مما فى أيديهم ، وعلامة فنائك عن هواك ترك التكسب والتعلق بالسبب فى جلب النفع ودفع الضر، تكل ذلك كله إلى الله تعالى ، وعلامة فنائك عن إرادتك بفعل الله أنك لا تريد مراداً قط ، ولا يكون لك غرض ، ولا يبقى لك حاجة ولا مرام ، فتفنى عن أخلاق البشرية) [2].

ويعرف السهروردى الفناء بقوله : (أن يفنى عن الحظوظ فلا يكون له فى شئ حظ ، بل يفنى عن الأشياء كلها شغلا بمن فنى فيه ، وقيل الفناء هو الغيبة عن الأشياء كما كان فناء موسى حين تجلى ربه للجبل) [3].

ويقول الشيخ ابن عربى : (الفناء أن تفنى الخصال المذمومة عن الرجل ، والبقاء أن تبقى وتثبت الخصال المحمودة فى الرجل ، فالسالكون يتفاوتون فى الفناء والبقاء ، فبعضهم فنى عن شهوته يعنى ما يشتهيه من الدنيا فإذا فنيت شهوته بقيت فيه نيته ، وإخلاصه فى عبوديته ، ومن فنى عن أخلاقه الذميمة كالحسد والكبر والبغض وغير ذلك ، بقى فى الفتوة والصدق) [4]

وفي معجم الصوفية : (الفناء والبقاء متكاملان ، فالعبد اذا زهد في دنياه بقلبه فإن ذلك يعني انه فني عن رغبته في الدنيا وزخرفها وفي نفس الوقت بقي

---

[1] الرسالة القشيرية ١/٢٢٨-٢٢٩

[2] فتوح الغيب ص١٢

[3] عوارف المعارف ص٥٢٠

[4] الفتوحات ٢/٥١٥

الصدق والحق فيها ، ومن استولى عليه سلطان الحقيقة فلم يشهد من الأغيار لا عيناً ولا أثراً ، أي انه لم يجد لغير الله بديلاً من الخلق ، ولم يهتم الا بالحق تعالى ، يقال عنه انه فني عن الخلق وبقي بالحق ، أي فني عن بشريته ، وبقي مع الله ولله وفي الله بروحانيته)[1]

(والصوفية يحذرون من الوقوف في بداية الفناء لأن ذلك يسبب الخلط ويوقع المريد في الاتهام بالشرك ، كما حدث للحلاج عندما قنع بالفناء وقال ((حتى ظننت انك أني)) ولذلك يجب السلوك الى فناء الفناء وهو البقاء في عمق ابعاده ولك ذلك بارادة الله)[2]

و (الفناء بزوال الرسوم جميعاً بالكلية، في عين الذات الأحدية، مع ارتفاع الإثنينية، وهو مقام المحبوبية)[3]

۞ الفيض :

فَيض: (اسم) وجمعه : فُيوض وفيوضات وهو مصدر من فَاضَ يفيض (فاض الماء والدَّمعُ ونحوهما أَي كثر حتى سالَ على ضَفّةِ الوادي. وفاضَتْعينُه تَفِيضُ فَيْضاً إِذا سالت. ويقال: أَفاضَتِ العينُ الدمعَ تُفِيضُه إِفاضة، وفاضَ الماء والمطرُ والخيرُ إِذا كثر) [4]

وبهذا المعنى يكون الفيض الجريان بسهولة في قول الله عز وجل :

﴿ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ ﴾[5]

ويكون الفيض اندفاعاً كالسيل في قوله عزَّ من قائل :

---

[1] معجم الفاظ الصوفية ص ٢٢٨

[2] معجم الفاظ الصوفية ص ٢٢٨

[3] اصطلاحات الصوفية للقاشاني ص٢١٢

[4] لسان العرب ٢١٠/٧

[5] المائدة ٨٣

﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾[1]

وقوله تعالى : ﴿ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[2]

أفضتم فيه : خضتم فيه من الحديث باندفاع ، والافاضة مستعارة من إفاضة الماء في الإناء

وفي السنّة الشريفة ورد الفيض في قوله ﷺ :

إِنَّ يَمِينَ اللَّهِ مَلْأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ؟ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْفَيْضُ ، أَوِ الْقَبْضُ يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ [3]

وفي شعر العرب :

أبُو عُتَبَةَ الفَيَّاض وَيْحَكِ فَاعْلَمِي ... وشَبِيبَة وَالحَامِي الذِّمَارِ وَلِيدُهَا

وفي الإصطلاح الصوفي :

(الفيض في المعنى الحسي يقال عن الماء اذا جرى بسهولة ويسر كما يقال في الفيض المعنوي ويقصد به الجود والعطاء الالهي .

ويستخدم الصوفية لفظ الفيض بمعنى ان الحق تعالى يسبغ بعض نعمه على احبائه ظاهرة ، وباطنة بفتح رباني .

فالصوفي الهاجر لمجلس الخلق ، يقنع بالذكر حتى يقدح في القلب فيفيض الله عليه بنعمه واسراره لمجالسته له)[4]

فيما يرى صاحب معجم مصطلحات الصوفية أن : (الفيض هو ما يفيده التجلي الالهي ، وانما يتعين ويتقيد بحسب التجلي .

---

[1] البقرة١٩٩

[2] النور ١٤

[3] البخاري ٢٦٩٩/٦ برقم ٦٩٨٣

[4] معجم الفاظ الصوفية ص ٢٢٩

فإن كان التجلي له عيناً ثابتة غير موجودة يكون هذا التجلي بالنسبة اليه تجلياً وجودياً فيفيد الوجود .

وان كان المتجلى له موجوداً خارجياً كالصورة المسواة يكون التجلي بالنسبة اليه بالصفات ويفيد صفة غير الوجود كصفة الحياة ونحوها) [1]

وعند الشيخ الأكبر ابن عربي الذي يرى ان الخلق ليس ايجاداً من العدم بل هو ظهور وتجلي الهي فيما لا يحصى عدده من صور الموجودات .

فالحق يخلق الموجودات بلغة ابن عربي : يتجلى في صورتها .

وهذا الفيض الالهي على نوعين يشكلان مرحلتين في منطق النظام الوجودي لا في واقع الأمر : فيض أقدس وفيض مقدس .

على ان حقيقة الأمر ان الفيض دائم مستمر .

(ومن شأن الحكم الالهي انه ما سوّى محلاً الا ويقبل روحاً الهياً ، عبّر عنه بالنفخ فيه ، وما هو الا حصول الاستعداد من تلك الصورة المسواة ، لقبول الفيض التجلي الدائم الذي لم يزل ولا يزال ، وما بقي الا قابل والقابل لا يكون الا من فيضه الأقدس)[2]

(فسبحان من عيّن الأعيان بالفيض الأقدس وكوّن الأكوان بالفيض المقدس)[3]

(والحق تعالى وهّاب على الدوام ، فيّاض على الاستمرار والمحل قابل على الدوام) [4]

(يقول الباحث مُحَمَّد غازي عبادي :

الفيض هو ورود الصور في شريط الخيال ومعنونة بالرموز التي يتعلم السالك

---

[1] معجم مصطلحات الصوفية ص ٢٠٨

[2] معجم الفاظ الصوفية ص ٨٩١ عن فصوص ٤٩/١

[3] معجم الفاظ الصوفية ص ٨٩١ عن مرآة العارفين

[4] معجم الفاظ الصوفية ص ٨٩١ عن الفتوحات ٥٧/١

تأويلها بالمقارنة . قال سبحانه وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ [1]
وليس إلا صاحب الكشف يمكنه من أن يضرب بسهم في هذا الميدان .
فلو أن عالما أراد أن يقف على أسرار علوم التأويل وتهيأ لها وجند من أجلها كل طاقاته وإمكاناته ، ثم استمر على التعليم والتهيؤ عشرات السنين لما استطاع أن يأتي بتفسير واحد من مستوى تأويل آية من آيات الله .
لذلك خصت الصوفية بهذا العلم المبارك وتميزوا به عن الآخرين) [2]

۞ الفيض الأقدس :

الفيض الأقدس هو عبارة عن التجلي الحسي الذاتي الموجب لوجود الأشياء واستعداداتها في الحضرة العلمية ثم العينية كما قال كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف ...الحديث [3]
وعند الشيخ الأكبر ابن عربي :
(الفيض الأقدس : هو مرتبة العماء ، وهو تجلي الذات الأحدية لنفسها في صور جميع الممكنات التي يتصور وجودها فيها بالقوة .
فهو اول درجة من درجات التعينات في طبيعة (الوجود المطلق) ولكنها تعينات معقولة لا وجود لها في عالم الأعيان الحسية ، بل هي مجرد قوابل للوجود .
وهذه الحقائق المعقولة او الصور المعقولة للمكنات هي التي يطلق عليها ابن عربي اسم (الاعيان الثابتة) للموجودات .
ويضيف ابن عربي احياناً على عبارة الفيض الأقدس كلمة الساري .
فيقول الفيض الأقدس الساري وذلك لأن الفيض الأقدس هو اول بالنسبة للمقدس وكل اول سار) [1]

---

[1] يوسف ٢١
[2] موسوعة الكسنزان ٦٠٠/١٧
[3] التعريفات ص ٧٢

أما الشيخ عبد القادر الجزائري فيقول :

(الفيض الأقدس عند الطائفة العلية عبارة عن التجلي الحبي الذاتي الموجب لوجود الأشياء واستعداداتها في الحضرة العلمية ثم العينية)[٢]

۞ القبض والبسط :

القَبْضُ : (تناول الشيء بجميع الكف نحو قبض السيف وغيره ومنه قوله تعالى فَقَبَضْتُ قَبْضَةً [٣]فقَبضُ اليد على الشيء جمعُها بعد تناوله ، وقبضتها عن الشيء : جمعها قبل تناوله وذلك إمساك عنه ، وإمساك اليد عن البذل : قَبضٌ) [٤]

والقَبْضُ : خِلافُ البَسْط وقبَضَ الطائرُ جناحَه : جَمَعَه .

وتَقَبَّضَتِ الجلدةُ في النار أَي انْزَوَتْ .

وقوله تعالى : ويَقْبِضُون أَيديَهم ؛ أَي عن النفقة ، وقيل : لا يُؤْتون الزكاة .

والله يَقْبِضُ ويبسُط : أَي يُضَيِّقُ على قوم ويُوَسِّع على قوم .

والقَبْضة : ما أَخذت بِجُمْعِ كفِّك كله ، فإِذا كان بأَصابعك فهي القَبْصةُ ، بالصاد . وفي أَسماء الله تعالى : القابِضُ ، هو الذي يُمْسِكُ الرزق وغيره من الأَشياء عن العِبادِ بلُطْفِه وحِكمته ويَقْبِضُ الأَرْواحَ عند المِمات .

وفي السنّة :

إِنَّ يَمِينَ اللَّهِ مَلْأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ؟ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَبِيَدِهِ

---

[١] المعجم الصوفي ص ٨٨٩

[٢] موسوعة الكسنزان ٦٠١/١٧

[٣] طه / ٩٦

[٤] المفردات ص ٣٩١

الْأُخْرَى الْفَيْضُ ، أَوِ الْقَبْضُ يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ [1]

وقوله ﷺ (فَاطِمَةُ شُجْنَةٌ مِنِّي يَبْسُطُنِي مَا بَسَطَهَا ، وَيَقْبِضُنِي مَا قَبَضَهَا ، وَإِنَّهُ يَنْقَطِعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَنْسَابُ وَالْأَسْبَابُ إِلَّا نَسَبِي وَسَبَبِي)[2] ، أَي أَكره ما تكرهه وأَنْجَمِعُ مما تنجمع منه .

وفي شعر العرب :

لعمري لقد وارت وضمت قُبُورهم ... أكفا شَدَّاد الْقَبْض بالأسل السمر

ويقال : الخَيْرُ يَبْسُطُه والشرُّ يَقْبِضُه .

والبَسْط :

بَسَطَ الشيء نشره وتوسَّعَه ، فتارة يتصور منه الأمران وتارة أحدهما ، ويقال بسط الثوب نَشَرَهُ ومنه البساط وذلك اسم لكل مبسوط ومنه قوله تعالى : وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا ، والبساط الأرض المتسعة ، وقوله تعالى : وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ أي لو وسَّعه ، وقوله تعالى : اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ أي سعة قال بعضهم زاده بسطة في العلم فانتفع به هو وغيره فصار له به بسطة أي جود ،

وبسط اليد مدها ، قال تعالى : وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ، وبسط الكف يستعمل تارة للطلب كما في قوله تعالى : كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ، وتارة للأخذ نحو قوله تعالى : وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ ، وتارة للصولة والضرب كقوله تعالى : وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ ، وتارة بمعنى البذل والإعطاء كما في قوله تعالى : بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ) [3]

---

[1] البخاري ٦/٢٦٩٩ برقم ٦٩٨٣

[2] مجمع الزوائد ٩/٢٠٣

[3] المفردات ص ٤٦

وفي حديث فاطمة رِضْوانُ الله عليها (فاطمة شجنة مني يبسُطُني ما يبسُطُها ويقبضني ما يقبضها)[1] أَي يسُرُّني ما يسُرُّها لأَن الإِنسان إِذا سُرَّ انبسط وجهُه واستَبْشر .

(وبسَط إِليَّ يده بما أُحِبّ وأَكره ، وبسطُها مَدُّها ، وفي التنزيل العزيز : ﴿ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾اي مددت يدك .

والبَصْطةُ ، بالصاد : لغة في البَسْطة)[2]

والبسط : في مقام القلب بمثابة الرجاء في مقام النفس وهو وارد يقتضيه اشارة الى قبول ولطف ورحمة وأنس ، ويقابله القبض ، كالخوف في مقابلة الرجاء لمقام النفس .

وفي الاصطلاح الصوفي :

(يستخدم الصوفية البسط ضد القبض... ويريدون بالقبض غلبة الخوف، وبالبسط غلبة الرجاء على القلب، فإذا خاف الصوفي من وعيد الله كان قبضاً وإذا رجا صوفي وعد الله ونعيم الله كان بسطاً، ويرى بعض أئمة الصوفية أن الله تعالى إذا كاشف عبداً بنعت جلاله قبضه، وإذا كاشفه بنعت جماله بسطه)[3]

و(البسط : هو عندنا من يسع الأشياء ولا يسعه شيء وقيل هو حال الرجاء وقيل هو واردٌ توجبه إشارة إلى قبول ورحمة وأنس)[4]

و(القبض : حال الخوف في الوقت وقيل واردٌ يرد على القلب توجبه إشارة إلى عتاب وتأديب وقيل أحد وارد الوقت)[1]

---

[1] مجمع الزوائد باب مناقب فاطمة بنت رسول الله ﷺ ٢٠٣/٩

[2] لسان العرب مادة بسط

[3] ألفاظ الصوفية ص٢٥٦

[4] اصطلاح الصوفية، ص:١٧١

يقول القشيري : ومن أدنى موجبات القبض ان يرد على قلبه وارد موجبه اشارة الى كتاب ورمز باستحقاق تأديب ، فيحصل في القلب لا محالة القبض .

وقد يكون موجب بعض الواردات اشارة الى تقريب او اقبال بنوع لطف او ترحيب ، فيحصل في القلب بسط .

وفي الجملة قبض كل احد على حسب بسطه ، وبسطه على حسب قبضه .

قال بعضهم : فتح الله علي باب من البسط فزللت زلة فحجبت عن مقامي .

وقد عدّ اهل التحقيق حالتيّ القبض والبسط من جملة ما استعاذوا منه [٢]

يقول الجنيد :

(الخوف من الله يقبضني ، والرجاء منه يبسطني ، والحقيقة تجمعني ، والحق يفرقني ... اذا قبضني بالخوف افناني عني ، واذا بسطني بالرجاء ردني عليّ ، فاذا جمعني بالحقيقة احضرني ، واذا فرقني بالحق اشهدني غيري فغطاني عنه ، فهو تعالى في ذلك كله محركي غير ممسكي ، وموحشي غير مؤنسي ، فانا بحضوري اذوق طعم حضوري)[٣]

ويقول الجرجاني :

(هما حالتان بعد ترقي العبد عن حالة الخوف والرجاء فالقبض للعارف كالخوف للمستأمن والفرق بينهما أن الخوف والرجاء يتعلقان بأمر مستقل مكروه أو محبوب والقبض والبسط بأمر حاضر في الوقت يغلب على قلب العارف عن وارد غيبي)[٤]

فيما يرى القشيري في رسالته ان :

---

[١] اصطلاح الصوفية، ص:١٧١

[٢] الرسالة ص ٣٣

[٣] الرسالة ص ٣٣

[٤] التعريفات ص ٧٢

(الهيبة والانس فوق القبض والبسط فكما ان القبض فوق رتبة الخوف ، والبسط فوق منزلة الرجاء ، فالهيبة اعلى من القبض والأنس أتم من البسط)[1]

ويضيف القشيري للتفريق بين القبض والبسط وبين الخوف والرجاء ليزيل التشابه بينهما : (ومن الفصل بين القبض والخوف والبسط والرجاء ، أن الخوف إنما يكون في شيء في المستقبل ، إما أن يخاف فوت محبوب أو هجوم محذور ، وكذلك الرجاء إنما يكون بتأميل محبوب في المستقبل أو بتطلع زوال محذور وكفاية مكروه في المستأنف .

وأما القبض : فلمعنى حاصل في الوقت وكذلك البسط ، فصاحب الخوف والرجاء تعلق قلبه في حالتيه بآجله ، وصاحب القبض والبسط أُخيذ وقته بوادر غلب عليه في عاجله)[2]

يقول الشيخ الأكبر رحمه الله تعالى :

(المقامات منها ما يتصف به الانسان في الدنيا والاخرة : كالمشاهدة والجلال والجمال والأنس والهيبة والبسط ، ومنها ما يتصف به العبد الى حين موته ، الى القيامة ، الى اول قدم يضعه في الجنة ، ويزول عنه :كالخوف والقبض والحزن والرجاء ..) [3]

فيرى ابن عربي ان البسط من المقامات التي يتصف الإنسان بها في الدنيا والاخرة .

اما القبض فيلازم الانسان الى اول قدم يضعه في الجنة ، ويزول عنه .. وطبيعي ان البسط سيلازم الانسان في الجنة من اثر واردات الجمال .

اما القبض فلا معنى له في دار النعيم الا انه يستبدل من مشاهدة الجلال

---

[1] الرسالة ٣٣

[2] الرسالة ص ٣٢

[3] المعجم الصوفي ص ٨٩٩ عن الفتوحات السفر الأول فق ٩٨

بالهيبة.

والقبض عند الشيخ القاشاني :

(وارداً يرد على القلب توجبه اشارة الى عتاب أو تأديب فيحصل في القلب لا محالة قبض لذلك ،

وقيل : ان القبض حال الخوف في الوقت ... ومنها قولهم : القبض حزن النفس على وجه يكاد يبطل دواعيها فيما هي عليه ، ويمنعها عن التوجه الى شيء من المطالب)[1]

أما البسط عند الشيخ القاشاني :

(البسط في مقام القلب : بمثابة الرجاء في مقام النفس ، وهو وارد يقتضيه إشارة إلى قبول ولطف ورحمة وأنس . ويقابله وارد القبض كالخوف في مقابلة الرجاء في مقام النفس .

والبسط في مقام الحق : وهو أن يبسط الله العبد مع الخلق ظاهراً ويقبضه الله (إليه) باطناً رحمة للخلق ، وهو يسع الأشياء ولا يسعه شيء ، ويؤثر في كل شيء ولا يؤثر فيه شيء)[2]

۞ القدر :

قَدَر: (اسم) والجمع : أَقْدَارٌ

(القَدَرُ : القضاء ، والحكم وهو ما يقدّره الله عز وجل من القضاء ، ويحكم به من الأمور ، والقَدَرُ : القَضاءُ ، والحُكْمُ ، ومَبْلَغُ الشيءِ ، كالمِقْدارِ ، والطاقةُ ، وجمعه : أَقْدارٌ . قَدَرَ اللّهُ تعالى ذلك عليه يَقْدُرُهُ ويَقْدِرُهُ قَدْراً وقَدَّرَهُ عليه وله)[3]

وقد وردت في القران الكريم ، ومنها قوله تعالى :

---

[1] لطائف الإعلام ص ٤٧٠ = ٤٧١

[2] اصطلاحات الصوفية ص ٣٧

[3] لسان العرب ٣٧/١٢

﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾[1]

وقَدُرُ الشيء مبلغه قال الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ [2] أي ما عظموه حق تعظيمه .

والقدر في الاصطلاح الصوفي :

تعلق الإرادة الذاتية بالأشياء في أوقاتها الخاصة فتعليق كل حال من أحوال الأعيان بزمان معين وسبب معين عبارة عن القدر وخروج الممكنات من العدم إلى الوجود واحداً بعد واحد مطابقا للقضاء والقضاء في الأزل والقدر فيما لا يزال والفرق بين القدر والقضاء هو أن القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة والقدر وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها [3]

(قال عمر ﷺ : يا رسول الله ارأيت ما نعمل فيه أعلى أمر قد فُرِغ منه ؟ أو أمر مبتدأ ؟ فقال : على أمر قد فُرِغ منه .

فقال عمر : أفلا نتكل وندع العمل ؟ فقال : اعملوا فكل مُيَّسر لما خُلِقَ له .

وسُئل النبي ﷺ : ارأيت رُقى نسترقيها ودواء نتداوى به هل يرد من قدر الله ؟ قال : انه من قَدَر الله ، والله لا يؤمن احد حتى يؤمن بالله وبالقدر خيره وشره من الله)[4]

(والاجماع على ان حركة المرتعش من خلق الله فكذلك حركة غيره ، غير ان الله خلق لهذا حركة واختياراً وخلق لآخر حركة ولم يخلق له اختياراً .

وسر القدر ما علمه الله من كل عين في الأزل مما انطبع فيها من احوالها حتى تظهر عليها وجودها ، فلا يحكم على شيء الا بما علمه في حال ثبوتها)[1]

---

[1] الأحزاب ٣٨

[2] الأنعام ٩١

[3] التعريفات ص ٧٣

[4] معجم مصطلحات الصوفية ص ٢١٤

يقول الشيخ الأكبر ابن عربي :

القدر : هو توقيت ما هي عليه الأشياء في عينها من غير مزيد [٢]

في هذا التعريف إشارة إلى المشيئة والإذن . من حيث ان المشيئة هي ما عليه الأشياء في عينها ، والإذن هو التوقيت [٣]

ويقول الشيخ ابو حامد الغزالي :

القدر : هو توجيه الأسباب الكلية بحركاتها المقدرة المحسوبة الى مسبباتها المحدودة المعدودة بقدر معلوم لا يزيد ولا ينقص [٤]

ويقول الشيخ ابو بكر الكلاباذي :

قال بعض الكبراء : من لم يؤمن بالقدر فقد كفر ، ومن أحال المعاصي على الله فقد فجر [٥]

۞ القِدَم :

القِدَم : مصدر قَدُمَ .

و القِدَمُ : نَقِيضُ الحُدوث قَدُمَ يَقْدُم قِدَماً و قَدامةً و تَقادَمَ وهو قدِيم والجمع قُدماء و قُدامى وقوادم [٦]

في أَسماء الله تعالى المقَدِّم : هو الذي يُقَدِّم الأَشياءَ ويضعها في مواضعها فمن استحق التَّقديم قدَّمه .

و القَدِيم على الإِطلاق : الله عز وجل .

---

[١] معجم مصطلحات الصوفية ص ٢١٤

[٢] فصوص الحكم ١/١٣١

[٣] المعجم الصوفي ص ٣١

[٤] المقصد الأسنى ص ٨٦

[٥] التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٤٨

[٦] لسان العرب ١٢/٤٦٥

وفي القران الكريم وردت : قدَّم وقدَّمت وتقدم ، وكل تلك الصيغ تدل على السبق وهو بخلاف التأخر .كقوله تعالى : ﴿ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [2]

ويكون بمعنى قدم الانسان وهو كنية واشارة عن الثبات والرسوخ ، كما في قوله عز وجل : ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ [3]

وتحمل معنى أقبل ، في قوله سبحانه :

﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُوراً ﴾[4]

وفي حديث ابن مسعود : فسَلَّم عليه وهو يُصلِّي فلم يَرُدَّ عليه قال : فأخذني ما قَدُم وما حَدُثَ أي الحزن والكآبةَ يريد أنه عاوَدَتْه أحْزانه القديمة واتَّصَلَت بالحَدِيثة وقيل : معناه غَلَب عليّ التفَكُّر في أحوالي القديمة والحديثة أيُّها كان سبباً لترك ردِّه السلام عليّ [5]

وفي الاصطلاح الصوفي :

القِدم : (ما ثبت للعبد في علم الحق من باب السعادة والشقاوة فإن اختص بالسعادة فهو قدم الصدق أو بالشقاوة فقدم الجبار فقدم الصدق وقدم الجبار هما منتهى رقائق أهل السعادة وأهل الشقاوة في عالم الحق وهي مركز إحاطي الهادي والمضل والقدم الذاتي هو كون الشيء غير محتاج إلى الغير والقدم

---

[1] سبأ٣٠

[2] الانفطار ٤-٥

[3] البقرة٢٥٠

[4] الفرقان٢٣

[5] أنظر سنن ابي داود ٢٤٣/١ برقم ٩٢٤ وسنن البيهقي الكبرى ٢٤٨/٢ برقم ٣١٦١

الزماني هو كون الشيء غير مسبوق بالعدم)[1]

وفي معجم مصطلحات الصوفية :

(القِدم بكسر القاف عبارة عن حكم الوجوب الذاتي ، فالوجوب الذاتي هو الذي أظهر اسمه القديم الحق ، لأن من كان وجوده واجباً بذاته لم يكن مسبوقاً بالعدم ، ومن كان غير مسبوقاً بالعدم لزم ان يكون قديماً بالحكم ، والا فتعالى عن القدم ، لأن القديم تطاول مرور الزمان على المسمى به ، تعالى الحق عن ذلك ، فقدمه انما هو الحكم اللازم للوجوب الذاتي ، والا فليس بينه سبحانه وتعالى وبين خلق زمان ولا وقت جامع ، بل تقدم حكم وجوده على وجود المخلوقات هو المسمى بالقدم)[2]

وعند الشيخ الأكبر ابن عربي القَدَم ليست عضواً بل صفة ، وهي الثبوت ، فيقول رحمه الله تعالى :

(يضع الجبار فيها قدمه ... والقدم : الجارحة .

ويقال لفلان في هذا الأمر قدم ، أي ثبوت ... الجارحة تستحيل على الله تعالى وجل)[3]

(والقدم : الثبوت)[4]

ويرى الشيخ عبد الكريم الجيلي أنَّ القِدَم :

هو عبارة عن حكم الوجوب الذاتي ، فالوجوب الذاتي هو الذي أظهر اسمه القديم للحق ، لأن من كان وجوده واجباً بذاته لم يكن مسبوقاً بالعدم ، ومن كان غير مسبوقاً بالعدم لزم ان يكون قديماً بالحكم ، وإلا فتعالى عن القدم ،

---

[1] التعريفات ص ٧٣

[2] معجم مصطلحات الصوفية ص ٢١٤

[3] الفتوحات ٩٨/١

[4] الفتوحات ٤٢٢/٢

لأن القِدم تطاول مرور الزمان على المسمى به تعالى الحق عن ذلك [1]

القديم :

قَديم: (اسم) والجمع : قُدَمَاءُ ، قُدَامَى ، قَدِيمَاتٌ ، قَدَائِمُ

والقديم صفة مشبَّهة تدلّ على الثبوت من قدُمَ

القَدِيمُ : (مَا مضى على وجوده زمن طَوِيل ، وَعند عُلَمَاء الْكَلَام الْمَوْجُود الَّذِي لَيْسَ لوُجُوده ابْتِدَاء)[2]

(ولم يرد القديم كإسم لله تعالى في القران ، وورد باعتبار الزمن كقوله تعالى (كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) ، وقوله تعالى : (قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ) أي سابقة فضيلة وهو اسم مصدر وقدَّمت كذا (أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ) و (لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ) وقوله تعالى :(ا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) معناه لا تتقدموه وتحقيقه لا تسبقوه بالقول والحكم .....)[3]

وفي حديث رسول الله ﷺ الذي رواه ابن مسعود : فسَلَّم عليه وهو يُصلّي فلم يَرُدَّ عليه قال : فأخذني ما قَدُم وما حَدُثَ أي الحزن والكآبةَ يريد أنه عاوَدَتْه أحْزانه القديمة واتَّصَلَت بالحَدِيثة وقيل : معناه غَلَب عليّ التفَكُّر في أحوالي القديمة والحديثة أيُّها كان سبباً لترك ردِّه السلام عليّ .

والقديم في شعر العرب :

إِلَى مَ اهْتِمَامِي فِي قَدِيمٍ وَحَادِثٍ ... وَسِيَّانَ بَعْدِي حَادِثٌ وَقَدِيمُ

الطبع شيءٌ قديمٌ لا يحسُّ به ... وعادةُ المرءِ تدعى طبعه الثاني

وفي الاصطلاح الصوفي :

---

[1] الإنسان الكامل ٦٢/١

[2] المعجم الوسيط مادة قِدَم

[3] المفردات ص ٣٩٧

(يطلق على الموجود الذي لا يكون وجوده من غيره وهو القديم بالذات ويطلق القديم على الموجود الذي ليس وجوده مسبوقا بالعدم وهو القديم بالزمان والقديم بالذات يقابله المحدث بالذات وهو الذي يكون وجوده من غيره كما أن القديم بالزمان يقابله المحدث بالزمان وهو الذي سبق عدمه وجوده سبقا زمانيا وكل قديم بالذات قديم بالزمان وليس كل قديم بالزمان قديما بالذات فالقديم بالذات أخص من القديم بالزمان فيكون الحادث بالذات أعم من الحادث بالزمان لأن مقابل الأخص أعم من مقابل الأعم ونقيض الأعم من شيء مطلق أخص من نقيض الأخص وقيل القديم ما لا ابتداء لوجوده الحادث والمحدث ما لم يكن كذلك فكأن الموجود هو الكائن الثابت والمعدوم ضده .

وقيل القديم هو الذي لا أول ولا آخر له)[1]

ويرى صاحب معجم مصطلحات الصوفية ان :

(القديم يطلق على الموجود الذي لا يكون وجوده من غيره ، وهو القديم بالذات .

ويطلق القديم على الموجود الذي ليس وجوده مسبوقاً بالعدم وهو القديم بالزمان.. وكل قديم بالذات هو قديم بالزمان وليس هذا سوى الله)[2]

ويقول الشيخ عبد الحق ابن سبعين :

(القديم هو الذي لا يتغير .. أو الواحد بالذات .. او هو الذي قام بنفسه ، وقام به الغير .. وهو المحيط بالكلي والجزئي)[3]

۞ القُرْب

القرب نقيض البعد . قَرُب الشيء ، بالضم ، يقرب قرباً وقرباناً ، أي : دنا فهو

---

[1] التعريفات ص ٧٣

[2] معجم مصطلحات الصوفية ص ٢١٥

[3] موسوعة الكسنزان ٩٢/١٨

قريب [1]

القرب والبعد يتقابلان ويستعمل القرب للمكان وللزمان وللنسب وللمنزلة :

أ- قَرُبَ للمكان : نحو قوله تعالى :

﴿ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِم قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ ﴾ [2]

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾ [3]

وقوله تعالى: ﴿ ولو تَرَى إذ فَزِعُوا فلا فَوْتَ وأُخِذُوا من مكانٍ قريبٍ ﴾ [4]

جاءَ في التفسير : أُخِذُوا من تحتِ أَقدامهم .

ب- قَرُبَ للزمان نحو قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعْ الرُّسُلَ﴾ [5]

وقوله سبحانه : ﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ ﴾ [6]

وفي الحديث الشريف ما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ ان رسول الله ﷺ قال:

إذا قرب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب ، وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثا ، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة [7]

ح- الدُّنُوُّ في النَّسب، والقُرْبَى في الرَّحِم .

---

[1] لسان العرب ١٢ / ٥٣

[2] الذاريات/٢٦:٢٧

[3] التوبة/٢٨

[4] سبأ / ٥١

[5] إبراهيم/٤٤

[6] الأنبياء/١٠٩

[7] ابن ماجة فى تعبير الرؤيا برقم (٣٩١٧) وصححه الألبانى ١٢٨٩/٢

وفي التنزيل العزيز: والجار ذي القُرْبَى [1]

ونحو قوله تعالى :

﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ [2]

وقوله تعالى :

﴿وأَنْذِرْ عَشِيرَتَك الأَقْرَبِين﴾ [3]

جاءَ في التفسير أَنه لما نَزَلَتْ هذه الآية، صَعِدَ الصَّفا، ونادى الأَقْرَبَ فالأَقْرَبَ، فَخِذاً فَخِذاً .

وورد في صحيح البخاري : (قالت امرأة شابة لعمر بن الخطابﷺ : " يا أمير المؤمنين هلك زوجي وترك صبية صغارا ، والله ما ينضجون كراعا ، ولا لهم زرع ولا ضرع وخشيت أن تأكلهم الضبع ، وأنا بنت خفاف بن إيماء الغفاري ، وقد شهد أبي الحديبية مع النبي صلى الله عليه وسَلم ، فوقف معها عمر ولم يمض ، ثم قال : مرحبا بنسبٍ قريب ، ثم انصرف إلى بعير ظهير ، كان مربوطا في الدار ، فحمل عليه غرارتين ملأهما طعاما ، وحمل بينهما نفقة ، وثيابا ثم ناولها بخطامه ، ثم قال : اقتاديه فلن يفنى حتى يأتيكم الله بخير) [4]

د- قرب الحظوة والمنزلة ، نحو قوله تعالى :

﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ الْمُقَرَّبِين فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾ [5]

وقولهَ سبحانه وتعالى : ﴿ جَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ

---

[1] النساء/ ٣٦

[2] النساء/٧

[3] الشعراء /٢١٤

[4] البخارى كتاب المغازى ٥١٠/٧ برقم ٤١٦١

[5] الواقعة/٨٨:٨٩

الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنْ الْمُقَرَّبِينَ ﴾[1]

وفي الحديث الشريف : عن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ قال :

إن الله قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحبُّ إليَّ مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرَّبُ إلي بالنوافل حتى أحبه [2]

القرب فى الاصطلاح الصوفى :

القرب فى الاصطلاح الصوفى عبارة عن الإقامة على الموافقة لأوامر الله والطاعة والاتصاف فى دوام الأوقات بعبادته .

وحال القرب يقتضي حال المحبة وحال الخوف .

والقرب هو قربُ العبد من الحق سبحانه بالمكاشفة والمشاهدة والانقطاع عما سوى الله .

(يقول الشيخ السري السقطي : القرب هو الطاعة .

ويقول الشيخ رويم بن أحمد : القرب هو ازالة كل معترض)[3]

ويقول الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس سره : القرب هو قرب الأسرار [4]

ويقول أيضاً القرب من الله عزَّ وجلَّ هو غاية خطوات القلب ، ومسارة السر[5]

(والقرب هو الدنو من المحبوب بالقلب ، وهو على نوعين :

قرب النوافل :وهو زوال الصفات البشرية وظهور صفاته تعالى على البشر ، بأن يسمع المسموعات ويبصر المبصورات من بعيد ، ويحي ويميت بإذنه تعالى ، وهذا معنى فناء الصفات في صفات الله تعالى ، وهو ثمرة النوافل .

---

[1] الأعراف/١١٣:١١٤

[2] البخارى كتاب الرقاق ٣٤٨/١١ برقم ٦٥٠٢

[3] التعرف لمذهب أهل التصوف ص ١٠٧

[4] الفتح الرباني ص ٤١

[5] الفتح الرباني ص ٧٢

وقرب الفرائض : وهو فناء العبد بالكلية عن الشعور بجميع الموجودات حتى نفسه أيضاً ، بحيث لم يبقى في نظره الا وجود الحق سبحانه ، وهذا معنى فناء العبد في الله تعالى ، وهو ثمرة الفرائض) [1]

وروى عن أبى القاسم الجنيد ﷺ أنه قال :

(واعلم أنه يقرب من قلوب عباده ، على حسب ما يرى من قرب قلوب عباده منه ، فانظر ماذا يقرب من قلبك ؟) [2]

روى عن أحمد ابن خضرويه قوله :

(أقرب الخلق إلى الله أوسعهم خلقا) [3]

ويذكر أبو بكر الكلاباذى :

(أن القرب أن يتذلل لربه بالطاعة لقوله عز وجل : (وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ [4]) [5]

ويرى الشيخ احمد الرفاعي قدس سره :

القرب هو الإنقطاع عن كل شيء سوى الله [6]

وقال أبو عبد الرحمن السلمى: (وطائفة غلطت فى القرب والانبساط ، فتوهمت أن بينهم وبين الله حالة من القرب والدنو ، فاحتشمهم عند ذلك التوهم بالرجوع إلى الآداب التى كانوا يراعونها ، والحدود التى كانوا يحافظون عليها ، وانبسطوا إلى ما كانوا عليه محتشمين ، وتوهموا أن ذلك من قربهم ودنوهم وغلطوا ، فإن الآداب والأحكام خلع من الله على عبيده ، فمن زاد عليها حفظا ولها

---

[1] الموسوعة الصوفية ص ١٢٠٢

[2] اللمع ص٨٤:٨٥

[3] طبقات الصوفية ص١٠٦

[4] العلق/١٩

[5] التعرف ص١٠٧

[6] البرهان المؤيد ص ٧٠

حرصا فهو من الله سبحانه فى عين الرعاية والقرب ، ومن زال عنه شئ من ذلك بما يظنه قرب إلى الحق ، فهو بعد منه والعياذ بالله) .

وقال أبو القاسم القشيرى : (أول رتبة فى القرب ، القرب من طاعته ، والاتصاف فى دوام الأوقات بعبادته ، قال ﷺ : مخبرا عن الحق سبحانه : ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه) [1]

(وقرب العبد أولاً قرب بإيمانه وتصديقه ، ثم قرب بإحسانه وتحقيقه ، وقرب الحق سبحانه ما يخصه اليوم به من العرفان ، وفى الآخرة ما يكرمه به من الشهود والعيان ، وفيما بين ذلك بوجود اللطف والامتنان ، ولا يكون قرب العبد من الحق إلا ببعده عن الخلق ، وهذه من صفات القلوب دون أحكام الظواهر والكون ، فقرب الحق سبحانه بالعلم والقدرة علم للكافة ، وباللطف والنصرة خاص بالمؤمنين ، ثم بخصائص التأنيس مختص بالأولياء) [2]

۞ القطب :

قُطب: (اسم) والجمع : قطوبٌ ، و أقْطابٌ ، و قِطَبَةٌ

معنى القطب في اللغة:

قال الخليل: القُطْبُ كوكب بين الجدي والفرقدين، صغير أبيض، لا يبرح موضعه، شبه بقطب الرحى، وقطب الرحى، الحديدة التي في الطبق الأسفل من الرحيين، يدور عليها الطبق الأعلى، وتدور الكواكب على هذا الكوكب [3]

---

[1] الرسالة ٢٥٧/١

[2] الرسالة ٢٥٧/١

[3] العين ١٠٦/٥

وهو يدل على الجمع، يقال جاءت العرب قاطبة، إذا جاءت بأجمعها .

وقطب القوم سيدهم، وفلان قطب بني فلان، أي سيدهم الذي يدور عليه أمرهم [1]

فالقطب في اللغة هو الذي يدور عليه الأمر، لأهميته، وقطب القوم سيدهم.

قالت العرب في شعرها :

فَإن بني الديَّان قطب لقومهم ... تَدور رحاهم حَولهمْ وتجول

أَناةٌ كأَنَّ المِسْكَ تَحْتَ ثيابِها ... يُقَطِّبُه بالعَنْبَرِ الوَرْدِ مُقْطِبُ

وفي الاصطلاح الصوفي :

القطب عند الصوفية "الإنسان الكامل" أو "الحقيقة المحمدية". والإنسان الكامل هو "القطب الحسي" كما أن "الحقيقة المحمدية" هي "القطب المعنوي". ويرى محيي الدين بن عربي: أن "الحقيقة المحمدية"، أي روح مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم، هي التي تنقل العلم الإلهي لكل الأنبياء والأولياء. وهي تتجلى بأكمل صورة في "القطب". وهو معصوم ؛ ولكل زمان قطب، وهو الخليفة الحقيقي لله. ويسمى "قطب الوقت" أو "صاحب الوقت" أو "صاحب الزمان" وهو "الغوث" الذي يوجد بفضل "قطب الأقطاب".

(القطب عند الصوفية عبارة عن "الواحد الذي هو موضع نظر الله من العالم في كل زمان، وهو على قلب إسرافيل عليه السلام) [2]

يقول الجرجاني : (القطب، وقد يسمى غوثاً باعتبار التجاء الملهوف إليه، وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضوع نظر الله في كل زمان، أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه، وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة، والظاهرة، سريان الروح في الجسد، بيده قسطاس الفيض الأعمّ، وزنه يتبع علمه، وعلمه يتبع علم الحق،

---

[1] انظر: لسان العرب ٦٨٢/١، القاموس المحيط ص١٦١

[2] اصطلاحات الشيخ محيي الدين العربي ص ٢٨٦، وانظر: اصطلاحات الصوفية ص٨٠

وعلم الحق يتبع الماهيات غير المجعولة فهو يفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل..) [1]

ويقول المناوي: "الأقطاب هم الجامعون للأحوال، والمقامات، وقد يتوسع فيسمى كل من دار عليه مقام من المقامات، وانفرد به في زمانه، قطباً، لكن حيث أطلق القطب لا يكون في الزمان إلا واحداً وهو الغوث، وهو سيد أهل زمنه وإمامهم، وقد يحوز الخلافة الظاهرة كما حاز الباطنة"

(والقطبية الكبرى : هي مرتبة قطب الأقطاب وهو باطن نبوة مُحَمَّد عليه السلام فلا يكون إلا لورثته لاختصاصه عليه بالأكملية فلا يكون خاتم الولاية وقطب الأقطاب الأعلى باطن خاتم النبوة) [2]

وتعريف القطب في الموسوعة الصوفية :

(القطب : هو صاحب اعلى الدرجات في الطريقة .

والقطبية لا يبلغها اساتذة الطريقة الا بجهد جهيد ، ويسمونه السلطان ، والمهدي ، والغالب اسم المهدي ، واوتاده يسمونهم الخلفاء .

وقال الحكيم الترمذي : ان مهدي الصوفية هو خاتم الأولياء .

وقيل القطب هو رجل واحد وهو موضع نظر الله تعالى من العالم في زمان ، كما ويسمى الغوث باعتبار التجاء الملهوف اليه)[3]

وفي معجم الفاظ الصوفية :

(ان القطبانية هي صورة من صور النبوة.

فالإمام او الخليفة او القطب او الإنسان الكامل والأقطاب او الأئمة هم الدعائم التي يقوم عليها صرح الوجود ، وهم الواسطة بين عالم الأمر وعالم

---

[1] التعريفات ص ٧٥

[2] التعريفات ص ٧٥

[3] الموسوعة الصوفية ص ١٢٠٤

الخلق.

ومعنى ذلك أن القطب عند شهاب الدين السهروردي هو أعلى درجة بين الواصلين، وقد يكون مستولياً ظاهراً ، أي له مقاليد الأمور السياسية، فيصبح العصر نورانيا، أي عصر ازدهار وتقدم، وقد يكون القطب خفياً غير مسئول، خامل الذكر، ليس له أي تأثير في الشئون الزمانية، وعلى ذلك تخلو الأرض من التدبير الإلهي، وتغلب عليها الظلمات أي التأخر والانحطاط)[1]

(ونجد اعلى الدرجات عند الحكيم الترمذي ، هم المقربون ويسميهم بالأمناء او بالمنفردين ، واحيانا بالنجباء ، واحيانا بالبدلاء ، وهو كما يقول القائمون بالحجة المفوض اليهم في الأمور ، فهم اولو الأمر ، الذين تجب طاعتهم على الأمة .

اولئك الأقلون عدداً ، والأكثرون عند الله قدراً .. هم الأمناء في عباده .

ولما كان لا يكون في الزمان الا واحدا يتولى القطبانية ، فهو اذن الوالي في الأفراد وإن وجد من يكون اعلم منه بالله تعالى)[2]

۞ القلب

(القلب : تحويل الشيء عن وجهه . قَلَبَهُ يقلبه قلبا. وقد انقلب وقلب الشيء وقلبه : حوَّله ظهراً لبطن . وتقلَّب الشيء ظهراً لبطن.

والقلب : مضغة من الفؤاد معلقة بالنياط لقوله تعالى ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [3] قال الزجاج معناه نزل به جبريل عليه السلام عليك فوعاه

---

[1] معجم الفاظ الصوفية ص ٢٢٢

[2] معجم الفاظ الصوفية ص ٢٢٢

[3] الشعراء١٩٤

قلبك .. قال الفراء في قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾[1] اي عقل .

والجائز في العربية ان تقول : وما قلبك معك اي ما عقلك معك .

وروي عن النبي ﷺ انه قال : سبحان مقلّب القلوب والأبصار .

وقال الله تعالى ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾[2])[3]

ويعبر بالقلب عن المضغة التى تنبض بالدم فى صدر الإنسان ، عن أبى موسى الأشعرى ﷺ ، قال رسول الله ﷺ : إنما سمي القلب من تقلبه ، إنما مثل القلب كمثل ريشة معلقة في أصل شجرة ، يقلبها الريح ظهرا لبطن [4]

والقلب له جانبان :

الأول : جانب محسوس يتبع البدن ، ويتصف بالصحة والسلامة والمرض وبموته يموت الإنسان .

الثانى : جانب غيبى يتبع الروح ويلابس المحسوس ، ويتصف بالصحة والسلامة والمرض ، وبموته لا يموت الإنسان ، وهو المقصود فى الكتاب والسنة قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [5] وقال تعالى عن المنافقين : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ [6]

ومما ورد فى السنة عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال لها :

---

[1] ق٣٧

[2] الأنعام١١٠

[3] لسان العرب مادة قلب ١٢/١٧٠

[4] أحمد فى المسند برقم (٢٧٨٥٩) واللفظ له ، وابن ماجه فى المقدمة برقم (٨٨)

[5] الشعراء/٨٩

[6] البقرة/١٠

(يا عائشة إن عيني تنامان ، ولا ينام قلبى) [1]

وعن أبي سعيد الخدرى ﷺ ، قال رسول الله ﷺ :

(القلوب أربعة ، قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر ، وقلب أغلف مربوط على غلافه ، وقلب منكوس وقلب مصفح ، فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن سراجه فيه نوره ، وأما القلب الأغلف فقلب الكافر ، وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر ، وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق ، فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والدم ، فأي المَدتين غلبت على الأخرى غلبت عليه)[2]

والقلب يقوم بوظيفتين :

أ- العلم والتميز لأنه يحوى العقل ، لقوله تعالى : ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[3].

ب - الإرادة وجميع أعمال القلوب ، كاليقين والإخلاص والصدق والمحبة والخوف والرجاء والخشوع ، وغير ذلك من معانى الإيمان أو ضدها ، كقوله تعالى : ﴿ لا يُؤَاخِذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [4]

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ ، قال : " قيل لرسول الله ﷺ : أي الناس أفضل ؟ قال : كل مخموم القلب ، صدوق اللسان ، قالوا : صدوق اللسان نعرفه ، فما مخموم القلب ؟، قال : هو التقي النقي ، لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد[1] حسد[1]

---

[1] البخارى كتاب صلاة التراويح ٢٩٥/٤ برقم ٢٠١٣

[2] ابن ماجة / الزهد برقم (٤١٩٣) وصححه الألبانى ١٤٠٣/٢

[3] مُحَمَّد/٢٤

[4] البقرة/٢٢٥

وفي الاصطلاح الصوفي :

يقول الشيخ الأكبر ابن عربي رحمه الله تعالى :

(والقلب ما سمي قلباً الا بتقلبه في الأحوال والأمور دائماً مع الأنفاس ،إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ [٢] ، لتقلبه في انواع الصور والصفات ولم يقل لمن كان له عقل ، فإن العقل قيد ، فيحصر الأمر في نعت واحد والحقيقة تأبى الحصر في نفس الأمر ، فما هو ذكرى أمَّن كان له عقل ، وهم اصحاب الاعتقادات .. فلهذا قال لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ، فَعَلِم تقلب الحق في الصور بتقلبه في الأشكال)[٣]

ويرى الشيخ الأكبر أن الرحمة الربانية في تقليب القلوب وانها بشارة خير (وفي حديث الأصابع بشارة الهية حيث اضافهما الى الرحمن ، فلا يقلبه الا من رحمة الى رحمة .. وان كان في انواع التقليب بلاء ، ففي طيّه رحمة غائبة عنه ، يعرفها الحق ، فإن الاصبعين اصبعا الرحمن فأفهم ، فإنك اذا علمت ما ذكرناه [٤] علمت من هو قلب الوجود) [٤]

ويرى الشيخ الأكبر ان القلب محل الكشف والالهام :

(فإن القلب محل الصور الالهية التي انشأتها الاعتقادات بنظرها وأدلَّتِها ، فهي ستورٌ عليها ، لذلك تبصر الشخص ولا تبصر ما اعتقده ، الا ان يرفع لك الستر بستر آخر)[٥]

يقول الشيخ عمر السهروردي : القلب هو محل المعرفة [١]

---

[١] ابن ماجة / كتاب الزهد برقم (٤٢١٦) وصححه الألبانى ١٤٠٩/٢

[٢] ق٣٧

[٣] المعجم الصوفي ص ٩١٧ عن فصوص ١٢٢/١

[٤] الفتوحات ١٩٩/٣

[٥] الفتوحات ٢١٤/٤

ان القلب كلطيفة ربانية روحانية ، لها تعلّق بالقلب الجسمانى ، وهى المراد من القلب حيث وقع فى القرآن أو السنة .

يروى عن عبد الله بن خبيق الأنطاكى قال : (خلق الله القلوب مساكن للذكر ، فصارت مساكن للشهوات ، ولا يمحو الشهوات من القلوب إلا خوف مزعج أو شوق مقلق)[٢]

ويذكر الكاشانى أن القلب عند الطائفة ، عبارة عن صورة العدالة الحاصلة للروح الروحانى فى أخلاقه ، بحيث يصير فيها على حافة الوسط ، بلا ميل إلى الإطراف ، ثم يذكر فيما يتعلق بالقلب :

١- قلب الجمع والوجود : ويقصدون به الإنسان الحقيقى ، صاحب الصورة البرزخية الكبرى .

٢- قلب القلب : أو قلب قلب الجمع والوجود ، ويعنى به البرزخية الجامعة بين الوجوب والإمكان ، أو الإنسان الكامل الذى من مرتبته يصل فيض الحق ، والمدد الذى هو سبب بقاء ما سوى الحق إلى العالم كله علواً وسفلاً ، ولولاه من حيث برزخيته التى لا تغاير الطرفين ، لما قبل شئ من العالم المدد الإلهى الوحدانى ، لعدم المناسبة والارتباط بين الحق والخلق بدون وسطيته [٣]

ويرى الشيخ ابن عطاء الله السكندري أنَّ:

(القلب : لا يراد منه اللحمانية ، بل اللطيفة التي أودعها الله فيه ، وهي المدركة وجعل الله القلب معلقاً في الجانب الأيسر كالدلو . فإن هب عليه هوى الشهوة حركه ، وإن هب عليه خاطر التقوى حركه ، فتارة يغلب عليه خاطر الهوى وتارة يغلب عليه خاطر التقى حتى يعرفك مرةً مَنَّهُ ومرةً قَهْرَهُ ، فمَرَّة يغلب عليه

---

[١] عوارف المعارف ص ٢١٩

[٢] طبقات الصوفية ص١٤٤

[٣] لطائف الإعلام ٢/٢٣٥:٢٣٦

خاطر التقى ليمدحك ، ومرة يغلب عليه خاطر الهوى ليذمك ، فالقلب بمثابة السقف ، فإذا أوقد في البيت نار صعد الدخان إلى السقف فسوده ، فكذلك دخان الشهوة إذا نبت في البدن صعد دخانه إلى القلب فسوده)[1]

ويقول الشيخ القاشاني :

القلب : هو جوهر نوراني يتوسط بين الروح والقلب والنفس الناطقة ، والروح باطنه ، والنفس الحيوانية مركبه [2]

۞ القلم :

قَلَم: (اسم) والجمع : أَقلام ، و قِلام ، والقلَم : ما يكتب به [3]

وجَفَّ القَلَمُ : قُضِيَ الأَمْرُ وَأُبْرِمَ

وأَنشد ابن الأَعرابي :

كأَنَّني ، حِينَ آتِيـها لتُخْبِرَني وما تُبَيّنُ لي شَيْئـاً بِتَكْلِيـمِ

صَحِيفةٌ كُتِبَتْ سِرّاً إلى رَجُلٍ لم يَدْرِ ما خُطَّ فيها بالأَقالِيم

وفي القران يتخذ القلم شكلاً مقدساً لأن الله سبحانه وتعالى أقسم به ، ومن ذلك يكتسب قدسيته ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾[4]

وفي غير هذه الآية يكون معنى القلم اداة الكتابة ، كما في قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾[5]

او ان يكون اداة للإقتراع ، كما في :

---

[1] تاج العروس ١٧

[2] اصطلاحات التصوف ص ١٤٥

[3] المفردات ص ٤١٢

[4] القلم١

[5] لقمان٢٧

﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾[1]

وفي السنّة النبوية جاءت كلمة القلم في قوله ﷺ :

(إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ ، فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ اهْتَدَى ، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ ، فَلِذَلِكَ أَقُولُ : جَفَّ الْقَلَمُ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ)[2]

اي ثبت وصار حُكْماً دائماً .

وقوله ﷺ :

(إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ : اكْتُبْ قَالَ : رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ ؟ قَالَ : اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ ، مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي) [3]

وقوله ﷺ :رُفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصغير حتى يكبر ، وعن المبتلى حتى يعقل [4]

اي لا تكتب عليهم خطيئة او ذنب فكان القلم بمعنى الكتابة .

وفي الاصطلاح الصوفي :

(القلم :علم التفصيل فإن الحروف التي هي مظاهر تفصيلها مجملة في مداد الدواة ولا تقبل التفصيل ما دامت فيها فإذا انتقل المداد منها إلى القلم تفصلت الحروف به من اللوح وتفصل العلم بها إلى لا غاية كما أن النطفة التي هي

---

[1] آل عمران٤٤

[2] مسند احمد ١٧٦/٢ برقم ٦٦٤٤ وصحيح ابن حبان ٤٣/١٤ برقم ٦١٦٩

[3] سنن ابي داود ٢٢٥/٤ برقم ٤٧٠٠

[4] مسند احمد ١٥٨/١ برقم ١٣٦٠

مادة الإنسان ما دامت في ظهر آدم مجموع الصور الإنسانية مجملة فيها ولا تقبل التفصيل ما دامت فيها فإذا انتقلت إلى لوح الرحم بالقلم الإنساني تفصلت الصورة الإنسانية)[1]

ويرى الشيخ الأكبر ابن عربي ان القلم هو ذاته العقل الأول والروح الكلي ، سلطان عالم التدوين والتسطير ... كلها مسميات لذات الشيء ، وكثرة الأسماء لا تقدح في كون الذات واحدة وصورها واشكالها متعددة كما ان الذات الالهية واحدة ولكن الاسماء الحسنى كثيرة كالمعزِّ والمذلِّ والجبّار والرحيم .

(لقد نظر الشيخ الأكبر الى الوجود على انه كتاب مسطور كل حقيقة فيه هي حرف وكل حقيقة مركبة هي كلمة ، ويسمى هذا العالم عالم التدوين والتسطير ، فالأول في هذا العالم بطبيعة الحال هو القلم ، وبواسطته حصل الأثر وكان الوجود)[2]

(نقول في الأول عقلاً ، لمعنى يخالف المعنى الذي لأجله نسميه قلباً ، يخالف المعنى الذي لأجله نسميه روحاً .

والعين واحدة والحكم مختلف ، ولذا تنوعت الأرواح والصور .. كذا الحق .. وان كان واحد العين ، فهو المسمى بالحي القيوم العزيز المتكبر الى تسعة وتسعين اسماً لعين واحدة واحكام مختلفة)[3]

(ثم غمس (الحق) قلم الإرادة ، في مداد العلم ، وخط بيمين القدرة ، في اللوح المحفوظ المصون ، كل ما كان وما هو كائن وسيكون وما لا يكون ، مما لو شاء وهو لا يشاء ، ان يكون ، لكان ، كيف يكون . . .)[4]

---

[1] التعريفات ص ٧٦ والموسوعة الصوفية ص ١٢٠٨

[2] المعجم الصوفي ص ٩٢٣

[3] المعجم الصوفي ص ٩٢٤ عن الفتوحات ٢/ ٣٩٤ – ٣٩٥

[4] المعجم الصوفي ص ٩٢٤ عن الفتوحات ١ / ٣

جعل ابن العربي القلم والمداد بمثابة الإرادة والعلم . ولا يخفى ما في هذا التشبيه من دلالة تصويرية . فالعلم الإلهي (المشيئة) أشمل وأوسع من الإرادة ، إذ ان الإرادة لها التخصيص بالوجود من معلومات العلم .

كذلك القلم ليس له شمول المداد بل يخص من ذاك المداد بعض الكلمات بالوجود العيني .

ويقول الباحث مُحَمَّد غازي عرابي :

(القلم هو الإرادة الإلهية في حالتي التفكير والتنفيذ مع عدم الفصل بينهما .

فالقلم هو الأحداث الجارية على الحقيقة ، قال سبحانه وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ [1]

والقلم : اليد العليا التي تمتد فتكتب القدر ما كان وما هو كائن وما سيكون ، فهي التيار الأبدي الذي جرى ويجري وسيظل يجري) [2]

القناعة :

قَنَاعة: (اسم) : مصدر قنَعَ يَقْنَع ، قُنُوعًا فهو قانع ، وقَنيعٌ ،

القَناعة : الإجتزاء باليسير من الأعراض المحتاج اليها ، وقناعة وقنعان : إذا رضي ، ويَقنَعُ قُنُعاً إذا سأل ، وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ : أي السائل الذي لا يلح في السؤال ويرضى بما يأتيه عفواً [3]

والقَنوع : رَاضٍ بِمَا قُسِمَ لَهُ ، مُعْتَدل في لذَّات الحواسّ ومُبْتَعِد عن كلّ إفراط

وقد وردت القناعة في حديث رسول الله ﷺ :

(طوبى لمن هدي للإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع) [4]

---

[1] القمر ٥٣

[2] موسوعة الكسنزان ٣٣٨/١٨

[3] المفردات ص ٤١٣

[4] الترغيب والترهيب ٣٣٤/١ برقم ١٢٢٩

والكفاف من الرزق : ما كفا عن السؤال مع القناعة ولا يزيد على قدر الحاجة

وقوله ﷺ (القناعة كنز لا يفنى) [1]

وقوله ﷺ (عليكم بالقناعة فإن القناعة مال لا ينفذ)[2]

والقناعة في الشعر العربي :

قناعة الْمَرْء بِمَا عِنْده ... قناعة مَا مثلهَا مملكه

قناعةُ المرءِ الرضى ... وحرصهُ أقصى العدمْ

وفي الاصطلاح الصوفي هي :

ترك التشوُّفِ الى المفقود ، والاستغناء بالموجود [3]

(والقناعة : الاكتفاء بالقوت الضروري والاختصار على ما لا بدّ من الملبوس والمفروش والمأكول ، وايثار القليل على الكثير .

قال ابو هريرة ، قال رسول الله ﷺ يوماً :

يا ابا هريرة اذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوب ماء ، وعلى الدنيا العفاء)[4]

فيما يرى غيرهم :

(القناعة في اللغة الرضا بالقسمة وفي اصطلاح أهل الحقيقة هي السكون عند عدم المألوفات)[5]

فيما يرى الشيخ ابو سليمان الداراني أنَّ القناعة : طرف من الرضا [6]

---

[1] الترغيب والترهيب ٣٣٥/١ برقم ١٢٣٣

[2] مجمع الزوائد باب القناعة ٢٥٦/١٠

[3] الرسالة القشيرية ص ٢٨٩

[4] الموسوعة الصوفية ص ١٠٢٩

[5] التعريفات ص ٧٦

[6] عوارف المعارف ص ٢٣٢

ويقول الشيخ ابو تراب النخشبي : القناعة أخذ القوت من الله عزَّ وجلَّ [1]

ويقول الشيخ الجنيد : القناعة ألا تتجاوز إرادتك ما هو لك في وقتك [2]

۞ القيام بالله :

القيام يقول عنه الشيخ عبد الكريم الجيلي :

هو عبارة عن مقام البقاء [3]

أما القيام بالله فهو عند الشيخ القاشاني :

الاستقامة عند البقاء بعد الفناء والعبور على المنازل كلها والسير عن الله بالله في الله بالانخلاع عن الرسوم بالكلية [4]

ويرى الباحث مُحَمَّد غازي ان القيام بالله :

(هو قيام العارفين وهو البقاء بعد الفناء ، ويعود السالك من الفناء الى البقاء ، وهو بقاء بالله ، أي قيام به ... والقيام بالله يقتضي استرسال العبد مع الله في كل أمره وتسليمه أموره اليه)[5]

أما القيام لله كما يراه الشيخ القاشاني:

القيام لله هو الاستيقاظ من نوم الغفلة ، والنهوض عن سنة الفترة عند الأخذ في السير الى الله .

(وفي الخبر عليكم بقيام الليل فإنه مرضاة لربكم ، وهو دأب الصالحين قبلكم .

---

[1] طبقات الصوفية ص ١٥١

[2] حلية الأولياء ٢٦٣/١٠

[3] الانسان الكامل ٨٨/٢

[4] التعريفات ص ٧٨

[5] موسوعة الكسنزان ٤٠٩/١٨

وقد كان جمع من الصالحين يقومون الليل كله ، حتى نقل عن اربعين من التابعين كانوا يصلون الغداة بوضوء العشاء ، منهم : سعيد بن المسيب ، وصفوان بن سليم ، والفضيل بن عياض ، وابو سليمان الداراني .....

ويأمر الصوفية اصحابهم بنومة واحدة في الليل واكلة واحدة لليوم والليلة ، وعندما يشتكي المريد من انه لا يستطيع القيام ، يقال له ان ذنوبه بالنهار تقيّده عن القيام)[1]

۞ الكِبَر

الكِبَر : معظم الشيء ، والإثم الكبير ، وهو العَظَمَة والتجبر [2]

والكِبَر هو خُلق باطن تظهر آثاره على الجوارح ، يوجب رؤية النفس والاستعلاء على الغير ، وهو بذلك يفارق العجب في أن العجب يتعلق بنفس المعجب ولا يتعلق بغيره ، وأما الكبر فمحله الآخرون ، بأن يرى الإنسان نفسه بعين الاستعظام فيدعوه ذلك إلى احتقار الآخرين وازدرائهم والتعالي عليهم .

ولهذا فسر النبي ﷺ الكبر بأنه :

الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ وغَمْطُ النَّاسِ [3]

وبطر الحق : أي ردَّه على قائله وجحده ، وغمط الناس أي : احتقارهم وازدراؤهم .

(وأعظم الكبر ، التكبر على الله بالامتناع من قبول الحق والإذعان له بالعبادة والاستكبار يقال على وجهين) [4] :

أحدهما : أن يسعى الإنسان ويطلب أن يصير كبيراً ، فإذا كان على ما يجب

---

[1] الموسوعة الصوفية ص ١٢١٠

[2] القاموس المحيط ص ١٣٩٠

[3] صحيح مسلم كتاب الايمان باب تحريم الْكِبْرِ وبيانه برقم ١٦٠

[4] لسان العرب ١٢٥/٥

وفى المكان الذى يجب ، وفى الوقت الذى يجب فمحمود ، كقوله تعالى عن النبي يوسف : ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [1]

الثانى : أن يتشبع فيظهر من نفسه ما ليس له ، ويتمنع من قبول الحق والإذعان له ، وهذا هو المذموم الذى أشار إليه الحق بقوله :

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ﴾ [2]

وقوله تعالى: ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾[3]

وقوله سبحانه :

إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ [4]

قابل المستكبرين بالضعفاء ، تنبيها أن استكبارهم كان بما لهم من القوة من البدن والمال وغير ذلك ، وعن حارثة بن وهب الخزاعي ﷺ ، قال رسول الله ﷺ : ألا أخبركم بأهل الجنة ، كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعّفٍ ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّه لأَبَرَّهُ ، ألا أخبركم بأهل النار ، كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ [5]

والكبر والعظمة : صفتان لله سبحانه وتعالى وقد حرمهما على العباد ، لأن العبد شأنه التواضع والتذلل فهو القائل بكل صلاة : إياك نعبد ، فكيف للعبد ان يتكبر او ان يدعي العظمة .

والكِبرياء والعَظمة وما يقارِبهما مِن المعانِي مِن الصِّفات التي اختصَّ المولى تعالى

---

[1] يوسف/٥٥

[2] البقرة/٣٤

[3] إبراهيم/٢١

[4] الأعراف/٤٠

[5] مسلم كتاب الجنة ٤/٢١٩ برقم ٢٨٥٣

بها لنفسه عن سائر الخلق، وهي في حَقِّه سبحانَه صفاتُ كمالٍ، وأمَّا في حقِّ الخَلقِ فهي صفةُ نقْصٍ .

وعن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ : قال الله عز وجل : الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ، فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار [1]

وعن عبد الله بن قيس ﷺ ، أن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال :

(جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم ، إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن) [2]

وقوله تعالى : سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ [3]

فمن ترفع على الكفار واستحقرهم بعزة الإيمان ، وتواضع لله بعمله وحسن عبوديته ، فلا يدخل فى معنى الآية .

الكِبَر فى الاصطلاح الصوفى :

الكِبَر فى الاصطلاح الصوفى التعظم ، وهو من عيوب النفس ، ومساوئ الإخلاق ، فإذا جهل العبد قدر نفسه ، عظم قدرها عنده ، فتعظَّم على الخلق وأنِفَ ، فالكبر هو التعظم ، وعنه يكون أخلاق الكبر ، وأخلاق الكِبر كلها تسمى كِبَراً ، وقد يكون عن الحقد والحسد والرياء والعجب .

روى عن حاتم الأصم أنه قال : (أصل الطاعة ، ثلاثة أشياء الخوف والرجاء والحب ، وأصل المعصية ، ثلاثة أشياء ، الكبر والحرص والحسد)[4]

---

[1] مسلم كتاب البر والصلة ٢٠٢٣/٤ برقم ٢٦٢٠ ، وأبو داود فى كتاب اللباس برقم (٤٠٩٠) واللفظ له

[2] البخارى كتاب تفسير القرآن ٤٩١/٨ برقم (٤٨٧٨)

[3] الأعراف/١٤٦

[4] طبقات الصوفية ص٩٥

(والتكبر له وجهان :

أحدهما الكبر بين العبد وربه ، والآخر الكبر بين العبد والعباد ، فلا يأمنه النسّاك والعبّاد والعلماء والصوفية على أنفسهم ، وحتى في لبس المرقعة قد يتكبر المتصوف ، حتى ليكون أشد كبراً من صاحب مطرف الخز .

والكِبَر قد يكون بالدنيا : بالحسب والجمال ، والقوة ، والمال ، وكثرة العدد ، وقد يكون في الدين : فقد يُعْجَب العبد بعمله ويحمد نفسه عليه ، وربما يُخرِجه العُجُب الى ان يرى انه خير من غيره)[1]

وقال أبو حامد الغزالى : (اعلم أن الكبر ينقسم إلى باطن وظاهر ، فالباطن هو خلق فى النفس ، والظاهر هو أعمال تصدر عن الجوارح واسم الكبر بالخلق الباطن أحق ، وأما الأعمال فإنها ثمرات لذلك الخلق ، وخُلُق الكبر موجب للأعمال ، ولذلك إذا ظهر على الجوارح ، يقال : تَكَبَّر ، وإذا لم يظهر ، يقال : فى نفسه كبر ، فالأصل هو الخلق الذى فى النفس ، وهو الاسترواح والركون إلى رؤية النفس فوق المُتَكَبَّر عليه ، فإن الكبر يستدعى مُتَكَبَّراً عليه ومتكبرا به ، وبه ينفصل الكبر عن العجب ، فإن العجب لا يستدعى غير المعجب ، بل لو لم يخلق الإنسان إلا وحده ، تصور أن يكون معجبا ، ولا يتصور أن يكون متكبرا ، إلا أن يكون مع غيره ، وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير فى صفات الكمال فعند ذلك يكون متكبرا)[2]

أما الشيخ الأكبر ابن عربي ﷺ فيرى ان الكِبَر ليس من صفات الإنسان ، ولكن من صفات الخالق .

ولذلك فهو يعرف الكبر انه :

حال من أحوال القلوب من حيث ما هي عالمة بما ينبغي بمن ينبغي ان ينسب

---

[1] الموسوعة الصوفية ص ١٢١٥

[2] إحياء علوم الدين ٣/٣٣٤

له الكبرياء [1]

لقد استخدم ابن عربي الكِبْر كلفظ دال على نقيضه بالنسبة لقلوب العارفين ، لأن قلب العارف دائم الكمد ، والخضوع والتواضع ، لإيمانه القاطع بأن الكبرياء صفة من صفات الخالق ، وليس للعبد نصيب فيها ، فكل من يحاول ان يتصف بها من غير الله ، تكون وبالاً عليه اذ الكبرياء رداء الحق .

(ويرى الشيخ المرقندي ان المتكبرين يأتون يوم القيامة في الذل ويغشاهم العذاب من كل مكان ، ويسلكون في النار ويسقون من طينة اهل النار)[2]

۞ الكتاب :

(الكتاب صحيفة فيها كتابة .

ومنه قوله تعالى : وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ[3]

والكَتْبُ ضمُّ الشيء الى الشيء)[4]

وقد وردت هذه اللفظة في القران (٣٢٠) مرة باشتقاقاتها وكانت تحمل معانٍ :

ـ الكتاب اسم لما كُتب مجموعاً ، وفي التنزيل العزيز :

﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾[5] أي استكتبها

وفي الحديث : لا تكتبوا عني غير القران ....

ـ القران الكريم : كما في قوله تعالى : ﴿الم (١) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[6]

---

[1] الفتوحات المكية ص ١٨٤

[2] معجم الفاظ الصوفية ص ٢٣٨

[3] الانعام ٧

[4] المفردات ص ٤٢٣

[5] الفرقان٥

[6] سورة البقرة

ـ والكتاب مطلقٌ التوراة وبه فسر الزجاج قوله تعالى : ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَاء ظُهُورِهِمْ ﴾[1] وقوله كتاب الله : جاز ان يكون القران وان يكون التوراة ، لأن الذين كفروا بالنبي ﷺ قد نبذوا التوراة

ـ وقيل الكتاب ما أثبت على بني آدم من اعمالهم

ـ والكتاب بمعنى الكتبة ، والكاتب العالم قال تعالى ﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾[2]

ـ والكتاب العرض والحكم والقدر ، قال عز وجل ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾[3] ، معناه فرض .

وفي حديث انس بن النظر : عن أنس أن الرُّبَيّعَ عمته كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ جارية، فطلبوا إليها العفو فأبوا، فعرضوا الأَرْشَ فأبَوْا، فأتوا رسول الله ﷺ وأبوا إلا القصِاَصَ فأمر رسول الله ﷺ بالقصاص، فقال أنس بن النضر: يا رسول الله أَتُكْسَرُ ثَنِيَّةُ الرُّبَيّعِ ؟ لا والذي بعثك بالحق لا تُكسر ثنيتها. فقال رسول الله ﷺ: «يا أنسُ، كتابُ اللهِ القصاصُ». فرضي القومُ فَعَفَوْا، فقال رسول الله ﷺ : «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبَرَّهُ» [4]

وفي الاصطلاح الصوفي :

(الكتاب : رمز صوفي ، وهو الوجود المطلق الذي لا عدم فيه .

والكتاب المسطور : هو الوجود المشهود في الملكوت .

---

[1] البقرة١٠١

[2] الطور٤١

[3] البقرة١٨٣

[4] متفق عليه واللفظ للبخاري

والكتاب المبين : هو اللوح المحفوظ وهو المراد بقوله تعالى ((ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين[1]) [2]

وعند الشيخ الأكبر ابن عربي : استعمل رحمه الله تعالى كَتَب بصيغة الفعل بمعنى أوجب ، يقول :

(فالفقر الى الله تعالى الذي بيده ملكوت كل شيء ، ثابت وموجود .

ولذلك الاشارة بقوله (سنكتب ما قالوا) [3] أي سنوجبه ، أي سيعلمون ان الفقر نعت واجب لا يشكون فيه وجوباً ذاتياً) [4]

كما يرى ابن العربي ان الكتاب هو مرتبة الجمع والضم . .. فكل ما ضم وجمع فهو كتاب :

(سميت فاتحة الكتاب أي انها تفتح عليك معاني كتاب الله تعالى ، اسم فاعل من فتحت وتفتح .

والكتاب ضم الحروف بعضها الى بعض ، وفي انضمامها فهم المعاني) [5]

ويقول الشيخ عبد الكريم الجيلي : الكتاب هو عبارة عن أحكام الوجود المطلق ، الذي هو أحد وجهي ماهية الحقائق [6]

ويقول الشيخ عبد الغني النابلسي :الكتب هي النشأة الإنسانية الكاملة المكتوبة بالقلم الأعلى في لوح الإمكان بمداد النور المحمدي المخلوق من النور الإلهي القديم من غير واسطة [1]

---

[1] سورة الأنعام ٥٩

[2] الموسوعة الصوفية ص ١٢١٦

[3] البقرة ١٨١

[4] معجم مصطلحات الصوفية ص ٩٤٩ عن الفتوحات ٢٦٤/٢

[5] معجم مصطلحات الصوفية ص ٩٥٠ عن رسالة في كتابة سورة الفاتحة ق ١٢٧

[6] الإنسان الكامل ٦٥/١

۞ الكشف :

(الكشْفُ: رفعُك الشيء عما يُواريه ويغطّيه) [٢]

كشَف عن الشّيء : رفَع عنه ما يغطِّيه ، أظهره وبيّنه ، عرّاه ،

كَشَفَ الْحَقِيقَةَ : أَظْهَرَهَا ، أَبَانَ عَنْهَا مَا يُوَارِيهَا

وفي التنزيل العزيز : ﴿ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا العَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾ [٣]

وفي الاصطلاح الصوفي :

والكَشْف عند الصُّوفيّة هو الاطّلاع على ما وراء الحجاب من المعاني العليّة والأمور الخفيّة وجودًا وشهودًا [٤]

كما انه كشف الحجب عن أولياء الصوفية فيرون ويسمعون ويعلمون مالا يعلمه الناس من مغيبات سواء الماضية أو الحاضرة أو المستقبلية .

يقول الشيخ السراج :

الكشف هو بيان ما يستتر على الفهم ، فيكشف عنه للعبد كأنه رأي عين [٥]

ويقول الشيخ الجرجاني :

الكشف : هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجوداً وشهوداً [٦]

(والعلم الصحيح عند الصوفية : هو ما يقذفه الله في قلب العالم ، وهو نور الهي يختص به من يشاء من عباده .

---

[١] موسوعة الكسنزان ٢٣/١٩

[٢] لسان العرب ٣٠٠/٩

[٣] الدخان آية ١٢

[٤] معجم مصطلحات الصوفية ص ٢٢٥ والتعريفات ص ٧٨

[٥] اللمع ص ٣٤٦

[٦] التعريفات ١٩٣

ومن لا كشف له لا علم له .

وكل علم ليس عن ذوق هو ليس من علوم اهل الله ، واهل الله ما علموا الذي علموه الا ذوقاً وليس عن فكر ولا تدبر) [1]

(وتبدأ المكاشفات في عالم الشهادة عند اهل السلوك في مبتدأ الطريق .

ويكشف للمريد اول ما يُكشف عن المحسوسات ، ثم ينتقلون الى عالم الغيب ، وهو عالم لا يدرك الا بعين البصيرة ، وترتفع عن البصيرة الغشاوات بالمجاهدات ، وعندئذ تلوح اعلام الغيوب بقدر ما يريد الله تعالى ان يكشف للسالك منها.

ولا يخطئ الكشف ولكن مدلوله والتعبير عنه يخطئان ويصيبان) [2]

ويقول الشيخ أحمد الرفاعي الكبير :

(الكشف : هو قوة جاذبة بخاصيتها نور عين البصيرة إلى فضاء الغيب ، فيتصل نورها به اتصال الشعاع بالزجاجة الصافية حال مقابلتها إلى فيضه ، ثم ينصرف نوره منعكساً بضوئه على صفاء القلب ، ثم يترقى ساطعاً إلى عالم العقل ، فيتصل به اتصالاً معنوياً له أثر في استفاضة نور العقل على ساحة القلب ، فيشرق القلب على إنسان عين السر ، فيرى ما خفي عن الأبصار موضعه ، ودق عن الإفهام تصوره ، واستتر عن الأغيار مرآه) [3]

وقول السيد أحمد الرفاعي ﷺ : الكشف : قوة جاذبية بخاصيتها نور عين البصيرة إلى فيض الغيب ، يراد بذلك أن الكشف قوة تجذب صاحبها إلى عالم الغيب فيطلع على ما شاء الله له .

---

[1] الموسوعة الصوفية ص ١٢٢٠

[2] الموسوعة الصوفية ص ١٢٢٠

[3] البرهان المؤيد ص ٩٧

(الشيخ عماد الدين الأموي يقول : الكشف : عبارة عن بيان ما يستتر عن الفهم ، فيكشف للعبد عنه حتى كأنه يراه رأى العين.

اما الشيخ أحمد زروق فيقول :الكشف في أبسط صوره هو معرفة الحق ، أو اكتشاف الحقيقة . إنه إدراك أن لا حقيقة لشيء غير (الحقيقة المطلقة) ، بعد زوال حجاب الجهل من على البصر)[1]

قال أبو يزيد البسطامي مخاطباً غير الصوفية :

(أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت، حدثني قلبي عن ربي ، وأنتم تقولون : حدثني فلان ، وأين هو ؟ قالوا : مات ، عن فلان وأين هو ؟ قالوا : مات) [2]

وهنا يقول أبو يزيد البسطامي للعلماء من غير الصوفية (علماء الرسوم) أن العلم الذى عندهم وصلهم من الكتب عن سلسلة من رجال قد ماتوا , ولكن علماء الصوفية يأخذون علمهم من الله مباشرةً عن طريق الكشف .

يمكن اعتبار ابن عربي من أكثر الصوفية الذين جعلوا من علم الكشف بطريق الإلهام مصدراً لأغلب كتاباتهم، فقد ذكر أنّ معظم كتاباته ليست من تأليفه الشخصي، وإنما هي من الفتوحات الواردة على قلبه، وعلى سبيل المثال، يفتتح كتابه: (شق الجيب بعلم الغيب) بقوله: (الحمد لله رب العالمين، الذي وفقني للسباحة في بحر اليقين، وقوّاني على إخراج الدرر من أصداف العبارات، والاستعارات العجيبة، والأوضاع الجديدة، الواردة على قلبي بإلهام ربّي، وهي في الحقيقة درر عوارفه في حق العارفين [3]

---

[1] موسوعة الكسنزان ١٠٨/١٩

[2] الفتوحات المكية١/ ٣٦٥ ، الكواكب الدرية للمناوي ـ ٢٤٦

[3] ابن عربي، شق الجيب بعلم الغيب، ص ٢٨٥

وكذلك، كتابه (فصوص الحكم) الذي يقول إنّه تلقاه من يد النبي مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم في رؤيا يحكي تفاصيلها قائلاً: (فإنّي رأيت رسول الله وبيده ﷺ كتاب، فقال لي: هذا "كتاب فصوص الحكم"، خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به، فقلت: السمع والطاعة لله ولرسوله وأولي الأمر منّا كما أمرنا. فحققت الأمنية وأخلصت النية وجردت القصد والهمة إلى إبراز هذا الكتاب كما حدَّه لي رسول الله ﷺ من غير زيادة ولا نقصان)[1]

۞ اللوامع :

لَمَعَ: (فعل) ، فهو لامع لَمَّاعٌ وهي لامعةٌ والجمع : لوامع ولُمَّع .

(ولمع : بَرَقَ وأضاء)[2]

ولمع الطائر بجناحيه ، إذا خفق بهما .

ويقال : لمع بثوبه وألمع به ، إذا رفعه وحركه ليراه غيره فيجيء إليه .

وفي شعر العرب :

إذا الإِكامُ اكتَسَتْ مَآلِيَها ... وَكَانَ زَعْمُ اللَّوامعِ الكَذِبُ

سَقَى اللهُ ذات الغَمْر وَبْلاً ودِيمةً ... وجادتْ عليها البارِقاتُ اللَّوامِعُ

فَبِتِلْكَ إِذ رَقَصَ اللوامِعُ بِالضُّحَى ... وَاجْتَابَ أَرْدِيَةَ السَّرابِ إِكَامُهَا

وفي الاصطلاح الصوفي :

يتقارب معنى (اللوائح) و(اللوامع) و(الطوالع) حتى لا يكاد يُعرف الفرق بينها او الفاصل الا بمقدار طول بقاء الحالة ، ويجمع الثلاثة انها صفات لأصحاب البداية .

فاللوائح اشباه البرق ما تكاد تبدو حتى تستتر .

---

[1] ابن عربي، فصوص الحكم، ص ٤٧

[2] لسان العرب ٣٧١/٩

وأما اللوامع فتبقى أطول ولا يكون زوالها بذات السرعة .
والطوالع تدوم أكثر وتنير أشد وتجلي من الظلمة اكثر مما تجلي السابقتان .
وكلها في حال البداية ، ثم يكون ضياء من شموس المعارف وهو من علامات مراحل واحوال ومقامات متقدمة .
ويؤشر الشيخ ابن عربي الفرق بين اللوامع والطوالع واللوائح فيقول :
(اللوائح : هي ما يلوح من الاسرار الظاهرة من السمو من حال الى حال .
وعندنا : ما يلوح للبصر اذا لم تتقيد بالخارجة ومن الأنوار الذاتية لا من جهة القلب .
الطوالع : انوار التوحيد تطلع على قلوب اهل المعرفة فيطمس سائر الأنوار .
اللوامع : ما ثبت من انوار التجلي وقتين وقريب من ذلك)[1]
ويشير الطوسي في كتابه اللمع الى ذات التقارب مع وجود الفرق البسيط بين المصطلحات الثلاث .
(وهي – اللوائح واللوامع والطوالع – من صفات اصحاب البدايات الصاعدين في الترقي بالقلب ، فلم يدم لهم بعد ضياء شموس المعارف ... وهم في زمان سترهم يرقبون فجأة اللوائح منهم كما يقول القائل :
فتكون اولاً اللوائح ثم لوامع ثم طوالع ، فاللوائح كالبروق ما ظهرت حتى استترت ، كما يقول القائل :
افترقنا حولاً فلما التقينا كان تسليمه عليّ وداعا
واللوامع أظهر من اللوائح وليس زوالها بتلك السرعة ، فقد تبقى اللوامع وقتين او ثلاثة .ولكن كما قالوا : والعين باكية لم تشبع النظرا ، فإذا لمع قطعك عنك،

[1] المعجم الصوفي ص ١٠٠١ عن الاصطلاحات ص ٢٩١

وجمعك به ، لكن لم يسفر نور نهاره حتى بكر عليه عساكر الليل ، فهؤلاء بين روح ونوح ، لأنهم بين كشف وستر) [1]

ويضيف : (والطوالع : أبقى وقتاً ، واقوى سلطاناً وأدوم مكثاً وأذهب للظلمة ، وأنفى للتهمة ، لكنها موقوفة على خطر الأفول ، وهذه المعاني التي هي اللوائح واللوامع والطوالع ، تختلف في القضايا ، فمنها ما اذا فات لم يبق عنها أثر ، كالشوارق ، اذا افلت فكان الليل ، كان دائماً ، ومنها ما يبقى عنه أثر ، فإن زال رقمه بقي ألمه ، وان غربت انواره بقيت اثاره ، فصاحبه بعد سكون غلباته ، يعيش في ضياء بركاته)[2]

وذات الفهم والمعنى نجده في معجم الالفاظ الا اختلافاً في ترتيب البقاء والمكوث :

(اللوائح ما يلوح للأسرار الظاهرة ، وذلك لزيادة السمو والانتقال من حال الى حال اعلى ، والطوالع ابقى وقتاً من اللوائح واقوى سلطاناً وادوم مكثاً ، اما اللوامع فمأخوذة من لوامع البرق اذا لمعت في السحاب وهي اظهر من اللوائح والطوالع وتستمر وقتاً اطول منهما ... واللوائح والطوالع واللوامع منها ما تشرق به النفس ثم يزول فينتهي ولا يبقى له من أثر ، ومنها ما يبقى عنه اثر في النفس ، فاذا زال بعد ذلك فإنه يسبب لها الماً حتى يفتح الله عليه مرة اخرى ويمن عليه من نعمه .

ويرى بعض العارفين ان الله يرد في قلوب اوليائه بلا توهم بأصل ما عقدت عليه القلوب من التصديق والايمان بالغيب وما بدا للقلوب الواقعة من زيادة النور حتى لا تمكن النفوس من توهم ذلك النور فلو توهمت انقطعت تلك اللوامع) [3]

---

[1] اللمع ص ٤١٢

[2] اللمع ص ٤١٣

[3] معجم الفاظ الصوفية ص ٢٣٥

الشيخ السراج الطوسي يقول :

اللوامع معناه قريب من اللوائح وهو مأخوذ من لوامع البرق اذا لمعت في السحاب طمع الصادي والعطشان في المطر [١]

اما الشيخ القاشاني فيقول :

اللوامع : أنوار ساطعة تلمع لأهل البدايّات من أرباب النفوس الضعيفة، فتنعكس من الخيال إلى الحِس المشترك فتصير مشاهدة بالحواس الظاهرة فيتراءى لهم أنوار كأنوار الشهب والشمس والقمر فيضيء ما حولهم. وهي إمّا من غلبة أنوار القهر والوعيد (على النفس) فيضرب إلى الحُمرة وإما (من) غلبة أنوار اللطف والوعد فيضرب إلى الخضرة والنصوع ليلة القدر، ليلة يختصّ فيها السالك بتجلٍّ يعرف به قدره ورتبته بالنسبة إلى محبوبه. وهي وقت ابتداء وصول السالك إلى عين الجمع ومقام البالغين في المعرفة [٢]

۞ اللوح :

لَوْح : مصدر لاحَ يلوح والجمع : ألواح

(اللَّوْحُ صفيحة من صفائح الخشب، والكَتِف إذا كتب عليها سميت لَوْحاً. واللوحُ: الذي يكتب فيه. واللوح: اللوح المحفوظ. ولاح الشيء اذا لمح ولمع ، ولاح البرق اذا لمع واومض)[٣]

وفي التنزيل :جاء (لوح) بمعنى اللوح المحفوظ ، في قوله تعالى :

﴿ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾[٤] يعني مُسْتَوْدَع مَشِيئاتِ الله تعالى ، وإنما هو على المثَلِ .

وورد في قصة النبي موسى عليه السلام بصيغة الجمع (الواح)

---

[١] اللمع ص ٣٣٦

[٢] اصطللاحات الصوفية ص ٧٤

[٣] لسان العرب ٢٥١/١٣

[٤] البروج ٢٢

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾[1]

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾[2]

ووردت كلمة لوح بمعنى لوح الخشب في السفينة

﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴾[3]

وفي السنّة الشريفة ورد اللوح بمعنى قطعة الخشب :

(فعمد الخضر الى لوح من الواح السفينة فنزعه قال موسى : قوم حملونا بغير نول فعمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها)[4]

وفي شعر العرب :

الموتُ تَأْتِي لميقاتٍ خَواطِفُه ... وَلَيْسَ يُعْجِزُهُ هَلْكٌ وَلَا لُوح

أُسُودُ شَرىً لاقَتْ أُسُودَ خَفِيَّةٍ ... تَسَاقَوْا عَلَى لَوحٍ دِماءَ الأَساوِدِ

فَلَمَّا رأَتْ أَن لَا يُجِيبَ دُعاءَها ... سَقَتْه عَلَى لَوْحٍ دِماءَ الذَّرارِحِ

وفي الاصطلاح الصوفي :

(هو الكتاب المبين والنفس الكلية ، فالألواح أربعة :

لوح القضاء السابق على المحو والإثبات وهو لوح العقل الأول ولوح القدر أي لوح النفس الناطقة الكلية التي تفصل فيها كليات اللوح الأول و يتعلق بأسبابها وهو المسمى باللوح المحفوظ ولوح النفس الجزئية السماوية التي ينتقش فيها كل ما في هذا العالم بشكله وهيئته ومقداره وهو المسمى بالسماء الدنيا وهو بمثابة

---

[1] الأعراف١٤٥

[2] الأعراف١٥٤

[3] القمر١٣

[4] البخاري باب ما يستحب للعالم اذا سئل ٥٧/١ ومسلم باب من فضائل الخضر ١٨٤٩/٤ وسنن الترمذي باب ومن سورة الكهف ٣١١/٥

خيال العالم كما أن الأول بمثابة روحه والثاني بمثابة قلبه ولوح الهيولى القابل للصور في عالم الشهادة) [1]

(يقصد الصوفية باللوح انه اللوح المحفوظ ، الذي لا يعلم حقيقته الا الله تعالى ويعبر عنه احياناً بأم الكتاب ، ويوصف بأنه مستودع لما كان ويكون مما يعلمه الله .

والالواح جمع لوح من جوهر معين كتب الله فيها بطريقة ما ، مواعظ واحكام ، ومجموع ما كتب فيها هو التوراة وقيل ان هذه الكتابة تمت قبل نزول التوراة .

ويرى الشيخ الاكبر ابن عربي ان اللوح هو الموضع او المكان الذي تسطر فيه الأعمال والافعال الخيرة منها والشريرة الى اليوم الآخر ، والى الحد المعلوم ، الذي شاء الله ان يكون)[2]

ويرى الشيخ الأكبر ابن عربي ان اللوح يعني اللوح المحفوظ الذي يشكل مع القلم الثنائية الأولى :

(كان اللوح موضعاً ومحلاً لما يكتب فيه هذا القلم الأعلى الالهي .. وهو اول موجود انبعاثي)[3]

(واسم اللوح المحفوظ عند العقلاء : النفس الكلية ، وهي اول موجود انبعاثي ، منفعل عن العقل وهي للعقل بمنزلة حواء من ادم ، منه خلق وبه زوج فثنى)[4]

الشيخ كمال الدين القاشاني يقول :

(اللوح عند الشيخ ابن عربي : هو محل التدوين والتسطير المؤجل إلى أجل معلوم ، وهو الكتاب المبين ، والنفس الكلية)[1]

---

[1] التعريفات ص ٨٣

[2] معجم الفاظ الصوفية ص ٢٤٩

[3] الفتوحات ١/١٢٩

[4] الفتوحات ١/ ٣٩٩

اما الشيخ عبد الكريم الجيلي فيقول :

(اللوح : هو عبارة عما اقتضى التعين من ذلك الوجود على الترتيب الحكمي لا على المقتضى الإلهي غير المنحصر ، فإن ذلك لا يوجد في اللوح مثل تفصيل أحوال الجنة والنار ... لكنه موجود في الكتاب ، والكتاب كلي عام ، واللوح جزئي خاص)[٢]

۞ المجاهدة :

مُجاهَدة : في اللغة هي مصدر جاهَدَ يجاهد ، وهي اسم

(ومُجَاهَدَةُ النَّفْسِ : التَّغَلُّبُ عَلَى شَهَوَاتِهَا

وفي الفقه : محاربة النفس الأمّارة بالسوء بتحميلها ما يشقّ عليها بما هو مطلوب في الشرع

وجهَد الشَّخْصُ : جَدّ وبذل غاية وسعه) [٣]

(جاهَدَ العدوَّ مُجاهَدة وجِهاداً: قاتله والجهاد محاربة الأَعداء، وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أَو فعل .

والجهاد: المبالغة واستفراغ الوسع في الحرب أَو اللسان أَو ما أَطاق من شيء)[٤]

والجَهْدُ : المشقَّة ، كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ مِنْ جَهْدِ الْبَلاَءِ

والجُهْدُ : الشيء القليل يعيش به المقِلُّ على جهد العيش .

وفي التنزيل العزيز : ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ﴾[٥] ؛ على هذا المعنى .

وقال الفراء : الجُهْدُ في هذه الآية الطاقة ؛ تقول : هذا جهدي أَي طاقتي

---

[١] لطائف الإعلام ص ٤٩٥

[٢] الانسان الكامل ٦٦/١

[٣] معجم اللغة العربية المعاصرة ص ٤١١

[٤] لسان العرب ١٣٥/٣

[٥] التوبة٧٩

ومن حديث السيدة عائشة ام المؤمنين ﵂ :

يارسول الله الا نخرج نجاهد معكم ؟ فَقَالَ : جِهَادُكُنَّ الْحَجُّ ، [1] وفي الحديث : (لا هِجرة بعد الفتح ولكن جِهاد ونِيَّةٌ)[2]؛ والجهاد في هذا الحديث محاربة الأَعداء.

وفي شعر العرب :

قد حَلَفَتْ لَيْلَةَ الصَّوْرَيْنِ جاهِدَةً ... وما على المرء إلاّ الصَّبْرُ مُجْتَهِدا

كأنَّ المطايا المجْهَداتِ من السُّرَى ... إِلَى بَابه يَقْضَمْنَ بالجُهد سَكرَّا

عَلى غَيرِ ذَنبٍ أن أكونَ جَنَيتُهُ، ... سِوى قَوْلِ باغٍ جاهدٍ فَتَجَهّدَا

وفي الاصطلاح الصوفي :

(المجاهدة : صدق الافتقار الى الله تعالى بالانقطاع عن كل ما سواه ، وقيل بذل النفس في رضاء الحق ، وقيل المجاهدة هي فطام النفس عن الشهوات ونزع القلب عن الأماني والشبهات) [3]

وفي معجم المصطلحات وردت كلمة مجاهدة بمعنى :

(نجد المجاهدة في قوله تعالى : وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا ، قال الحسن القزاز رحمه الله تعالى وفي مجاهدة النفس : ان لا تأكل الا عند الفاقة ، ولا تنام الا عند الغلبة ، ولا تتكلم الا عند الضرورة .

ويجمع ائمة الصوفية انه لا يفتح على المريد بشيء من ثمرات التصوف او يكشف له منها بغير لزوم المجاهدة)[4]

---

[1] البخاري ٣/١٠٥٤ برقم ٢٧٢٠ ومسند احمد ٦/٧١ برقم ٢٤٤٦٧ بزيادة (الحج المبرور هو لكن جهاد)

[2] مسند احمد ٦/٤٦٥ برقم ٢٧٦٨١

[3] الموسوعة الصوفية ص ١٢٤٢

[4] معجم الفاظ الصوفية ص ٢٥٢

قال ابو يزيد البسطامي رحمه الله تعالى : (كنت اثنتا عشرة سنة حداد نفسي ، وخمس سنين مرآة نفسي ، وسنة انظر بينهما – أي بين النفس والقلب – فإذا في وسطي زنار ظاهر ، فعملت على قطعه في اثنتي عشرة سنة ، ثم نظرت فإذا في باطني زنار ، فعملت على قطعه في خمس سنين ، فكشف لي فنظرت الى الخلق فرأيتهم موتى فكبرت عليهم اربع تكبيرات)[1]

ويروى عن أبى يزيد البسطامى أنه قال : (عملت فى المجاهدة ثلاثين سنة ، فما وجدت شيئا أشد علىَّ من العلم ومتابعته ولولا اختلاف العلماء لبقيت ، واختلاف العلماء رحمة ، إلا فى تجريد التوحيد)[2]

وقال أبو علي الدقاق رحمه الله تعالى :

(من زين ظاهره بالمجاهدة حسن الله سرائره بالمشاهدة ، وقال الله تعالى : والَّذينَ جاهَدوا فينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا واعلم أنه من لم يكن في بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريقة شمَّة) [3]

قال الإمام البركوي رحمه الله تعالى :

(المجاهدة : وهي فطم النفس وحملها على خلاف هواها في عموم الأوقات ، فهي بضاعة العُبَّاد ورأس مال الزهاد ، ومدار صلاح النفوس وتذليلها ، وملاك تقوية الأرواح وتصفيتها ووصولها إلى حضرة ذي الجلال والإكرام ، فعليك أيها السالك بالتشمير في منع النفس عن الهوى ، وحملها على المجاهدة إن شئت من الله الهدى ، قال الله تعالى : والَّذينَ جاهَدوا فينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا .

وقال أيضاً : وَمَنْ جاهَدَ فإنما يُجاهِدُ لِنَفْسِهِ)[4]

---

[1] الغنية ١٨٢/٢

[2] طبقات الصوفية ص٧٠

[3] الرسالة القشيرية ص ٤٨

[4] موسوعة الكسنزان ج / ٢٠ مادة جهد

وهذه هي رحلة المجاهد للنفس حتى لا يجد العارف اهتماماً بالخلق والدنيا وما فيها ، ويبقى على الدوام مع الله ، وهذا مقام عالٍ قلَّ ان يوجد بين الناس .

المحاسبة

المحاسبة في اللغة : من الحساب وهو عد الأشياء ، وهو ما يحاسب عليه فيجازى بحسبه ، والحساب يقال باعتبار الدنيا والآخرة [1] :

فالمحاسبة في الدنيا :

ما يحسبه الإنسان من أسباب معلومة للرزق ، كقوله تعالى :

﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[2]

وقوله : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾ [3]

ربما يعطيه أكثر مما يستحق ، أو يعطيه عطاء لا يمكن للبشر إحصاؤه ، أو يعطيه بلا مضايقة [4]

وشكل آخر للمحاسبة في الدنيا يستعمل الحساب بمعنى حلول وقت المساءلة على الأمانة ، أو المجازاة عليها كقوله تعالى :

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا ﴾[5]

ووردت في الحديث بنفس المعنى :

---

[1] لسان العرب ٣٠/١ ، وكتاب العين ١٤٩/٣

[2] آل عمران/٣٧

[3] الطلاق/٢

[4] المفردات ص ١١٧

[5] الطلاق/٨

فعن أبي حميد الساعدي ﷺ ، قال : " استعمل رسول الله ﷺ رجلا على صدقات بني سليم يدعى ابن اللتبية ، فلما جاء ، حاسبه قال : هذا ما لكم وهذا هدية ، فقال رسول الله : فهلا جلست في بيت أبيك وأمك ، حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا [1]

ب- والمحاسبة في الآخرة تكون على نوعين ، حساب الله تعالى للعبد ، وحساب العبد لنفسه .

١- محاسبة الله للعبد فى الآخرة ، كقوله تعالى :

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ [2]

وقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمْ اقْرَءُوا كِتَابِيهِ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيهِ ﴾ [3]

ومما ورد فى السنة ، ما روى عن أبي سعيد الخدري ﷺ ، أن النبي ﷺ قال : (فإن الناس يصعقون يوم القيامة ، فأكون أول من تنشق عنه الأرض ، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدري أكان فيمن صعق ، أم حوسب بصعقة الأولى ؟) [4]

وعن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عَليه وسلم قال : (من حوسب عذب ، قالت : أوليس يقول الله تعالى : فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا [5] فقال : إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب يهلك) [6]

---

[1] البخارى كتاب الحيل ٣٦٤/١٢ برقم (٦٩٧٩)

[2] الأنبياء/١

[3] الحاقة/٢٠

[4] البخارى كتاب الخصومات ٨٥/٥ برقم (٢٤١٢)

[5] الانشقاق/٨

[6] البخارى كتاب العلم ٢٣٧/١ برقم (١٠٣)

وعن أبي الدرداء ﷺ ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

(قال الله عز وجل : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾[1]

فأما الذين سبقوا بالخيرات فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ، وأما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حسابا يسيرا ، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يحبسون في طول المحشر ثم هم الذين تلقّاهم الله برحمته ، فهم الذين يقولون :

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ [2]) [3]

٢- محاسبة العبد نفسه قبل محاسبة الله له فى الآخرة ، لما روى عن شداد بن أوس ، عن النبي ﷺ قال :

(الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله) [4]

ومعنى قوله عزَّ وجلَّ من دان نفسه ، أى حاسب نفسه في الدنيا ، قبل أن يحاسب يوم القيامة

المحاسبة فى الاصطلاح الصوفى :

المحاسبة فى الاصطلاح الصوفى تطلق على الموازنة بين مقدار ما يكتسبه العبد من الخير أو الشر ، أو تقدير أعلى الخيرين وأدنى الشرين .

(من حاسب نفسه على اللحظات والخطرات ، خفّت في القيامة حسراته ، ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته ، وكثرت في عرصات القيامة وقفاته ،

---

[1] فاطر/٣٢

[2] فاطر/٣٤

[3] مسند الإمام أحمد برقم ٢١٢٢٠

[4] الترمذى كتاب صفة القيامة ٦٣٨/٤ برقم (٢٤٥٩)

والأوْلى : مرابطة النفس أولاً بالمشاركة ، ثم بالمراقبة ، ثم بالمحاسبة ، ثم بالمعاقبة ، ثم بالمجاهدة ، ثم بالمعاينة ، فهذه ستة مقامات)[1]

روى عن أبى سليمان الدرانى أنه قال :

(أبلغ الأشياء فيما بين الله وبين العبد المحاسبة) [2]

وروى عن الحارث المحاسبى : (المحاسبة والموازنة فى أربعة مواطن فيما بين الإيمان والكفر ، وفيما بين الصدق والكذب ، وبين التوحيد والشرك ، وبين الإخلاص والرياء) [3]

ويذكر القاشاني :

(أن المحاسبة عند الصوفية هي المقايسة بين الحسنات والسيئات، ليعلم العبد أيهما أرجح، وهذه المقايسة تحتاج إلى ثلاثة أمور:

أحدها: ألا تضع ميزان الشرع من يدك، إذ لا يصح التمييز بين الحق والباطل لمن أهمله.

ثانيها: أن لا تضع الحزم الذي هو سوء الظن بالنفس، بحيث لا تعتقد فيها أنها تفعل خيرا خالصا أصلا ، إلا أن يرحم الله لآية : ﴿إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [4]

ثالثها: ألا تشتبه عليك الفتنة بالنعمة، وذلك بأن تنظر إلى ما أنعم الله به عليك من خير، صحة كان أو فراغا، أو علما أو طاعة، أو مالاً أو سؤدداً، أو غير ذلك مما لا يعد كمالاً في الدنيا والآخرة ، فإن وجدت ذلك مما يجمعك

---

[1] الموسوعة الصوفية ص ١٢٤٤

[2] طبقات الصوفية ص٨٠

[3] طبقات الصوفية ص ٥٨

[4] سورة يوسف / ٥٣

على الله، أي لا يميل بك إلى سواه من جميع الكائنات دنيا وآخرة فهو نعمة وإن وجدته مفرقا عنه فهو نقمة) [1]

۞ المحو

المحو : إزالة الأثر ، ويقال فى المحسوسات وغيرها [2]

أ- فمن المحو فى المحسوسات ، كقوله تعالى :

﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ [3]

ومن حديث رسول الله ﷺ عن جابر ﷺ ، أن النبي ﷺ أمر عمر بن الخطاب ﷺ زمن الفتح وهو بالبطحاء أن يأتي الكعبة ، فيمحو كل صورة فيها ، فلم يدخلها النبي ﷺ حتى محيت كل صورة فيها [4]

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : لما خرجت الحرورية ، اعتزلوا ، فقلت لهم : إن رسول الله ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين ، فقال لعلي : اكتب يا علي ، هذا ما صالح عليه مُحَمَّد رسول الله ﷺ ، قالوا : لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك ، فقال رسول الله ﷺ : امح يا علي ، اللَّهم إنك تعلم أني رسولك امح يا علي ، واكتب هذا ما صالح عليه مُحَمَّد بن عبد الله ، والله لرسول الله خير من علي ، وقد محا نفسه ، ولم يكن محوه ذلك يمحاه من النبوة ، أخرجت من هذه ؟ ، قالوا : نعم [5]

---

[1] انظر لطائف الإعلام ص ٤٠٦

[2] المفردات ص٤٦٤

[3] الإسراء/١٢

[4] أبو داود كتاب اللباس برقم (٤١٥٦) وقال عنه الشيخ الألبانى : حسن صحيح ٧٤/٤

[5] أحمد فى المسند (٣٤٢\١) باب مسند عبد الله بن العباس برقم (٣١٧٧) و صحيح مسلم كِتَابُ الجهاد وَالسِّيَرِ بَابُ صلح الحديبية في الحديبية حديث رقم ٣٤٣٨

ب- ومن المحو فى غير المحسوسات الدنيوية ما ورد فى قوله تعالى : ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ﴾[1] وقوله سبحانه :﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [2]

ومما ورد فى السنة عن أبي قتادة ﷺ ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من نفس عن غريمه ، أو محا عنه كان في ظل العرش يوم القيامة [3]

المحو فى الاصطلاح الصوفى :

المحو فى الاصطلاح الصوفى يقابل الإثبات ، ويعنى رفع أوصاف العادة ومحو العلة المؤثرة فى القلب ، القادحة فى طريق وصوله إلى الحق ، وإزالة الخلال الذميمة من أوصاف النفوس .

روى عن أبى الحسين النورى أنه قال : (الخاص والعام فى قميص العبودية ، إلا من يكون منهم أرفع ، جذبهم الحق ومحاهم عن نفوسهم فى حركاتهم ، وأثبتهم عند نفسه ، قال الله تعالى: يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ[4]) [5]

ويبين السراج الطوسى ، أن معنى جذبهم الحق ، يعنى جمعهم بين يديه ، ومحاهم

---

[1] الشورى/٢٤

[2] الرعد/٣٩

[3] أحمد فى المسند برقم (٢٢٠٥٣) واللفظ له ، وأخرجه مسلم فى كتاب المساقاة ١١٩٦/٣ برقم (١٥٦٣)

[4] الرعد/٣٩

[5] اللمع ص٤٣١

عن نفوسهم ، يعنى عن رؤية نفوسهم فى حركاتهم ، وأثبتهم عند نفسه ، بنظرهم إلى قيام الله لهم فى أفعالهم وحركاتهم [١]

وقال السراج الطوسى : (المحو ذهاب الشئ ، إذا لم يبق له أثر ، وإذا بقى له أثر فيكون طمسا) [٢]

(ويذكر أبو القاسم القشيرى المحو فى مقابل الإثبات ، كما ورد فى قوله تعالى ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ [٣]﴾ ، وهو رفع أوصاف العادة ، وينقسم بشرط العبودية إلى ثلاثة أنواع :

أ- محو الزلة عن الظواهر ، وفى محو الزلة إثبات المعاملات .

ب- ومحو الغفلة عن الضمائر ، وفى محو الغفلة إثبات المنازلات .

ج- ومحو العلة عن السرائر ، وفى محو العلة إثبات المواصلات [٤]

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى : (المحو رفع أوصاف العادة وإزالة العلة والمحو كالنسخ ، فإن الحكم إذا انتهت مدته انتقض بغيره ، والنسخ فى الأحكام انتهاء مدة الحكم ، وفى الأشياء المدة ، قال تعالى : كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى [٥] فجريان العادة فى كل مخصوص ، إنما يكون إلى وقت معين ثم ينتقض بما هو ليس بعادة : يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ [٦]) [٧]

ويذكر الكاشانى فى المحو عدة اصطلاحات تعارف عليها الصوفية [١] :

---

[١] اللمع ص٤٣١

[٢] اللمع ص٤٣١

[٣] الرعد/٣٩

[٤] الرسالة القشيرية١/٢٤١

[٥] الرعد/٢

[٦] الرعد/٣٩

[٧] اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص٦

١- محو أرباب الظواهر : هو أن تمحو عن نفسك ما قد اعتدته من الخلال الذميمة ، ثم تستعيض عنها بالخصال الحميدة ، فإن فعلت ذلك ، فأنت صاحب المحو والإثبات ، الذى يقتصر عليه نظر أهل الظواهر .

٢- محو أرباب السرائر : هو إزالة العلة والآفات ، ويقابله الإثبات الذى هو إثبات المواصلات ، وإنما سمى هذا المحو بمحو أرباب السرائر ، لأن العلل متى زالت عن السرائر ، كان فى محوها إثبات الموصلات ، كما كان فى محو الذات عن الظواهر إثبات المعاملات ، وهذان المحوان ، وما يقابلهما من الإثبات ، محو وإثبات بشرط العبودية ، وفى ذلك محو رسوم الأعمال لفناء العبد عن نفسه فضلا عما منه ، ولا إثبات الحق له بما أنشأه له من الوجود به ، فهو بالحق لا بنفسه لإثبات الحق له مستأنفا ، بعد أن محاه عن أوصافه .

٣- محو الجمع : عبارة عن فناء الكثرة فى الوحدة .

٤- المحو الحقيقى : يعنى به رؤية الأشياء بعين أحدية الجمع ، الماحية للأغيار والغيرية ، لانتفاء التفرقة والمعاندة بين الذات وبين جميع شؤونها فى المرتبة الأولى التى هى مرتبة أحدية الجمع .

٥- محو العبودية : هو المحو بشرط العبودية وقد يعنى بمحو العبودية محو عين العبد من الوجود على الوجه الذى فهمه أهل الخصوص من العلماء .

٦- محو التشتت : أى محو الغير فى العين والغيرية فى الهوية فإن الكثرة هى المشتتة لشمل الوحدة فمحو التشتت هو التحقق بمقام أحدية الجمع الجامع لشمل الوحدة التى لا يرى معها غير ولا غيرية .

٧- محو المحو : هو البقاء بعد الفناء .

۞ المراقبة :

راقبَ يراقب ، مُراقبةً وراقبَ الشَّيءَ : رقَبه ، حرَسه ولاحظه وراعاه .

---

[١] معجم اصطلاحات الصوفية ص ٩٨ - ١٠٠

رَاقَبَ اللَّهَ فِي عَمَلِهِ : خَافَهُ ، خَشِيَهُ

في أَسماءِ الله تعالى : الرَّقِيبُ : وهو الحافظُ الذي لا يَغيبُ عنه شيءٌ وفي الحديث : (ارْقُبُوا مُحَمَّداً فِي أَهل بيته)[1] أَي احفَظُوه فيهم

والرَّقيبُ : الحَفِيظُ .

وقوله تعالى : ولم تَرْقُبْ قَوْلي ؛ معناه (لَمْ تَرْقُبْ) أيْ ولَمْ تُراعِ (قَوْلِي)[2].

وفي الاصطلاح الصوفي :

سُئل احد الصالحين عن المراقبة فقال : هي مراعاة السر ، لملاحظة نظر الحق سبحانه مع كل خطرة [3]

ويقول الجريري رحمه الله تعالى : امرنا هذا مبني على فصلين هما :

ان تلزم نفسك المراقبة لله تعالى ، ويكون العلم على ظاهرك قائما [4]

والمراقبة من شريف الأحوال ، وأشرف أحوال المراقبة أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك [5] .. أو أن تراقب الله وتسأله أن يرعاك، فإنه لا يكل خاصته في جميع أحوالهم إلى نفوسهم، ولا إلى أحد [6]

(وقال ابن عطاء لبعض حكماء خراسان ممن قد ولع بالجهل وقارن التقشف: أو ما علمت أن ما تقارن ببدنك أقذار في جنب ما تطالع بقلبك، وما تطالعه

---

[1] البخاري ١٣٦١/٣ برقم ٣٥٩

[2] تفسير روح المعاني

[3] الرسالة القشيرية ص ٣٣٤

[4] الرسالة القشيرية ص ٣٣٤

[5] اللمع ٥٥

[6] اللمع ٥٥

بقلبك هباء في جنب ما تراقب في سرك ؟ فراقب الله في سرك وعلانيتك ، فإنه خير مما تقارن من عملك وعبادتك)[1]

والمراقبة كما جاءت في كتاب التعريفات : استدامة علم العبد باطلاع الرب عليه في جميع احواله [2]

يقول الشيخ أبو مُحَمَّد المرتعش : المراقبة هي مراعاة السر لملاحظة الحق في كل لحظة ولفظة [3]

ويقول الشيخ السراج الطوسي:المراقبة هي أول حال من أحوال أرباب القلوب [4]
[4]

ويقول الشيخ القشيري : المراقبة هي علم العبد باطّلاع الرب سبحانه وتعالى عليه ، واستدامته لهذا العلم مراقبته لربه ، وهذا أصل كل خير [5]

ويقول لشيخ كمال الدين القاشاني :

المراقبة : هي المحافظة ، قال تعالى (كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ) ، أي الحفيظ .

والمراقبة في هذا الطريق : هي دوام الملاحظة لما هو المقصود بالتوجه إلى الحق ظاهراً وباطناً ، ويندرج فيها الرعاية والحرمة [6]

۞ المريد والمراد :

مُريد: اسم فاعل من أرادَ ، و المراد: مفعول مِنْ أَرَادَ

---

[1] اللمع ٥٢

[2] التعريفات ص ٨٩

[3] عوارف المعارف ص ٢٢٨

[4] انظر اللمع ص ٥٢

[5] الرسالة ص ١٤٨

[6] لطائف الإعلام ص ٥١٥

يقال: أراد الشيء، يريده : إذا تمناه، وطلبه، وأحبه ورغب فيه ، فهو مريد ، ومُراد هو المطلوب والمرغوب فيه .

والمُريد: هو المختار للتصرف، سواء كان اختياره له من حب لهذا التصرف، أم عن غير حب، عكس المُراد الذي لا يشترط فيه الاختيار فهو مرغوب فيه وهو المأمول والمطلوب أن يحصل، وهو بمعنى الوصول إلى الهدف وتحقيق الغايات .

والمريد : هو تابع ، متعلِّم على شيخ وهو رتبة من رتب الصّوفيَّة

هو مُرِيدُهُ : من طَلَبَتِهِ وأَنصاره ومُناصريه

فالمريد اصطلاحاً: هو الذي تعلقت إرادته بمعرفة الحق، وقرر سلوك طريق التصوف، ودخل تحت تربية شيخ الطريقة .

مُراد: أي أن الحق تعالى دعاه وقربه منه فخلع عليه خلعة القبول، فتحركت الدواعي في المريد لمعرفة الله تعالى وبالتالي غالباً ما يكون المريد الصادق مُراداً. استشهاداً بقوله تعالى "يحبهم ويحبونه" و "ثم تاب عليهم ليتوبوا"

وفي الاصطلاح الصوفي :

يقول أبو حامد الغزالي حول علاقة المريد بشيخه:

(..فكذلك المريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدي به لا محالة، ليهديه إلى سواء السبيل، فإن سبيل الدين غامض، وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة، فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طرقه لا محالة...فمعتَصَمُ المريد، بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه، فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ النهر بالقائد، بحيث يفوّض أمره إليه بالكلية، ولا يخالفه في ورده ولا صدره، ولا يُبقي في متابعته شيئاً ولا يذر، وليعلم أن نفعه في خطأ شيخه- لو أخطأ- أكثر من نفعه في صواب نفسه لو أصاب، فإذا وجد مثل هذا المعتَصَم، وجب على معتَصَمِه -أي: شيخه- أن يحميه ويعصمه بحصن حصين) [1]

[1] إحياء علوم الدين: (٦٥/٣)

ويقول أبو القاسم القشيري:

(...ثم يجب على المريد أن يتأدب بشيخ، فإن لم يكن له أستاذ لا يفلح أبداً، هذا أبو يزيد يقول: من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان، وسمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: الشجرة إذا نبتت بنفسها من غير غارس، فإنها تورق لكن لا تثمر، كذلك المريد إذا لم يكن له أستاذ يأخذ منه طريقته نفساً فنفساً فهو عابد هواه، ولا يجد نفاذاً) [1]

ويضيف الشيخ القشيري في أدب العلاقة بين المريد وشيخه :

(وأن لا يخالف شيخه في كل ما يشير عليه لأن الخلاف للمريد في ابتداء حاله دليل على جميع عمره .

ويقول أيضاً : ومن شروطه أن لا يكون بقلبه اعتراض على شيخه)[2]

ويقول ابن عربي في كتابه اصطلاح تصوف : المريد هو المتجرد عن إرادته .

(والمريد: مراد في الحقيقة، والمراد: مريد؛ لأن المريد لله تعالى: لا يريد إلا بإرادة من الله تقدمت له؛ قال الله تعالى: (يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)[3] ، فكانت إرادته لهم سبب إرادتهم له؛ إِذْ عِلّة كل شَيْء صنعه وَلَا عِلّة لصنعه ، ومن أراده الحق فمحال أن لا يريده العبد، فجعل: المريد مراداً، والمراد مريداً، غير أن المريد: هو الذي سبق اجتهاده كشوفه، والمراد: هو الذي سبق كشوفه اجتهاده.

فالمريد: هو الذي قال الله تعالى عنه : (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)[4]

ان الفرق بين المريد والمراد هو الفرق في المراحل وفي مقدار القرب ، ثم في العطاء الرباني لكل من السالِكَين)[1]

---

[1] الرسالة القشيرية، (ص:١٨١)

[2] الرسالة ص ١٨٢

[3] المائدة٥٤

[4] العنكبوت ٦٩

ان الفرق بينهما يتحدث عنه معجم الفاظ الصوفية فيبين ان :

(وما اراد المريد الا بعد ان خلصت ارادته ، وما خلصت ارادته الا بعد ان تطهرت نفسه ، وفتح على قلبه جمرة الخشية والخوف من الله ، فما بقي له الا الله ناصراً ، وهاديا ومعينا ، فنومه وأكله ووجده وكلامه ، ضرورة ، وهو يروّض نفسه وينصحها ويأنس بالخلوة مع الله ويرضى بقضاء الله ويختار امر الله .... ويقف مع كل سبب يقربه من الله .

وعندما يصل المريد الى هذه الدرجة يحبه الله ويقربه فهو اذن مراد الله قريب من رحمة الله ولطف الله تخلع عليه انواع الخير وهي المعرفة والطمأنينة والحكمة . ويلقب بالقاب يتميز بها بين احباب الله ويسمى بأسماء لا يعرفها الا الله ويطلع على اسرار لا يبيح بها الله لغيره .

فالمريد اذا سكنت حركاته الشهوانية صار قلبه خزانة الله ، فهو مريد مبتديء في اول الطريق ، مراد لله في نهايته .

فالمريد يكابد ويجاهد والمراد يتنعم ويسعد ، والمريد يتولاه سياج العلم والمراد تتولاه رعاية الحق تعالى ، والمريد يسير والمراد يطير .

فالمريد هو طالب الحقيقة والمراد هو المطلوب من الله)[٢]

يقول الشيخ عبد القادر الكيلاني ﷺ ليشرح الفارق بين المريد والمراد :

(إن المريد والمراد واحد، إذ لو لم يكن مراد الله عز وجل بأن يريده لم يكن مريدًا، إذ لا يكون إلا ما أراد، لأنه إذا أراده الحق بالخصوصية وفقه بالإرادة، كما قال الله تعالى: {وما تشاؤن إلا أن يشاء الله}

المريد: المبتدى، والمراد: المنتهى، المريد: الذي نصب بعين التعب وألقى في مقاساة المشاق، والمراد: الذي لقى الأمر من غير مشقة، المريد: متعب، والمراد:

---

[١] التعرف / الباب الثالث والستّون

[٢] معجم الفاظ الصوفية ص ٢٤٨

مرفوق به مرفه، فالأغلب في حق القاصدين المبتدئين في سنة الله تعالى ما قد تم وجرى من توفيق الله تعالى للمجاهدات، ثم إيصالهم إليه وحط الأثقال عنهم، والتخفيف عنهم في كثير من النوافل وترك الشهوات، والاقتصار على القيام بالفرائض والسنن من جميع العبادات، وحفظ القلوب ومحافظة الحدود والمقام، والانقطاع عما سوى الحق عز وجل بالقلوب، فيكون ظواهرهم مع خلق الله تعالى، وبواطنهم مع الله عز وجل، ألسنتهم بحكم الله، وقلوبهم بعلم الله، فألسنتهم لنصح عباد الله، وأسرارهم لحفظ ودائع الله، فعليهم سلام الله وتحياته وبركاته ورحمته وتحيته مادامت أرضه وسماؤه، وقام العباد بطاعته وحقه، وحفظ حدوده.

وسئل الجنيد رحمه الله عن المريد والمراد، فقال: المريد: تتولاه سياسة العلم، والمراد: تتولاه رعاية الحق، لأن المريد يسير، والمراد يطير، فمتى يلحق السائر الطائر) [1]

۞ المعرفة :

مَعْرِفة : مصدر عَرَفَ ، والجمع : معارِفُ

المعرفة من العُرف ضدَّ النكر، والعرفان خلاف الجهل ، وتَعَرَّفْتُ ما عند فلان، مصدره التعَرُّف: تَطَلُّب الشيء، وعرَّفه الأمر: أعلمه إياه عَرَف الشيءَ : أدركه بحاسَّةٍ من حواسِّه .[2]

وفي الاصطلاح الصوفي :

في التأمل الصوفي تكون المعرفة بالسمو بالروح وتهذيب النفس وتقويم السلوك قال ذو النون : المعرفة تَخليَة السر عن كل ارادة ، وترك ما عليه العادة .

---

[1] الغنية فصل: في الإرادة والمريد والمراد ٢/٢٧١

[2] صحاح اللغة ٤/١٤٠٠ - ١٤٠١

قال الشيخ محيي الدين العربي قدس سره في الفتح المكي من انقطع إلى الله عن نظر واستبصار وتجرد عن إرادته إذا علم أنه لا يقع في الوجود إلا ما يريده الله تعالى لا ما يريده غيره فيمحو إرادته في إرادته فلا يريد إلا ما يريده الحق [١]

وقال الجنيد رحمه الله : المعرفة ان تعلم ان ما تُصوِّرَ في قلبك فالحق بخلافه [٢]

المعرفة هي : المجاهدات والرياضات والعبادات [٣]

ويقول حجة الاسلام الشيخ ابو حامد الغزالي رحمه الله تعالى :

(اعلم أن مفتاح معرفة الله تعالى هو معرفة النفس، كما قال سبحانه وتعالى: (سَنُرِيهِم آياتِنا في الآفاقِ وَفي أَنفُسِهِم حَتّى يَتَبَيَّنَ لَهُم أَنَّهُ الحَقُّ)[٤]

وقال ذو النون المصري: معاشرة العارف كمعاشرة الله تعالى يحتملك ويحلم عنك تخلقاً بأخلاق الله [٥]

(عن أبي عباس الدينوري قال أبو حفص: منذ أن عرفت الله ما دخل قلبي حق ولا باطل.

وعلق صاحب الرسالة القشيرية على إطلاق أبي حفص هذا بقوله: وهذا الذي أطلقه أبو حفص فيه طرف من الإشكال وأجلُّ ما يحتمله أن المعرفة عند القوم توجب غيبة العبد عن نفسه لاستيلاء ذكر الحق سبحانه عليه فلا يشهد غير الله ولا يرجع إلى غيره.

وسئل أبو يزيد عن المعرفة فقال: إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة.

---

[١] التعريفات ص ٩٠

[٢] حالة اهل الحقيقة مع الله تعالى ص ٨

[٣] معجم مصطلحات الصوفية ص ٢٤٨

[٤] فصلت٥٣

[٥] الرسالة ص ٣٤٤

قال الأستاذ أبو القاسم القشيري: هذا معنى ما أشار إليه أبو حفص)[1]

(والشيخ الشبلي يَقُول: وَقَدْ سئل عَنِ المعرفة ؟ فَقَالَ: أولها اللَّه تَعَالَى وآخرها مالا نهاية لَهُ.

وَقَالَ الواسطي: لا تصح المعرفة وَفِي العبد استغناء بالله وافتقار إِلَيْهِ ، قَالَ الأستاذ: أراد الواسطي بِهَذَا أَن الافتقار والاستغناء من أمارات صحو العبد وبقاء رسومه لأنهما من صفاته، والعارف محو فِي معروفه فكيف يصح لَهُ ذَلِكَ وَهُوَ لاستهلاكه .

وأبو عَلِي الدقاق رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُول:

من أمارات المعرفة بالله حصول الهيبة من اللَّه تَعَالَى فمن ازدادت معرفته ازدادت هيبته.

ويقول أيضاً : المعرفة توجب السكينة فِي القلب كَمَا أَن العلم يوجب السكون فمن ازدادت معرفته ازدادت سكينته)[2]

والمعرفة التي يصل إليها الصوفي هي معرفة مباشرة بغير وسائط من مقدمات أو قضايا أو براهين ، إنها معرفة فوق عقلية لا يحوزها إلا من سلك سبيل التصوف وألهم المعرفة المباشرة ومن هنا أيضاً تسمى المعرفة كشفاً ، جوازاً ...

۞ المقام المحمود :

(المقام : الموضع الذي تقيم فيه . وأما المَقام والمُقام فقد يكون كل واحد منهما بمعنى الإقامة ، وقد يكون بمعنى موضع القيام لأنك إذا جعلته من قام يقوم فمفتوح ، وإن جعلته من أقام يقيم فمضموم)[3]

وهو مصدر ميميّ من قامَ ، يقوم ، وتحمل معنى :

---

[1] انظر الرسالة القشيرية باب المعرفة بالله ص ٤٧٨

[2] الرسالة القشيرية باب المعرفة بالله ص ٤٧٨

[3] لسان العرب ٢٢٤/١٢

اسم مكان ، مسكن، محلّ الإقامة ، كما في قوله تعالى : ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾[1]

﴿ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَاماً وَأَحْسَنُ نَدِيّاً ﴾ [2]

(خير مقاما) أي منزلاً ومسكناً بالفتح من قام وبالضم من أقام ،

وبمعنى المنزلة كما في قوله تعالى : ﴿وَمَا مِنَّا إلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴾[3] ، وفي (وابعثه اللّهم المقامَ المحمود الذي وعدته) .

وتكون بمعنى المجلس كما في قوله تعالى : ﴿أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ﴾[4]

وبمعنى القيام بين يدي الله تعالى كما في قوله عزَّ وجلَّ : (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ) [5] (مقام ربه) قيامه بين يديه للحساب ، وقوله تبارك وتعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴾[6]

وتحمل معنى : مكان مُقدَّس كمقام إبراهيم عليه السلام في المسجد الحرام بمكَّة ﴿فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [7]وهو الحجر الذي قام عليه إبراهيم حين رفع بناء البيت .

وبمعنى هرم وشيخوخة الإنسان ومشارفته على الفناء : كالقول أشرف على دار المقام [8]

---

[1] الدخان ٢٥

[2] مريم٧٣

[3] الصافات ١٦٤

[4] النمل ٣٩

[5] الرحمن ٤٦

[6] النازعات ٤٠

[7] آل عمران٩٧

[8] المعجم الوسيط

أما محمود : حمِدَ يَحمَد ، حَمْدًا ، فهو حامد ، والمفعول مَحْمود وحَميد

(الحمد: نقيض الذم ، والحمد والشكر متقاربان والحمد أَعمهما لأَنك تحمد الإِنسان على صفاته الذاتية وعلى عطائه ولا تشكره على صفاته؛ ومنه الحديث: الحمد رأْس الشكر؛ ما شكر الله عبد لا يحمده، كما أَن كلمة الإِخلاص رأْس الإِيمان، وإِنما كان رأْس الشكر لأَن فيه إِظهار النعمة والإِشادة بها، ولأَنه أَعم منه، فهو شكر وزيادة. وفي حديث الدعاء: سبحانك اللهم وبحمدك أَي وبحمدك أَبتدئ، وقيل: وبحمدك سبحت) [1]

وفي الاصطلاح : هو الشخص كثير الحمد والمدح من الناس، ومحمود عكس مذموم أو مكروه .

ويحمل اسم محمود معاني الصّفات الحميدة، أو الممدوح من قبل الناس، أو المشكور والمرضي عنه .

وقد ورد المقام المحمود في السنّة النبوية كما في حديث :

(أَخْرَجَ البُخارِيُّ وغَيْرُهُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قالَ: ««سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إنَّ الشَّمْسَ لَتَدْنُو حَتّى يَبْلُغَ العَرَقُ نِصْفَ الأُذُنِ فَبَيْنَما هم كَذَلِكَ اسْتَغاثُوا بِآدَمَ فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصاحِبِ ذَلِكَ، ثُمَّ مُوسى فَيَقُولُ كَذَلِكَ، ثُمَّ مُحَمَّدٍ فَيَشْفَعُ فَيَقْضِي اللَّهُ تَعالى بَيْنَ الخَلْقِ فَيَمْشِي حَتّى يَأْخُذَ بِحَلْقَةِ بابِ الجَنَّةِ فَيَوْمَئِذٍ يَبْعَثُهُ اللَّهُ تَعالى مَقامًا مَحْمُودًا يَحْمَدُهُ أهْلُ الجَمْعِ كُلُّهُمْ»».

وأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وحَسَّنَهُ عَنْ أبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ««أنا سَيِّدُ ولَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيامَةِ ولا فَخْرَ، وبِيَدِي لِواءُ الحَمْدِ ولا فَخْرَ، وما مِن نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمُ فَمَن سِواهُ إلّا تَحْتَ لِوائِي وأنا أوَّلُ مَن تَنْشَقُّ عَنْهُ الأرْضُ ولا فَخْرَ فَيَفْزَعُ النّاسُ ثَلاثَ فَزَعاتٍ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أنْتَ أبُونا فاشْفَعْ لَنا إلى رَبِّكَ، فَيَقُولُ: إنِّي أذْنَبْتُ ذَنْبًا أُهْبِطْتُ مِنهُ إلى الأرْضِ، ولَكِنِ ائْتُوا نُوحًا فَيَأْتُونَ نُوحًا

[1] لسان العرب ١٥٥/٣

فَيَقُولُ: إِنِّي دَعَوْتُ عَلى أَهْلِ الأَرْضِ دَعْوَةً فَأُهْلِكُوا ولَكِنِ اذْهَبُوا إلى إبْراهِيمَ، فَيَأْتُونَ إبْراهِيمَ فَيَقُولُ: ائْتُوا مُوسى فَيَقُولُ: إِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا ولَكِنِ ائْتُوا عِيسى، فَيَقُولُ: إِنِّي عُبِدْتُ مِن دُونِ اللَّهِ تَعالى، ولَكِنِ ائْتُوا مُحَمَّدًا فَيَأْتُونِي فَأَنْطَلِقُ مَعَهم فَآخُذُ بِحَلْقَةِ بابِ الجَنَّةِ فَأُقَعْقِعُها فَيُقالُ: مَن هَذا؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ فَيَفْتَحُونَ لِي ويَقُولُونَ: مَرْحَبًا، فَأخِرُّ ساجِدًا فَيُلْهِمُنِي اللَّهُ تَعالى مِنَ الثَّناءِ والحَمْدِ والمِجْدِ فَيُقالُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ، وقُلْ يُسْمَعْ لِقَوْلِكَ فَهو المَقامُ المَحْمُودُ الَّذِي قالَ اللَّهُ تَعالى: ﴿عَسى أنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقامًا مَحْمُودًا﴾

وقِيلَ: هو مَقامُ الشَّفاعَةِ لِأُمَّتِهِ ﷺ لِما أخْرَجَهُ أحْمَدُ والتِّرْمِذِيُّ والبَيْهَقِيُّ في الدَّلائِلِ عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ «عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنَّهُ سُئِلَ عَنِ المَقامِ المَحْمُودِ في الآيَةِ فَقالَ: «هُوَ المَقامُ الَّذِي أشْفَعُ فِيهِ لِأُمَّتِي») [1]

وفي الاصطلاح الصوفي :

(المقام المحمود هو : جنة الذات .

قال فيه الرسول ﷺ : انه اعلى مكان في الجنة ، ولا ينبغي الا لرجل واحد) [2]

والمقام المحمود :

(المقام المحمود مقام الشفاعة .

والمقام المحمود : هو الذي رام التحقق به داود بعد التحقق بالتسعة والتسعين ، فما رام إلا هذا السر المبين ، ، وكني بالنعجة الواحدة اشارة لقوله تعالى : وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ [3] ، وذلك الأمر : هو الذات وهو المقام المحمود بسائر الأسماء والصفات ، واليها الإشارة بالوسيلة التي لا تكون إلا اليه ﷺ)[4]

---

[1] تفسير روح المعاني ١٢٣/٨

[2] الموسوعة الصوفية ص ١٢٧٩

[3] القمر ٥٠

[4] موسوعة الكسنزان ٢٨٥/٥

۞ المكر

المكر هو الخديعة [١]

المكر التدبير فى خفاء بحيلة ، لصرف الغير عما يقصده ، وذلك ضربان [٢] :

أ- مذموم وهو المكر بالسوء ابتدا ، ليتحرى به الفعل القبيح ، كقوله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلا نُفُورًا اسْتِكْبَارًا فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ﴾ [٣] وقوله : ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾[٤]

وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال في قوله :

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [٥] :

(تشاورت قريش ليلة بمكة ، فقال بعضهم : إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق ، يريدون النبي ﷺ ، وقال بعضهم : بل اقتلوه ، وقال بعضهم : بل أخرجوه ، فأطلع الله عز وجل نبيه ﷺ على ذلك ، فبات علي على فراش النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة ، وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالغار ، وبات المشركون يحرسون عليا ، يحسبونه النبي ﷺ ، فلما أصبحوا ثاروا إليه ، فلما رأوا علياً ، ردَّ الله مكرهم ، فقالوا : أين صاحبك هذا ؟ قال : لا أدري فاقتصوا أثره ، فلما بلغوا الجبل خلط عليهم ، فصعدوا في الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت ، فقالوا : لو

---

[١] القاموس المحيط ص ١٥٤٩

[٢] لسان العرب ١٨٣/٥ ، والمفردات ص٤٧١

[٣] فاطر/٤٢:٤٣

[٤] إبراهيم/٤٦

[٥] الأنفال/٣٠

دخل هاهنا ، لم يكن نسج العنكبوت على بابه ، فمكث فيه ثلاث ليال) [1]

ب- مكر محمود وذلك على وجهين ، أن يكون فى مقابل المكر السيئ لتدميره كقول الله تعالى : ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ [2]

وقوله تعالى :﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[3]

أو يكون المكر على وجه الابتلاء والاختبار ، وعلى ذلك قال سبحانه :

﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[4] ،

فمكر الله إمهال العبد ، وتمكينه من أعراض الدنيا على وجه الابتلاء ،

وروى فى ذلك أيضا عن ابن عباس ﷺ قال : (كان النبي صلى الله عليه و سلم يدعو يقول : رب أعنّي ولا تعن علي وانصرني ولا تنصر علي وامكر لي ولا تمكر عليَّ) [5]

المكر فى الاصطلاح الصوفى :

المكر في الاصطلاح الصوفى من جانب الحق تعالى إرداف النعم مع المخالفة وإبقاء الحال مع سوء الأدب ، وإظهار الكرامات من غير جهد ، ومن جانب العبد إيصال المكروه إلى الإنسان من حيث لا يشعر [6]

الشيخ الأكبر ابن عربي يقول :

(المكر يطلقه أهل الله على : أرادف النعم مع المخالفة ، وإبقاء الحال مع سوء

---

[1] أحمد فى المسند برقم (٣٢٤١)

[2] النمل/٥٠

[3] الأنفال/٣٠

[4] الأعراف/٩٩

[5] الترمذى كتاب الدعوات برقم (٣٥٥١) وقال الشيخ الألبانى صحيح ٥/٥٥٤

[6] التعريفات ص٢٤٥

الأدب وإظهار الآيات من غير أمر ولا حد .

واعلم أنه من المكر عندنا بالعبد أن يرزق العلم الذي يطلب العمل ، ويحرم العمل به . وقد يرزق العمل ، ويحرم الإخلاص فيه ، وفي القران يقول تعالى : ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون [1])[2]

والدكتورة سعاد الحكيم تقول في معجمها :

(المكر يستعمل في معظم النصوص الصوفية للإشارة إلى : المكر من جانب الحق تعالى ، وهو إيصال النعم منه تعالى مع المخالفة من العبد وإبقاء الحال عليه (العبد) مع سوء الأدب وإظهار الكرامات من غير جهد واستحقاق .

وهذا المكر : هو (استدراج) الهي للعبد من باب الابتلاء والاختبار، اللذين لهما دور ووظيفة سلوكية في تكوين السالك) [3]

ويقول الشيخ الجنيد البغدادي : المكر هو المشي على الماء ، والمشي في الهواء ، وصدق الوهم ، وصحة الإشارة ، في كل هذا مكر لمن علم [4]

ويقول عزَّ وجلَّ : ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين [5]

فالصوفي الحقيقي هو الذي يخاف ان يسلبه الله ايمانه ، فما من أحد آمن ان يُسلب ايمانه ، وعلى الصوفي ان يخاف مكر الله ، وعليه ان يستثني في كل شيء ويقول : ربما كان عملي رياء ، وربما لا يتقبل الله مني مثلما لم يتقبل من قابيل ، وربما لا تُحسَن خاتمتي ، فهو دائماً على حذر ، ويفني ارادة نفسه ، ويُسقط تدبيره مع الله .

---

[1] النمل /٥٠

[2] الفتوحات المكية ٥٢٩/٢

[3] المعجم الصوفي ص ١٠١٩

[4] موسوعة الكسنزان ٤٨٥/١٩

[5] آل عمران / ٥٤

والمكر مكران : الأول ان يظهر العبد شيئاً ويخفي ضده .
والثاني ان يكشف ما كان قد ستره ، ويفشى ما كان قد أسرَّه .
وفي الحالين هو ضعيف مغرور ، وجاهل لا يدري ان العمل غير القول) [1]

۞ الهوى

الهوى : ميل النفس الى الشهوة [2]

والهوى غريزة موضوعة فى الإنسان تتعلق الدنيا ، وما فيها من أصناف المشتهيات على سبيل الابتلاء ، لقوله تعالى :

﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى [3]

فجعل الهوى فى مقابل التعلق بالدنيا ، والهوى فى نسبتة والسبب فى تسميته على أوجه [4]:

١- الهوى نسبة إلى الهواء الذى هو الفراغ والخلاء ، كما فى حديث جابر بن عبد الله ﷺ ، قال رسول الله :

نوديت فرفعت رأسي فإذا جبريل عليه السلام على العرش في الهواء [5]

أى فى الفراغ ما بين السماء والأرض وقال تعالى :

﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ [6]

وكأن الهوى ومحصلة الشهوات لا طائل منها ، كالهباء المنتشر فى الهواء .

---

[1] الموسوعة الصوفية ص ١٢٨١ - ١٢٨٢

[2] المفردات ص ٥٤٨

[3] النازعات/٣٧:٤١

[4] لسان العرب ١٣/٥٥١ ، والمفردات ص ٥٤٨

[5] مسلم كتاب الإيمان ١/١٤٣ برقم ١٦١

[6] إبراهيم/٤٣

٢- الهوى من السقوط والنزول (إنما سمي الهوى لأنه يهوي بصاحبه) أى ينزله ويسقطه ومنه قوله تعالى :

وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ [١]

٣- الهوى من الإهواء الذى هو الإشارة إلى المراد والرغبة فى فعله كما روى عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال النبي ﷺ :

(أنا فرطكم على الحوض ليرفعن إلي رجال منكم حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني فأقول أي رب أصحابي يقول لا تدري ما أحدثوا بعدك) [٢]

٤- والهوى قد يراد به المحبة والإرادة ، أو ميل النفس إلى الشئ ،كما قال زر بن حبيش لصفوان بن عسال المرادي ﷺ : هل سمعت رسول الله ﷺ يذكر في الهوى شيئا ، قال : نعم ، كنا مع النبي ﷺ في سفر ، فبينا نحن عنده إذ ناداه أعرابي بصوت له جهوري ، يا مُحَمَّد ، فأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوا من صوته ، هاؤم ، فقلنا له : ويحك اغضض من صوتك ، فإنك عند النبي ﷺ وقد نهيت عن هذا ، فقال : والله لا أغضض ، قال الأعرابي : المرء يحب القوم ولما يلحق بهم ، قال النبي ﷺ : المرء مع من أحب يوم القيامة[٣]

والهوى باعتبار الذم والمدح نوعان :

١ - الهوى المذموم وهو الأغلب فى الكتاب والسنة كقوله تعالى :

﴿وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾[٤]

---

[١] الحج/٣١

[٢] البخارى كتاب الفتن ١٣/٥ برقم ٧٠٤٩

[٣] سنن الترمذى كتاب الدعوات برقم (٣٥٣٥)

[٤] الكهف/٢٨

وقوله تعالى: ﴿ فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[1]

٢ – الهوى المحمود ، وهو ما يهواه المرء من سائر الضروريات الدنيوية التى لا بد منها وتشتهى ، كما وردت فى قوله تعالى : ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنْ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾[2]

فدلت الآية على أن الشهوة المذكورة دنيا والحاجات مع كونها ضروريات ، إلا أن الهوى يتعلق بها وتشتهى .

(من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ، وأقول : أتهب المرأة نفسها ؟ فلما أنزل الله تعالى : تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ [3] قلت : ما أرى ربك إلا يسارع في هواك) [4]

الهوى فى الاصطلاح الصوفى :

الهوى فى الاصطلاح الصوفى هو ميل النفس إلى مقتضيات الطبع وإعراضها عن أحكام الشرع وعدم التوجه إلى الجهة العلوية بالنزول إلى الجهة السفلية وعلاجه أن تجعل القلب فى مجاهدة دائمة حتى تصيره ذلولا [5]

---

[1] النساء/١٣٥

[2] آل عمران/١٤

[3] الأحزاب/٥١

[4] البخارى كتاب تفسير القرآن ٣٨٥/٨ برقم (٤٧٨٨)

[5] معجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص٧٢

(عن ابن عباس رضي الله عنهما : ما ذكر الله تعالى هوى الا ذمه .وقال وهب : اذا شككت في خير أمرين فانظر أبعدهما من هواك فأته . وقال سهل التستري : هواك داؤك فإن خالفته فدواؤك) [1]

وروى عن أبى بكر الوراق أنه قال :

(أصل غلبة الهوى مقارفة الشهوات ، فإذا غلب الهوى أظلم القلب ، وإذا أظلم القلب ضاق الصدر ، وإذا ضاق الصدر ساء الخلق ، وإذا ساء الخلق أبغضه الخلق وإذا أبغضه الخلق أبغضهم ، وإذا أبغضهم جفاهم ، وإذا جفاهم صار شيطانا) [2]

وعن على بن سهل الأصبهانى انه قال :

(العقل والهوى متنازعان ، فمعين العقل التوفيق ، وقرين الهوى الخذلان ، والنفس واقفة بينهما ، فأيهما ظفر كانت فى حيزه) [3]

وله أيضا : (العقل مع الروح يدعوان إلى الآخرة ، ومخالفة الهوى والشهوات ، فلذلك سمى روحا) [4]

(والهوى هو ميل القلب بالكلية الى وجهة المحبوب ، والإعراض عما سواه ،وتجريد القصد له في كل حين ، وصرف الهمة اليه .

وفي الهوى تتحكم المحبة وتشتد صورتها ، وينبسط سلطانها ويستولي لاعج الشوق ، ويجدده النظر الى الصور الجميلة والمحاسن الرائعة النبيلة ، والشمائل اللطيفة المعاني)[5]

---

[1] روح المعاني ٤ / ١٥٠

[2] طبقات الصوفية ص٢٢٦

[3] طبقات الصوفية ص٢٣٥

[4] طبقات الصوفية ص٢٣٥

[5] الموسوعة الصوفية ص ١٣١٩

(ولا يصح الاتصاف بالهوى ، لقوله تعالى : ونهى النفس عن الهوى [1]

وفي الحديث الشريف : أخوف ما أخاف على أمتي اتّباع الهوى وطول الأمل ، الا لمن خرج عن هواه وآثر طاعة حبيبه على ما سواه .

ولما سئل الجنيد ﵁ : ما هو الوصل ؟ قال : ترك الهوى ، وطاعة الحق هي أعلى الطاعات ، وهي التي تخالف ميل النفس الى مقتضيات الطبع ، فكان الهوى نوعان : الهوى الرباني والهوى الإنساني : والأول يميل بصاحبه الى الجهة العلوية ، والثاني يميل به الى الجهة السفلية) [2]

۞ الورع

الوَرَعُ: التَّحَرُّجُ . تَوَرَّعَ عن كذا أَي تحرَّج .

والوَرِعُ، بكسر الراء: الرجل التقي المتَحَرّجُ، وهو وَرِعٌ بيّن الورَعِ، وقد ورِعَ من ذلك يَرِعُ ويَوْرَعُ؛ الورَعِ. وفي الحديث: مِلاكُ الدِّينِ الورَعُ .

والورَعُ في الأَصل: الكَفّ عن المحارِمِ والتحَرُّجُ منه وتَوَرَّعَ من كذا، ثم استعير للكف عن المباح والحلال [3]

ويستعمل الورع بمعنى الامتناع والكف عن فعل شيء ، كما ورد في حديث رسول الله ﷺ من حديث عبد الرحمن بن عثمان التيمي ﵁ قال : كنا مع طلحة بن عبيد الله ، ونحن حرم فأهدي له طير ، وطلحة راقد ، فمنا من أكل ، ومنا من تورع ، فلما استيقظ طلحة ، وفق من أكله وقال : أكلناه مع رسول الله [4]

ويستعمل الورع للدلالة على ترك الشبهات والشك في التعامل من الناس .

---

[1] النازعات : ٤٠

[2] الموسوعة الصوفية ص ١٣٢٠

[3] معجم لسان العرب باب الواو ١٥ / ١٩٤

[4] مسلم كتاب الحج ٨٥٥/٢ برقم ١١٩٧

ومثل ذلك ما ورد في قول حسان بن أبي سنان ﷺ :

ما رأيت شيئا أهون من الورع ، دع ما يريبك إلى ما لا يريبك [1]

ويستعمل الورع للدلالة على زيادة الاحتياط في التعامل في شؤون الحياة .

روى أن أبا هريرة ﷺ قال له رسول الله ﷺ : يا أبا هريرة كن ورعا تكن أعبد الناس [2]

الورع فى الاصطلاح الصوفى :

الورع فى الاصطلاح الصوفى ، هو الاحتراز عن كل ما فيه شوب انحراف شرعى ، أو شبهة مضرة معنوية فى كل ما يقوم بصورة الإنسان الحسية أو المعنوية ، والورع أول الزهد ويقتضى محاسبة النفس فى كل طرفة ، ويتضمن القناعة التى هى صورة التقوى [3] .

قال أبو الدرداء ﷺ : (تمام التقوى أن يتقي اللهَ العبدُ ، حتى يتقيه من مثقال ذرة ، وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال، خشية أن يكون حرامًا، حجابًا بينه وبين الحرام)[4]

وقال سفيان بن عيينة : (لا يصيب عبد حقيقة الإيمان؛ حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزًا من الحلال، وحتى يدع الإثم وما تشابه منه) [5] .

(ويذكر الحارث المحاسبى أن الورع ، وقوف القلب عند هجومه للفعل ، حتى يفرق بين الحق والباطل ، وإسقاط ما حاق فى القلب مع ترك ما اشتبه عليه ، وجميع الورع فى ترك ما يريبك إلى مالا يريبك والورع مشتق من الخوف ،

---

[1] البخارى كتاب البيوع ، باب تفسير المشبهات ٣٤٣/٤

[2] مسلم كتاب الحج ٨٥٥/٢ برقم ١١٩٧

[3] الرسالة القشيرية ٣١٥/١:٣١٧ وطبقات الصوفية ص١١٠

[4] رواه ابن المبارك في (الزهد) (١٩/٢) ، وأبو نعيم في (الحلية) (٢١٢/١)

[5] فتح الباري ٢٠٥/١ برقم ٣٩٧٩

كما تقول العرب راعنى فلان وروعنى ، خوفنى فلان ، وخفت من فلان ، فالورع مشتق من الخوف ، وعلامة الورع ترك حزازات القلوب فى باطنها ، والتفتيش عن مثاقيل الذر فى ظاهرها) [1]

(وإن من دقيق الورع وأعلاه ، ترك ما ليس به بأس ، مخافة أن يلحقه ما به البأس والذى يقوى الورع ويثبته ، علم مشاهدة القلب لسطوات الله عز وجل ونقمته ، والذى يشين الورع ويوهنه الرغبة فى الدنيا ، وكثرة الطمع فيها ودوام الحرص عليها ، بجمع ما لا يضر فقده ، وآخر درجة من الورع أول درجة من الزهد) [2]

وقال إبراهيم بن أدهم: (الورع ترك كلِّ شبهة، وترك ما لا يعنيك هو ترك الفضلات)

وروى عن يحى بن معاذ الرازى أنه قال : (الورع الوقوف على حد العلم من غير تأويل ، كيف يكون زاهدا من لا ورع له ؟ ، تورع عما ليس لك ، ثم ازهد فيما لك ، من لم ينظر فى الدقيق من الورع ، لم يصل إلى الجليل من العطاء .) [3]

وقال الشبلي: (الورع أن يتورَّع عن كلِّ ما سوى الله. وقال إسحاق بن خلف: الورع في المنطق أشدُّ منه في الذهب والفضة، والزهد في الرياسة أشدُّ منه في الذهب والفضة؛ لأنهما يبذلان في طلب الرياسة) [4]

ويروى ان أبي سليمان الداراني قال : (الورع أول الزهد، كما أنَّ القناعة أول الرضا)[1]

---

[1] الرسالة ٣١٥/١

[2] الرسالة القشيرية ٣١٥/١:٣١٧ وطبقات الصوفية ص١١٠

[3] اللمع ص٧٠

[4] مدارج السالكين ١٧/٢

(وقال يحيى بن معاذ : الورع الوقوف على حدِّ العلم من غير تأويل.
وقال:الورع على وجهين : ورع في الظاهر، وورع في الباطن، فورع الظاهر أن لا يتحرك إلا لله، وورع الباطن هو أن لا تُدخل قلبك سواه.
وقال: من لم ينظر في الدقيق من الورع؛ لم يصل إلى الجليل من العطاء) [٢]
ويذكر لأبى سعيد الخراز أنه قال : الورع أن تتبرأ من مظالم الخلق من مثاقيل الذر ، حتى لا يكون لأحدهم قِبَلَك مظلمة ، ولا دعوى ولا طلبة [٣]
وروي عن رويم بن أحمد البغدادى أنه قال (من حكم الحكيم ، أن يوسع على إخوانه فى الأحكام ، ويضيق على نفسه فيها ، فإن التوسعة عليهم اتباع العلم والتضييق على نفسه من حكم الورع) [٤]
أما ابن مسكويه في كتابه تهذيب الأخلاق فيقول : (وأما الورع فهو لزوم الأعمال الجميلة التي فيها كمال النفس) [٥]
وقال سفيان: (عليك بالورع يخفف الله حسابك، ودع ما يريبك إلى ما لا يريبك، وادفع الشك باليقين يسلم لك دينك) [٦]
وقال الهروي: (الورع توَقٍّ مستقصًى على حذر، وتحرُّجٌ على تعظيم) [٧]
(ويذكر السراج الطوسى أن أهل الورع على ثلاث طبقات :
١- الطبقة الأولى : ورع العموم ، وهو التورع عن الشبهات ، التى

---

[١] الرسالة القشيرية ٢٣٦/١
[٢] الرسالة القشيرية ٢٣٦/١
[٣] . طبقات الصوفية ص١٨١
[٤] . طبقات الصوفية ص ١٩٣
[٥] تهذيب الأخلاق لابن مسكويه ص ٢٩
[٦] (الورع) لابن أبي الدنيا ص ١١٢
[٧] مدارج السالكين (٢٥/٢)

اشتبهت عليه ، وهى ما بين الحرام البيّن والحلال البين ، وما لا يقع علي اسم حلال مطلق ، ولا اسم حرام مطلق ، فيكون بين ذلك فيتورع عنهما .

٢- الطبقة الثانية : ورع الخصوص ، وهو التورع عما يقف عنه قلبه ويحيك فى صدره عند تناولها ، وهذا لا يعرفه إلا أرباب القلوب والمتحققون ، وهو كما روى عن النبى ﷺ أنه قال : الإثم ما حاك فى صدرك .

٣- الطبقة الثالثة : ورع خصوص الخصوص ، وهم العارفون والواجدون يتورعون ألا تتشتت قلبوبهم عن الله عز وجل طرفة عين)[١]

۞ الولي

(الولي : ضدُّ العدوّ ، وتحمل معنى النصير والمحب والحليف ، يقال منه: تَوَلَّاهُ وصف الله أوليائه في كتابه فقال : ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون

فوصفهم سبحانه بهذين الوصفين الإيمان والتقوى ، وهما ركنا الولاية الشرعية والولاية تولى الأمر ومباشرته ، كقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ﴾[٢]

والولاية على وجهين)[٣] :

الوجه الأول : ولاية اللَّه للمؤمنين ، وهى ولاية حفظ وتدبير ، سوا كان تدبيرا كونيا أو شرعيا ، كقوله تعالى :

---

[١] اللمع ص٧٠:٧١

[٢] البقرة/٢٨٢

[٣] . المفردات ص٥٣٣:٥٣٤ ، ولسان العرب ١٥/٤٠٦

﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴾[1]

وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمْ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنْ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾[2]

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله قال

(من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرّب إليَّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه) [3]

وأصل الموالاة القرب وأصل المعاداة البعد ، والمراد بولي الله كما قال الحافظ ابن حجر : العالم بالله ، المواظب على طاعته ، المخلص في عبادته .

الوجه الثانى : ولاية المؤمنين لربهم ، وهى ولاية حفظ لحدوده وتوحيده كقوله تعالى :

﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ ﴾[4]

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [5]

---

[1] النساء/٧٥

[2] البقرة/٢٥٧

[3] البخارى كتاب الرقاق ٣٤٨/١١ برقم ٦٥٠٢

[4] الأنعام/١٤

[5] الأعراف: ١٩٦

وهناك الولاية المذمومة التي تضاف الى الشيطان او الكفار ، كما في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾[1] وقال سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ﴾ [2]

وعن أبي مالك الأشعري ﷺ ، قال ﷺ :

(يا أيها الناس اسمعوا ، واعقلوا واعلموا أن لله عز وجل عبادا ، ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من اللَّه ،

فجاء رجل من الأعراب من قاصية الناس ، وألوى بيده إلى نبي اللَّه صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا نبي اللَّه ناس من الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من اللَّه انعتهم لنا يعني صفهم لنا ،

فسُرَّ وجه رسول اللَّه ﷺ لسؤال الأعرابي فقال رسول اللَّه ﷺ هم ناس من أفناء الناس ، ونوازع القبائل ، لم تصل بينهم أرحام متقاربة ، تحابوا في اللَّه وتصافوا ، يضع اللَّه لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها ، فيجعل وجوههم نورا ، وثيابهم نورا ، يفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون ، وهم أولياء اللَّه ، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) [3]

والولي من الألفاظ المحورية في القرآن الكريم ، فقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم بصيغ فعلية متعددة، وبصيغ مصدرية، وبصيغ اسم الفاعل واسم المفعول، وتكرر بصيغه المختلفة في القرآن الكريم ثلاثاً وثلاثين ومائتي مرة (٢٣٣)

---

[1] الممتحنة/١

[2] التوبة/٢٣

[3] ، أخرجه أحمد فى المسند برقم (٢٢٣٩٩) وأخرجه أبو داود فى كتاب الصلاة برقم (٦٧٧)

ويقال للمؤمن: هو ولي الله عز وجل، ولم يرد مولاه، وقد يقال: الله تعالى ولي المؤمنين ومولاهم .

وحاصل القول: إن لفظ (الولي) في القرآن الكريم جاء على عدة معان، وأكثر ما جاء :

بمعنى (النصير) و(الحليف)، وجاء بنحو أقل بمعنى الأوثان والآلهة المعبودة من غير الله، وجاء بمعنى القريب في النسب، والورثة، والصاحب، والولد. والمهم في هذا السياق، أن لفظ (الولي) له ارتباط وثيق بموضوع العقيدة؛ إذ ولاء المؤمن لا يكون إلا لله سبحانه وحده، ولا يكون لأحد سواه، وهو سبحانه الذي يتولى عباده الصالحين.

الولي فى الاصطلاح الصوفى :

الولي في الاصطلاح الصوفي ، هو من توالت طاعاته من غير تخلل معصية ومن تولى الحق حفظه في تصرّفه وسلوكه وحواسه على الدوام ، بتوفيقه وتمكينه وإقداره على فنون الطاعات وكرائم الإحسان .

يذكر لأبى سعيد الخراز أنه قال (إذا أراد الله تعالى أن يوالى عبدا من عبيده ، فتح عليه باب القرب ثم رفعه إلى مجالس الأنس به ، ثم أجلسه على كرسى التوحيد ، ثم رفع عنه الحجب ، وأدخله دار الفردانية وكشف له عن الجلال والعظمة ، فإذ وقع بصره على الجلال والعظمة ، بقى بلا هو ، فحينئذ صار العبد زمناً فانيا ، فوقع فى حفظه سبحانه ، وبَرِئ من دعاوى نفسه)[1]

وقال الكلاباذى : (الولاية ولايتان ، ولاية تخرج من العداوة ، وهى لعامة المؤمنين ، فهذه لا توجب معرفتها ، والتحقق بها للأعيان ، لكن من جهة العموم ، فيقال: المؤمن ولي الله ... وولاية اختصاص واصطفاء واصطناع وهذه توجب معرفتها والتحققق بها ، ويكون صاحبها محفوظا عن النظر إلى

[1] الرسالة القشيرية ٢/٥٢٤، ٥٢٥

نفسه ، فلا يدخله عجب ، ويكون مسلوبا من الخلق بمعنى النظر إليهم بحظ ، فلا يفتنونه ويكون محفوظا عن آفات البشرية ، وإن كان طبع البشرية قائما معه باقيا فيه ، فلا يستحلى حظا من حظوظ النفس استحلاء يفتنه فى دينه ، واستحلاء الطبع قائم فيه ، وهذه هى خصوص الولاية من الله للعبد)[1]

يقول أبو القاسم القشيرى :

(الولى له معنيان : أحدهما فعيل بمعنى مفعول ، وهو من يتولى الله سبحانه أمره ، قال الله تعالى : وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ [2] فلا يكله إلى نفسه لحظة ، بل يتولى الحق سبحانه رعايته ، والثانى فعيل مبالغة من الفاعل ، وهو الذى يتولى عبادة الله وطاعته ، فعبادته تجرى على التوالى من غير أن يتخللها عصيان ، وكلا الوصفين واجب حتى يكون الولى وليا) [3]

وقد ربط الصوفية بين أحوال الفناء والغيبة والمشاهدة والمكاشفة، وما يكون عليه العارف فى النهايات من تجلّى أنوار التوحيد على قلبه؛ فيقول أبو على الجورجانى : الولي هو الفاني فى حاله، الباقى فى مشاهدة الحق سبحانه، تولى الله سياسته، فتوالت عليه أنوار التولى، لم يكن له عن نفسه إخبار، ولا مع غير الله قرار [4]

ويتفق الصوفية مع ما ذهب إليه علماء الشريعة فيقول الكلاباذى : وأجمعوا جميعاً أن الأنبياء أفضل البشر، وليس من البشر من يوازى الأنبياء فى الفضل، لا صديق ولا ولى ولا غيرهم، و إن جلَّ قدره وعظم خطره [5]

---

[1] التعرف لمذهب أهل التصوف ص٧٤

[2] الأعراف/١٩٦

[3] الرسالة القشيرية ٢/٥٢٠

[4] الرسالة القشيرية ٢/٥٢٢-٥٢٣

[5] التعرف ص ٨٣

ويذكر القشيرى أن أبا يزيد البسطامى سئل عن المفاضلة بين النبي والولي فقال : مثل ما حصل للأنبياء عليهم السلام كمثل زق فيه عسل، ترشح منه قطرة، فتلك القطرة التى لجميع الأولياء، وما فى الظروف مثل ما لنبينا [1]

وفرق شيوخ الصوفية بين النبوة والولاية حرصاً منهم على تأكيد شرف النبوة وعظم شأنها على الولاية، فقالوا بأن النبى يختص بالوحى من حيث كونه مكلف بتبليغ ما أنزل إليه من ربه، أما الولى فيختص بالإلهام ولا تكليف فى الإلهام، يقول الطوسى : للأنبياء عليهم السلام الرسالة والنبوة ووحي جبريل عليه السلام، وليس للأولياء ذلك [2]

فالأنبياء يحتجون بالمعجزة على أقوامهم، أما الأولياء فيحتجون بالكرامة على أنفسهم، حتى تطمئن فلا تضطرب ولا تجزع بعد مواقعتها للحدث عياناً وشهوداً لا عن طريق الحكاية والأثر.

يقول الطوسى فى هذا المعنى: إن الأنبياء عليهم السلام يحتجون بمعجزاتهم على المشركين؛ لأن قلوبهم قاسية لا يؤمنون بالله عز وجل، والأولياء يحتجون بذلك على نفوسهم، حتى تطمئن ولا تضطرب ولا تجزع .... يظهر لهم الكرامات تأديبا لنفوسهم وتهذيبا لها وزيادة لهم، ويكون فى ذلك فرق بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام؛ لأنهم يعطون المعجزة للاحتجاج بها فى الدعوة والدلالة على الله تعالى، والإقرار بواحدنيته تعالى [3]

إن زيادة المعجزات بالنسبة للأنبياء، يكون أتم لمعانيهم ودلالة على فضلهم، وزيادة الكرامات بالنسبة للأولياء قد تكون استدراجا لهم، ويلمس القشيرى هذه النقطة فيقول إن الولي :

---

[1] الرسالة القشيرية ٦٦٤/٢

[2] اللمع، ص ٥٣٧

[3] اللمع ص ٣٩٣-٣٩٥

إن ظهر عليه شئ من الكرامات خاف أن يكون مكراً [1]

وذلك لأنه يرى نفسه دائما بعين التصغير، أما الأنبياء فلا يجدون ذلك فى نفوسهم من المعجزات، ويبين الطوسى أن : "الأنبياء كلما زيدت معجزاتهم، وكثرت يكون أتم لمعانيهم وأثبت لقلوبهم .. وهؤلاء الذين لهم الكرامات من الأولياء كلما زيدت فى كراماتهم يكون وجلهم أكثر، وخوفهم أكثر، حذرا أن يكون ذلك من المكر الخفى لهم والاستدارج، وأن يكون ذلك نصبيهم من الله عز وجل وسبباً لسقوط منزلتهم عند الله عز وجل [2]

أما عن طبيعة هذه الكرامات التى أقرها الصوفية، فيقول القشيرى :إنها قد تكون إجابة دعوة ، أو ظهور طعام فى غير أوان زراعته ، أو فى وقت فقر وجوع وفاقه من غير سبب ظاهر ، أو حصول الماء فى زمن عطش وشدة ، أو تسهيل قطع مسافة فى مدة قريبة، أو إهلاك عدو، أو سماع خطاب من هاتف، أو غير ذلك من فنون الأفعال الناقضة للعادة [3]

و يقول الجنيد : من صفة الولى ألا يكون له خوف ؛ لأن الخوف توقّع مكروه يحل فى المستقبل، أو انتظار محبوب يفوت فى المستأنف. والولى ابن وقته، ليس له مستقبل ليخاف وكما أنه لا خوف له لا رجاء له؛ لأن الرجاء انتظار محبوب يحصل، أو مكروه يكشف وذلك فى التالى من الوقت ، كذلك لا يحزن؛ لأن الحزن من حزونة الوقت ، ومن كان فى ضياء الرضا وروضة الموافقة فأين يكون له حزن [4]

۞ اليقظة

---

[1] الرسالة القشيرية ٥٢١/٢

[2] اللمع ص ٣٩٥

[3] انظر الرسالة ٦٦٤/٢،

[4] الرسالة ٦٦٦/٢

اليَقَظةُ: نَقِيضُ النوْم، والفِعل استَيْقَظَ ، وهو الانْتباه من النوم.
وأَيْقَظْته من نومه أَي نَبّهته فتَيَقَّظ [1]
ومنها قوله تعالى :
﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴾ [2]
وفي الحديث النبوي الشريف عن عوف بن مالك ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال : إن الرؤيا ثلاث منها أهاويل من الشيطان ليحزن بها ابن آدم ، ومنها ما يهمُّ به الرجل في يقظته ، فيراه في منامه ، ومنها جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة [3]
وعن أبي قتادة ﷺ ، قال : ذكروا للنبي ﷺ نومهم عن الصلاة ، فقال : إنه ليس في النوم تفريط ، إنما التفريط في اليقظة ، فإذا نسي أحدكم صلاة أو نام عنها فليصلها إذا ذكرها [4]

اليقظة فى الاصطلاح الصوفى :

اليقظة فى الاصطلاح الصوفى ، الانتباه من سنة الغفلة ، والنهوض عن ورطة الفترة ، اعتباراً بأهل البلاء .
يقول الشيخ عمر السهروردي :
(قيل التيقظ : هو تبيان خط المسلك بعد مشاهدة سبيل النجاة .
وقيل اذا صحت اليقظة كان صاحبها في اوائل طريق التوبة
وقيل اليقظة خردة من جهة المولى لقلوب الخائفين ، تدلهم على طلب التوبة)[1]

---

[1] لسان العرب فصل الياء ٤٦٦/٧
[2] الكهف/١٨
[3] أخرجه ابن ماجة كتاب تعبير الرؤيا برقم (٣٩٠٧) وقال الشيخ الألبانى : صحيح ١٢٨٥/٢
[4] النسائى ٢٩٤/١ برقم (٦١٥) ومسلم ١٧٧١/٤ برقم (٢٢٦١)

ويذكر ابن عربى أن اليقظة هى الفهم عن الله فى زجره [٢]

وقال عبد الكريم الكاشانى: (اليقظة هى التنبه عن سنة الغفلة ، والقومة لله تعالى ، والتيقظ فى التحرز عن دواهى الشيطان والتحفظ عن التخيلات الموجبة للخذلان ، وعن رعونات النفس كالإعجاب بأعمالها ومداخلة الرياء والنفاق فى أعمالها ، وتسويل النفس لصاحبها رؤية العمل وتزينها ، واستحقاق الأجر والثواب بسببه ، وأن يحيا بالحياة القلبية الذاتية المنافية للنوم والموت ، الموجبة لدوام المراقبة والحضور مع الله ، والسعى فى القوت ، وتنوّر البصيرة بنور القدس ، والتيقظ بها عن التلف إلى جانب البدن وعالم الرجس ، وأن يكون يقظان بالحقّ فى المشاهدة ، متحرزا عن التلوين بالنظر إلى المغايرة) [٣]

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي :

اليقظة : هي الفهم عن الله في زجره ، فإذا فهمت عن الله انتبهت [٤]

ويقول الشيخ مُحَمَّد بن وفا الشاذلي : (اليقظة هي انتباه النفس من سنة الغفلة بداعية الموعظة الحسنة بلسان المخيلة الصالحة .

ويقول السيد مُحَمَّد ابو الفيض المنوفي : اليقظة هي الانتباه من الغفلة والطريق ، المؤدي لصحة المجاهدة)[٥]

۞ اليقين :

يَقِين: اليقين من صفة العلم فوق المعرفة والدراية واخواتها [١]

---

[١] عوارف المعارف ص ٢٢٨

[٢] اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص١٧

[٣] معجم اصطلاحات الصوفية ص١٩٠:١٩٢

[٤] الفتوحات المكية ١٢٨/٢

[٥] موسوعة الكسنزان ٣٥٥/٢٢

و اليقين هو التثبت ، وامتلاء القلب بالتصديق الجازم ، وسكون الفهم مع ثبات الحكم [٢]

ويَقِين : فاعل ومصدر من يَقِنَ ، ومنها قوله تعالى : ﴿ كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ . لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾[٣]

و﴿ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾[٤]

وقال أبو بكر ﷺ : " قام فينا رسول الله ﷺ فقال : يا أيها الناس سلوا الله المعافاة ، فإنه لم يؤت أحد مثل يقين بعد معافاة ولا أشد من ريبة بعد كفر[٥]

واليقين ضد الشك ، لما روى عن أبي سعيد الخدري ﷺ ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إذا شك أحدكم في صلاته ، فليلغ الشك وليبن على اليقين فإذا استيقن بالتمام ، فليسجد سجدتين وهو قاعد ، فإن كان صلى خمسا شفعتا له صلاته ، وإن صلى أربعا كانتا ترغيما للشيطان [٦]

ويكون اليقين ضد الظن ، كقول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾[٧]

---

[١] المفردات ص ٥٥٢

[٢] لسان العرب ٤٥٧/١٣

[٣] التكاثر ٥ – ٦

[٤] النمل٢٢

[٥] أخرجه أحمد فى المسند برقم (٤٥) واللفظ له ، وأخرجه الترمذى فى كتاب الدعوات برقم (٣٥٥٨)٥٥٧/٥

[٦] أخرجه مسلم فى كتاب المساجد ٤٠١/١ برقم (٥٧١) والنسائى فى كتاب السهو ٢٧/٣ برقم (١٢٣٨) واللفظ له

[٧] الجاثية/٣٢

وقد يطلق على الظن اليقين ، على اعتبار أن التثبت يزداد شيئا فشيئا حتى يصل إلى منتهاه ، كقول الله تعالى : ﴿كَلا إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِي وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ [1]

وقد يرد اليقين بمعنى الموت ، على اعتبار أن التثبت منه كائن فى جميع القلوب ، كقوله تعالى : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [2] قال سالم بن عبد الله بن عمر ﷺ : اليقين الموت [3]

(اليقين : العلم وإزاحة الشك وتحقيق الأمر ، واليقين : نقيض الشك ، والعلم نقيض الجهل ، تقول عَلِمْته يقينا . وفي التنزيل العزيز : وإنه لحق اليقين ; أضاف الحق إلى اليقين وليس هو من إضافة الشيء إلى نفسه ; لأن الحق هو غير اليقين ، إنما هو خالصه وأصحه فجرى مجرى إضافة البعض إلى الكل) [4]

وفي التنزيل جاء اليقين بأكثر من معنى :

(١- اليقين نقيض الشك :

وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ .... وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً

٢- اليقين : الموت من حيث انه واقع لا يداخله شك :

وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ

٣- علم اليقين : اليقين السابق للرؤية المرتبط بالمعرفة الانسانية

كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ

٤- عين اليقين : ربط القران اليقين في احد مراتبه بالرؤية والمعاينة :

ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ

---

[1] القيامة/٢٦:٢٨

[2] الحجر/٩٩

[3] أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن ٨/٢٣٥.

[4] لسان العرب ١٥/٣٢١

٥- حق اليقين : ميز القران بين الحق واليقين جاعلاً الحق هو خالص اليقين وأصحه : إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ)

وفي الاصطلاح الصوفي :

اليقين فى الاصطلاح الصوفى هو السكون والاطمئنان لما غاب ، بناء على ما حصل الإيمان به ، وارتفع الريب عنه ، فإذا حصل السكون والاطمئنان بما غاب بناء على قوة الدليل ، بحيث يستغنى بالدليل عن الجلى ، فذلك عندهم علم اليقين[١]

(اليقين : العلم وإزاحة الشك وتحقيق الأمر ، واليقين : نقيض الشك ، والعلم نقيض الجهل ، تقول عَلِمْته يقينا . وفي التنزيل العزيز : وإنه لحق اليقين ; أضاف الحق إلى اليقين وليس هو من إضافة الشيء إلى نفسه ; لأن الحق هو غير اليقين ، إنما هو خالصه وأصحه فجرى مجرى إضافة البعض إلى الكل) [٢]

حقُّ اليَقين : ما يُعبَّر به عن عُليا مراتب المعرفة عند الصوفيَّة وفيها تتوحَّد ذات العارف مع موضوع المعرفة ، بمعنى فناء العبد في الحقّ والبقاء به علمًا وشهودًا ، وأولى مراتب المعرفة علم اليقين يليها مرتبة عين اليقين ثم حق اليقين .

واليقين : رؤية العيان بقوة الايمان لا بالحجة والبرهان ، وقيل هو مشاهدة الغيوب بصفاء لقلوب وملاحظة الأسرار بمخاطبة الأفكار وقيل اليقين هو المكاشفة [٣]

يقول ابو عبد الله الانطاكي رحمه الله تعالى : ان اقل اليقين اذا وصل القلب يملأ القلب نوراً ، وينفي كل ريب ، ويمتلئ القلب به شكراً ، ومن الله تعالى خوفا [٤]

---

[١] لطائف الإعلام ٤٠٦/٢

[٢] لسان العرب ٣٢١/١٥

[٣] حدائق الحقائق ص ١٣١

[٤] الرسالة القشيرية ص ٣١٨

وعند الشيخ الأكبر ابن العربي رحمه الله تعالى :

(العبد في أصله مضطرب متزلزل الملك فلا يقين له من حيث حقيقته ، فإنه محل لتجدد الاعراض عليه .

واليقين سكون وهو عرض فلا ثبوت له زمانياً ، والله تعالى كل يوم هو في شأن ، وأصغر الايام الزمن الفرد ، فقد أَبَنْتُ لك ان اهل الله في نفوسهم بمعزل عما يطلبه اليقين ، وان اليقين هو السائل ، ولهذا قال له (حتى يأتيك اليقين) فيكون اليقين هو الذي يسأل ويتعب وانت مستريح)[1]

[1] الفتوحات ٢/٢٦٠

الفهرست

التسلسل	الموضوع	رقم الصفحة
١	الاهداء	٥

٢	المقدمة	٩
٣	وقفة في محراب التصوف	١٥
٤	تعريف التصوف	٢١
٥	التعرف على بعض مصطلحات التصوف	٣٩
٦	الأبدال	٤٤
٧	الأبد	٤٦
٨	الاتحاد	٤٩
٩	الاتصال	٥١
١٠	الأثر	٥٤
١١	الاجتباء	٥٦
١٢	الاحاطة	٥٧
١٣	الاحسان	٥٩
١٤	الاخلاص	٦٣
١٥	الدنيا	٦٥
التسلسل	الموضوع	رقم الصفحة
١٦	الارادة	٦٩

١٧	الاربعينية	٧١
١٨	الاستدراج	٧٣
١٩	الاستقامة	٧٦
٢٠	الاسم	٧٩
٢١	الاشتياق	٨١
٢٢	الاصطفاء	٨٣
٢٣	الاصطلام	٨٥
٢٤	الأصول	٨٨
٢٥	الأطوار	٩٠
٢٦	الاعتصام	٩١
٢٧	الاعتكاف	٩٤
٢٨	الأعراف	٩٥
٢٩	الأعيان	٩٨
٣٠	الأفراد	٩٩
التسلسل	الموضوع	رقم الصفحة
٣١	المجذوب	١٠١

٣٢	الالهام	١٠٤
٣٣	الألوهية	١٠٥
٣٤	أم الكتاب	١٠٨
٣٥	الإمامان	١١٢
٣٦	الإنابة	١١١
٣٧	الأنس	١١٧
٣٨	الإنسان الكامل	١١٩
٣٩	أهل الذوق	١٢٤
٤٠	الأوتاد	١٢٧
٤١	الإيمان	١٢٩
٤٢	البارقة	١٣١
٤٣	البدلاء	١٣٢
٤٤	البرزخ	١٣٤
٤٥	البصيرة	١٣٦
التسلسل	الموضوع	رقم الصفحة
٤٦	البعد	١٣٩

التسلسل	الموضوع	رقم الصفحة
٤٧	البلاء	١٤٢
٤٧	التاج	١٤٥
٤٩	تاج الملك	١٤٦
٥٠	التجلي	١٤٦
٥١	التحقيق	١٤٨
٥٢	التداني	١٤٩
٥٣	التسليم	١٥٠
٥٤	التفكر	١٥٢
٥٥	التقديس	١٥٥
٥٦	التقوى	١٥٦
٥٧	التلف	١٥٩
٥٨	التلقي	١٦٠
٥٩	التمكين	١٦١
٦٠	التواضع	١٦٣
٦١	التوبة	١٦٥

٦٢	التوحيد	١٦٧
٦٣	التوهم	١٧٢
٦٤	الثقة	١٧٥
٦٥	جذبة ومجذوب	١٧٥
٦٦	الجلوة	١٧٨
٦٧	جليس الحق	١٨١
٦٨	الجمال	١٨٣
٦٩	جمع الجمع	١٨٧
٧٠	الجنة	١٨٩
٧١	الجوع	١٩١
٧٢	الحادث	١٩٤
٧٣	الحال	١٩٢
٧٤	الحال والمقام	١٩٧
٧٥	الحب	٢٠٠
التسلسل	الموضوع	رقم الصفحة
٧٦	حُجُب	٢٠٣

٧٧	الحرص	٢٠٨
٧٨	الحروف	٢٠٨
٧٩	الحرية	٢١٣
٨٠	الحق	٢١٧
٨١	الحقيقة	٢٢١
٨٢	حق اليقين	٢٢٦
٨٣	الحكمة	٢٢٧
٨٤	الحيرة	٢٣١
٨٥	الخاصة	٢٣٣
٨٦	الخاطر	٢٣٦
٨٧	الخشوع	٢٤٣
٨٨	الخشية	٢٤٥
٨٩	الخلة	٢٥٠
٩٠	الخلوة	٢٥٥
التسلسل	الموضوع	رقم الصفحة
٩١	الخليفة	٢٥٨

٩٢	الخوف	٢٦٢
٩٣	الدنيا	٢٦٦
٩٤	الذكر	٢٧٠
٩٥	ذو العقل	٢٧٣
٩٦	ذو العقل والعين	٢٧٧
٩٧	الذوق	٢٧٨
٩٨	الران	٢٧٨
٩٩	الرجاء	٢٨٢
١٠٠	الرسم	٢٨٦
١٠١	الرضا	٢٨٨
١٠٢	الرعاية	٢٩١
١٠٣	الرقيقة	٢٩٣
١٠٤	الروح الأعظم	٢٩٤
١٠٥	الرياء	٢٩٥
التسلسل	الموضوع	رقم الصفحة
١٠٦	الزهد	٢٩٧

١٠٧	السالك	٢٩٩
١٠٨	الستر	٣٠٥
١٠٩	سر السر	٣٠٩
١١٠	السكر	٣١٠
١١١	السكينة	٣١٣
١١٢	الشاهد	٣١٥
١١٣	الشجرة	٣١٨
١١٤	الشك	٣٢١
١١٥	الشكر	٣٢٧
١١٦	الشهود	٣٣٠
١١٧	الصبر	٣٣٠
١١٨	الصدق	٣٣٦
١١٩	الصعق	٣٣٩
١٢٠	الصفاء	٣٤٤
التسلسل	الموضوع	رقم الصفحة
١٢١	الضنائن	٣٤٥

١٣٢	الضياء	٣٤٦
١٣٣	الطريق	٣٤٩
١٣٤	الطريقة	٣٥١
١٣٥	الطوالع	٣٥١
١٣٦	الطهارة	٣٥٣
١٣٧	العارف	٣٥٨
١٣٨	العبادة والعبودية	٣٦٦
١٣٩	العدل	٣٦٧
١٤٠	العنقاء	٣٧٠
١٤١	الغراب	٣٧٢
١٤٢	الغشاوة	٣٧٥
١٤٣	الغوث	٢٧٧
١٤٤	الغيبة	٣٧٩
١٤٥	الفتى	٣٨٢
التسلسل	الموضوع	رقم الصفحة
١٤٦	الفرار	٣٨٧

١٤٧	الفناء	٣٩٠
١٤٨	الفيض	٣٩٤
١٤٩	الفيض الأقدس	٣٩٧
١٥٠	القبض والبسط	٣٩٨
١٥١	القدر	٤٠٣
١٥٢	القدم	٤٠٥
١٥٣	القديم	٤٠٨
١٥٤	القرب	٤١٤
١٥٥	القطب	٤١٧
١٥٦	القلب	٤٢٢
	القلم	٤٢٥
	القناعة	٤٢٦
١٥٩	القيام بالله	٤٢٧
١٦٠	الكِبَر	٤٢٨
التسلسل	الموضوع	رقم الصفحة
١٦١	الكتاب	٤٣٢

التسلسل	الموضوع	رقم الصفحة
١٦٢	الكشف	٤٣٥
١٦٣	اللوامع	٤٥٦
١٦٤	اللوح	٤٤١
١٦٥	المجاهدة	٤٤٤
١٦٦	المحاسبة	٤٤٧
١٦٧	المحو	٤٥١
١٦٨	المراقبة	٤٥٤
١٦٩	المُريد والمُراد	٤٥٦
١٧٠	المعرفة	٤٦٠
١٧١	المقام المحمود	٤٦٢
١٧٢	المكر	٤٦٦
١٧٣	الهوى	٤٨٣
١٧٤	الورع	٤٨٤
١٧٥	الولي	٤٨٤
١٧٦	اليقظة	٤٨٤

١٧٧	اليقين	٤٨٦